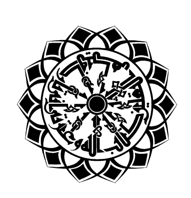

بسم الله الرحمن الرحيم



أمير المؤمنين
علي بن أبي طالب (عليه السلام)

المجمع العالمي لأهل البيت (عليهم السلام) ـ قم



اسم الكتاب: أعلام الهداية (٢) / أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام

المؤلف: لجنة التأليف في المعاونية الثقافية للمجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام

الموضوع: سيرة وتاريخ

الناشر: المعاونية الثقافية للمجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام

الطبعة: الخامسة المحقّقة، منقّحة، ومزيدة

المطبعة: المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام

الكمية: ٣٠٠٠

تاريخ النشر: ١٤٢٩ هـ

ردمك: ISBN: 978-964-529-345-9

ردمك الدورة: 978-964-529-358-9

www.ahl-ul-bayt.org

E-mail: info@ahl-ul-bayt.org

فهرس إجمالي

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

كلمة المجمع

مبدأ الهداية الربّانية في القرآن الكريم
معالم النظرية ـ خصائص المسيرة ـ أهم المنجزات

بسم الله والحمد لله الذي أعطى كلّ شيء خلقه ثم هدىٰ، ثم الصلاة والسلام على من اختارهم هداةً لعباده، لا سيما خاتم الأنبياء وسيّد الرسل الأصفياء أبو القاسم المصطفىٰ محمد (صلى الله عليه وآله) وعلىٰ آله الميامين النجباء .

لقد خلق الله الانسان وزوّده بعنصري (العقل) و(الإرادة)، فبالعقل يبصر ويكتشف الحقّ ويميّزه عن الباطل ، وبالإرادة يختار ما يراه صالحاً له ومحقّقاً لأغراضه وأهدافه .

وقد جعل الله العقل حجةً له على خلقه، وأعانه بما أفاض عليه من معين هدايته؛ فإنّه هو الذي علّم الإنسان ما لم يعلم[١]، وأرشده إلى طريق كماله اللائق به[٢]، وعرّفه الغاية التي خلقه من أجلها[٣]، وجاء به الى هذه الحياة الدنيا من أجل تحقيقها[٤] .

وأوضح القرآن الحكيم بنصوصه الصريحة معالم الهداية الربّانية وآفاقها ومستلزماتها وطرقها ،كما بيّن لنا عللها وأسبابها من جهة، وأسفر عن ثمارها ونتائجها من جهةٍ اُخرىٰ.وبذلك قدّم اُطروحته الكاملة فيما يخصّ الربّانية ونظامها.

---

(١) ﴿ عَلَّمَ ٱلإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ / العلق(٩٦) : ٥ .

(٢) ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَاطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ* صِرَاطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ ٱلضَّآلِّينَ ﴾ /الفاتحة(١): ٦ ـ ٧.

(٣) ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾ النجم (٥٣): ٤٢، ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ الذاريات (٥١): ٥٦.

(٤) ﴿ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾ الملك (٦٧): ٢.

معالم نظرية الهداية الربّانية في نصوص القرآن الكريم

قال الله تعالى مبيّناً حقيقة الهداية ومبدأها وخصائصها وطرقها وأعلامها ونتائجها في نصوص آياته البيّنات وإليك جملة منها:

١ ـ ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللّٰهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾[١].

٢ ـ ﴿وَٱللّٰهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[٢].

٣ ـ ﴿وَٱللّٰهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي ٱلسَّبِيلَ﴾[٣].

٤ ـ ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللّٰهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[٤].

٥ ـ ﴿قُلِ ٱللّٰهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِي إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمْ مَن لاَ يَهِدِّي إِلَّا أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾[٥].

٦ ـ ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾[٦].

٧ ـ ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدىً مِنَ ٱللّٰهِ﴾[٧].

مصدر الهداية وينبوعها

فالله تعالى هو مصدر الهداية. وهدايته هي الهداية الحقيقية، وهو الذي يأخذ بيد الانسان إلى الصراط المستقيم وإلى الحقّ القويم.

وهذه الحقائق يؤيدها العلم ويدركها العلماء ويخضعون لها بملء وجودهم.

---

(١) الأنعام (٦) : ٧١ .
(٢) البقرة (٢): ٢١٣ .
(٣) الأحزاب (٣٣) : ٤
(٤) آل عمران (٣) : ١٠١ .
(٥) يونس (١٠) : ٣٥.
(٦) سبأ (٣٤) : ٦ .
(٧) القصص (٢٨) : ٥٠ .

فلسفة الهداية وأدواتها

ولقد أودع الله في **فطرة** الإنسان **النزوع إلى الكمال والجمال**، ثمّ مَنّ عليه بإرشاده إلى الكمال اللائق به، وأسبغ عليه نعمة التعرّف على طريق الكمال، ومن هنا قال تعالىٰ : ﴿**وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾[1].

وحيث لا تتحقّق العبادة الحقيقية من دون المعرفة، كانت المعرفة والعبادة هي الطريق الأوحد والهدف اللائق والغاية الموصلة الى قمّة الكمال.

وبعد أن زوّد الله الإنسان بغريزتي (الغضب) و(الشهوة) ليحقّق له وقود الحركة نحو الكمال؛ أصبح مهيّأً لسيطرة الغضب والشهوة؛ والهوى الناشئ منهما، ومن هنا كان الانسان ـ بالإضافة إلى نور عقله وسائر أدوات المعرفة وأنوارها ـ بحاجة الى ما يضمن له سلامة البصيرة والرؤية والمسيرة؛ كي يتسنّىٰ له الوصول المضمون الى الهدف اللائق به وبذلك تتمّ عليه الحجّة من خالقه حيث تكمل له نعمة الهداية، وتتوفّر لديه كلّ الأسباب التي تجعله يختار طريق الخير والسعادة، دون طريق الشرّ والشقاء وذلك بملء إرادته واختياره.

ومن هنا اقتضت سُنّة الهداية الربّانية العامّة لكل الكائنات أن يُسند عقل الإنسان عن طريق الوحي الإلهي، بنصوص يعيها وأعلام هادية أمينة يقتدي بها وقد تمثّلت في القادة الهُداة الذين اختارهم الله لتولي مسؤولية هداية العباد وذلك من خلال نصبهم أعلاماً للهداية وتوفير المعرفة اللازمة بهم وإعطاءهم كلّ الإرشادات التي تتطلّبها كلّ مرافق الحياة .

نظام الهداية الربّانية وتاريخها

وقد حمل الأنبياء وأوصياؤهم المهديّون مشعل الهداية الربّانية منذ فجر تاريخ الإنسان وعلى مدىٰ العصور والأجيال.

ولم يترك الله عباده مهملين دون حجةٍ هاديةٍ وعلمٍ مرشدٍ ونورٍ مُضيء ، كما

---

(١) الذاريات (٥١): ٥٦ .

أفصحت عن ذلك نصوص الوحي ـ مؤيّدةً لدلائل العقول ـ بأنّ الأرض لا تخلو من حجة لله على خلقه[١]، ﴿**لئلّا يكون للناس على الله حجّة**﴾ [النساء (٤) : ١٦٥]، فالحجّة قبل الخلق ومع الخلق وبعد الخلق[٢]، ولو لم يبق في الأرض إلّا اثنان لكان أحدهما الحجّة، كما صرّح القرآن ـ بشكلٍ لا يقبل الريب ـ قائلاً : ﴿ **إنّما أنت منذر ولكلّ قوم هاد**﴾ [الرعد (١٣) : ٧].

مهامّ القادة الهُـداة

ويتولّى أنبياء الله ورسله وأوصياؤهم المهديّون مهمّة الهداية بجميع مراتبها، والتي تتلخّص في مجموعة مهامّ مترابطة ومتكاملة كما يلي :

١ ـ تلقّي الوحي بشكلٍ كامل واستيعاب الرسالة الإلهية بصورة دقيقة. وهو تعبير عن الاستعداد التام لتلقّي الرسالة، ومن هنا يكون الاصطفاء الإلهي لرسله شأناً من شؤونه، كما أفصح الذكر الحكيم قائلاً : ﴿**ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ**﴾[٣] و ﴿**ٱللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُسُلِهِ مَن يَشَاءُ**﴾[٤].

٢ ـ إبلاغ الرسالة الإلهية الى من أرسلها إليه من البشرية، ويتوّقف الإبلاغ على الكفاءة التامّة التي هي حصيلة «الاستيعاب والإحاطة» بتفاصيل الرسالة وأهدافها ومتطلّباتها، و «العصمة» عن الضلال يتمثّل الضلال في الخطأ والانحراف معاً، قال تعالى: ﴿**كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا فِيهِ**﴾[٥] . وقال أيضاً: ﴿**فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ**﴾[٦] .

(١) الكافي ١: ١٧٨، باب إن الأرض لا تخلو من حجّة، الإمامة والتبصرة لابن بابويه القمي: ٢٥، باب ٢.
(٢) بصائر الدرجات: ٥٠٧ ـ ٥٠٨، ح٣، باب ١١، كتاب الغيبة للنعماني: ١٣٩ / ب ٩.
(٣) الأنعام (٦) : ١٢٤ .
(٤) آل عمران (٣) : ١٧٩ .
(٥) البقرة (٢): ٢١٣.
(٦) سورة ص (٢٨): ٨٢ ـ ٨٣.

٣ ـ تكوين أُمةٍ مؤمنةٍ بالرسالة الإلهية، وإعدادها لدعم القيادة الهادية من أجل تحقيق أهدافها وتطبيق قوانينها في الحياة ، وقد صرّحت آيات الذكر الحكيم بهذه المهمّة مستخدمةً عنواني التزكية والتعليم، قال تعالى: ﴿يُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمَهُمُ ٱلْكِتابَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾(١) والتزكية هي التربية السليمة باتجاه الكمال اللائق بالإنسان. وتتطلّب التربية القدوة الصالحة التي تتمتّع بكلّ عناصر الكمال،كما قال تعالى : ﴿ لَقَدْكَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيراً﴾(٢) .

٤ ـ صيانة الرسالة من الزيغ والتحريف والضياع في الفترة المقرّرة لها ، وهذه المهمة أيضاً تتطلّب الكفاءة العلمية والنفسية التي تتناسب مع هذه المهمّة العظيمة.

٥ ـ العمل لتحقيق أهداف الرسالة المعنوية وتثبيت القيم الأخلاقية في نفوس أبناء المجتمعات البشرية وذلك بتنفيذ الأُطروحة الربّانية، وتطبيق قوانين الدين الحنيف على المجتمع البشري من خلال تأسيس كيانٍ سياسيٍّ يتولّىٰ إدارة شؤون الأُمة علىٰ أساس الرسالة الربّانية للبشرية، ويتطلّب التنفيذ قيادةً حكيمةً، وشجاعةً فائقةً، وصموداً كبيراً، ومعرفةً تامةً بالنفوس وبطبقات المجتمع والتيارات الفكرية والسياسية والاجتماعية وقوانين الإدارة والتربية وسنن الحياة، ونلخّصها في: الكفاءة والعصمة، ونوضّحها بـ: الكفاءة العلميّة والعمليّة لإدارة دولةٍ عالميةٍ دينية، والعصمة التي ـ تعبّر عن الكفاءة النفسية ـ تصون القيادة الدينية من كلّ سلوكٍ منحرفٍ أو عملٍ خاطئٍ بإمكانه أن يؤثّر تأثيراً سلبيّاً على مسيرة القيادة وانقياد الأُمة لها بحيث يتنافىٰ مع أهداف الرسالة وأغراضها.

جهاد الأنبياء وأوصياؤهم

وقد سلك الأنبياء وأوصياؤهم المصطفون على مدى الأجيال طريق الهداية

(١) الجمعة (٦٢): ٢ .

(٢) الأحزاب (٣٣): ٢١ .

الدامي، واقتحموا العقبات في سبيل تحقيق التربية المطلوبة للأُمّة، وتحمّلوا كلّ صعب في سبيل أداء المهامّ الرسالية، وقدّموا كلّ ما يـمكن أن يـقدّمه الإنسـان المتفاني في مبدئه وعقيدته في سبيل تـحقيق أهـداف الرسـالات الإلهـية، ولم يتراجعوا لحظة، ولم يتلكّأوا طرفة عين.

إنجازات سيّد المرسلين محمّد(صلى الله عليه وآله)

وقد توّج الله جهود الأنبياء وأوصيائهم وجهادهم المستمرّ على مدى العصور برسالة خاتم الأنبياء محمد بن عبدالله (صلى الله عليه وآله) وحمّله الأمـانة الكـبرىٰ ومسـؤولية الهداية بجميع مراتبها، طالباً منه تحقيق أهدافها. وقد سار الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) في هذا الطريق الوعر خطواتٍ مدهشة، وحقّق في أقصر فترةٍ زمنيةٍ أكبر نـتاجٍ ممكنٍ في حساب الدعوات التغييرية والرسالات الإلهية، وكانت حصيلة جهاده المبارك خلال أكثر من عشرين سنة ما يلي:

١ ـ تقديم رسالةٍ كاملةٍ للبشرية تحتوي على عناصر الديمومة والبقاء .

٢ ـ تزويدها بعناصر تصونها من الزيغ والانحراف .

٣ ـ تكوين اُمةٍ مسلمةٍ تـؤمن بـالله ربّـاً وبـالإسلام مـبدأً، وبـالرسول قـائداً، وبالشريعة قانوناً للحياة .

٤ ـ تأسيس دولةٍ إسلاميةٍ وكيانٍ سياسيٍّ يحمل لواء الإسلام ويطبّق شريعة السماء.

٥ ـ تقديم الوجـه المشـرق للـقيادة الربّـانية الحكـيمة المـتمثّلة فـي قـيادته الحكيمة(صلى الله عليه وآله) .

متطلبات الرسالة الخاتمة

ولتحقيق أهداف الرسالة بشكلٍ كاملٍ كان من الضروري :

أ ـ أن تستمرّ القيادة الكفوءة في تطبيق الرسالة وصيانتها من أيدي العابثين الذين يتربّصون بها الدوائر .

ب ـ أن تستمرّ عملية التربية الصحيحة باستمرار الأجيال؛ على يد مربّين أكفَاء علمياً ونفسياً حيث يكونون قدوة حسنة في الخُلُق والسلوك كالرسول الأعظم(صلى الله عليه وآله)، يستوعبون الرسالة ويجسّدونها في كلّ حركاتهم وسكناتهم .

التخطيط الربّاني لاستمرار الهداية الإلهية بعد الرسول(صلى الله عليه وآله)

ومن هنا كان التخطيط الإلهيّ يحتّم على الرسول الخاتم(صلى الله عليه وآله) إعداد الصفوة من أهل بيته الأطهار، والتصريح بأسمائهم وأدوارهم[1]؛ لتسلّم مقاليد الحركة النبويّة العظيمة والهداية الربّانية بأمر من الله سبحانه وصيانة الرسالة الإلهية ـ التي كتب الله لها الخلود ـ من تحريف الضالين وكيد الخائنين، وتربية الأجيال على قيم الله ومفاهيم الشريعة المباركة التي تولّوا تبيين معالمها وكشف أسرارها وذخائرها للبشرية على مرّ العصور، حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

التخطيط الربّاني في نصوص النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله

وتجلّىٰ هذا التخطيط الربّاني في نصوص نبويّة كثيرة منها: ما نصّ عليه الرسول الأكرم محمّد (صلى الله عليه وآله) بقوله: «**إنّي تارك فيكم الثقلين ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا، كتاب الله وعترتي، وإنّهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض**»[2].

أهل بيت الرسالة(عليهم السلام) التجسيد الحيّ للتخطيط الربّاني

وكان أئمة أهل البيت ـ صلوات الله عليهم أجمعين ـ هم العترة وهم خير من

---

(١) انظر سورة المائدة الآية (٦٧) والآية (٣) منها حيث دلّت على الأمر الإلهي بتنصيب من تكمل به الرسالة الالهية ويكمل ـ بإبلاغ مهمّته الربّانية ـ للدين الإلهي الخاتم. وتتم نعمة الهداية بكلّ مراتبها من الله للبشريّة عامّة وبذلك يصبح الإسلام الكامل الشامل هو الدين الخالد والمرضي للإنسانية جمعاء.

(٢) بصائر الدرجات: ٤٣٣ / ح٣، دعائم الإسلام للمغربي ١: ٢٨، فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل: ١٥، مسند أحمد بن حنبل ٣: ١٤ و١٧، العمدة لابن البطريق: ٧١ / ح٨٧، المستدرك للحاكم النيسابوري ٣: ١٤٨. وقد ورد الحديث في كتب الفريقين بتفاوت في اللفظ وبطرق مختلفة.

عرّفهم النبيّ الأكرم(صلى الله عليه وآله) بأمر من الله تعالى لقيادة الاُ مّة من بعده وكانت سيرة الأئمّة الاثني عشر من أهل البيت (عليهم السلام) تمثّل المسيرة الواقعية للإسلام وللرسالة بعد عصر الرسول (صلى الله عليه وآله).

ومن هنا كانت دراسة حياتهم بشكلٍ تفصيلي ومستوعبٍ تكشف لنا صورة شاملة لحركة الإسلام المحمّدي الذي أخذ يشقّ طريقه إلى أعماق الاُمة رغم الثلمة الحاصلة بفقدان الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله)، فقد أخذ الأئمة المعصومون (عليهم السلام) ـ رغم محاولات تغييبهم وإبعادهم عن الساحة ـ يعملون على توعية الاُمة وتفجير طاقاتها باتجاه تصعيد الوعي الرساليّ لديها بالنسبة للشريعة ولحركة الرسول الأعظم(صلى الله عليه وآله) وثورته الربّانية المباركة، غير خارجين عن مسار السنن الكونية التي تتحكّم في سلوك المجتمعات الإنسانية جمعاء .

خصائص مسيرة أهل بيت الرسالة ومهامّهم

إنّ حياة الأئمّة الراشدين وسيرتهم قد جسّدت مبدأ الثبات على نهج الرسول العظيم خير تجسيد كما انفتحت الاُمة عليهم بالتدريج ـ رغم كل الألغام والعقبات التي زرعت في هذا الطريق ـ وتفاعلت الاُمّة معهم كأعلامٍ للهداية ومصابيح تنير الدرب لسالكي طريق الحقّ وللمؤمنين بقيادتهم، فكانوا هم الأدلّاء على الله وعلى مرضاته، والمستقرّين في أمر الله، والتامّين في محبّته، والذائبين في الشوق إليه، والذابّين عن رسالة سيّد المرسلين، والسابقين إلى تسلّق قمم الكمال الإنسانيّ المنشود .

وقد حفلت حياتهم بأنواع الجهاد والصبر علىٰ طاعة الله وتحمّل جفاء أهل الجفاء بهم حتّىٰ ضربوا أعلى أمثلة الصمود والتضحية لتنفيذ أحكام الله تعالىٰ، ثم اختاروا الشهادة مع العزّ على الحياة مع الذلّ، حتى فازوا بلقاء الله سبحانه بعد كفاحٍ عظيمٍ وجهادٍ كبير .

ولا يستطيع المؤرّخون والكتّاب أن يلمّوا بجميع زوايا حياتهم العطرة بعد

محاولات التغييب لهم ولدورهم الرسالي، ولم يدّع أحد دراستها بشكلٍ كامل، ومن هنا فإنّ محاولتنا هذه إنّما هي إعطاء قبساتٍ من حياتهم، وومضات من سيرتهم وسلوكهم ولقطات من مواقفهم التي دوّنها المؤرّخون واستطعنا اكتشافها من خلال المصادر التاريخية مع محاولة تقديم نظرة شمولية قدر المستطاع، عسى الله أن ينفع بها من يشاء أن ينتفع إنّه وليّ التوفيق .

موسوعة أعلام الهداية خطوة رائدة

إنّ دراستنا لحركة أهل البيت (عليهم السلام) الرسالية في **(موسوعة أعلام الهداية)** التي توزّعت في أربعة عشر جزءاً لأربعة عشر معصوماً تبدء برسول الإسلام وخاتم الأنبياء **محمّد بن عبدالله** (صلى الله عليه وآله) وتنتهي بخاتم الأوصياء، **محمّد بن الحسن العسكري المهديّ المنتظر** عجّل الله تعالى فرجه وأنار الأرض بضياء عدله ونور قسطه.

والمنهج المشترك في دراسة حياة كلّ منهم هو الاهتمام بسيرته الرسالية الفردية والاجتماعية واستبيان ملامح عصره ومتطلبات مرحلته ومحاولة الإلمام بالإنجازات التي تحققت ببركة قيادته وتقديم نماذج من تراثه.

وقد تصدى المجمع العالمى لأهل البيت (عليهم السلام) لإخراج هذه الموسوعة الى عالم النور وحرص على عرضها بشكل لائق فكانت نموذجاً ونبراساً للدراسة العلمية على أساس المنهج الترابطي[١] على هدي القرآن الكريم ومصادر المعرفة التاريخية التي تعتبر خزيناً علمياً رائعاً بالرغم من تجاهل الناس لكثير منها بسبب ما جرى على الرسالة وعلى قادتها الميامين؛ وفي عصر الصحوة لابدّ للعالم الإنساني والإسلامي أن يقف فى عصرنا هذا على كثير من الحقائق رغم

(١) المنهج الترابطي في قبال المنهج التجزيئي وهو المنهج الذي اتّبعه استاذنا الشهيد السعيد آية الله العظمى السيّد محمد باقر الصدر(قدس سره) في ما تناوله عند دراسته التحليلية لحياة أهل البيت(عليهم السلام). انظر محاضراته في ما طبع تحت عنوان: أهل البيت(عليهم السلام) تنوّع أدوار ووحدة هدف، وقد شكّلت الدراسات التي استضاءت بنور هذا المنهج من قبل تلامذته والسائرين على نهجه موسوعة عظيمة تستحق أن تكون تعبيراً عن مدرسة متميزة في دراسة التاريخ الإسلامي ولا سيما تاريخ أهل البيت(عليهم السلام) .

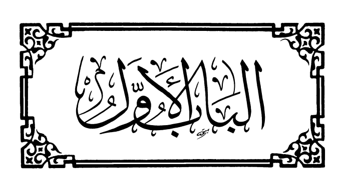
مرارتها والصبر عليها كما هو منهج القرآن الكريم في الدعوة الى الله والتواصي بالحقّ والتواصي بالصبر.

ويختص هذا الكتاب بدراسة حياة **سيّد الوصيّين الإمام عليّ بن أبي طالب**(عليه السلام) أوّل الأئمة الاثني عشر من أهل بيت الرسالة وهو المعصوم الثاني من أعلام الهداية الأربعة عشر في عصر الرسالة الخاتمة. وقد مثّل بسيرته مبادئ الرسالة كاملة وحقّق جملة من أهدافها بما اتّسعت له الحقبة التاريخية من قابليات المجتمع الإسلامي والإنساني، وقد ترك للإنسانية وللأجيال المسلمة التي تلت عصره تراثاً ضخماً يمكن للبشرية أن تستضيء بنوره وتتألق به من خلال الإحاطة بمسيرته المباركة.

وفي الختام نتقدّم بالشكر الجزيل للمؤلف فضيلة السيّد منذر الحكيم ومساعده في التأليف الأخ الفاضل عدي الغريباوي في هذا الجزء الخاص بالإمام عليّ بن أبي طالب(عليه السلام) والأخ الفاضل السيّد يونس عكّلة الموسوي الذي اهتمّ بتخريج وتوثيق النصوص للطبعة المحققة الخامسة، والأخ الفاضل حسين الصالحي لمساهمته في المقابلة وإكمال التدقيق مع الأخ جواد الطاهر، والأخ قاسم البغدادي لصف الحروف والإخراج الفني وسائر العاملين الساهرين على تحقيق أهداف الرسالة في المجمع العالمي لأهل البيت(عليهم السلام). سائلين لهم من الله تعالى دوام التوفيق وحسن الأجر إنّه وليّ ذلك.

المعاونية الثقافية

للمجمع العالمي لأهل البيت(عليهم السلام)



فيه فصول :

الفصل الأوّل :

الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) في سطور

الفصل الثاني :

انطباعات عن شخصية الإمام(عليه السلام)

الفصل الثالث :

مظاهر من شخصية الإمام(عليه السلام)

الفصل الأوّل

الإمام عليّ بن أبي طالب(عليه السلام) في سطور

أوّل الخلفاء المهديّين

الإمام المرتضى عليّ بن أبي طالب: هو أمير المؤمنين وسيّد الوصيّين وأوّل الخلفاء المهديّين للرسول الأعظم محمّد(صلى الله عليه وآله) ـ بأمر من الله ونصّ من رسوله(صلى الله عليه وآله)[1] ـ وقد صرّح القرآن بعصمته وتطهيره من كلّ رجس[2]، وباهَلَ الرسول الأعظم(صلى الله عليه وآله) نصارىٰ نجران، به وبزوجته وولديه[3]، واعتبرهم من القربىٰ الذين وجبت مودّتهم[4] مصرّحاً غير مرّة بأنّهم عِدل الكتاب المجيد إذ يوجبان للمتمسّك بهما معاً النجاة وللمتخلّف عنهما الردىٰ[5].

---

(١) راجع المائدة (٥): ٣ و ٦٧ ونصّ الرسول(صلى الله عليه وآله) عليه(عليه السلام) في قوله يوم الغدير: «**مَن كنت مولاه فهذا عليّ مولاه**» راجع بصائر الدرجات: ٩٧ (باب النوادر من الأبواب في الولاية)، الكافي ١: ٢٨٦ (باب ما نصّ الله ورسوله على الأئمة(عليهم السلام))، مسند أحمد ٤: ٢٨١ (ما أسند عن قيس بن أبي عزرة)، سنن ابن ماجة ١: ٤٥/ ح١٢١. وقد أُلّفت لهذا الحديث كتب وموسوعات ومن أراد فليراجع موسوعة الغدير للعلّامة الشيخ عبدالحسين الأميني.

(٢) انظر الأحزاب (٣٣): ٣٣.

(٣) انظر سورة آل عمران (٣): ٦١ .

(٤) انظر سورة الشورىٰ (٤٢): ٢٣ .

(٥) بصائر الدرجات: ٤٣٣ / ح٣، ب ١٧ فى قوله(صلى الله عليه وآله): «**إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي**»، عيون أخبار الرضا(عليه السلام) ٢: ٦٠/ ح٢٥ في حديث الثقلين، بحار الأنوار ٢: ٢٢٦ / ح٣، سنن الترمذي ٥: ٣٢٧ ـ ٣٢٨/ ح ٣٨٧٤ (باب مناقب أهل بيت النبيّ صلى الله عليه وآله)، السنن الكبرىٰ للنسائي ٥: ٤٥ / ح٨١٤٨، (باب فضائل عليّ عليه السلام).

وقد ورد الحديث في كتب الفريقين بألفاظ متعددة.

النشأة الفريدة

نشأ الإمام في حجر رسول الله (صلى الله عليه وآله) منذ نعومة أظفاره، وتـغذّىٰ مـن مـعين هديه، فكان المتعلّم الوفيّ والأخ الزكيّ، وأوّل من آمن وصلّىٰ وأصدق من تفانى في سبيل ربّه وضحّى في سبيل إنجاح رسالته في أحرج لحـظات صـراعـها مـع الجاهلية العاتية في كلّ صورها في العهدين المكّي والمدني وفي حياة الرسـول وبعد رحيله ذائباً في مبدئه ورسالته وجميع قيمه مجسّداً للحقّ بكلّ شُعَبِه من دون أن يتخطّاها قيد أنملة أو ينحرف عنها قيد شعرة.

صوت العدالة الربّانية

لقد وصفه ضرار بن ضمرة الكناني لمعاوية بن أبي سفيان حتى أبكاه وأبكى القوم وجعله يترحّم عليه، بقوله :

«كان والله بعيد المدى شديد القوىٰ، يقول فصلاً ويحكم عدلاً، يتفجّر العلم من جوانبه، وتنطق الحكمة من نواحيه، ويستوحش من الدنيا وزهرتها، ويسـتأنس بالليل ووحشته، وكان غزير العَبرة طويل الفكرة، يقلّب كـفّه ويـخاطب نـفسه، يعجبه من اللباس ما قصر ومن الطعام ما جشب، وكان فيناكأحدنا، يُدنينا إذا أتيناه، ويُجيبنا إذا سألناه ويأتينا إذا دعوناه، وينبئنا إذا استنبأناه، ونحن والله مع تقريبه إيّانا وقربه منّا لا نكاد نكلّمه هيبةً له، فإن ابتسم فعن مثل اللؤلؤ المنظوم، يعظّم أهل الدين ويقرّب المساكين، لا يطمع القويّ في باطله ولا ييأس الضعيف من عدله»[1].

(١) مناقب الإمام أمير المؤمنين للكـوفي: ٥١ / ح ٥٤٠ (وصـف ضـرار عـليّاً عليه السلام)، شـرح الأخـبار للـقاضي ←

الموقع المتميّز في تاريخ الرسالة

لقد آزر الإمام عليّ(عليه السلام) الرسول الأعظم(صلى الله عليه وآله) منذ بداية الدعوة، وجاهد معه جهاداً لا يجاريه فيه أحد من أصحاب الرسول(صلى الله عليه وآله) في تأريخ الدعوة المباركة حتى تفرّىٰ الليل عن صُبحه وأسفر الحقّ عن محضه ونطق زعيم الدين وخرست شقاشق الشياطين بعد أن مُني بذؤبان العرب ومَرَدة أهل الكتاب[1].

وبعد أن خطا الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) لتغيير المجتمع الجاهلي خطواته المدهشة في تلك الفترة القصيرة كان الطريق أمام الاسلام لبلوغ أهدافه الكبرىٰ شاقّاً وطويلاً يتطلّب التخطيط الكامل والقيادة الواعية التي لا تقلّ عن الرسول القائد وعياً وإيماناً وكمالاً وإخلاصاً ودرايةً وحنكةً، وكان من الطبيعي للرسالة الخاتمة أن تخطّط لمستقبل هذه الدعوة التي تعتبر عصارة دعوات الأنبياء جميعاً ووريثة جهودهم وجهادهم المتواصل عبر التأريخ. وهكذا كان إذ اختار النبيّ الخاتم (صلى الله عليه وآله) بأمرٍ من الله سبحانه مَن رشّحه عمق وجوده في كيان الدعوة لهذه المهمّة التي تتطلّب من يتفانىٰ في أهدافها ويكون خالصاً من جميع شوائب الجاهلية ورواسبها ومتحليّاً بأعلى درجات الكفاءة. ومَن غير عليّ كان يحمل هذه الأوسمة والخصال؟!

الإعداد الرساليّ للوصيّ

لقد كان عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) هو ذلك الوصيّ والخلف الذي أعدّه

← المغربي ٢: ٣٩١ ـ ٣٩٢ / ح٧٤٣ (ضرار ومعاوية)، بحار الأنوار ٣٣: ٢٧٥ / ح٥٣٨، تاريخ مدينة دمشق ٢٤: ٤٠١ (ذكر ترجمة ضرار تحت رقم ٢٩٣٣)، سبل الهدىٰ والرشاد ١١: ٣٠٠ (باب ١٠ فى بعض فضائل عليّ ابن أبي طالب عليه السلام).

(١) من خطبة الزهراء عليها السلام المعروفة أَمام أبي بكر وعمر وسائر المهاجرين والأنصار بُعَيد رحيل الرسول صلى الله عليه وآله ومصادرتهم للخلافة .

رسول الله(صلى الله عليه وآله) إعداداً رسالياً خاصّاً ليحمّله المرجعية الفكرية والسياسية من بعده، كي يواصل عملية التغيير الطويلة الرائدة بمساندة القاعدة الواعية التي كان قد أعدّها الرسول(صلى الله عليه وآله) له من المهاجرين والأنصار.

الردّة السياسية

ولكنّ الجاهلية المتجذّرة في أعماق ذلك المجتمع ما كانت لتندحر في بدرٍ وحُنين وخلال عقد واحد من الصراع والكفاح، وكان من الطبيعي أن تظهر من جديد متستِّرة تحت راية الإسلام كي تستطيع أن تظهر على المسرح الاجتماعي من جديد ولو بعد عقود من الزمن، وكان من الطبيعي أيضاً للجاهلية أن تتسلّل إلى المواقع القيادية .. ومن هنا كانت الردّة إلى المفاهيم والعادات الجاهلية أمراً محتملاً بل متوقّعاً لكلّ قياديّ يمتلك أدنىٰ وعي سياسيّ واجتماعيّ، فكيف برسول الله وخاتم أنبيائه (صلى الله عليه وآله)؟! وذلك من خلال الالتفاف على القيادة الشرعية للمجتمع الإسلامي الفتيّ الذي كانت تحدّق به الأخطار من كلّ جانب، ولم تكتمل كلّ قواعده وعياً ونضجاً وانفتاحاً علّ كلّ أبعاد الرسالة.

التخطيط الرسالي

وإذا كانت الرسالة الإسلامية تهدف إلى تغيير الواقع الاجتماعي الجاهلي، فلابدّ أن تلاحظ هذا الواقع بكل ملابساته ورسوباته، وتخطّط للتغيير الشامل على المدى القريب والبعيد معاً... وهكذا كان، فقد رسمت الرسالة الخط الطبيعي الذي يفرضه المنطق التشريعي للمسيرة الإسلامية الرائدة، حيث تجلّى ذلك في إرجاع الأُمّة فكرياً وسياسياً إلى القادة الهداة والأئمّة المعصومين والمطهّرين من كلّ رجس جاهلي، وذلك بعد أن نصّب النبيّ عليّاً ـ في السنة العاشرة وبعد حجّة الوداع

وفي غدير خم[١] ـ أميراً للمؤمنين وخلفاً شرعياً له، وأحكم له الأمر بأخذه البيعة لولايته وإمامته من عامّة المسلمين .

بين الواقع والطموح

لقد اصطدم التخطيط الرائد بواقع كان متوقّعاً للنبيّ(صلى الله عليه وآله) وبتيّار قرشيّ استغلّ نقصان الوعي عند الاُمّة التي كانت تشكّل القاعدة الخصبة لحماية القيادة الرشيدة، حيث لم يكن يدرك عامّة المسلمين بعمق أنّ الجاهلية لم تنحسر بل كانت تتآمر من وراء الستار عليهم وعلىٰ الثورة الإسلامية الفتيّة، وأنّ القضية لا تتلخّص في تغيير شخص القائد بقائد آخر، وإنّما القضية قضية تغيير خط الإسلام المحمدي الثوري بخط جاهلي أو مشحون برواسب الجاهلية ولكنه يرفع شعار الإسلام فحسب.

إجهاض التخطيط الرائد

وهكذا أجهضت عاصفة السقيفة[٢] التخطيطَ الرائدَ للنبيّ القائد (صلى الله عليه وآله) حينما كانت الساحة قد خلت منه، وتحقّقت نبوءة القرآن العظيم حين قال: ﴿**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَابِكُمْ...**﴾[٣]؟ ! ! . وذلك بعد أن كان النبيّ الأعظم(صلى الله عليه وآله) قد نصّب عليّاً أميناً على رسالته مربيّاً لاُمّته

---

(١) راجع سورة المائدة (٥) آية ٣ و ٦٧ نصّ الرسول(صلى الله عليه وآله) عليه(عليه السلام) قوله يوم الغدير: «**مَن كنت مولاه فهذا عليّ مولاه**» راجع بصائر الدرجات: ٩٧ (باب النوادر من الأبواب في الولاية)، الكافي ١: ٢٨٦ (باب ما نصّ الله ورسوله على الأئمة(عليهم السلام))، مسند أحمد ٤: ٢٨١ (ما أسند عن قيس بن أبي عزرة)، سنن ابن ماجة ١: ٤٥ / ح ١٢١.

(٢) راجع إختصاص المفيد: ١٨٥ (حديث سقيفة بني ساعدة)، بحار الأنوا ٢٨: ١٨ ـ ١٨٢، مسند أحمد ١: ٥٥ ـ ٥٦، (مسند عمر في حديث السقيفة)، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢: ٢١ (حديث السقيفة).

(٣) آل عمران (٣) : ١٤٤.

وإماماً وقائداً لِدولته، وكلّفه بحفظ الرسالة والشريعة كما كلّفه بتربية الأُمّة الفتيّة وصيانة الدولة التي لم تترسخ جذورها بعد ممّا يعصف بها ويؤدّي إلى انهيارها.

محاولات مبدأيّة

وحاول الإمام عليّ (عليه السلام) بما يملك من وسائل مُتاحة إرجاع الأُمور إلى مجاريها بإدانة قرارات السقيفة ونتائجها وبالإمتناع من البيعة والتصدّي للمؤامرة التي نسجت خيوطها بليل، ولكن دون جدوىٰ، إذكان الأمر يدور بين إنهيار الدولة سريعاً وبين حفظها رغم تصدّي غير الأكفّاء للقيادة والعمل على تصحيح المسار وتفادي الأخطاء على المدىٰ البعيد.

الإنتصار للأهم على المهم

لقد وقف الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) موقفاً مبدئياً سجّله له التاريخ حين قال : «**فأمسكت يديّ حيث رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الإسلام، يدعون الى محق دين محمد (صلى الله عليه وآله) فخشيت إن لم أنصر الإسلام وأهله؛ أن أرىٰ فيه ثلماً أو هدماً تكون المصيبة به عليّ أعظم من فوت ولايتكم التي إنّما هي متاع أيّام قلائل يزول منها ماكان كما يزول السراب أوكما يتقشّع السحاب**»[1].

مواقف رسالية علويّة

وتلخّصت مواقف هذا الإمام العظيم خلال خمسة وعشرين عاماً من المحنة وهو يلعق الصبر الأمرّ من العلقم ـ على حدّ تعبيره (عليه السلام) ـ وذلك من أجل الحفاظ على وحدة الأُمّة الإسلامية وعدم تصدّع الدولة النبويّة الفتيّة ولو بالتنازل عن حقّه

(١) نهج البلاغة ٣: ١١٩ (من كتاب له عليه السلام إلى أهل مصر مع مالك الأشتر) رقم ٦٢، بحار الأنوار ٣٣: ٥٩٦ ـ ٥٩٧ / ح٧٤٣، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٧: ١٥١ /كتابه إلى أهل مصر رقم ٦٢.

الشرعي مؤقّتاً، وتقديم المشورة للخلفاء وإسداء النصح لهم، مع التوجّه إلى جمع القرآن وتفسيره بعد أن كان قد أتمّ تدوينه، وتثقيف الأُمّة على مفاهيم القرآن وتوعيتها على حقائقه، وكشف النقاب عن حقيقة المؤامرة التي دانت لها طوائف من المسلمين، والتصدّي لأخطاء الحكّام في الفهم والتطبيق لأحكام الشريعة الإسلامية، وإيجاد ثلّة صالحة تؤمن بالتخطيط النبويّ الرائد للقيادة الإسلامية العُليا، وتسهر على نشره وتبليغه، وتضحّي من أجل تطبيقه وتنفيذه.

ثمار الصبر والجهاد الرسالي

واستطاع الإمام عليّ(عليه السلام) بعد عقدين ونصف من الصبر والكدح أن يقتطف ثمار سعيه ، وبعد أن تكشّفت حقائق كانت وراء الستار وتجلّىٰ للأُمّة بجيليها الطليعي والتابع أنّ عليّاً (عليه السلام) هو الجدير بالخلافة دون غيره، وأنّه هو الذي يستطيع إصلاح ما فسد بالرغم من تعقّد الظروف وتبلبل القلوب واشتداد زاوية الإنحراف عن نهج الحقّ القويم، حتى قال (عليه السلام): **«والله ماكانت لي في الخلافة رغبة ولا في الولاية إربة، ولكنّكم دعوتموني اليها وحملتموني عليها»**[1].

منهج الإصلاح الرسالي

وأعلن الإمام عن سياسته قائلاً: **«واعلموا أنّي إن أجبتكم ركبت بكم ما أعلم، ولم أصغ إلى قول القائل وعتب العاتب»**[2]. وقال أيضاً: **«اللّهمّ إنّك تعلم أنّه لم يكن الذي**

(١) نهج البلاغة ٢: ١٨٤ / خطبة رقم ٢٠٥، أمالي الطوسي: ٧٣٢ / ح ١٥٣٠، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١١: ٧ / خ رقم ١٩٨ (كلام له عليه السلام بعد البيعة).

(٢) نهج البلاغة ١: ١٨١ ـ ١٨٢ (خطبة ٩٢)، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٧: ٣٣ / من كلام له(عليه السلام) لما أراده الناس على البيعة (خطبة رقم ٩١).

كان منّا منافسة في سلطان ولا التماس شيء من فضول الحطام، ولكن لنردّ المعالم من دينك ونظهر الاصلاح في بلادك، فيأمن المظلومون من عبادك، وتقام المعطّلة من حدودك»[١].

العدالة الشاملة

وأجهد الإمام (عليه السلام) نفسه على أن يحقّق بين الناس العدل الاجتماعي والسياسي وفي طريق لا التواء فيه، وأن يسود الأمن وتسود الحرية والرخاء ويتحقق الإستقرار مع الإحتفاظ بوحدة الأُمّة مع السعي في تربيتها وتعليمها وإعطائها كامل حقوقها، وعزل الجهاز الإداري الفاسد واستبداله بالولاة والعمّال الصالحين والمعروفين بالصلاح ومراقبتهم أشدّ المراقبة، حيث أقصىٰ عن دائرة المسؤولية كل الانتهازييّن والطامعين، والتزم الصراحة والحقّ والصدق في كلّ مجال ، فلم يخادع ولم يوارب، فسار (عليه السلام) على منهاج أخيه وابن عمّه رسول الله (صلى الله عليه وآله).

الجهاد حتى الفوز بالشهادة

وبدأت تتحرّك كلّ القوىٰ الطامعة والانتهازية التي خسرت مواقعها السياسية والاجتماعية والاقتصادية ضدّ الإمام، وأخذت تتكاتف كلّ العناصر التي كانت قد شاركت بنحوٍ وآخر في إزاحة عثمان والتحريض عليه يوم أمس، رافعة اليوم شعار المطالبة بدم عثمان مندّدة بسياسة الإمام الحكيمة والنزيهة، فنكثت طائفة (أصحاب الجمل) وقسطت مجموعة (أصحاب معاوية) ومرقت حفنة من (الخوارج)، وإذا بالإمام بعد كفاح مرير يقع شهيداً مخضّباً بدمائه الطاهرة في

(١) نهج البلاغة ١: ١٣ / خطبة ١٣١، تحف العقول: ٢٣٩ (موعظته (عليه السلام) شيعته ومواليه)، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٨: ٢٦٣ / خ ١٣١ من كلام له (عليه السلام) في وصف نفسه.

محراب عبادته وفي مسجد الكوفة وفي ليلة القدر سنة (٤٠) من الهجرة النبوية، فائزاً بالشهادة وبالثبات على القيم الرسالية الإلهيّة فريدة والثبات على الحقّ وقطف ثمار الجهاد المتواصل في سبيل إرساء قواعد الدين.

فسلام عليك يا أمير المؤمنين ويا قائد الغر المحجّلين يوم ولدت ويوم رُبّيت في حجر الرسول(صلى الله عليه وآله)، ويوم جاهدت من أجل أن تعلو راية الإسلام خفّاقة، ويوم صبرت ونصحت، ويوم بويعت وحكمت، ويوم كشفت النقاب عن براثن الجاهلية المتستّرة بستار الإسلام، ويوم استشهدت وأنت تروّي بدمك الطاهر شجرة الإسلام الباسقة، ويوم تبعث حيّاً وأنت تحمل وسام الفوز في أعلىٰ علّيين.

* * *

الفصل الثاني

انطباعات عن شخصيّة الإمام عليّ(عليه السلام)

لقد عاصر الإمام عليّ (عليه السلام) حركة الوحي الرسالي منذ بدايتها حتى انقطاع الوحي برحيل رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وكانت له مواقفه المشرّفة التي يغبط عليها سواء في دفاعه عن الرسول أو دفاعه عن الرسالة طيلة ثلاثة وعشرين عاماً من الجهاد المتواصل والدفاع المستميت عن قيم الإسلام الحنيف، وقد انعكست مواقفه وإنجازاته وفضائله في آيات الذكر الحكيم ونصوص الحديث النبويّ الشريف.

قال ابن عباس: قد نزلت ثلاثمائة آية في عليّ (عليه السلام)[1]. وما نزلت: ﴿**يا أيّها الذين آمنوا**﴾ إلّا وعليّ أميرها وشريفها. ولقد عاتب الله أصحاب محمّد في آي من القرآن وما ذكر عليّاً إلّا بخير[2].

ولكثرة ما نزل في علي (عليه السلام) من الآيات المباركة؛ خصّص جمع من المتقدّمين والمتأخرين كتباً جمعت ما نزل فيه (عليه السلام). ونشير إلى بعض الآيات التي صرّح المحدّثون بنزولها في حقّه:

١ ـ جاء عن ابن عباس: أنه كان مع عليّ بن أبي طالب أربعة دراهم لا يملك

---

(١) تاريخ بغداد ٦: ٢١٩، في ترجمة إسماعيل بن محمّد تحت رقم ٣٢٧٥، تاريخ مدينة دمشق ٤٢: ٣٦٤، ترجمة الإمام عليّ(عليه السلام) تحت رقم ٤٩٣٣، الصواعق المحرقة لابن حجر: ١٢٧، (باب ٩ فصل ٣ في ثناء الصحابة عليه عليه السلام) .

(٢) تفسير العياشي ٢: ٣٥٢ / ٩١، تفسير فرات الكوفي: ٥٠ / ح٩، شواهد التنزيل للحسكاني: ٣٠ / ح١٣، وص٦٨ ح٧٧ .

غيرها، فتصدّق بدرهم ليلاً وبدرهم نهاراً وبدرهم سرّاً وبدرهم علانيةً، فأنزل الله سبحانه وتعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَاهُمْ يَحْزَنُونَ﴾[1][2].

٢ ـ وعن ابن عباس أيضاً: أنّ عليّاً (عليه السلام) تصدّق بخاتمه وهو راكع، فقال النبيّ (صلى الله عليه وآله) للسائل: من أعطاك هذا الخاتم؟ قال: ذاك الراكع، فأنزل الله: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ وَٱلَّذِينَ آمَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾[3][4].

٣ و ٤ ـ وقد اعتبرت آية التطهير[5] عليّاً (عليه السلام) من أهل بيت الوحي المطهَّرين من كلّ رجس، واعتبرته آية المباهلة[6] نفس النبي (صلى الله عليه وآله).

٥ ـ وشهدت سورة الإنسان بإخلاص عليّ وأهل بيته وخشيتهم من الله، وتضمّنت الشهادة الربّانية لهم بأنّهم من أهل الجنّة[7].

---

(١) البقرة (٢): ٢٧٤.

(٢) الاختصاص للمفيد: ١٦٦ / ح٩٩، بحار الأنوار ٤١: ٣٣ / ح٤، شواهد التنزيل للحسكاني ١: ١٤٠ / ح١٥٥، تفسير البحر المحيط للأندلسي ٢: ٣٤٤ / في تفسير الآية أعلاه.

(٣) المائدة (٥): ٥٥.

(٤) الطرائف لابن طاووس: ٤٩ / ح٤٢ (باب سبب نزول الآية)، بحار الأنوار ٣٥: ١٨٥ / ح٤، العمدة لابن البطريق: ١٢٣ / ح١٦٢، الدر المنثور للسيوطي ٢: ٢٩٣ في تفسير الآية.

(٥) الآية ٣٣ من سورة الأحزاب. وقد أورد هذه الرواية كثير من علماء ورواة المسلمين الثقات منهم الكليني في الكافي ١: ٢٨٧ / ح١ (باب ما نصّ على الأئمة واحداً واحداً)، أمالي الصدوق: ٥٥٩ / ح٧٤٦، مسند أحمد ١: ٣٣١ (ما أسند عن عبدالله بن عبّاس)، صحيح مسلم ٧: ١٣٠ (كتاب الفضائل، باب فضائل زيد بن حارثة).

(٦) الآية ٦١ من سورة آل عمران.
وقد روىٰ الحديث علماء المسلمين ورواتهم ومفسريهم.
راجع روضة الواعظين: ١٦٤ (مجلس في ذكر إمامة السبطين)، الطرائف لابن طاووس: ٤٣ ـ ٤٤ / ح٣٨ (في آية المباهلة)، شواهد التنزيل للحسكاني ١: ١٦٠ ـ ١٦١ / ح ١٧٢، الدر المنثور للسيوطي ٢: ٣٩ في تفسير الآية.

(٧) راجع التبيان للطوسي ١٠: ٢٠٤ وما بعدها في تفسير الدهر، الطرائف لابن طاووس: ١٠٧ وما بعدها، ح١٦٠ نزول سورة (هل أتى)، تفسير البيضاوي ٥: ٤٢٦ (في تفسير سورة الإنسان).

وعقد أرباب الصحاح وغيرهم من المحدّثين فصولاً خاصّة بفضائل عليّ(عليه السلام) في أحاديث رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ولم تعرف الإنسانية في تأريخها الطويل رجلاً أفضل من عليّ (عليه السلام) بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ولم يسجّل لأحد من الفضائل ما سجّل لعليّ بن أبي طالب بالرغم من كلّ ما أُكيل له من سبٍّ وشتم على المنابر طوال حكم بني أُميّة وما تداوله مبغضوه. وهم جادّون في انتقاصه حتى لم يجدوا للعيب موضعاً فيه، حتّى قال عمر بن الخطّاب أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: «**ما اكتسب مكتسب مثل فضل عليّ، يهدي صاحبه إلى الهدىٰ ويردّه عن الردّىٰ**»[١].

وقيل لعليّ (عليه السلام): ما لك أكثر أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) حديثاً؟ فقال: «**إنّي كنت إذا سألته أنبأني، وإذا سكتّ ابتدأني**»[٢].

وعن ابن عمر: أنّ النبيّ (صلى الله عليه وآله) يوم آخىٰ بين أصحابه جاء عليّ وعيناه تدمعان فقال النبيّ(صلى الله عليه وآله) لعليّ (عليه السلام): «**أنت أخي في الدنيا والآخرة**»[٣].

وعن أبي ليلىٰ الغفاري أنّه قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: «**سيكون من بعدي فتنة، فإذا كان ذلك فالزموا عليّ بن أبي طالب فإنّه أول من آمن بي، وأوّل من يصافحني يوم القيامة، وهو الصدّيق الأكبر، وهو فاروق هذه الأُمّة، وهو يعسوب المؤمنين، والمال يعسوب المنافقين**»[٤].

---

(١) ذخائر العقبىٰ: ٦١ (ذكر أنه ما اكتسب مكتسب مثله)، المعجم الصغير للطبراني ١: ٢٤١ (باب من اسمه عبدالرحمن)، مجمع الزوائد ١: ١٢١ (كتاب العلم، باب فضل العلم).

(٢) الطبقات الكبرىٰ ٢: ٣٣٨ (ذكر عليّ بن أبي طالب(عليه السلام))، أنساب الأشراف للبلاذري: ٩٨ / ح٢٦ ترجمة أمير المؤمنين(عليه السلام)، تاريخ مدينة دمشق ٤٢: ٣٧٩، ترجمة الإمام عليّ(عليه السلام)، رقم ٤٩٣٣.

(٣) مناقب الإمام أمير المؤمنين للكوفي ١: ٣٢٥ / ٢٤٦، الطرائف لابن طاووس: ٦٤ / ح٦٦ (باب إنّ علياً أخو النبيّ(صلى الله عليه وآله))، بحار الأنوار ٣٨: ٣٤٤، سنن الترمذي ٥: ٣٠، باب ٨٥، مناقب عليّ(عليه السلام)، ح٣٨٠٤، مستدرك الحاكم ٣: ١٤ (ذكر مؤاخاة الرسول(صلى الله عليه وآله))، نظم درر السمطين: ٩٤ (مناقب الإمام أمير المؤمنين(عليه السلام)).

(٤) بشارة المصطفىٰ: ٢٤١ / ح٢٤، الأربعون لمنتجب الدين: ٦٤ ـ ٦٥ / ح٣٣، بحار الأنوار ٣٨: ٢١٧ / ح٢٢، ←

واعترف الخلفاء الذين نافسوه على الخلافة جميعاً بأنّ علياً أعلم الصحابة وأقضاهم، وأنّه لولا عليّ؛ لهلكوا حتى صارت مقولة عمر مضرب الأمثال: لولا عليّ لَهَلَك عمر[١].

وعن جابر بن عبدالله الأنصاري أنّه قال: ما كنّا نعرف المنافقين إلّا ببغض عليّ بن أبي طالب[٢].

ولمّا بلغ معاوية مقتل عليّ (عليه السلام) قال: ذهب الفقه والعلم بموت ابن أبي طالب[٣].

وقال الشعبي: كان عليّ بن أبي طالب في هذه الأُمّة مثل المسيح بن مريم في بني اسرائيل، أحبّه قوم فكفروا في حبّه، وأبغضه قوم فكفروا في بغضه[٤].

وكان أسخىٰ الناس، وكان على الخلُق الذي يحبّه الله: السخاء والجود، ماقال: «لا» لسائل قطّ[٥].

وقال صعصعة بن صوحان لعليّ بن أبي طالب (عليه السلام) يوم بويع: والله يا أمير المؤمنين لقد زيّنت الخلافة وما زانتك ورفعتها وما رفعتك، ولَهي إليك أحوج

← الاستيعاب ٤: ١٧٤٤ / ترجمة رقم ٣١٥٧، أُسد الغابة ٥: ٢٨٧ ترجمة أبي ليلى الغفاري، الإصابة لابن حجر ٧: ٢٩٤ / ترجمة رقم ١٠٤٨٤.

(١) الكافي ٧: ٤٢٤ / ح٦ (باب النوادر)، الطرائف لابن طاووس: ٢٥٥ / ح ٣٥٤، الاستيعاب ٣: ١١٠٣ / ترجمة ١٨٥٥ ترجمة أمير المؤمنين(عليه السلام)، الوافي بالوفيات للصفدي ٢١: ١٧٩ في ترجمة من اسمه عليّ.

(٢) المناقب للكوفي ٢: ٤٨٠ / ح٩٧٨ (باب حبّه وبغضه عليه السلام)، الطرائف لابن طاووس: ٧٧ / ح١٠٤، بحار الأنوار ٣٦: ١٧٨ / ح ١٧١، تاريخ مدينة دمشق ٤٢: ٢٨٧ (ترجمة أمير المؤمنين رقم ٤٩٣٣)، الاستذكار لابن عبدالبر ٨: ٤٤٦ / ح ١٧٧٦، باب ٥، العمدة لابن البطريق: ٢١٦ / ح٣٣٦، فصل ٢٦.

(٣) العدد القوية للحلي: ٢٥٠ / ح١ (باب مناقبه عليه السلام)، بحار الأنوار ٣٣: ١٧١ ـ ١٧٢ / ح٤٥١، الاستيعاب لابن عبدالبر ٣: ١١٠٨ (ترجمة عليّ عليه السلام رقم ١٨٥٥ باب العين)، الجوهرة في نسب الإمام عليّ(عليه السلام): ٧٤ (باب فضائل عليّ ومواعظه).

(٤) العقد الفريد ٢: ١٩٤ (فصل فضائل عليّ عليه السلام)، نهج الإيمان لابن جبر: ٤٩١ (بعض خصائص عليّ عليه السلام).

(٥) كتاب الأربعين للشيرازي: ٤١٧ (باب أفضلية أئمتنا عليهم السلام)، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١: ٢٢ (القول في نسب الإمام عليّ عليه السلام).

منك إليها[١].

وعن ابن شبرمة: أنّه ليس لأحد من الناس أن يقول على المنبر: «سلوني» غير علي بن أبي طالب[٢].

وقام القعقاع بن زرارة على قبره فقال: رضوان الله عليك يا أمير المؤمنين، فوالله لقد كانت حياتك مفتاح الخير، ولو أنّ الناس قبلوك؛ لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم، ولكنّهم غمطوا النعمة وآثروا الدنيا[٣].

وقال «المسيحي» جورج جرداق في كتابه «الإمام عليّ صوت العدالة الإنسانية»: إنّ عليّ بن أبي طالب من الأفذاذ النادرين، إذا عرفتهم على حقيقتهم بعيداً عن الصعيد التقليدي عرفت أنّ محور عظمتهم إنّما هو الإيمان المطلق بكرامة الإنسان وحقّه المقدّس في الحياة الحرّة الشريفة، وبأنّ هذا الإنسان منظور أبداً، وبأن الجمود والتقهقر والتوقّف عند حال من أحوال الماضي أو الحاضر ليست إلّا نذير الموت ودليل الفناء[٤].

وقال شبلي شميل: الإمام عليّ بن ابي طالب، عظيم العظماء، نسخة مفردةٌ لم يرَ لها الشرق ولا الغرب صورةً طبق الأصل لاقديماً ولا حديثاً[٥].

وبقدر ما بقي عليّ رمزاً وقيادةً عمليةً معاً، ملتزماً مع جيل الصحابة الكبار بالمفهوم الأوّل للإسلام كهداية وتضحية من أجل إصلاح العالم ودفعه إلى طريق الحقّ والعدل، أي بمفهوم الدين كثورة دائمة ومستمرّة. كان معاوية يبرز من

---

(١) مناقب أمير المؤمنين للكوفي ١: ٤١٥ / ح٣٢٩ (كلام صعصعة)، تاريخ اليعقوبي ٢: ٧٩ (أيام خلافة عليّ عليه السلام).

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٧: ٤٦ (شرح خطبة ٩٢) وعنه في بحار الأنوار ٤٠: ١٩٠.

(٣) تاريخ اليعقوبي: ٢ / ٢١٣ «أيام خلافة عليّ بن أبي طالب عليه السلام».

(٤) الإمام علي صوت العدالة الإنسانية: ١ / ١٤ ضمن مقدمته.

(٥) المصدر السابق: ص٣٥.

خلال صراعه مع عليّ ... ممثلاً لجيل المسلمين الجديد الذي وضعته الفتوحات في قمّة السلطة من جهة، وفرضت عليه أن يرىٰ الاُمور أيضاً من وجهة نظر الحفاظ على المكتسبات المادية... وفي مثل هذه المواجهة العنيدة القاسية الممزّقة المدمّرة فقدكان معاوية يستطيع أن يولّد المشاعر الدنيويّة القويّة ويمزّق وحدة المسلمين ويشقّ وعيهم، وينتزع للسياسة السلطانية والدولة في مواجهة الروح الرسالية والثورية أرضاً جديدة من أملاك الدين الشامل[١].

وكتب الاُستاذ هاشم معروف: لقدكان الإمام عليّ بن أبي طالب حدثاً تأريخياً غريباً عن طباع الناس وعاداتهم منذ ولادته وحتى النفس الأخير من حياته، فقد أطلّ على هذه الدنيا من الكعبة... فكانت ولادته في ذلك المكان حدثاً تأريخياً لم يكن لأحد قبله ولم يحدث لأحد بعده، وكما دخل هذه الدنيا من بيت الله فقد خرج منها حين أقبل عليه الموت من بيت الله...

وقال: ولم يحدث لإنسان غيره ما حدث له، فقد وضعه من لا يؤمنون به إيمان شيعته ومحبّيه في طليعة قادة الفكر وعباقرة العصور، ووصفه المعتدلون من محبّيه إلى جانب الأنبياء والمرسلين، والمغالون منهم في مستوىٰ الآلهة[٢].

* * *

(١) نقد السياسة، الدولة والدين، برهان غليون: ص٧٨ ، الطبعة الثانية ١٩٩٣، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

(٢) سيرة الأئمة الاثني عشر: ١ / ١٤١ ـ ١٤٢.

الفصل الثالث

مظاهر من شخصية الإمام عليّ (عليه السلام)

إجتمع للإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) من صفات الكمال، ومحمود الشمائل والخِلال، وسناء الحسب وعظيم الشرف، مع الفطرة النقيّة والنفس المرضيّة ما لم يتهيّأ لغيره من أفذاذ الرجال.

تحدّر من أكرم المناسب وانتمىٰ إلى أطيب الأعراق، فأبوه أبو طالب عظيم المشيخة من قريش، وجدّه عبدالمطّلب أمير مكّة وسيّد البطحاء، ثمّ هو قبل ذلك من هامات بني هاشم وأعيانهم[1].

واختصّ بقرابته القريبة من الرسول (صلى الله عليه وآله)، فكان ابن عمّه وزوج ابنته وأحبّ عترته إليه، كما كان كاتب وحيه، وأقرب الناس إلى فصاحته وبلاغته، وأحفظهم لقوله وجوامع كلمه.

أسلم علىٰ يديه قبل أن تمسّ قلبه عقيدة سابقة، أو يخالط عقله شوبٌ من شرك، ولازمه فتىً يافعاً في غدوّه ورواحه وسلمه وحربه حتى تخلّق بأخلاقه واتّسم بصفاته، وفقه عنه الدين وتفقّه ما نزل به الروح الأمين، فكان من أفقه أصحابه وأقضاهم وأحفظهم وأدعاهم وأدقّهم في الفتيا وأقربهم إلى الصواب، حتى قال فيه عمر: لا بقيت لمعضلة ليس لها أبو الحسن[2].

---

(١) مقدمة شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١ / ٣ ـ ٤ للمحقق محمّد أبو الفضل إبراهيم.

(٢) الإرشاد للمفيد ١: ٢٠٤ (باب ما جاء من قضاياه عليه السلام)، بحار الأنوار ٤٠: ١٤٩ / ح٥٤، أنساب الأشراف ←

فكان العالم المجرّب الحكيم والناقد الخبير، وكان لطيف الحسّ، نقيّ الجوهر، وضّاء النفس، سليم الذوق، مستقيم الرأي، حسن الطريقة، سريع البديهة، حاضر الخاطر، عارفاً بمهمّات الأُمور[١].

عبادته وتقواه (عليه السلام):

اشتهر عليّ بن أبي طالب بتقواه التي كانت علّة الكثير من تصرّفاته مع نفسه وذويه والناس... وفيما ترى العبادة لدى المعظم رَجْع أصداء الضعف في نفوسهم أحياناً، ومعنىً من معاني التهرّب من مواجهة الحياة والأحياء أحياناً أُخرىٰ، وهوساً موروثاً ثمّ مدعوماً بهوس جديد مصدره تقديس الناس والمجتمع لكلّ موروث في أكثر الأحيان... تراها تشتهر عند الإمام أخْذاً من كلّ قوّة ووصلاً لأطراف الحلقة الخلقية التي تشتدّ وتمتدّ حتى تجمع الأرض والسماء، ومعنىً من معاني الجهاد في سبيل ما يربط الأحياء بكلّ خير، وهي علىٰ كلّ حال شيء من روح التمرّد على الفساد يريد محاربته من كلّ صوب، ثمّ على النفاق وروح الاستغلال والاقتتال من أجل المنافع الخاصّة.. وعلى المذلّة والفقر والمسكنة والضعف، ثمّ على سائر الصفات التي تميّز بها عصره المضطرب القلق.

إنّ من تبصّر في عبادة الإمام تبيّن له: أنّ عليّاً متفرّدٌ في عبادته وتقواه، كما هو متفرّد في أُسلوبه في السياسة والحكم، ففي عبادته افتتان الشاعر يقف في هيكل الوجودالرحب صافي النفس ممتلئ القلب، حتى إذا انكشفت له جمالات هذا الكون؛ تجاوبت وما في كيانه من أصداء وأظلال وموازين، فأطلق هذه الكلمة

← للبلاذري: ١٠٠ / ح ٢٩ (قول عمر لا أبقاني)، المناقب للخوارزمي: ٩٧ / ح٩٨ (فصل ٧ في بيان غزارة علمه عليه السلام).

(١) راجع: مقدمة شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم.

الرائعة التي نرىٰ فيها دستوراً كاملاً لتقوىٰ الأحرار وعبادة عظماء النفوس[١]: «**وإنّ قوماً عبدوا الله رغبةً فتلك عبادة التجّار، وإنّ قوماً عبدوا الله رهبةً فتلك عبادة العبيد، وإنّ قوماً عبدوا الله شكراً فتلك عبادة الأحرار**»[٢].

إنّ عبادة الإمام ليست شيئاً من سلبيّة الخائف الهارب أو التاجر الراغب كما هي الحال عند الكثيرين من المتعبّدين، بل هي شيء من إيجابية الإنسان العظيم الواعي نفسه والكون على أساس من خبرة المجرّب وعقل الحكيم وقلب الشاعر.

وبهذا المفهوم للتقوىٰ والعبادة كان عليّ يوجّه الناس إلى أن يتّقوا الله في سبيل الخير الإنساني العام، أو قل: في سبيل أمر أجلّ من رغبة تجّار العبادات في نعيم الآخرة، كان يوجّههم إلى التقوى لعلّ فيها ما يحملهم على أن يعدلوا وينصفوا المظلوم من الظالم فيقول: «**عليكم بتقوى الله.. وبالعدل على الصديق والعدوّ**»[٣]. ولا خير في التقوىٰ في نظر الإمام؛ إلّا إذا دفعتك إلى أن تعترف بالحقّ قبل أن تشهد عليه، وألّا تحيف على من تبغض ولا تأثم، والحياة ـ بهذا المعنى للعبادة ـ لا تبتغىٰ لمتاع ولا تُرجىٰ للذّة عابرة.

زُهده (عليه السلام):

لقد زهد عليّ في الدنيا وتقشّف، وكان صادقاً في زهده كما كان صادقاً في كلّ ما نتج عن يمينه أو بَدَر من قلبه ولسانه، زهد في لذّة الدنيا وسبب الدولة وعلّة السلطان وكلّ ما يطمح لبلوغه الآخرون، ويَرَوْن أنّه مرتكز وجودهم، فإذا هو

---

(١) الإمام عليّ صوت العدالة الإنسانية، جورج جرداق: ٨٥، تلخيص حسن حميد السنيد.

(٢) نهج البلاغة ٤: ٥٣ الحكمة ٢٣٧.

(٣) تحف العقول: ٨٨ (وصيته عليه السلام لابنه الحسن عليه السلام)، بحار الأنوار ٧٤: ٢٣٦ / ح١، نزهة الناظر وتنبيه الخاطر: ٦١ / ح٤٢.

يسكن مع أولاده في بيت متواضع تأوي اليه الخلافة لا المُلك، وإذا هو يأكل الشعير تطحنه امرأته بيديها فيما كان عمّاله يعيشون على أطايب الشام وخيرات مصر ونعيم العراق، وكثيراً ما كان يأبىٰ على زوجته أن تطحن له، فيطحن لنفسه وهو أمير المؤمنين، ويأكل من الخبز اليابس الذي يكسره على ركبته، وكان إذا أرعده البرد واشتدّ عليه الصقيع لا يتّخذ له عدّة من دثار يقيه أذى البرد، بل يكتفي بما رقّ من لباس الصيف إغراقاً منه في صوفيّة الروح.

روىٰ هارون بن عنترة عن أبيه، قال: دخلتُ على عليّ بالخورنق، وكان فصل شتاء، وعليه خلق قطيفة هو يرعد فيه، فقلت: يا أمير المؤمنين! إن الله قد جعل لك ولأهلك في هذا المال نصيباً وأنت تفعل ذلك بنفسك؟ فقال: «**والله ما أرزؤكم شيئاً، وما هي إلّا قطيفتي التي أخرجتها من المدينة**»[١].

وأتىٰ أحدهم عليّاً بطعام نفيس حلو يقال له: الفالوذج، فلم يأكله عليّ ونظر إليه فقال: «**والله إنّك لطيّب الريح حسن اللون طيّب الطعم، ولكن أكره أن أُعوّد نفسي ما لم تعتد**»[٢].

ولعمري إنّ زهد عليّ هذا ليس إلّا معنىً ومزاجاً من معاني فروسيّته ومزاجها وإن بدا للبعض أنّهما مختلفان.

وقد حملت هذه السيرة الطيّبة عمر بن عبدالعزيز ـ أحد خلفاء الأُسرة الأُموية التي تكره عليّاً وتختلق له السيّئات وتسبّه على المنابر ـ على أن يقول: أزهد الناس في الدنيا عليّ بن أبي طالب[٣].

---

(١) كشف الغمة ١: ١٧٢ (في وصف زهده عليه السلام في الدنيا)، بحار الأنوار ٤٠: ٣٣٤ / ح١٥، تاريخ مدينة دمشق ٤٢: ٤٧٧ / ترجمة أمير المؤمنين(عليه السلام) تحت رقم ٤٩٣٣، الكامل في التاريخ ٣: ٤٠٠ (ذكر حوادث سنة ٤٠ هـ).

(٢) حلية الأولياء ١: ٨١ (في زهده وتعبده عليه السلام)، كنز العمّال ١٣: ١٨٤ / ح٣٦٥٤٩ (باب فضائل عليّ عليه السلام).

(٣) كشف الغمة ١: ١٦٢ (فصل في زهده عليه السلام في الدنيا)، المناقب للخوارزمي: ١١٧ / ح١٢٨ (فصل ١٠ في بيان زهده عليه السلام).

والمشهور أنّ عليّاً أبىٰ أن يسكن قصر الإمارة الذي كان معدّاً له بالكوفة، لئلّا يرفع سكنه عن سكن أُولئك الفقراء الكثيرين الذين يقيمون في خِصاصهم البائسة، ومن كلامه هذا القول الذي انبثق عن أُسلوبه في العيش انبثاقاً: «**أأقنع من نفسي بأن يقال هذا أمير المؤمنين ولا أُشاركهم في مكاره الدهر؟!**»[١]

إباؤه وشهامته (عليه السلام):

مثّل عليّ بن أبي طالب الفروسيّة بأروع معانيها وبكلّ ما تنطوي عليه من ألوان الشهامة. والإباء والترفّع وهما أصلان من أُصول روح الفروسيّة، فهما إذن من طبائع الإمام، لذلك كان بغيضاً لديه أن ينال أحداً من الناس بالأذىٰ وإن آذاه، وأن يبادر مخلوقاً بالاعتداء ولو على ثقة بأنّ هذا المخلوق يقصد قتله.

وروح الإباء والترفّع هذه هي التي ارتفعت به عن مقابلة الأُمويين بالسباب يوم كانوا يرشقونه به.. بل إنّه منع أصحابه أن ينالوا الأُمويين بالشتيمة المقذعة حتى قال لهم: «**إنّي أكره لكم أن تكونوا سبّابين، ولكنّكم لو وصفتم أعمالهم وذكرتم حالهم؛ كان أصوب في القول، وأبلغ في العذر، وقلتم مكان سبّكم إيّاهم: اللهمّ احقن دماءنا ودماءهم، وأصلح ذات بيننا وبينهم، واهدهم من ضلالتهم حتّى يعرف الحقّ مَن جهله، ويرعوي عن الغيّ والعدوان مَن لهج به**»[٢].

مروءته (عليه السلام) :

إنّ مروءة الإمام أندر من أن يكون لها مثيل في التأريخ، وحوادث المروءة في سيرته أكثر من أن تعدّ، منها أنّه أبىٰ على جنده ـ وهم في حالٍ من النقمة

(١) نهج البلاغة ٣: ٧٢، (كتاب ٤٥ إلى عثمان بن حنيف).

(٢) نهج البلاغة ٢: ١٨٥ / خطبة ٢٠٦.

والسخط ـ أن يقتلوا عدوّاً تراجع، كما أبىٰ عليهم أن يكشفوا ستراً أو يأخذوا مالاً، ومنها: أنّه حين ظفر بألدّ أعدائه الذين يتحيّنون الفرص للتخلّص منه؛ عفا عنهم وأحسن اليهم وأبىٰ على أنصاره أن يتعقّبوهم بسوء وهم على ذلك قادرون[١].

صدقه وإخلاصه (عليه السلام):

وتتماسك هذه الصفات الكريمة في سلسلة لا تـنتهي؛ وبـعضها دليـلٌ عـلى بعض، ومن أروع حلقاتها: الصدق والإخلاص، وقد بلغ به الصدق مبلغاً أضاع به الخلافة، وهو لو رضي عن الصدق بديلاً في بعض أحواله؛ لما نال منه عدوّ ولا انقلب عليه صديق.. لقد رفض أن يقرّ معاوية على عمله وقال: «**لا أُداهن في ديني ولا أُعطي الدنيّة في أمري**»[٢]؟. ولمّا ظهرت حيلة معاوية؛ أطلق عبارته التي صحّت أن تكون صيغة للخلق العظيم: «**والله ما معاوية بأدهىٰ منّي، ولكنّه يغدر ويفجر، ولولا كراهية الغدر؛ لكنت من أدهى الناس**»[٣]. وقال مشدّداً على ضرورة الصـدق مـهما اختلفت الظـروف: «**الإيـمان أن تـؤثر الصـدق حـيث يـضرّك ، عـلى الكـذب حـيث ينفعك**»[٤].

شجاعته (عليه السلام):

إن شجاعة الإمام هي من الإمام بمنزلة التعبير من الفكرة وبمثابة العمل من الإرادة، لأنّ محورها الدفاع عن طبع في الحق وإيمان بالخير، والمشهور أنّ أحداً

---

(١) راجع شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١: ٢٢ ـ ٢٣ (فصل القول في نسبه عليه السلام وذكر لمع يسيرة من فضائله).

(٢) الفصول المهمة لابن الصباغ: ٦٤ (في ذكر وقعة الجمل).

(٣) نهج البلاغة ٢: ١٨٠ / خطبة ٢٠٠.

(٤) نهج البلاغة ٤: ١٠٥ / حكمة ٤٥٨.

من الأبطال لم ينهض له في ميدان.. فقدكان لجرأته على الموت لا يهاب صنديداً، بل إنّ فكرة الموت لم تجل مرة في خاطر الإمام وهو في موقف نزال، وأنّه لم يقارع بطلاً إلّا بعد أن يحاوره لينصحه ويهديه[١].

وكان عليّ(عليه السلام) مع قوته البالغة يتورّع عن البغي أيّاً كان الظرف، وأجمع المؤرّخون على أنّه كان يأنف القتال إلّا اذا حُمِل عليه حملاً، فكان يسعىٰ أن يسوّي الأُمور مع خصومه.. على وجوه سلميّة تحقن الدم وتحول دون النزال.

وطبيعة التورّع عن البغي أصل من أُصول نفسيّة عليّ وخلق من أخلاقه، وهي متّصلة اتّصالاً وثيقاً بمبدئه العام، الذي يقوم بمعرفة العهد وصيانة الذمّة والرحمة بالناس حتى يخونوا كلّ عهد ويقسوا دون كلّ رحمة.

وما كان لعليّ أن يستنجد الصداقة على العداوة؛ لولا ذلك الفيض العظيم من الوفاء والحنان الذي تزخر به نفسه ويطغىٰ على جنانه.

ولكنّ صاحب المودّات لم يرعَ أصدقاؤه له مودّة، لأنّهم لم يكونوا ليطمعوا بأن يحولوا بينه وبين نفسه، فيطلق أيديهم في خيرات الأرض دون سائر الخلق، يقول عليّ (عليه السلام): «**والله لو أُعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها على أن أعصي الله في نملة أسلُبها جَلبَ شعيرة ما فعلتُ، وإنّ دنياكم عندي لأهون من ورقة في فم جرادة**»[٢] وليس عليّ في هذا المجال قائلاً ثمّ عاملاً، بل هو القول يجري من طبيعة العمل الذي يُعمل والشعور الذي يُحَسّ... فعليّ أكرم الناس مع الناس، وأبعد الخلق عن أن ينال الخلق بالأذىٰ، وأقربهم إلى بذل نفسه في سبيلهم على أن يقتنع ضميره بضرورة هذا البذل، أوَليست حياته كلّها سلسلة معارك في سبيل المظلومين

(١) راجع شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١: ٢٠ ـ ٢١ (فصل القول في نسبه عليه السلام وذكر لمع يسيرة من فضائله).

(٢) نهج البلاغة ٢: ٢١٨ / خطبة ٢٢٤.

والمستضعفين، وانتصاراً دائماً للأُمّة دون من يريدونه آلة إنتاج لهم من السادة ورثة الأمجاد العائلية، أولم يكن سيفاً صارماً فوق أعناق القرشيّين الذين أرادوا استغلال الخلافة والإمارة للسلطان والجاه وتكديس الأموال ؟! أَلَمْ يَضع الخلافةَ والحياةَ على الأرض لأنّه أبىٰ مسايرة أهل الدنيا في استعباد إخوانهم الضعفاء والفقراء والمظلومين ؟

عدله (عليه السلام):

ليس غريباً أن يكون عليٌّ أعدل الناس، بل الغريب أن لا يكونَهُ، وأخبار عليّ في عدله تراثٌ يشرّف المكانة الإنسانية والروح الإنساني.

وكان الإمام يأبىٰ الترفّع عن رعاياه في المخاصمة والمقاضاة، بل إنّه كان يسعى إلى المقاضاة إذا وجبت لتشبّعه بروح العدالة.

وتجري في روحه العدالة حتى أمام أبسط الأُمور، ووصايا الإمام ورسائله للولاة تكاد تدور حول محور واحد هو العدل، وقد انتصر العدل في قلب عليّ وقلوب أتباعه وإن ظُلِموا وظُلِم.

تواضعه (عليه السلام):

إنّ من أُصول أخلاق الإمام أنّه كان يعتمد البساطة ويمقت التكلّف. وكان يقول: «**شرّ الإخوان من تُكُلِّف له**»[١]. ويقول: «**إذا احتشم المؤمن أخاه فقد فارقه**»[٢] ويقصد بالاحتشام مراعاته حتى التكلّف.

(١) نهج البلاغة ٤: ١١٠ / حكمة ٤٧٩ قصار الحكم.

(٢) نهج البلاغة ٤: ١١٠ / ٤٨٠.

وكان لا يتصنّع في رأي يراه أو نصيحة يسديها أو رزق يهبه أو مال يمنعه. وكانت هذه الطبيعة تلازمه حتى يسأم أصحاب الأغراض من استرضائه بالحيلة. وإذا هم ينسبون إليه القسوة والجفوة والزهو على الناس، وليس صدق الشعور وإظهاره زهواً وليس جفوة، بل إنّه كان يمقت الزهو والعجب.. ولطالما نهى ولدَه وأعوانه وعمّاله عن الكبر والعجب قائلاً: «**إيّاك والإعجاب بنفسك، واعلم أنّ الإعجاب ضد الصواب وآفة الألباب**»[١]. وكره التكلّف في محبّيه الغالين كما كره التكلّف في مبغضيه المفرطين فقال: «**هلك فيّ اثنان: محبٌّ غال ومبغضٌ قال**»[٢].

لقد كان يخرج إلى مبارزيه حاسر الرأس ومبارزوه مقنَّعون بالحديد، أفعجيب أن يخرج إليهم حاسر النفس وهم مقنَّعون بالحيلة والرياء؟.

نقاؤه (عليه السلام):

وتميّز عليّ بسلامة القلب، فهو لا يحمل ضغينة على مخلوق ولا يعرف حقداً على ألدّ أعدائه ومناوئيه ومن يحقدون عليه حسداً وكرهاً.

كرمه (عليه السلام):

وكان من خلقه أ نّه كان كريماً ولاحدود لكرمه، ولكنّه الكرم السليم بأُصوله وغاياته لاكرم الولاة الذين «يكرمون» بأموال الناس وجهودهم. وهذا الكرم لم يعرفه عليٌّ مرّة في حياته، وإنّما كرمه هو الذي يعبّر عن جملة المروءات، ففيما

(١) نهج البلاغة ٣: ٤٦ /كتاب ٣١ وصيته(عليه السلام) لولده الحسن(عليه السلام).
(٢) نهج البلاغة ٤: ٢٨ / حكمة ١١٧ قصار الحكم.

كان يزجر ابنته زجراً شديداً إذ هي استعارت من بيت المال قلادة تتزيّن بها في عيد من الأعياد. كان يسقي بيده النخل لقومٍ من يهود المدينة حتى تمْجلَ يـده فيتناول أُجـرته فـيهبها لأهـل الفـاقة والعـوز ويشـتري بـها الأرقّـاء ويـحرّرهم في الحال.

وقد شهد معاوية علىٰ كرم عليّ قائلاً: لو ملك عليّ بيتاً من تبر وبيتاً من تبن لأنفد تبره قبل تبنه[١].

علمه ومعارفه عليه السلام :

قال ابن أبي الحديد: «وما أقول في رجل تُعزى اليه كلّ فضيلة، وتنتمي اليه كلّ فرقة، وتتجاذبه كلّ طائفة، فهو رئيس الفضائل وينبوعها، وأبو عُذْرِها، وسابق مضمارها، ومجلّي حَلْبتها، كلّ من بزغ فيها بعده فمنه أخذ، وله اقتفىٰ، وعلى مثاله احتذىٰ.

وإنّ أشرف العلوم ـ وهو العلم الالهي ـ من كلامه (عليه السلام) أُقتبِسَ وعنه نقل واليه انتهىٰ ومنه ابتدأ... وعلم الفقه هو أصله وأساسه وكلّ فقيه في الإسلام فهو عيال عليه ومستفيد من فقهه... وعلم تفسير القرآن عنه أُخذ ومنه فُرّع.. وعلم الطريقة والحقيقة وأحوال التصوّف . إنّ أرباب هذا الفنّ فـي جـميع بـلاد الإسـلام إليـه ينتهون، وعنده يقفون.. وعلم النحو والعربية قد علم الناس كـافة أنّـه هـو الذي ابتدعه وأنشأه، وأملىٰ على أبي الأسود الدؤلي جوامعَه وأُصولَه...».

---

(١) كشف الغمة ٢: ٤٨ (فصل في مناقب شتى له عليه السلام)، كشف اليقين: ٤٧٥ (مبحث ٣٦ في أخبار أوردها الزبير بن بكار)، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١: ٢٢ (فصل في نسبه عليه السلام ولمع يسيرة من فضائله)، الإمامة والسياسة لابن قتيبة الدينوري ١: ١٠١ (ذكر قدوم ابن أبي محجن علىٰ معاوية).

ثم قال: «وأمّا الفصاحة فهو (عليه السلام) إمام الفصحاء وسيّد البلغاء، وفي كلامه قيل: (دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوقين)، ومنه تعلّم الناس الخطابة والكتابة.. فوالله ما سنّ الفصاحة لقريش غيره، ويكفي هذا الكتاب الذي نحن شارحوه دلالةً على أنّه لا يجارىٰ في الفصاحة ولا يُبارىٰ في البلاغة...»

ثم قال: «وأمّا الزهد في الدنيا فهو سيّد الزهّاد، وبدل الأبدال، وإليه تشدّ الرحال، وعنده تُنْفَضُ الأحلاس، ما شبع من طعام قطّ، وكان أخشنَ الناس مأكلاً وملبساً».

وأمّا العبادة فكان أعبد الناس وأكثرهم صلاةً وصوماً، ومنه تعلّم الناس صلاة الليل وملازمة الأوراد وقيام النافلة، وما ظنّك برجل يبلغ من محافظته على وِرده أن يُبسَط له نِطَعٌ بين الصفّين ليلةَ الهرير[1] فيصلّي عليه ورده والسهام تقع بين يديه وتمرّ على صِماخيه يميناً وشمالاً، فلا يرتاع لذلك، ولا يقوم حتى يفرغ من وظيفته... وأنت إذا تأمّلت دعواته ومناجاته ووقفت على ما فيها من تعظيم الله سبحانه وإجلاله وما يتضمّنه من الخضوع لهيبتهِ والخشوع لعزّته والاستخذاء له؛ عرفت ما ينطوي عليه من الإخلاص، وفهمت من أيّ قلب خرجت، وعلى أيّ لسانٍ جَرَت. وقال عليّ بن الحسين وكان الغاية في العبادة: «**عبادتي عند عبادة جدّي كعبادة جدّي عند عبادة رسول الله (صلى الله عليه وآله)**».

وأمّا قراءته القرآن واشتغاله به فهو المنظور إليه في هذا الباب؛ اتّفق الكلّ على أنّه كان يحفظ القرآن على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ولم يكن غيره يحفظه، ثمّ هو أوّل من جمعه. وإذا رجعت إلى كتب القراءات وجدت أئمّة القرّاء كلّهم

(١) هي أشد ليلة مرّت على الجيشين في معركة صفّين، راجع مروج الذهب : ٢ / ٣٨٩.

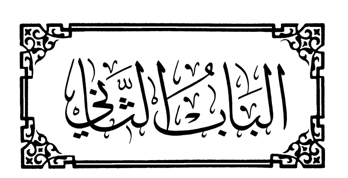
يرجعون إليه.

وما أقول في رجل تحبّه أهل الذمّة على تكذيبهم بالنبوّة، وتعظّمه الفلاسفة على معاندتهم لأهل الملّة، وتصوِّر ملوك الإفرنج والروم صورته في بِيَعها وبيوت عباداتها، حاملاً سيفه! وما أقول في رجل أحبّ كلُّ واحد أن يتكثّر به، وودّ كلُّ أحد أن يتجمّل ويتحسّن بالانتساب إليه!

وما أقول في رجل سبق الناس إلى الهدىٰ.. لم يسبقه أحد إلىٰ التوحيد إلّا السابق لكلّ خير محمد رسول الله (صلى الله عليه وآله)[1]!

* * *

(١) من مقدمة ابن أبي الحديد لشرح نهج البلاغة ١ / ١٦ ـ ٣٠ تحقيق محمد أبي الفضل ابراهيم.



فيه فصول :

الفصل الأوّل :

أُسرة الإمام عليّ (عليه السلام)

الفصل الثاني :

مراحل حياة الإمام عليّ (عليه السلام)

الفصل الثالث :

عليّ (عليه السلام) من الولادة إلىٰ رحيل الرسول (صلى الله عليه وآله)

الفَصلُ الأوّلُ

أُسرة الإمام عليّ (عليه السلام)

نسبه الوضّاء:

هو الإِمام أمير المؤمنين وسيّد الوصيّين عليّ بن أبي طالب بن عبدالمطلب ابن هاشم بن عبدمناف بن قصيّ بن كلاب بن مرّة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إياس بن مضر بن نزار ابن معد بن عدنان.

جدّه الكريم:

عبدالمطّلب شيبة الحمد، وكنيته أبو الحرث، وعنده يجتمع نسبه بنسب النبيّ (صلى الله عليه وآله)وكان مؤمناً بالله تعالىٰ، كما كان يعلم بأنّ محمداً سيكون نبيّاً[1].

ولمّا حضرت عبدالمطلب الوفاة دعا ابنه أبا طالب، فقال له: يا بني! قد علمت شدّة حبّي لمحمّد (صلى الله عليه وآله) ووجدي به أُنظُر كيف تحفظني فيه؟.. قال أبو طالب: يا أبه! لا توصني بمحمّد فإنّه ابني وابن أخي[2].

(١) الطبقات الكبرىٰ ١: ١١٨ (فصل ذكر ضم عبدالمطلب رسول الله صلى الله عليه وآله).

(٢) المناقب لابن شهر آشوب ١: ٦٢ (فصل في منشئه صلى الله عليه وآله)، بحار الأنوار ٣: ٨٦ / ح ٣٠.

والده (مؤمن قريش) :

اسمه عبد مناف، وقيل: عمران[١]، وقيل: شيبة، وكنيته أبو طالب، وهو أخو عبدالله والد النبيّ (صلى الله عليه وآله) لأُمّه وأبيه.

ولد أبو طالب بمكّة قبل ولادة النبيّ (صلى الله عليه وآله) بخمس وثلاثين سنة، وانتهت إليه بعد أبيه عبدالمطلب الزعامة المطلقة لقريش ، وكان يروي الماء لوفود مكّة كافّة لأنّ السقاية كانت له، ورفض عبادة الأصنام فوحّد الله سبحانه، ومنع نكاح المحارم وقتل الموؤدة والزنا وشرب الخمر وطواف العراة في بيت الله الحرام.

ولمّا توفّي عبدالمطلب؛ تكفّل أبو طالب رعاية رسول الله(صلى الله عليه وآله) فكان أبو طالب يحبّه حبّاً شديداً لا يحبّه ولده، وكان لا ينام إلّا إلىٰ جنبه، ويخرج فيخرج معه، وكان يخصّه بالطعام دون أولاده[٢].

وروي أنّ أبا طالب دعا بني عبدالمطلب فقال: لن تزالوا بخير ما سمعتم من محمّد(صلى الله عليه وآله) وما اتّبعتم أمره، فاتّبعوه وأعينوه ترشدوا. وما زالت قريش كافّة عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) حتى مات أبو طالب(عليه السلام)[٣].

توفّي أبو طالب(عليه السلام) قبل الهجرة بثلاث سنين وبعد خروج بني هاشم مع النبيّ (صلى الله عليه وآله) من الشِعب وعمره بضع وثمانون سنة[٤]، وكان للنبي (صلى الله عليه وآله) تعلّق شديد بأبي طالب(عليه السلام)، فقد عاش في كنفه (٤٣) عاماً منذ الثامنة من عمره

(١) بحار الأنوار ٣٥: ١٣٨، الإصابة لابن حجر ٧: ١٩٦ (ترجمة أبو طالب تحت رقم ١٠٧٥).

(٢) راجع الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة: ٤١ ـ ٤٢ (الباب الأوّل: «أبو طالب(صلى الله عليه وآله)»)، الإصابة لابن حجر ٧: ١٩٦ (ترجمة أبي طالب تحت رقم ١٠٧٥).

(٣) الطبقات الكبرىٰ ١: ١٢٣ و١٢٤ (ذكر أبي طالب وضمه رسول الله(صلى الله عليه وآله)).

(٤) الطبقات الكبرىٰ ١: ١٢٥ (ذكر أبي طالب وضمّه رسول الله(صلى الله عليه وآله))، الكامل في التاريخ ٢: ٩٠ (ذكر وفاة أبي طالب).

الشريف حينما توفّي جدّه عبدالمطلب.. وقد ثبت أنّ أبا طالب كان موحّداً مؤمناً بالله ومعتقداً بالإسلام أرسخ الاعتقاد، وبقي علىٰ حاله هذه حتىٰ وافاه الأجل، وإنّما أخفىٰ إيمانه ليتمكّن من حماية رسول الله(صلى الله عليه وآله) أن يكون له شأن واتّصال مع كفّار مكّة، ليطّلع على مكائدهم ومؤامراتهم، فكان يعيش حالة التقيّة، وكان مثله كأصحاب الكهف في قومهم، وهو ممّن آتاهم الله أجرهم مرّتين لإيمانه وتقيّته[١].

أُمّه :

فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبدمناف، تجتمع هي وأبو طالب في هاشم. أسلمت وهاجرت مع النبيّ (صلى الله عليه وآله) وكانت من السابقات إلىٰ الإيمان وبمنزلة الأُمّ للنبيّ (صلى الله عليه وآله)[٢] ربّته في حجرها، ولمّا ماتت فاطمة بنت أسد؛ دخل إليها رسول الله (صلى الله عليه وآله) فجلس عند رأسها وقال: **«رحمك الله يا أُمّي، كنت أُمّي بعد أُمّي، تجوعين وتشبعيني، وتعرين وتكسيني، وتمنعين نفسك طيب الطعام وتطعميني، تريدين بذلك وجه الله والآخرة».**

وغمّضها، ثمّ أمر أن تغسل بالماء ثلاثاً، فلمّا بلغ الماء الّذي فيه الكافور سكبه رسول الله (صلى الله عليه وآله) بيده، ثمّ خلع قميصه فألبسه إيّاها وكفّنت فوقه ودعا لها أُسامة بن زيد مولىٰ رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأبا أيوب الأنصاري وعمر بن الخطّاب وغلاماً أسود فحفروا لها قبرها، فلمّا بلغوا اللّحد حفره رسول الله (صلى الله عليه وآله) بيده، وأخرج ترابه ودخل رسول الله (صلى الله عليه وآله) قبرها فاضطجع فيه، ثمّ قال: **«الله الّذي يحيي ويميت، وهو**

---

(١) بحار الأنوار: ٣٥ / ٧٢. وانظر: منية الطالب في إيمان أبي طالب للشيخ الحجة محمّد رضا الطبسي، وأباطالب مؤمن قريش للشيخ عبدالله الخُنيزي وموسوعة التاريخ الإسلامي: ١/٥١٤ ـ ٥١٧ و ٥٩٦ ـ ٦٠١.

(٢) الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي: ٣٠ ـ ٣١ (ذكر فاطمة بنت أسد عليها السلام).

حيّ لا يموت، اللّهمّ اغفر لأُمّي فاطمة بنت أسد بن هاشم، ولقّنها حجتها، ووسّع عليها مدخلها بحقّ نبيّك والأنبياء من قبلي، فإنّك أرحم الراحمين» وأدخلها رسول الله (صلى الله عليه وآله) اللحد والعباسُ وأبو بكر[1].

فقيل: يارسول الله رأيناك وضعت شيئاً لم تكن وضعته بأحد من قبل: فقال (صلى الله عليه وآله): **«ألبستها قميصي لتلبس من ثياب الجنّة، واضطجعت في قبرها ليخفّف عنها من ضغطة القبر، إنّها كانت من أحسن خلق الله صُنعاً إليّ بعد أبي طالب رضي اللّه عنهما ورحمهما»**[2].

* * *

(١) المناقب للخوارزمي: ٤٧ ـ ٤٨ / ح ١٠ (فصل ٢ بيان نسب عليّ عليه السلام من قبل أبيه وأُمّه عليهما السلام)، مجمع الزوائد ٩: ٢٥٦ ـ ٢٥٧ (باب مناقب فاطمة بنت أسد)، سبل الهدىٰ والرشاد ١١: ٢٨٧ (باب ١٠ في بعض فضائل عليّ عليه السلام).

(٢) الفصول المهمة لابن الصباغ: ٣١، وفي فرائد السمطين: ١ / ٣٧٩: «صنعت شيئاً لم تصنعه بأحد» وروىٰ إسلام فاطمة بنت أسد وهجرتها وحنانها ورعايتها للرسول ووفاتها وما قال النبي (صلى الله عليه وآله) في فضلها كثير من الحفّاظ والمؤلّفين في كتبهم كابن عساكر وابن الأثير وابن عبدالبرّ ومحب الدين الطبري ومحمد بن طلحة والشبلنجي وابن الصبّاغ والبلاذري وغيرهم.

الفصل الثاني

مراحل حياة الإمام عليّ (عليه السلام)

ولد الإمام علي(عليه السلام) قبل البعثة النبوية بعقد واحد، وعاصر ارهاصات البعثة وكلّ حركة الرسالة خلال العهد المكّي ـ وهو عهد بناء الاُمّة المسلمة و تكوين القاعدة الرسالية الصلبة ـ كما عاصر كل أحداث العهد المدني، حيث تمّ فيه بناء الدولة الإسلامية بقيادة سيّد المرسلين(صلى الله عليه وآله)، وساهم بكل وجوده في بناء هذا الكيان الشامخ حتى تجلّىٰ للجميع عمق وجوده في هذا البناء الرسالي الفريد .

وحمل الإمام(عليه السلام) بأمر من رسول الله(صلى الله عليه وآله) مشعل الهداية الربّانية والقيادة الإسلامية بعد وفاة الرسول(صلى الله عليه وآله) رغم تراجع جمع من الصحابة وتمرّدهم على نصوص الرسول(صلى الله عليه وآله) وخذلانهم للإمام(عليه السلام) والحيلولة دون استلامه للقيادة السياسية... ولكنه استمر في إنجاز مهامّه الرسالية في تلك الظروف العصيبة وعايش الخلفاء رغم انه كان يرىٰ محلّه من القيادة محل القطب من الرحى.. فصبر وفي العين قذىٰ مدة عقدين ونصف عقد حتّى انكشفت للأُمة جملة من نتائج الخطأ الخطير الذي انحرفت به عن تخطيط الرسول الأمين.

من هنا التجأت الأُمّة إلى الإمام لتسلم له زمام أمرها بعد تلك الخطوب وذلك التصدع الذي طال كيانها فحمل عبء القيادة بكل جدارة خلال نصف عقد فقط حتّى قدّم دمه الطاهر في سبيل الله رخيصاً يبتغي به رضوان الله تعالى تثبيتاً للقيم الرسالية التي جاهد من أجل إرسائها في وجدان المجتمع الإسلامي وضمير

المجتمع الإنساني.

وعلى هذا تنقسم حياة الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) إلى شطرين رئيسين:

الشطر الأوّل: حياته منذ ولادته وحتى وفاة سيد المرسلين(صلى الله عليه وآله).

الشطر الثاني: حياته من حين وفاة الرسول الأعظم(صلى الله عليه وآله) وتولّيه لمهامّ الإمامة الشرعية وحتى استشهاده (عليه السلام) في محراب العبادة.

ونظراً لتنوّع الأدوار بحسب تنوّع الظروف التي عاشها(عليه السلام) يمكننا أن نصنّف حياته إلى عدّة مراحل:

المرحلة الأُولىٰ: من الولادة إلى البعثة النبويّة المباركة.

المرحلة الثانية: من البعثة إلى الهجرة.

المرحلة الثالثة: من الهجرة إلى وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله).

وهذه المراحل الثلاث تدخل في القسم الأول من حياته وقد تجلّىٰ فيها انقياده المطلق للرسول (صلى الله عليه وآله) والدفاع المستميت عن الرسالة والرسول(صلى الله عليه وآله).

والمرحلة الرابعة: سيرته(عليه السلام) في عهد (أبي بكر وعمر وعثمان).

المرحلة الخامسة: سيرته في عهد دولته.

وسوف ندرس المراحل الثلاث الأُولى في الفصل الثالث من الباب الثاني.كما نبحث عن المرحلة الرابعة من حياته في الباب الثالث بفصوله الأربعة، ونخصص الباب الرابع بالمرحلة الخامسة من حياته(عليه السلام) .

* * *

الفصل الثالث

عليّ من الولادة إلى رحيل الرسول (عليه السلام)

المرحلة الأُولى: من الولادة الى البعثة النبويّة المباركة

ولادته:

قال عليّ (عليه السلام): **«فإنّي ولدتُ علىٰ الفطرة وسَبقتُ إلىٰ الإيمان والهجرة»**[1].

ولِد الإمام عليّ (عليه السلام) بمكّة المشرّفة داخل البيت الحرام وفي جوف الكعبة في يوم الجمعة الثالث عشر من شهر رجب سنة ثلاثين من عام الفيل قبل الهجرة بثلاث وعشرين سنة[2]، ولم يولد في بيت الله الحرام قبله أحدٌ سواه، وهي فضيلة خصّه الله تعالىٰ بها إجلالاً له وإعلاءً لمرتبته وإظهاراً لتكرمته.

روي عن يزيد بن قعنب أنّه قال: كنت جالساً مع العباس بن عبدالمطلب وفريق من بني عبدالعزّىٰ بإزاء بيت الله الحرام إذ أقبلت فاطمة بنت أسد أُمّ أمير المؤمنين (عليه السلام)، وكانت حاملاً به لتسعة أشهر وقد أخذها الطلق، فقالت: يارَبّ إنّي مؤمنة بك وبما جاء من عندك من رسل وكتب، وإنّي مصدّقة بكلام جديّ إبراهيم الخليل (عليه السلام) وإنّه بنىٰ البيت العتيق، فبحقّ الّذي بنىٰ هذا البيت، وبحقّ المولود

(١) نهج البلاغة ١: ١٠٦ / خطبة ٥٧ مع الخوارج، إعلام الورىٰ بأعلام الهدىٰ ١: ٣٤٠ (باب ٣ الآيات والدلالات المؤيدة لإمامته عليه السلام)، بحار الأنوار ٣٨: ٢٥٥ وج ٣٩: ٣٢٥ / ح٢٧، تفسير ابن عربي ٢: ٣٤٥ في تفسير آية ﴿**وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ**﴾، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٤: ٥٤.

(٢) المقنعة للمفيد: ٤٦١، كتاب الأنساب، باب ٥، خصائص الأئمة للرضي: ٣٩ (خصائص أمير المؤمنين عليه السلام)، روضة الواعظين: ٧٦ (مجلس في مولد أمير المؤمنين عليه السلام)، المناقب لابن شهر آشوب ٣/ ٣٥٣ (فصل في حليته وتواريخه عليه السلام)، مروج الذهب للمسعودي ٢: ٣٤٩ (فصل ذكر خلافة أمير المؤمنين عليه السلام)، الفصول المهمة لابن الصباغ: ٢٩ (فصل ١ ذكر أمير المؤمنين عليه السلام).

الّذي في بطني إلّا ما يسّرت عليَّ ولادتي.

قال يزيد: فرأيت البيت قد انشق عن ظهره، ودخلت فاطمة فيه، وغابت عن أبصارنا وعاد إلىٰ حاله والتزق الحائط، فرمنا أن ينفتح لنا قفل الباب فلم ينفتح، فعلمنا أنّ ذلك أمر من أمر الله عزّ وجلّ، ثمّ خرجت في اليوم الرابع وعلىٰ يدها أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)[1].

وأسرع البشير إلى أبي طالب وأهل بيته فأقبلوا مسرعين والبِشر يعلو وجوههم، وتقدّم من بينهم محمّد المصطفىٰ (صلى الله عليه وآله) فضمّه إلىٰ صدره، وحمله إلى بيت أبي طالب ـ حيث كان الرسول في تلك الفترة يعيش مع خديجة في دار عمه منذ زواجه ـ وانقدح في ذهن أبي طالب أن يسمّي وليده «عليّاً» وهكذا سمّاه، وأقام أبو طالب وليمةً علىٰ شرف الوليد المبارك، ونحر الكثير من الأنعام[2].

كناه وألقابه:

إن لأمير المؤمنين عليّ (عليه السلام) ألقاباً وكنىً ونعوتاً يصعب حصرها والإلمام بها، وكلّها صادرة من رسول الله (صلى الله عليه وآله) في شتىٰ المواقف والمناسبات العديدة التي وقفها (عليه السلام) لنشر الإسلام والدفاع عنه وعن الرسول.

فمن ألقابه (عليه السلام): أمير المؤمنين، ويعسوب[3] الدين والمسلمين، ومبير

---

(١) أمالي الصدوق: ١٩٤ ـ ١٩٥ / ح ٢٠٦، أمالي الطوسي: ٧٠٦ ـ ٧٠٧ / ح ١٥١١، روضة الواعظين للنيسابوري: ٧٦ ـ ٧٧ (مجلس في ذكر أمير المؤمنين عليه السلام)، الثاقب في المناقب: ١٩٧ ـ ١٩٨ / ح ١٧٣، بحار الأنوار ٣٥: ٣٥ ـ ٣٦ / ح ٣٧.

(٢) بحار الأنوار: ٣٥ / ١٨.

(٣) اليعسوب: يقصد به هنا سيّد قومه.

الشرك والمشركين[١]، وقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين، ومولىٰ المؤمنين، وشبيه هارون، والمرتضىٰ، ونفس الرسول، وأخوه، وزوج البتول، وسيف الله المسلول، وأمير البررة، وقاتل الفجرة، وقسيم الجنّة والنار، وصاحب اللواء، وسيّد العرب، وخاصف النعل، وكشّاف الكرب، والصدّيق الأكبر، وذو القرنين، والهادي، والفاروق، والداعي، والشاهد، وباب المدينة، والوالي، والوصيّ، وقاضي دين رسول الله، ومنجز وعده، والنبأ العظيم، والصراط المستقيم، والأنزع البطين[٢].

وأمّا كناه فمنها: أبو الحسن، أبو الحسين، أبوالسبطين، أبو الريحانتين، أبو تراب.

الإعداد النبويّ للإمام عليّ (عليه السلام):

كان النبيّ (صلى الله عليه وآله) يتردّد كثيراً علىٰ دار عمّه أبي طالب بالرغم من زواجه من خديجة وعيشه معها في دار منفردة، وكان يشمل عليّاً (عليه السلام) بعواطفه، ويحوطه بعنايته، ويحمله علىٰ صدره، ويحرّك مهده عند نومه إلىٰ غير ذلك من مظاهر العناية والرعاية[٣].

وكان من نِعَم الله عزّ وجلّ علىٰ عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) وما صنع الله له وأراده به من الخير أنّ قريشاً أصابتهم أزمة شديدة، وكان أبو طالب ذا عيال كثير، فقال

(١) المبير: المهلك.

(٢) راجع المناقب لابن شهر آشوب ٣: ٣٢١ ـ ٣٣٤ (فصل في ألقابه علىٰ حروف المعجم) كشف الغمة ١: ٦٦ ـ ٧٠ (باب كناه وألقابه عليه السلام). وقد وردت ألقاب أُخرىٰ عديدة لأمير المؤمنين في مصادر الرواة والمحدّثين منها: صحيح الترمذي والخصائص للنسائي والمستدرك للحاكم النيسابوري وحلية الأولياء للأصفهاني وأُسد الغابة لابن الأثير وتأريخ الإسلام للذهبي وغيرهم.

(٣) بحار الأنوار: ٣٥ / ٤٣.

رسول الله (صلى الله عليه وآله) للعبّاس ـ وكان من أيسر بني هاشم ـ: «**يا عبّاس، إنّ أخاك أبا طالب كثير العيال، وقد ترىٰ ما أصاب الناس من هذه الأزمة، فانطلق بنا، فلنخفّف عنه من عياله، آخذُ من بيته واحداً، وتأخذ واحداً، فنكفيهما عنه**»، قال العباس: نعم.

فانطلقا حتىٰ أتيا أبا طالب فقالا له: إنّا نريد أن نخفّف عنك من عيالك حتّىٰ ينكشف عن الناس ما هم فيه، فقال لهما أبو طالب: إذا تركتما لي عقيلاً فاصنعا ماشئتما، فأخذ رسول الله (صلى الله عليه وآله) عليّاً (عليه السلام) فضمّه إليه وكان عمره يومئذ ستة أعوام، وأخذ العبّاس جعفراً، فلم يزل عليّ بن أبي طالب مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) حتىٰ بعثه الله نبيّاً، فاتّبعه عليّ(عليه السلام) فآمن به وصدّقه، ولم يزل جعفر عند العبّاس حتّىٰ أسلم واستغنىٰ عنه[1].

وقد قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) بعد أن اختار عليّاً (عليه السلام): «**قد اخترت من اختاره الله لي عليكم عليّاً**»[2].

وهكذا آن لعليّ (عليه السلام) أن يعيش منذ نعومة أظفاره في كنف محمّد رسول الله (صلى الله عليه وآله) حيث نشأ وترعرع في ظل أخلاقه السماويّة السامية، ونهل من ينابيع مودّته وحنانه، وربّاه (صلى الله عليه وآله) وفقاً لما علّمه ربّه تعالىٰ، ولم يفارقه منذ ذلك التأريخ.

وقد أشار الإمام عليّ (عليه السلام) إلىٰ أبعاد التربية التي حظي بها من لدن اُستاذه ومربّيه النبيّ الأكرم (صلى الله عليه وآله) ومداها وعمق أثرها، وذلك في خطبته المعروفة بالقاصعة: «**وقد علمتم موضعي من رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالقرابة القريبة، والمنزلة**

(١) علل الشرائع للصدوق ١: ١٦٩، باب ١٣٢، ح١، روضة الواعظين للنيسابوري: ٨٦ (مجلس إسلام أمير المؤمنين عليه السلام)، بحار الأنوار ٣٨: ٢٣٧ ـ ٢٣٨ / ح٨، السيرة النبوية لابن هشام ١: ١٦٢ (ذكر إسلام عليّ عليه السلام)، المستدرك على الصحيحين ٣: ٥٧٦ (باب كفالة النبي لعيال أبي‌طالب)، الكامل في التاريخ ٢: ٥٨ (ذكر الإختلاف في أوّل من أسلم).

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١ / ١٥، نقلاً عن البلاذري والإصفهاني.

الخصيصة[١]، وضعني في حجره وأنا ولد، يضمّني إلىٰ صدره، ويكنفني في فراشه، ويمسّني جَسده، ويشمّني عَرْفه[٢]، وكان يمضغ الشيء ثمّ يلقمنيه، وما وجد لي كذبة في قول، ولاخطلة[٣] في فعل». إلىٰ أن قال: «ولقد كنت أتّبعه اتباع الفصيل[٤] أثر أُمّه، يرفع لي في كلّ يوم من أخلاقه علماً[٥]، ويأمرني بالاقتداء به، ولقد كان يجاور في كلّ سنة بحراء[٦]، فأراه ولا يراه غيري، ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الإسلام غير رسول الله(صلى الله عليه وآله) وخديجة وأنا ثالثهما، أرىٰ نور الوحي والرسالة، وأشمّ ريح النبوّة، ولقد سمعت رنّة الشيطان[٧] حين نزل الوحي عليه(صلى الله عليه وآله) فقلت: يارسول الله، ما هذه الرنّة؟ فقال: هذا الشيطان آيس من عبادته، إنّك تسمع ما أسمع، وترىٰ ما أرىٰ، إلّا أنّك لست بنبيّ، ولكنّك وزير، وأنّك لعلىٰ خير»[٨].

---

(١) الخصيصة: الخاصة.

(٢) عرفه (بالفتح): رائحته، وأكثر استعماله في الطيب.

(٣) الخطلة: الخطأ ينشأ من عدم الرؤية.

(٤) الفصيل: ولد الناقة.

(٥) عَلَماً: فضلاً ظاهراً.

(٦) حراء: جبل قرب مكّة.

(٧) رنّة الشيطان: صوته.

(٨) نهج البلاغة ٢: ١٥٧ ـ ١٥٨ / خطبة ١٩٢ (القاصعة)، بحار الأنوار ١٤: ٤٧٥ ـ ٤٧٦ / ٣٧.

المرحلة الثانية
عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) من البعثة النبوية إلى الهجرة

١ ـ عليّ (عليه السلام) أول المؤمنين برسول الله (صلى الله عليه وآله) :

لقد نشأ رسول الله (صلى الله عليه وآله) علىٰ قيم إلهية سامية كما صرّح بذلك القرآن الكريم بقوله تعالىٰ: ﴿**وإنّك لعلىٰ خلق عظيم**﴾[١]، فكان النموذج المغاير لإنسان الجزيرة في معتقده وتفكيره وسلوكه وأخلاقه، فسلك منذ نعومة أظفاره خطّاً موازياً لقيم رسالات الأنبياء سيّما شيخهم إبراهيم الخليل (عليه السلام)، وكان في قناعة الرسول (صلى الله عليه وآله) أنّ هذا الخطّ لا يلتقي بقيم المجتمع الجاهلي، من هنا بدأ (صلى الله عليه وآله) بإنشاء نواة الأُسرة المؤمنة المتكونة منه وخديجة وعليّ (عليهما السلام).

وقرّر أن يشقّ مجرىٰ التاريخ، وأن يفتح طريقاً وسط التيار العام، وأن يقاوم بتلك الأُسرة المجاهدة الانحراف السائد، وأن يُحدث موجاً هادراً يتحوّل شيئاً فشيئاً إلىٰ تيار جارف للوثنية والجاهلية من ربوع الأرض.

إنّ عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) الذي تربّىٰ في حِجر الرسول الطاهر الموحِّد لم يسجد لصنم قطّ، ولم يُشرك بالله طرفة عين. وعندما نزل الوحي علىٰ رسول الله الأمين (صلى الله عليه وآله) كان عليّ (عليه السلام) إلى جانبه، وكان أوّل من صدع بالإيمان برسالته (صلى الله عليه وآله) وقد شهدت بذلك عامّة مصادر التاريخ عند المسلمين.

وقال أنس بن مالك: أُنزلت النبوّة علىٰ رسول الله (صلى الله عليه وآله) يوم الإثنين وصلّىٰ عليّ يوم الثلاثاء[٢].

---

(١) القلم (٦٨) : ٤.

(٢) المناقب لابن شهر آشوب ٢: ٢١ (فصل في المسابقة بالصلاة)، ذخائر العقبى: ٥٩ (ذكر أنه أوّل من ←

كما روي عن سلمان الفارسي أنّه قال: أوّل هذه الأُمّة وروداً علىٰ نبيّها (صلى الله عليه وآله) الحوض، أوّلها إسلاماً عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)[١].

وعن العبّاس بن عبدالمطلب أنّه سمع عمر بن الخطاب وهو يقول: كفّوا عن ذكر عليّ بن أبي طالب إلّا بخير، فإنّي سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: «**في عليّ ثلاث خصال، وددت أنّ لي واحدةً منهنّ، كلّ واحدة منهنّ أحبّ إليّ ممّا طلعت عليه الشمس**»، وذلك أنّي كنت أنا وأبو بكر وأبو عبيدة بن الجرّاح ونفر من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) إذ ضرب النبي علىٰ كتف عليّ بن أبي طالب وقال: «**يا عليّ، أنت أوّل المسلمين إسلاماً، وأنت أول المؤمنين إيماناً، وأنت منّي بمنزلة هارون من موسىٰ، كذب من زعم أنّه يحبّني وهو مبغضك**»[٢].

وإذ اتّفق المؤرّخون علىٰ أنّ أمير المؤمنين (عليه السلام) أوّل الناس إسلاماً[٣]؛ فقد

← أسلم عليه السلام)، بحار الأنوار ٣٨: ٢٠٣ / ح ١، العثمانية للجاحظ: ٢٩١ (ذكر إسلام عليّ عليه السلام)، المستدرك للحاكم ٣: ١١٢ (ذكر إسلام عليّ عليه السلام)، الاستيعاب ٣: ١٠٩٥ / ترجمة ١٨٥٥، تاريخ مدينة دمشق ٤٢: ٢٩ ترجمة ٤٩٣٣، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٤: ١١٩ (فصل فيما قيل من سبق عليّ إلى الإسلام)، البداية والنهاية لابن كثير ٧: ٣٦٩ شيء من فضائل عليّ عليه السلام).

(١) المناقب لسليمان الكوفي ١: ٢٦٣ / باب ٢٤، ح١٧٥، المسترشد: ٢٧١ / ح٨٢، أمالي الطوسي: ٢٤٦ / ح٤٣٢، بحار الأنوار ٣٨: ٢١١ / ح١١، المصنف لابن أبي شيبة ٧: ٥٠٣ / ح٤٩، (باب فضائل عليّ عليه السلام)، كتاب الأوائل لابن أبي عاصم: ٣٥ / ح ٦٧ (باب أوّل من صلّى مع رسول الله صلى الله عليه وآله)، الاستيعاب ٣: ١٠٩/ ترجمة ١٨٥٥، تاريخ مدينة دمشق ٤٢: ٤١ / ترجمة ٤٩٣٣، أسد الغابة لابن الأثير ٤: ١٧ (باب العين ترجمة علي عليه السلام)، كنز العمّال ١٣: ١٤٤ / ح٣٦٤٥٢ (باب فضائل عليّ عليه السلام).

(٢) كشف الغمة ١: ٨٥ (ذكر سبقه عليه السلام إلى الإسلام)، الفصول المهمة لابن الصباغ: ١١٩ ـ ١٢٠ (باب ذكر بعض مناقبه عليه السلام).

(٣) وإليك بعض آراء هؤلاء المؤرخين راجع مناقب سليمان الكوفي ١: ٢٥٣ / ح ١٦٧ و ٢٩٣ / ح٢١٣، المسترشد: ٤٧٨ ـ ٤٧٩ (باب الرد على من قال إسلام عليّ عليه السلام إسلام الصبيان)، ذخائر العقبىٰ: ٥٨ (باب أنه أوّل من أسلم)، تاريخ اليعقوبي ٢: ٢٣ (ذكر المبعث النبوي، الطبقات الكبرىٰ ٣: ٢١ (ذكر إسلام علي عليه السلام)، تاريخ الطبري ٢: ٥٥ (ذكر الخبر عما كان من مبعث النبيّ صلى الله عليه وآله)، تاريخ بغداد ٤: ٤٥٦ / ٢٢٦٣ (ترجمة أحمدبن عبدالله بن سليمان)، تاريخ مدينة دمشق ٤٢: ٢٧ و ٣١ و٣٣ و٣٦ـ٣٧ (ترجمةعليّ عليه السلام رقم ٤٩٣٣)، ←

اختلفوا في سنّه حين أعلن إسلامه، والخوض في تحديد عمر الإمام (عليه السلام) حين إسلامه لا يُجدي نفعاً بعد أن عرفنا أنّه لم يكفر حتىٰ يُسلم ولم يشرك حتّى يؤمن، ولقد قال سلام الله عليه: «**ولدت علىٰ الفطرة**»، ومن هنا اتّفقت كلمة المحدّثين جميعاً على احترام هذه الفضيلة وتقديسها بقولهم له حين ذكره «عليّ كرّم الله وجهه» فكان الإسلام في أعماق قلبه بعد أن احتضنه حجر الرسالة، وغذّته يد النبوّة، وهذّبه الخلق النبوّي العظيم.

قال الأُستاذ العقّاد وهو يتحدّث عن الإمام عليّ (عليه السلام): لقد ولد مسلماً على التحقيق إذا نحن نظرنا إلى ميلاد العقيدة والروح، لأنّه فتح عينيه علىٰ الإسلام، ولم يعرف قطّ عبادة الأصنام، فهو قد تربّىٰ في البيت الّذي انطلقت منه الدعوة الإسلاميّة، وعرف العبادة من صلاة النبيّ (صلى الله عليه وآله) وزوجته الطاهرة قبل أن يعرفها من صلاة أبيه وأُمّه[1].

٢ ـ عليّ (عليه السلام) أوّل من صلّى :

عاش الإمام عليّ (عليه السلام) مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) كلّ متغيّرات حياة الرسول الأعظم، فكان يرىٰ في محمّد المثل الكامل الّذي يُشبع تطلعاته وعبقرياته، فكان يحاكيه في أفعاله ويرصده في حركاته ويقتدي به ويطيعه في كلّ أوامره ونواهيه قبل البعثة النبويّة الشريفة وحتى آخر لحظة من عمر النبيّ (صلى الله عليه وآله)، كما أجمع

← الكامل في التاريخ ٢: ٥٧ ـ ٥٨ (ذكر أوّل من أسلم)، البداية والنهاية ٣: ٣٤ ـ ٣٧ (فصل في أوّل من أسلم من الصحابة) إلى غير ذلك من كتب الحديث والفقه والرجال من الفرق الإسلامية التي تذكر أسبقية عليّ (عليه السلام) إلى الإسلام.

(١) عبقرية الإمام علي، عباس محمّود العقّاد: ص٢٣ (فصل ٣ في إسلامه عليه السلام). وقد ذكر العلّامة الأميني في كتابه الغدير: ج٣: من ص٣١٧ ـ ٣٣٥ ما يربو علىٰ ٦٦ حديثاً في أسبقية إسلام الإمام عليّ (عليه السلام) على غيره من الصحابة عنوان الباب (رأي الصحابة والتابعين في أوّل من أسلم).

المؤرّخون على أنّه لم يردّ على رسول الله كلمة قطّ.

وقد صرّح الإمام (عليه السلام) بأنّه أوّل من صلى بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) بقوله المأثور عنه: «**لم يسبقني إلّا رسول الله بالصلاة**».[1]

كما روي عن حبّة العرني أنّه قال: رأيت عليّاً (عليه السلام) يوماً ضحك ضحكاً لم أره ضحك ضحكاً أشدّ منه حتى أبدىٰ ناجذه، ثمّ قال: «**اللّهم لا أعرف أنّ عبداً من هذه الأُمّة عَبَدك قبلي غير نبيّها(صلى الله عليه وآله)**»[2].

وجاء في تفسير قوله تعالى: ﴿**واركعوا مع الراكعين**﴾[3] عن ابن عباس: أنّـها نزلت في رسول الله (صلى الله عليه وآله) وعليّ بن أبي طالب وهما أول من صلّىٰ وركع[4].

كما روي عن أنس بن مالك: قول رسول الله (صلى الله عليه وآله): «**صلّت الملائكة عليّ وعلىٰ عليٍّ سبعاً، وذلك أنّه لم يرفع إلىٰ السماء شهادة لا إله إلّا الله وأنّ محمّداً عبده ورسوله إلّا منّي ومنه**»[5].

٣ ـ أوّل صلاة جماعة في الإسلام:

وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله) قبل بدء أمره إذا أراد الصلاة خرج إلى شعاب مكّـة مستخفياً، وأخرج عليّاً (عليه السلام) معه فيصلّيان ما شاء الله، فإذا قضيا رجعا إلى مكانهما، فمكثا يصلّيان علىٰ استخفاء من أبي طالب وسائر عمومتهما وقومهما. وحين مرّ أبوطالب عليهما فرآهما يصلّيان سأل محمّداً(صلى الله عليه وآله) عن هذا الذي يدين به.

---

(١) نهج البلاغة ٢: ١٤ / خطبة ١٣١.

(٢) تاريخ مدينة دمشق ٤٢: ٣٢ / ترجمة عليّ(عليه السلام) رقم ٤٩٣٣.

(٣) البقرة (٢) : ٤٣.

(٤) تفسير فرات الكوفي: ٥٩ / ح ٢٠، كشف الغمة ١: ٣٣٢ (ما نزل من القرآن في شأنه عليه السلام)، شواهد التنزيل ١: ١١١ / ح ١٢٤ و ١٢٥، المناقب للخوارزمي: ٢٨٠ / ح ٢٧٤ (فصل ١٧ في بيان ما نزل من الآيات في شأنه).

(٥) الإرشاد للمفيد ١: ٣٠ ـ ٣١ (فصل في أنه عليه السلام أوّل الناس إسلاماً)، الفصول المختارة للمرتضىٰ: ٢٦٦ (في تقدم إيمانه عليه السلام)، شواهد التنزيل ٢: ١٨٥ / ح ٨١٩، ينابيع المودّة للقندوزي ١: ١٩٤ / باب ١٢، ح ١٧.

فقال النبيّ (صلى الله عليه وآله): **«هذا دين الله وملائكته ودين رسله ودين أبينا إبراهيم، بعثني الله به نبيّاً إلى العباد، وأنت ياعمّ أحقّ من أبديتُ النصيحة له ودعوتُه إلى الهدىٰ، وأحقّ من أجابني إليه وأعانني عليه».**

وقال له عليّ (عليه السلام): **«يا أبت، قد آمنتُ برسول الله (صلى الله عليه وآله) واتّبعته وصلّيت معه لله».**

فقال له: يا بُنيّ، أما إنّه لم يدعك إلّا إلى الخير فالزمه[١].

وهناك موقف آخر لعمّه العباس رواه عفيف الكندي حيث قال:

كنت إمرأً تاجراً فقدمت الحجّ، فأتيت العباس بن عبد المطّلب لأبتاع منه بعض التجارة، فوالله إنّي لعنده بمنى إذ خرج رجل من خِباء قريب منه، فنظر إلى الشمس فلمّا رآها قد مالت قام يصلّي، ثمّ خرجت امرأة من ذلك الخباء الذي خرج منه ذلك الرجل، فقامت خلفه تصلّي، ثمّ خرج غلام راهق الحلم من ذلك الخِباء فقام معه يصلّي، فقلت للعبّاس: من هذا يا عبّاس؟ قال: هذا محمّد بن عبد الله بن عبد المطلب ابن أخي، فقلت: من هذه المرأة؟ قال: امرأته خديجة بنت خويلد، قلت: من هذا الفتىٰ؟ قال: عليّ بن أبي طالب ابن عمّه، قلت: ما هذا الذي يصنع؟ قال: يصلّي وهو يزعم أنّه نبيّ، ولم يتبعه علىٰ أمره إلّا امرأته وابن عمّه هذا الغلام، وهو يزعم أنّه سيفتح علىٰ اُمّته كنوزَ كسرىٰ وقيصر[٢].

---

(١) ذخائر العقبىٰ: ٦٠ (ذكر أنّه عليه السلام أوّل من أسلم وصلّىٰ)، بحار الأنوار ٣٨: ٣٢٢ ـ ٣٢٣ / ح٣٣، السيرة النبوية لابن هشام ١: ١٦٣ (ذكر إسلام عليّ عليه السلام)، الكامل في التاريخ ٢: ٥٨ (ذكر الاختلاف في أوّل من أسلم)، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٣: ١٩٩ ـ ٢٠٠ (ذكر ماكان من صلة عليّ برسول الله بصغره)، السيرة الحلبية ١: ٤٣٦ (ذكر إسلام عليّ عليه السلام).

(٢) ذخائر العقبىٰ: ٥٩ (ذكر أوّل من أسلم وصلّى)، كشف الغمة ١: ٨٢ (في سبقه عليه السلام إلى الإسلام)، العدد القوية: ٢٤٦ / ح٣٨ (باب في مناقبه عليه السلام)، مسند أحمد ١: ٢٠٩ (ما أسند عن العبّاس بن عبدالمطلب)، التاريخ الكبير للبخاري ٧: ٧٤ / ح ٣٤١ (باب عفيف)، الاستيعاب ٣: ١٠٩٦، ترجمة عليّ (عليه السلام) رقم ١٨٥٥، الوافي بالوفيات ٢٠: ٥٨ / ح٨٧ (باب عفيف الكندي)، سبل الهدىٰ والرشاد ٢: ٢٩٧ (جماع أبواب بعض الأُمور الكائنة ـ الباب الأوّل ـ بعد البعثة).

نعم، بعد أن تشكّلت نواة الاُمّة الإسلامية المباركة من رسول الله وعليّ وخديجة، وأخذ خبر الدين الجديد يتفشّىٰ في صفوف القرشيين، وطفق الذين هداهم الله للإيمان يتقاطرون علىٰ الإسلام، وأخذ عود المسلمين يقوىٰ ويشتدّ أزره، وبعد عدّة سنوات تحوّل إلىٰ كيان قويّ وقادر علىٰ الإعلان عن نفسه علىٰ الجماهير والمواجهة والتحدّي من أجل الدين والعقيدة.. فأمر الله سبحانه وتعالى نبيّه الكريم (صلى الله عليه وآله) أن يصدع بما يؤمر، وكان أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) قبل ذلك إذا أرادوا الصلاة يذهبون إلى الشعاب فيستخفون، فلما صلّىٰ بعض الصحابة في الشعب إطّلع عليهم نفر من المشركين منهم أبو سفيان بن حرب والأخنس بن شريق وغيرهما، فسبّوهم وعابوهم حتىٰ قاتلوهم[1].

٤ ـ عليٌّ (عليه السلام) حين إعلان الرسالة :

وانّ حديث يوم الإنذار هو الحديث الخاص باجتماع عشيرة النبيّ (صلى الله عليه وآله) بدعوة منه لغرض الإعلان عن رسالته ودعوتهم إلى بيعته ومؤازرته، وكان أوّل من أعلن استجابته لرسول الله (صلى الله عليه وآله) ذلك اليوم من عشيرته الأقربين: هو عليّ بن أبي طالب (عليه السلام).

وقد ذكر المفسّرون والمؤرّخون ومنهم الطبري في تأريخه وتفسيره معاً أنّه لمّا نزلت ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلأَقْرَبِينَ ﴾[2] على رسول الله (صلى الله عليه وآله) وضاق ذرعاً لما كان يعلم به من معاندة قريش وحسدهم، فدعا عليّاً (عليه السلام) ليعينه علىٰ الإنذار والتبليغ.

قال الإمام عليّ (عليه السلام): **دعاني رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال: يا عليّ، إنّ الله أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين فضقت ذرعاً وعلمت أنّي متىٰ اُبادرهم بهذا الأمر أرَ منهم ما أكره،**

---

(١) تاريخ الطبري ٢: ٦١ ـ ٦٢ (ذكر الخبر عمّا كان من أمر النبيّ صلى الله عليه وآله عند ابتداء الدعوة) الكامل في التأريخ: ٢ / ٦٠ (ذكر أمر الله إظهار الدعوة) .

(٢) الشعراء (٢٦): ٢١٤.

فصمتّ عليه حتىٰ جاءني جبرئيل فقال: يا محمّد إلّا تفعل ما تؤمر به يعذّبك ربّك.

فاصنع لنا صاعاً من طعام، واجعل عليه رجل شاة، واملأ لنا عُسّاً من لبن، واجمع لي بني عبد المطّلب حتىٰ أُكلّمهم وأُبلّغهم ما أُمرت به.

فصنع عليّ (عليه السلام) ما أمره رسول الله (صلى الله عليه وآله) ودعاهم وهم يومئذ أربعون رجلاً يزيدون رجلاً أو ينقصونه، منهم أعمامه أبو طالب وحمزة والعباس وأبو لهب فأكلوا، قال عليّ (عليه السلام): **فأكل القوم حتىٰ ما لهم بشيء من حاجة، وما أرىٰ إلّا موضع أيديهم، وأيم الذي نفس عليّ بيده إن كان الرجل الواحد منهم ليأكل ما قدّمتُ لجميعهم.**

ثمّ قال (صلى الله عليه وآله): **إسقِ القوم، فجئتهم بذلك العسّ فشربوا منه حتىٰ رووا منه جميعاً، وأيم الله إنّه كان الرجل الواحد منهم ليشرب مثله.** فلمّا أراد رسول الله (صلى الله عليه وآله) أن يكلّمهم بادره أبو لهب فقال: لقد سحركم صاحبكم، فتفرّق القوم ولم يكلّمهم الرسول (صلى الله عليه وآله) فأَمَرَ عليّاً في اليوم الثاني أن يفعل كما فعل آنفاً، وبعد أن أكلوا وشربوا قال لهم رسول الله (صلى الله عليه وآله): يا بني عبد المطّلب! إنّني والله ما أعلم شاباً في العرب جاء قومه بأفضل ممّا قد جئتكم به، إنّي قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني الله تعالى أن أدعوكم إليه، فأيّكم يؤازرني علىٰ هذا الأمر علىٰ أن يكون أخي ووصيّي وخليفتي فيكم، فأحجم القوم عنه جميعاً إلّا عليّاً، فقد صاح بملء فمه: **أنا يا نبيّ الله أكون وزيرك عليه**، فأخذ النبيّ (صلى الله عليه وآله) برقبة عليّ وقال: «**إنّ هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم، فاسمعوا له وأطيعوا**»، فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع[1].

إذاً كان يوم الدار يوم الإعلان الصريح عن بداية مرحلة جديدة في حياة النبيّ

---

(١) أمالي الطوسي: ٥٨٢ ـ ٥٨٣ / ح١٢٠٦، تفسير فرات الكوفي: ٣٠٠ ـ ٣٠١ / ح٤٠٤ في تفسير الآية، تاريخ الطبري ٢: ٦٢ ـ ٦٣ (ذكر الخبر عما كان من أمر النبيّ عند ابتداء الدعوة)، شواهد التنزيل ١: ٤٨٦ / ح٥١٤، تفسير البغوي ٣: ٤٠٠ في تفسير الآية، الكامل في التاريخ ٢: ٦٢ ـ ٦٣ (ذكر أمر الله النبيّ صلى الله عليه وآله باظهار دعوته).

وحياة الدعوة الإسلامية، وقد اتّسمت بالتحدّي المتبادل ثمّ المواجهة السافرة بين الإسلام والشرك. ومن تتبّع سيرة رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأحاط علماً بجميع شؤونها وتفاصيلها في بدء تشكيل الحكومة الإسلامية وتشريع أحكامها وتنظيم شؤونها ومجرياتها وفق الأوامر الإلهية؛ يرَ أنّ علياً (عليه السلام) قد وازر النبيّ في كلّ أمره وكان ظهيره علىٰ عدوّه، وساعده الّذي يضرب به ويبني به الأُمّة والدولة وصاحب أمره إلىٰ نهاية عمره الشريف. وكان يوم الدار هو يوم الإنذار الأوّل ويوم المنطلق الى العالم أجمع من أهل مكّة بالذات الذي لم يشهد ناصراً لرسول الله(صلى الله عليه وآله) كعلي ابن أبي طالب، شعاراً وشعوراً وجهاداً وفداءً.

عليٌّ (عليه السلام) من إعلان الرسالة إلى الهجرة النبويّة المباركة

عجزت قريش عن إيقاف مدّ الدعوة الإسلاميّة ومنع النبيّ (صلى الله عليه وآله) من التبليغ والهداية، فقد خابت مؤامراتهم ودسائسهم، وفشلت وسائلهم وتهديداتهم، لأنّ أبا طالب كان الكهف الحصين لرسول الله (صلى الله عليه وآله) الذي لم يزل يدفع عنه أذىٰ قريش وجبروتها، فلجأت قريش إلىٰ طريقة جبانة تنمُّ عن حقدها وضعفها فدفعت بالصبيان والأطفال للتعرّض للنبيّ (صلى الله عليه وآله) ورميه بالحجارة، وهنا كان الدور الحاسم للفتى الهاشمي عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) حيث لا يتسنّىٰ لأبي طالب ـ وهو شيخ الهاشميّين الكبير ـ مطاردة الصبيان، فكان عليّ يطارد الصبيان المترصّدين للنبيّ ويذودهم عنه[1].

٥ ـ عليّ (عليه السلام) يفدي الرسول(صلى الله عليه وآله) في شِعب أبي طالب :

وحين أسرع الإسلام ينتشر في مكّة وأصبح كياناً يقضّ مضاجع المشركين وخطراً كبيراً يهدّد مصالحهم؛ عمد المشركون إلىٰ أُسلوب الغدر والقهر لإسكات

(١) الاختصاص للمفيد : ١٤٦.

صوت محمّد الهادر، فشهروا سيوف البغي ولم يتوانَ أبو طالب في إحكام الغطاء الأمني للرسول (صلى الله عليه وآله)، لما له من هيبة ومكانة شريفة في نفوس زعماء قريش الذين لم يجرأوا علىٰ النَيْلِ من النبيّ (صلى الله عليه وآله) لأنّ ذلك يعني مواجهة علنية مع أبي طالب وبني هاشم جميعاً، وقريش في غنىً عن هذه الخطوة الباهضة التكاليف.

فاتّجهوا نحو المستضعفين المسلمين من العبيد والفقراء فأذاقوهم ألوان التعذيب والقهر والمعاناة ليردّوهم عن دينهم وتمسّكهم بالنبيّ (صلى الله عليه وآله). ولم تلق قريش غير الصمود والإصرار على الإسلام والإلتزام بنهج الرسالة الإسلامية، فوجد رسول الله (صلى الله عليه وآله) أفضل حلّ لتخليص المستضعفين من المسلمين هو خروجهم من مكّة إلى الحبشة[1].

ولمّا لم يبقَ في مكّة من المسلمين إلّا الوجهاء والشخصيات فقد كانت المواجهة الدموية هي أبعد ما يكون، وعندها سقطت كلّ الخيارات، ولم يبق أمام قريش إلّا أن تلجأ إلىٰ عمل يضعف موقع الرسول (صلى الله عليه وآله) ويجنّبها القتال، فكان قرارهم حصار بني هاشم ومن معهم حصاراً اجتماعياً واقتصادياً باعتبارهم الحماية التي تقي الرسول الأمين(صلى الله عليه وآله) من بطش قريش، فبدأت حربها الباردة مع بني هاشم.

وتجمّع المسلمون وبنو هاشم في شِعب أبي طالب لتوفير سبل الحماية بصورة أفضل، حيث يمكن إيجاد خطوط دفاعية لمواجهة أيّ محاولة هجوميةٍ قد تقوم بها قريش[2].

وللمزيد من الاحتياط والحرص علىٰ سلامة حياة الرسول (صلى الله عليه وآله) كان أبو

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ١: ٢١٣ (ذكر الهجرة الأُولىٰ).

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ١: ٣٤ (خبر الصحيفة)، تاريخ الطبري ٢: ٧٤ (ذكر ابتداء دعوة النبيّ وخبر الصحيفة)، الكامل في التاريخ ٢: ٨٧ (ذكر أمر الصحيفة)، البداية والنهاية لابن كثير ٣: ١٠٥ (فصل في مخالفة قبائل قريش بني هاشم وبني عبدالمطلب).

طالب يطلب من ولده عليّ أن يبيت في مكان الرسول ليلاً حرصاً على سلامته من الإغتيال والمباغتة من قبل الأعداء الواردين من خارج الشِعب[1]، وكان عليّ(عليه السلام) لا يتوانىٰ في امتثال أوامر والده ويضطجع في فراش النبيّ (صلى الله عليه وآله) بكل بسالة فادياً نفسه من أجل الرسالة وصاحبها المفدّىٰ.

ولم يكتف عليّ (عليه السلام) بهذا القدر من المخاطرة بنفسه، بل كان يخرج من الشِعب إلىٰ مكّة سرّاً ليأتي بالطعام إلى المحاصرين[2]، إذ اضطرّوا في بعض الأيام أن يقتاتوا على حشائش الأرض.

لم يكن لأحد أن يقوم بمثل هذه الأعمال الباسلة في تلك الفترة العصيبة إلّا من ملك جناناً ثابتاً وقلباً شجاعاً ووعياً رسالياً وحبّاً وتفانياً للرسول (صلى الله عليه وآله)، ذلك هو عليّ ابن أبي طالب (عليه السلام) الذي قضىٰ في الشِعب جزءً من زهرة شبابه حيث دخله وعمره سبعة عشر عاماً وخرج منه وعمره عشرون عاماً، فكانت تجربة جديدة في حياته عَوَّدته على الاستهانة بالمخاطر، وأهّلته لتلقّي كل الطوارئ والمهام الجسام، وجعلته أكثر اندماجاً بالنبيّ (صلى الله عليه وآله) كما عوّدته على الصبر والطاعة والتفاني في ذات الله تعالى وحبّ الرسول(صلى الله عليه وآله).

٦ ـ عليّ (عليه السلام) يرافق الرسول(صلى الله عليه وآله) في الهجرة إلىٰ الطائف :

لقد تراكمت الأحداث المؤلمة على الرسول(صلى الله عليه وآله)، واشتدّت قريش في مواجهته وإيذائه بعد وفاة حاميه وسنده عمّه أبي طالب، ولم يعد في مكّة من تهابه قريش وترعىٰ له حرمة، حتى قال النبيّ (صلى الله عليه وآله): «**ما زالت قريش كاعّةً عنّي حتى مات**

---

(١) روضة الواعظين: ٥٤ (باب الكلام في مبعث النبيّ صلى الله عليه وآله)، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٤: ٦٤ (القول في المؤمنين والكافرين).

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٣: ٢٥٦ (القول في إسلام أبي بكر وعليّ عليه السلام وخصائص كلّ منهما).

أبو طالب»[١] فكان عليه أن يُغيّر مكانه ويستبدله بمكان أكثر أمناً كي يستطيع الانطلاق منه لنشر الدعوة الإسلاميّة في أرجاء الجزيرة العربية والعالم أجمع، فأخذ يعرض نفسه على القبائل وابتدأ أوّلاً بالطائف، وبعد عشرة أيام من مكوثه هناك لم تتجاوب معه ثقيف، بل أغْرت به الصبيان والخدم والعبيد ليرشقوه بالحجارة، فوقف عليّ (عليه السلام) ومعه زيد بن حارثة يتلقّيان الضربات ويمنعان الصبية عن مواصلة الاعتداء حتىٰ اُصيبا بجروح في جسديهما، ومع ذلك تعرّض رسول الله (صلى الله عليه وآله) لعدّة إصابات حتّى سالت الدماء من ساقيه[٢].

وروي أنّه كان للنبيّ (صلى الله عليه وآله) عدّة هجرات اُخرىٰ تحرّك خلالها لعرض نفسه علىٰ القبائل لنشر الدعوة الإسلامية وتحصين دعوته، ولم يكن معه في هذه الجولة إلّا عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) فخرج إلىٰ بني عامر بن صعصعة وإلىٰ ربيعة وبني شيبان[٣]. وعليّ يلازمه في كلّ خطواته.

٧ ـ علي (عليه السلام) في بيعة العقبة الثانية :

وحين تمّ الاتّفاق على اللقاء التاريخي بين طلائع المسلمين القادمين من يثرب مع قائدهم الرسول الأمين(صلى الله عليه وآله) في بيت عبد المطلب سرّاً وقف إلى جانب الرسول الأمين عمّه حمزة وعليّ والعباس[٤]، وتمّت البيعة على أفضل شكل.

وعلى رغم كلّ التدابير التي اتّخذت لسرّيّة اللقاء وإنجاحه إذ تمّ انعقاده دون

(١) كشف الغمة ١: ١٦ (في ذكر نسب النبيّ صلى الله عليه وآله)، بحار الأنوار ٢٢: ٥٣٠، تاريخ ابن معين ١: ٣٨ (في الصحابة)، تاريخ مدينة دمشق ٦٦: ٣٣٩ (ترجمة أبي‌طالب رقم ٨٦١٣)، البداية والنهاية ٣: ١٦٤ ـ ٦٥ (فصل في موت أبي‌طالب) .

(٢) راجع إعلام الورىٰ بأعلام الهدىٰ ١: ١٣٤ ـ ١٣٥ (فصل ٧ ذكر عرض الرسول صلى الله عليه وآله نفسه على قبائل العرب)، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٤: ١٢٧ ـ ١٢٨ (فصل فيما ذكر من سبق عليّ عليه السلام إلى الهجرة).

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٤ / ١٢٥ ـ ١٢٦ (فصل فيما ذكر من سبق عليّ عليه السلام إلى الهجرة).

(٤) إعلام الورىٰ بأعلام الهدىٰ ١: ١٤٢ (الفصل ٧، باب عرض نفسه صلى الله عليه وآله على القبائل)، بحار الأنوار ١٩: ١٢/ ح١.

علم أحد من سائر المسلمين، إلّا أنّ الأنباء قد تسرّبت إلىٰ المشركين، فتجمّعوا وأقبلوا مع أسلحتهم إلى مكان الاجتماع، فخرج اليـهم حـمزة ومـعه عـليّ(عليه السلام) بسيفيهما، فسألوا حمزة عن الاجتماع فأنكر ذلك فرجعوا خائبين.

إنّ حضور عليّ (عليه السلام) في هذا الحدث الهام والاجتماع التأريخي يكشف عن دور عليّ (عليه السلام) في أهمّ لحظات الدعوة وتأريخ الرسالة، لأنّه كان يعطي الأنصار صورة واضحة عن رسول الإسلام وعن حماية بني هاشم له (صلى الله عليه وآله) فتزداد ثقتهم ويتمّ اطمئنانهم بالدعوة الفتيّة والرسالة الإسلامية.

وكان تخطيطاً مُوفّقاً وتدبيراً محكماً من النبيّ (صلى الله عليه وآله)، إذ استعان بأشجع رجال بني هاشم ـ حمزة وعليّ (عليهما السلام) ـ فهما اللّذان عُرفا بالبأس والشدّة في توفير القدر الكافي من الحماية للرسول وللرسالة معاً.

٨ ـ عليّ (عليه السلام) والمؤاخاة الأُولى:

روي أنّ النبيّ (صلى الله عليه وآله) لمّا آخىٰ بين أصحابه آخىٰ بين أبي بكر وعمر، وبين عثمان وعبدالرحمن بن عوف، ولم يؤاخِ بين عليّ بن أبي طالب وبين أحد منهم.

فقال عليّ (عليه السلام): **يارسول الله! لقد ذهبت روحي وانقطع ظهري حين رأيتك فعلت بأصحابك ما فعلت بغيري، فإن كان هذا من سخطٍ عليَّ؛ فلك العُتبىٰ والكرامة.**

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): **والذي بعثني بالحق ما أخّرتك إلّا لنفسي، وأنت منّي بمنزلة هارون من موسىٰ غير أنّه لا نبيّ بعدي، وأنت أخي ووارثي.**

فقال (عليه السلام): **وما أرث منك؟**

قال (صلى الله عليه وآله): **ما ورّث الأنبياء من قبلي، كتاب ربّهم وسنّة نبيّهم، وأنت معي في قصري في الجنّة**[1].

(١) مناقب أمير المؤمنين للكوفي ١: ٣١٦ ـ ٣١٧ / ح٢٣٦ (باب ما أعطى الله علياً عليه السلام)، كشف الغمة ١: ٣٣٣ ـ ←

٩ ـ عليّ (عليه السلام) يفدي الرسول (صلى الله عليه وآله) ليلة الهجرة

كان الإنفتاح الرسالي العظيم على العرب خارج مكّة بعدما قام به النبيّ (صلى الله عليه وآله) من إبرام المعاهدة مع الأوس والخزرج في بيعة العقبة الثانية[1]، والذي كان نقطة انطلاق الدعوة الإسلامية إلىٰ العالم الأوسع، والخطوة الكبيرة لبناء المجتمع الرسالي المؤمن، بعد أن انتشر الإسلام في يثرب بجهود الصفوة من الدعاة المخلصين والمضحّين من أجل الله ونشر تعاليم الإسلام، وبذا أصبح للمسلمين بقعة آمنة تمثّل محطة مركزية ومهمة لبلورة العمل الثقافي والتربوي والدعوة الإلهية في مجتمع الجزيرة العربية.

وحين تمادىٰ طغاة قريش في إيذاء المسلمين والضغط عليهم لإرغامهم على ترك الدين الإسلامي ومنعهم عن نصرة النبيّ (صلى الله عليه وآله) وحين ازدادوا عتوّاً في اضطهاد المسلمين؛ أمر النبيّ (صلى الله عليه وآله) أصحابه بالهجرة إلىٰ يثرب، فقال (صلى الله عليه وآله): «**إنّ الله قد جعل لكم داراً تأمنون بها وإخواناً**»[2]، فخرجوا علىٰ شكل مجاميع صغيرة وبدفعات متفرّقة خفيّة عن أنظار قريش.

ومع كلّ المعاناة التي لاقاها النبيّ (صلى الله عليه وآله) من القريب والبعيد وكلّ الضغوط وانواع التكذيب والتهديد حتىٰ قال (صلى الله عليه وآله): «**ما أُوذي أحد مثل ما أُوذيت في الله**»[3]

← ٣٣٤ (ذكر مؤاخاة النبيّ صلى الله عليه وآله)، تاريخ مدينة دمشق ٢١: ٤١٥ ـ ٤١٦ (في ترجمة سلمان الفارسي تحت رقم ٢٥٩٩) وج٤٢: ٥٢ ـ ٥٣ ترجمة الإمام عليّ تحت رقم ٤٩٣٣، العمدة لابن البطريق: ١٦٧ / ح٢٥٧، نظم درر السمطين: ٩٤ ـ ٩٥ (فصل في مناقب أميرالمؤمنين عليه السلام)، كنز العمّال ٩: ١٦٧ / ح٢٥٥٥٤، وج١٣: ١٠٥ / ح٣٦٣٤٥.

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٢: ٢٩٩ (ذكر أمر العقبة الثانية)، تاريخ مدينة دمشق ١١: ٢١٨ (ترجمة جابر بن عبدالله تحت رقم ١٠٦٢، الكامل في التاريخ ٢: ٩٨ (ذكر بيعة العقبة الثانية).

(٢) المناقب لابن شهر آشوب ١: ٢٣٣ (فصل في هجرته صلى الله عليه وآله)، الدر النظيم: ١١٤ (فصل في هجرته صلى الله عليه وآله)، بحار الأنوار ١٩: ٢٦ / ح١٥.

(٣) حلية الأولياء: ٣٣٣/٦ (ترجمة مالك بن أنس رقم ٣٩٤)، كنز العمال: ١٣٠/٣، ح ٥٨١٨ (باب الحلم والأناة).

فإنّ أمله بالنصر علىٰ الأعداء والنجاح من تبليغ الدعوة الإسلامية لم يضعف، وثقته المطلقة بالله كانت أقوىٰ من مخطّطات قريش ومؤامراتها، وقد عرفت قريش فيه(صلى الله عليه وآله) ذلك وتجسّدت لديها الأخطار التي ستكشف عنها السنون المقبلةإذا تسنّىٰ لمحمّد(صلى الله عليه وآله) أن يلتحق بأصحابه ويتّخذ من يثرب مستقراً ومنطلقاً لنشر دعوته،فأخذوا يعدّون العدّةو يخططّون للقضاء عليه قبل فوات الأوان على شرط أن لا يتحمّل مسؤولية قتله شخص معيّن أو قبيلةلوحدها، فلاتستطيع بنو هاشم ولا بنو المطلب مناهضةالقبائل جميعاً في دمصاحبهمفيرضون حينئذ بالعقل والفدية منهم.

فكان القرار بعد أن اجتمعوا في دار الندوة وقد كثرت الآراء بينهم أن يندبوا من كلّ قبيلة فتىً شابّاً جلداً معروفاً في قبيلته، ويعطى كلّ منهم سيفاً صارماً ثم يجمعون على قتل النبيّ (صلى الله عليه وآله) في داره، إذ يضربونه ضربة رجل واحد فيقتلونه، واتّفقوا على ليلة تنفيذ الخطة، فأتىٰ جبرئيل إلىٰ النبيّ وأخبره بذلك، وأمره أن لا يبيت في فراشه، وأذن له بالهجرة، فعند ذلك أخبر عليّاً بأُمورهم وأمره أن ينام في مضجعه علىٰ فراشه الذي كان ينام فيه، ووصّاه بحفظ ذمّته وأداء أمانته، وقال له أيضاً: «**إذا أبرمت ما أمرتك به؛ فكن علىٰ أُهبة الهجرة إلىٰ الله ورسوله، وسر لقدوم كتابي عليك**»[1].

وهنا تتجلىٰ صفحة من صفحات شجاعة عليّ(عليه السلام) وإيثاره، إذ استقبل أمر الرسول (صلى الله عليه وآله) بنفس مؤمنة صابرة مطمئنّة، فرسم لنا أكمل صورة للطاعة المطلقة في أداء المهمّات استسلاماً واعياً للقائد وتضحية عظيمة من أجل العقيدة والمبدأ، فما كان جوابه (عليه السلام) إلّا أن قال للرسول(صلى الله عليه وآله): «**أَوَتَسلَمُ يا رسولَ الله إن فديتك نفسي؟**».

فقال له النبيّ(صلى الله عليه وآله): «**نعم بذلك وعدني ربّي**»؛ فتبسّم عليّ(عليه السلام)، وأهوىٰ إلى

---

(١) أمالي الشيخ الطوسي: ٤٦٨ / ح ١٠٣١،كشف الغمة ٢: ٣٣(ذكر مناقب شتىٰ)، الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي: ٤٦ (فصل في ذكر شيء من شجاعة عليّ(عليه السلام)).

الأرض ساجداً ، شاكراً لما أنبأه به من سلامته.

ثمّ ضمّه النبيّ (صلى الله عليه وآله) إلى صدره وبكىٰ وَجْداً به، فبكىٰ عليّ (عليه السلام) لفراق رسول الله (صلى الله عليه وآله)(١).

وعندما جاء الليل؛ إتّشح عليّ (عليه السلام) ببرد رسول الله (صلى الله عليه وآله) الذي اعتاد أن يتّشح به، واضطجع في فراش النبيّ مطمئن النفس رابط الجأش ثابت الجنان مبتهجاً بما أوكل إليه فرحاً بنجاة النبيّ، وجاء فتيان قريش والشرّ يملأ نفوسهم ويعلو سيوفهم، وأحاطوا بالبيت وجعلوا ينظرون من فرجة الباب إلىٰ المكان الذي اعتاد النبيّ (صلى الله عليه وآله) أن ينام فيه فرأوه نائماً علىٰ فراشه، فأيقنوا بوجود النبيّ في ذلك المكان، واطمأنت قلوبهم علىٰ سلامة خطّتهم، فلمّا كان الثلث الأخير من الليل خرج النبيّ (صلى الله عليه وآله) من الدار وقد كان مختبئاً في مكان منها، وانطلق إلىٰ غار «ثور» وكَمَنَ فيه ليواصل بعد ذلك هجرته المباركة.

ولمّا حانت ساعة تنفيذ خطّتهم؛ هجموا على الدار، وكان في مقدّمتهم خالد بن الوليد، فوثب عليّ (عليه السلام) من فراشه فأخذ منه السيف وشدّ عليهم فأجفلوا أمامه وفرّوا إلى الخارج، وسألوه عن النبيّ (صلى الله عليه وآله): فقال: لا أدري إلى أين ذهب(٢).

وبذلك كتب الله السلامة لنبيّه (صلى الله عليه وآله) والإنتشار لدعوته.

بهذا الموقف الرائع والإقدام الشجاع والمنهج الفريد سنّ عليّ (عليه السلام) سنّة

---

(١) المناقب لابن شهر آشوب ١: ٢٣٣ (فصل في هجرته صلى الله عليه وآله)، بحار الأنوار ١٩: ٦٠ / ح١٨.

(٢) ذكر عدد كبير من العلماء قصة المبيت على فراش النبي (صلى الله عليه وآله) بتفاوت واختصار منهم:
الشيخ الطوسي في الأمالي: ٤٦٣ / ح١٠٣١، والطبرسي في إعلام الورى بأعلام الهدىٰ ١: ٤٥ (فصل ٨ ذكر مكر المشركين به صلى الله عليه وآله وهجرته إلى المدينة)، وابن شهر آشوب في المناقب ٢: ٦٨ (فصل في المسابقة إلى الهجرة) والإربلي في كشف الغمة ٢: ٢٩ ـ ٣٣ (ذكر مناقب شتىٰ وأحاديث متفرقة) وابن سعد في الطبقات الكبرىٰ ١: ٢٢٧ ـ ٢٢٨ (ذكر خروجه صلى الله عليه وآله إلى المدينة)، وأحمد بن حنبل في مسنده ١: ٣٣١ (ما أسند عن عبدالله بن عبّاس) والطبري في تاريخه ٢: ٩٨ ـ ٩٩ (ذكر حديث الهجرة) والحاكم في المستدرك ٣: ٢ ـ ٤ (كتاب الهجرة)، وابن الصباغ المالكي في الفصول المهمة: ٤٤ ـ ٤٦ (في ذكر شيء من شجاعته)، ولك أن تراجع كتب المؤرخين في قضية الهجرة إلى المدينة. فالقصة قد اتّفق عليها جميع المسلمين.

التضحية والفداء لكلّ الثائرين من أجل التغيير والإصلاح والسائرين في دروب العقيدة والجهاد. لم يكن همّ عليّ (عليه السلام) إلّا رضا الله وسلامة نبيّه (صلى الله عليه وآله) وانتشار دعوته المباركة، وأشاد الوحي بهذا الإيثار وخلّده بقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ٱبْتِغَاءَ مَرْضَاتِ ٱللّهِ وَٱللّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾[١].

المباهاة بمبيت الإمام عليّ (عليه السلام):

كان مبيت عليّ (عليه السلام) علىٰ فراش رسول الله(صلى الله عليه وآله) خذلاناً سافراً لقريش المعتدية، فقد خابت آمالهم وفشلت خططهم في قتل الرسول(صلى الله عليه وآله)، وكان فيها إرغام أنف الشيطان وعلو شأن الإيمان ـ ولم يكن أيّ عمل تضحوي كالمبيت الذي قام به عليّ في الاخلاص والنتاج والثواب ـ كيف وقد باهىٰ الله بهذه التضحية ملائكته، إذ روي: أنّه ليلةَ بات عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) على فراش رسول الله(صلى الله عليه وآله)؛ أوحىٰ الله تعالىٰ إلىٰ جبرئيل وميكائيل: إنّي قد آخيت بينكما، وجعلت عمر أحدكما أطول من عمر الآخر، فأيّكما يؤثر صاحبه بالحياة؟

فاختار كلاهما الحياة وأحبّاها، فأوحىٰ الله تعالىٰ اليهما: أفلا كنتما مثل عليّ ابن أبي طالب حين آخيت بينه وبين محمّد، فبات علىٰ فراشه يفديه بنفسه ويؤثره بالحياة؟! إهبطا إلىٰ الأرض فاحفظاه من عدوّه، فهبط جبرئيل فجلس عند رأسه وميكائيل عند رجليه، وجعل جبرئيل يقول: بخٍ بخٍ، من مثلك يا ابن أبي طالب يباهي الله بك الملائكة فوق سبع سماوات[٢]؟!

---

(١) البقرة (٢) : ٢٠٧. وراجع أسباب نزول الآية في: تفسير العياشي ١: ١٠١ / ح٢٩٢، تفسير القمي ١: ٧١، تفسير فرات الكوفي: ٦٥ ، التبيان للطوسي ٢: ١٨٣، الثاقب في المناقب: ١٤٦ / باب٢، ح١٣٧، تفسير الثعلبي ٢: ١٢٥ ـ ١٢٦ في ذيل تفسير الآية، شواهد التنزيل للحسكاني: ١٢٧ ـ ١٢٨ / ح١٣٧، تفسير القرطبي ٢: ٢١ سبب نزول الآية، تفسير البحر المحيط ٢: ١٢٧ أُنظر سبب نزول الآية.

(٢) شرح الأخبار ٢: ٤٠٩ / ح٧٥٤، أمالي الشيخ الطوسي: ٤٦٩ / ح١٠٣١، المناقب لابن شهرآشوب ٢: ٧٧ (باب في المسابقة إلى الهجرة)، بحار الأنوار ١٩: ٨٥ / ح٣٦، تفسير الثعلبي ٢: ١٢٦ في تفسير آية ٢٠٧ من ←

١٠ ـ مهامّ عليّ(عليه السلام) ما بعد ليلة المبيت :

مع إطلالة فجر اليوم الأوّل للهجرة النبويّة المباركة وخيّم السلام والأمان الإلهي الذي كان يحوط رسول الله المصطفىٰ(صلى الله عليه وآله) في كلّ خطوة كان يخطوها نحو يثرب عاصمة الرسالة الإسلامية الجديدة .

لقد تصرّم الليل البهيم بكل ماكان يُخبئه من المكاره لعليّ بن أبي‌طالب دون أن يقع شيء يمس حياته (عليه السلام) بخطر أو مكروه، واستطاع أن يؤدّي المهمّة علىٰ أكمل وجه، فقدكان علىٰ قدر عال من الإنضباط والدقّة والوعي في التنفيذ.

وبقيت أمام عليّ (عليه السلام) مهمات أُخرىٰ لم يكن بمقدور أحد أن يقوم بها، منها: أداء الأمانات‌التي كانت مودعة عندالنبيّ(صلى الله عليه وآله) إلى أصحابها ـ وهم من المشركين ـ الذين كانوا يثقون بأمانة محمّد وصدقه وإخلاصه ـ فقد اشتهر بين قريش والعرب الوافدين إلى مكّة بالصادق الأمين، ، ولم يكن الرسول(صلى الله عليه وآله) لِيخل بتعهداته أو يخون الأمانة حتىٰ ولو كانت الظروف المحيطة به صعبة والخطورة تهدّد حياته الشريفة في تلك اللحظات التي يطير فيها لبّ اللبيب، لم ينس النبيّ(صلى الله عليه وآله) أن يوكل هذه المهمّة إلىٰ رجل يقوم بها خير قيام، ولم يكن لهذه المهمّة سوى عليّ(عليه السلام) لأنّه الأعرف بشؤون رسول الله (صلى الله عليه وآله) وبالمودعين وأموالهم وهو القويّ الأمين.

فأوصل عليّ(عليه السلام) الأمانات إلىٰ أصحابها، ثم قام علىٰ الكعبة منادياً بصوت رفيع: يا أيّها الناس هل من صاحب أمانة؟ هل من صاحب وصيّة؟ هل من صاحب عدة له قبل رسول الله (صلى الله عليه وآله)؟ فلمّا لم يأته أحد لحق بالنبيّ (صلى الله عليه وآله). وكان مقام عليّ بن أبي طالب بعد النبي بمكّة ثلاثة أيام فقط[1].

ـ البقرة، شواهد التنزيل: ١٢٣ / ح١٣٣، أُسد الغابة ٤: ٢٥ (في ترجمة عليّ عليه السلام باب العين)، الفصول المهمة لابن الصباغ: ٤، (ذكر شيء من شجاعته عليه السلام).

(١) المناقب لابن شهرآشوب: ٢/٥٨ فضل المسابقة إلى الهجرة، بحار الأنوا ٣٨: ٣٨٩ / ح١، ومروج الذهب ←

١١ ـ هجرة الإمام عليّ (عليه السلام) إلى يثرب:

وصل رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلىٰ (قُبا) بسلام، واستقبلته جموع الأنصار، ومن هناك بعث بكتابه إلىٰ عليّ (عليه السلام) يأمره فيه بالمسير إليه والإسراع في اللحاق به، وكان قد أرسل إليه أبا واقد الليثي، وحين وصل إليه كتاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) اشترىٰ عليّ(عليه السلام) الركائب وأعدّ العدّة للخروج، وأمر من بقي معه من ضعفاء المسلمين أن يتسلّلوا ويتخفّفوا[1] إذا ملأ الليل بطن كلّ وادٍ إلى ذي طوىٰ[2]، وبدأت المهمّة الشاقّة الثالثة أمام عليّ (عليه السلام) وهي الرحيل برفقة النساء نحو يثرب، وخرج هو ومعه الفواطم: فاطمة بنت رسول الله، وأُمّه فاطمة بنت أسد، وفاطمة بنت الزبير بن عبدالمطلب، وفاطمة بنت حمزة، وتبعهم أيمن مولىٰ رسول الله وأبو واقد الليثي.

وتولّىٰ أبو واقد الليثي سوق النياق، ولشدّة خشيته كان يحثّ الخطىٰ سريعاً حتىٰ لا يلحق بهم الأعداء.

وعزّ علىٰ عليّ (عليه السلام) أن يرىٰ نساء بني هاشم علىٰ تلك الحالة من الجهد والعناء من سرعة الحركة، فقال (عليه السلام): **إرفق بالنسوة أبا واقد، إنّهن من الضعائف.**

وأخذ الإمام(عليه السلام) يسوق الرواحل بنفسه سوقاً رقيقاً، وهو ينشد:

وليس إلّا الله فـارفع ظـنّكا ... يكـفيك ربّ النـاس ما أهـمّكا

ليبعث الطمأنينة في نفوس من معه.

واستمرّ عليّ (عليه السلام) علىٰ هدوئه في قيادة الركب حتىٰ شارف علىٰ قرية في الطريق تُسمىٰ «ضجنان» وهناك أدركته القوّة التي أرسلتها قريش للقبض عليه

ــــــــــ

ــ للمسعودي: ٢ / ٢٧٩ (فصل في ذكر هجرة الرسول صلى الله عليه وآله).

(١) يتخفّفوا: لا يحملوا معهم شيئاً يثقل عليهم.

(٢) ذي طوىٰ: موضع قرب مكة .

ومن معه وإعادتهم إلىٰ مكّة، وكانوا سبعة فوارس من قريش ملثّمين معهم مولىً لحرب بن أُمية اسمه «جناح»، فقال عليّ (عليه السلام) لأيمن وأبي واقد: «**أنيخا الإبل واعقلاها**»، وتقدّم هو فأنزل النسوة ثمّ استقبل الفوارس بسيفه، فقالوا له: أظننت يا غدّار أنّك ناجٍ بالنسوة، إرجع لا أباً لك.

فقال (عليه السلام): «**فإن لم أفعل**»؟.. فازدادوا حنقاً وغيظاً منه، فقالوا له: لترجعنّ راغماً أو لنرجعنّ بأكثرك شعراً وأهون بك من هالك.

ودنا بعضهم نحو النياق ليفزعوها حتىٰ يُدخلوا الخوف والرعب إلىٰ قلوب النسوة، فحال عليّ (عليه السلام) بينهم وبين ذلك، فأسرع نحوه جناح وأراد ضربه بسيفه فراغ عنه عليّ (عليه السلام) وسارعه بضربة علىٰ عاتقه فقسمه نصفين حتىٰ وصل السيف الىٰ كتف فرس جناح، ثمّ شدّ علىٰ بقية الفرسان وهو راجل، ففرّوا من بين يديه فزعين خائفين.

وقالوا: إحبس نفسك عنّا يا ابن أبي طالب، فقال لهم: «**فإنّي منطلق إلىٰ أخي وابن عمّي رسول الله، فمن سرّه أن أفري لحمه وأُريق دمه فليدنُ منّي**»، فهرب الفرسان علىٰ أدبارهم خائبين.

ثمّ أقبل (عليه السلام) علىٰ أيمن وأبي واقد وقال لهما: «**أطلقا مطاياكما**»، فواصل الركب المسير حتّىٰ وصلوا «ضجنان» فلبث فيها يوماً وليلة حتىٰ لحق به نفر من المستضعفين، وبات فيها ليلته تلك هو والفواطم يصلّون ويذكرون الله قياماً وقعوداً وعلىٰ جنوبهم حتىٰ طلع الفجر، فصلّىٰ بهم عليّ (عليه السلام) صلاة الفجر، ثمّ سار لوجهه يجوب منزلاً بعد منزل لا يفتر عن ذكر الله حتىٰ قدموا المدينة.

وقد نزل الوحي قبل قدومهم بما كان من شأنهم وما أعدّه الله لهم من الثواب والأجر العظيم بقوله تعالىٰ: ﴿ **ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّماوَاتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هٰذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ* رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ* رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِياً يُنَادِي**

لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّآتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلأَبْرَارِ* رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلاَ تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ إِنَّكَ لاَ تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ* فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُم مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ بَعْضُكُم مِن بَعْضٍ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لأُكَفِّرَنَّ عَنْهُم سَيِّآتِهِمْ وَلأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ ثَوَاباً مِنْ عِندِ ٱللّهِ وَٱللّهُ عِندَهُ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ﴾[1].

وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله) في «قباء» نازلاً علىٰ عمرو بن عوف، فأقام عندهم بضعة عشر يوماً يصلّي الخمس قصراً، يقولون له: أتقيم عندنا فنتّخذ لك منزلاً ومسجداً؟ فيقول (صلى الله عليه وآله): لا، إنّي أنتظر عليّ بن أبي طالب، وقد أمرته أن يلحقني، ولست مستوطناً منزلاً حتىٰ يقدم عليٌّ، وما أسرعه إن شاء الله[2]!

وحين وصل عليّ (عليه السلام)؛ كانت قدماه قد تفطّرتا من فرط المشي وشدّة الحرّ، وما أن رآه النبيّ (صلى الله عليه وآله) علىٰ تلك الحالة؛ حتىٰ بكىٰ عليه إشفاقاً له، ثمّ مسح يديه علىٰ قدميه فلم يشكُهما بعد ذلك[3].

ثمّ إنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) لمّا قدم عليه عليّ (عليه السلام)؛ تحوّل من قباء إلىٰ بني سالم ابن عوف وعلي معه، فخطّ لهم مسجداً، ونصب قبلته، فصلّىٰ بهم فيه ركعتين، وخطب خطبتين، ثمّ راح من يومه إلىٰ المدينة علىٰ ناقته التي كان قدم عليها وعليّ لا يفارقه، يمشي بمشيه، وأخيراً نزل رسول الله (صلى الله عليه وآله) عند أبي أيوب الأنصاري وعليّ معه حتىٰ بنىٰ له مسجده وبنيت له مساكنه، ومنزل عليّ (عليه السلام) فتحوّلا إلىٰ منازلهما[4].

---

(١) آل عمران (٣): ١٩١ ـ ١٩٥، راجع أمالي الطوسي: ٤٧٠ ـ ٤٧١ / ح١٠٣١، بحار الأنوار ١٩: ٦٤ ـ ٦٧ / ح١٨.

(٢) الكافي ٨: ٣٣٩ / ح٥٣٦، مختصر بصائر الدرجات: ١٢٩، بحار الأنوار ١٩: ١١٥ / ح٢.

(٣) مناقب أمير المؤمنين للكوفي ١: ٣٦٥ / ح٢٩٢، إعلام الورىٰ بأعلام الهدىٰ ١: ٣٧٥ (مبيته عليه السلام على فراش النبيّ)، السيرة الحلبية ٢: ٢٣٣ (ذكر هجرة النبيّ صلى الله عليه وآله).

(٤) الكافي ٨: ٣٣٩ ـ ٣٤٠ / ح٥٣٦، مختصر بصائر الدرجات: ١٣٠، بحار الأنوار ١٩: ١١٦ / ح٢.

١٢ ـ دلالات مبيت الإمام عليّ(عليه السلام) في فراش النبيّ الأعظم (صلى الله عليه وآله) :

١ ـ إنّ مبيت الإمام عليّ بن أبي‌طالب(عليه السلام) ليـلة الهـجرة فـي فـراش النـبيّ المصطفىٰ(صلى الله عليه وآله) بمثابة إعلان عن نضج شخصية الإمام علي الرسالية، وأهليّته في أن يمثّل شخصيّة الرسول الّذي كان يعدّه للمهمّات الصعبة ويعهد إليه في كلّ أمر مستصعب وخطب جليل ودعوة مهمّة.

٢ ـ كانت عملية التمويه على قريش بارتداء الإمام (عليه السلام) رداء رسول الله (صلى الله عليه وآله) ومبيته في فراشه تنويهاً بصلة القرابة الفذّة المنطلقة من العلاقة المبدئية، وتأكيداً لمبدأ «أنّ نفس علي هي نفس المصطفىٰ»، وخصوصاً حين أتمّ مهامّه الاُخرىٰ التي اُوكلت إليه وقام بها خير قيام .

٣ ـ إنّ ثبات الإمام (عليه السلام) ثلاثة أيام في مكّة كان تأكيداً آخر لشجاعته حين أعلن فيها بكلّ جرأة وثقة عن موقفه المبدئي بأنّه ثابت على خطىٰ الرسول القائد المفدّىٰ، وقد نفّذ أوامره وأنجز مهامه بهدوء ودقة تامّة، ثمّ هجرته العلنية أمـام أنظار قريش.

٤ ـ لقد تجلّت في حادثة المبيت وما تلاها من أحداث بعض الجوانب الفذّة من شخصيّة الإمام عليّ(عليه السلام) والتي ظهرت فيها حقيقة شجاعة الإمام وقوّته النفسية والبدنية ونضوجه الذهني ووعيه الرسالي وحرصه على تحقيق الأوامر والإرادة الإلهيّة.

المرحلة الثالثة
عليّ (عليه السلام) من الهجرة إلىٰ وفاة النبيّ (صلى الله عليه وآله)

عليّ (عليه السلام) أخو الرسول الأعظم(صلى الله عليه وآله):

حين شرع الرسول (صلى الله عليه وآله) بتكوين نواة المجتمع الإسلامي وأراد أن يزيد من تماسك العلاقات بين أفراد المجتمع الجديد؛ آخىٰ بين آحاد المسلمين في موقف نموذجيّ ليرسّخ مبدءاً أساسياً من مبادئ الإسلام الحنيف، وهو ماكانت تـتطلبه الدعوة الإسلامية في مرحلتيها السرية والعلنية، فوقعت أوّل مؤاخاة في الإسلام في مكّة قبل الهجرة بقليل .

وحين نتفحّص عملية المؤاخاة نجد أنّ الرسول(صلى الله عليه وآله) ضمّ الشكل إلىٰ الشكل والمثل إلىٰ المثل، لأنّ الأُخوّة عملية اسـتراتـيجية واسـعة ذات مـعانٍ ودلالات حركيّة في مسيرة الدعوة الإسلاميّة، فعبر جسر الأُخوّة تتماسك العـلاقات بـين المسلمين كما تنضج الأفكار ويتحقّق الإبداع. كما لاحـظنا ذلك فـي المـؤاخـاة الأُولى التي مرّ ذكرها في العهد المكّي وقبل الهجرة الى يثرب.

وقد تكررت عملية المؤاخاة للأسباب نفسها في العهد المدني وبعد الهجرة الكبرىٰ أيضاً بأشهر قليلة. حيث «... آخى رسول الله صلى الله عليه وآله بين الأنصار والمهاجرين إخوة الدين، وكان يؤاخي بين الرجل ونظيره، ثم أخذ بيد عليّ بن أبي‌طالب عليه السلام فقال: **هذا أخي** .

قال حذيفة: فرسول الله صلى الله عليه وآله سـيّد المـرسلين، وإمـام المـتّقين، ورسـول ربّ العالمين الذي ليس له في الأنام شبه ولا نظير، وعليّ بن أبي طالب أخوه»[1] .

---

(١) راجع أمالي الطوسي: ٥٨٦ ـ ٥٨٧ / ح ١٢١٤ و ح ١٢١٥، إعلام الورىٰ بأعلام الهدىٰ ١: ٣٦٣ (باب ٤ فصل ١ ←

اقتران عليّ (عليه السلام) بالزهراء (سلام الله عليها) :

بعد أن استقرّ المقام بالمسلمين وبدأت مبادئ الاسلام وتعاليمه تترسّخ في نفوس المسلمين وظهرت قدرتهم في الدفاع عن الرسالة والرسول؛ تطوّرت العلاقات بين المسلمين باتجاه تكوين مجتمع متحضّر ناهض على أُسس ثقافية اجتماعية متطوّرة، يتزعّمه الرسول المصطفىٰ (صلى الله عليه وآله) الذي عصمه الله في الفهم والتلقّي والإبلاغ والتربية والتنفيذ، وها هو عليّ (عليه السلام) قد تجاوز العشرين من عمره الشريف وهو يصول في سوح الجهاد والدفاع عن العقيدة والدعوة الإسلامية، ويقف مع المصطفىٰ في كلّ خطواته، وقد بلغ من نفس الرسول(صلى الله عليه وآله) أعلىٰ منزلة، يعيش معه وهو أقرب من أيّ واحد من المسلمين.

وبعد أن انقضت سنتان من الهجرة النبويّة بلغت إبنة الرسول الأعظم(صلى الله عليه وآله) الزهراء(عليها السلام) مبلغ النساء، وشرع الخُطّاب من الصحابة يتسابقون إلىٰ النبيّ(صلى الله عليه وآله) يطلبونها منه وهو يردّهم ردّاً جميلاً ويقول: «**إنّي أنظر فيها أمر الله**»[1] .

وكان عليّ ابن عمّ المصطفىٰ من الراغبين في الزواج منها. ولكن الحياء كان يمنعه عن مفاتحة النبيّ(صلى الله عليه وآله) مع قلّة ذات يده، وبتشجيع من بعض أصحاب الرسول(صلى الله عليه وآله) تقدّم عليّ لخطبة الزهراء، فدخل على النبيّ وهو مطرق إلىٰ الأرض من الحياء، فأحسّ النبيّ (صلى الله عليه وآله) بما في نفسه فاستقبله ببشاشته وطلاقة وجهه الكريم، وأقبل عليه يسأله برفق ولطف عن حاجته، فأجابه (عليه السلام) بصوت ضعيف: يارسول الله «**تزوّجني من فاطمة؟**»

فردّ النبي (صلى الله عليه وآله) على سؤاله قائلاً: «**مرحباً وأهلاً**»، ودخل علىٰ بضعته الزهراء

← نبذ من خصائص عليّ(عليه السلام)، بحار الأنوار ٣٨: ٣٣٣ / ح ٥، الطبقات الكبرىٰ ٣: ٢٢ ـ ٢٣ ذكر قول رسول الله لعليّ أنت أخي)، مستدرك الحاكم النيسابوري ٣: ١٤(ذكر المؤاخاة بين الصحابة)، فتح الباري ٧: ٢١٠ ـ ٢١١ (باب كيف آخىٰ النبيّ(صلى الله عليه وآله) بين أصحابه) وقصة المؤاخاة مشهورة أوردها أرباب السير والتواريخ.

(١) كشف الغمة : ١ / ٣٥٣.

ليعرض عليها رغبة عليّ (عليه السلام) فيها، فقال (صلى الله عليه وآله) لها: «**لقد سألت ربّي أن يزوّجك خير خلقه وأحبّهم اليه، وقد عرفت عليّاً وفضله ومواقفه، وجاءني اليوم خاطباً فما ترين؟** فأمسكت ولم تتكلّم بشيء، فخرج النبيّ (صلى الله عليه وآله) وهو يقول: «**سكوتها رضاها وإقرارها**».

ثمّ إنّ الرسول (صلى الله عليه وآله) جمع المسلمين وخطب فيهم، فقال: «**إنّ الله أمرني أن أُزوّج فاطمة من عليّ...**» .

ثمّ التفت إلىٰ عليّ (عليه السلام) فقال: «**لقد أمرني ربّي أن أُزوّجك فاطمة... أرضيت هذا الزواج يا عليّ؟**» فقال (عليه السلام): «**رضيته يارسول الله**»، وخرّ ساجداً لله.

فقال النبيّ (صلى الله عليه وآله): «**بارك الله فيكما**»، وجعل منكما الكثير الطيب.

وجاء عليّ (عليه السلام) بالمهر الذي هيّأه من بيع درعه فوضعه بين يدي رسول الله (صلى الله عليه وآله) فأمر المصطفىٰ أبا بكر وبلالاً وعمّاراً وجماعةً من الصحابة واُمّ أيمن لشراء جهاز الزواج، ولمّا تم الجهاز وعرض علىٰ الرسول؛ جعل يقلّبه بيده ويقول: «**بارك الله لقوم جلّ آنيتهم من الخزف**»[1].

وبيسر وبساطة ودون تكاليف باهضة تمت الخطبة والزواج، وكان الجهاز من أبسط ما عرفته المدينة، واحتفل النبيّ وبنو هاشم بهذا الزواج الميمون.

وروي أنّ النبي (صلى الله عليه وآله) عوتب في زواج فاطمة (عليها السلام) فقال: **لو لم يخلق الله عليّ بن أبي طالب لماكان لفاطمة كفؤ**[2].

وفي خبر آخر أنّه (صلى الله عليه وآله) قال مخاطباً عليّاً (عليه السلام): **لولاك لماكان لها كفؤ علىٰ وجه الأرض**[3].

---

(١) كشف الغمة ١: ٣٦٣ ـ ٣٦٩ (ذكر تزويج أميرالمؤمنين من فاطمة عليها السلام)، بحار الأنوار ٤٣: ١٢٤ ـ ١٣٠ / ح٣٢، المناقب للخوارزمي: ٣٤٢ ـ ٣٤٩ / فصل ٢٠، ح٣٦٤. وخبر زواجه(عليه السلام) من الزهراء(عليها السلام) مشهور ونقله أرباب السير والحديث بألفاظ وطرق متفاوتة.

(٢) روضة الواعظين: ١٤٦ (ذكر تزويج الزهراء عليها السلام)، الصراط المستقيم ١: ١٧٢ (باب ٧، فصل ٥)، الجواهر السنية: ٢٥٢ (باب ١٢).

(٣) المناقب لابن شهر آشوب ٢: ٢٠٧ (فصل في المصاهرة مع النبيّ صلى الله عليه وآله)، بحار الأنوار ٤٣: ١٠٧ /ح٢٢.

عليّ (عليه السلام) مع الرسول الأعظم(صلى الله عليه وآله) في معاركه :

١ ـ عليّ (عليه السلام) في غزوة بدر :

فتح رسول الله (صلى الله عليه وآله) بهجرته عهداً جديداً في تاريخ البشرية بشكل عامّ وفي تاريخ الرسالة الإسلامية بشكل خاص، وبدأت معالم الدولة تتوضّح ومظاهر قوة المسلمين تبدو للعيان، وفي الجانب الآخر لم تتوقّف قريش ومن والاها من المشركين ويهود المدينة الذين تظاهروا بالسلم وأسرّوا التخطيط للقضاء علىٰ الإسلام وأهله، وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يعالج الأُمور بحكمة ورويّة، ومن الطبيعي أن لا يقف النبيّ من مؤامرات أعداء الاسلام واعتداءاتهم المتواصلة موقف الضعيف المتخاذل، فأخذ يرسل السرايا ليهدّدهم بها ويطاردهم أحياناً أُخرىٰ.

ولما كان للمدينة موقع استراتيجي مهم في طرق التجارة والمواصلات في الجزيرة العربية؛ فقد أصبح المسلمون بعد تزايد عددهم قوّة ضغط لابدّ من وضعها في الحسبان.

ومنذ أن وطأت قدم عليّ (عليه السلام) مدينة الرسول(صلى الله عليه وآله)؛ بدأ العمل فيها في كلّ جوانب الحياة الجديدة وبحسب ما تتطلبه ظروف الرسالة الإسلامية بقيادة الرسول من بناء الدولة، ونشر الرسالة مندفعاً بما وهبه الله من قوّة وعزيمة لا توازيها قوّة وطاقة أُخرىٰ حول الرسول(صلى الله عليه وآله)، فكان الذراع القويّ التي يضرب بها رسول الله(صلى الله عليه وآله)، ونجد هذا واضحاً جليّاً في كلّ وقعة ومعركة دخل فيها عليّ (عليه السلام) وخرج مرفوع الرأس، وكان من طبيعة المعارك أنّها تتوقّف في العادة علىٰ الجولة الأُولىٰ، فمن يفوز فيها تحسم المعركة لصالحه، كما في معركة بدر[1] التي كانت

(١) يقال لها: معركة بدر العظمىٰ، وقعت في السنة الثانية للهجرة في السابع عشر من شهر رمضان، وقيل: في التاسع عشر منه.

عنواناً لبداية اُفول كلّ القوى العسكرية في الجزيرة وخصوصاً قريش، ومنطلقاً للانتصارات والفتوحات التي حقّقها المسلمون فيما بعد.

وروي أنّ عتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة خرجوا في ساحة معركة بدر ودعوا إلىٰ المبارزة، فخرج اليهم في البداية عوف ومُعَوِّذ ابنا عفراء وعبدالله بن رواحة وكلّهم من الأنصار، فقالوا لهم: من أنتم؟ قالوا: من الأنصار، فقالوا: أكفّاء كرام وما لنا بكم من حاجة، ليخرج الينا أكفاؤنا من قومنا.

فأمر النبيّ (صلى الله عليه وآله) عمّه حمزة وعبيدة بن الحارث وعليّاً بمبارزتهم، فدنا بعضهم من بعض فبارز عبيدة بن الحارث عتبة، وبارز حمزة شيبة، وبارز عليّ (عليه السلام) الوليد، فأمّا حمزة فلم يمهل شيبة أن قتله، وقتل عليٌ الوليد، واختلف عبيدة وعتبة بينهما بضربتين كلاهما قد أثبت صاحبه، وكرّ حمزة وعليّ علىٰ عتبة فقتلاه[1].

ثمّ نشبت المعركة بين طرفين غير متكافئين بحسب الموازين العسكرية: جبهة المسلمين ولا يتجاوز عددها ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، تقاتل عن إيمان وعقيدة، تدافع عن الحقّ وتدعو إليه، وجبهة قريش وعددها تسعمائة وخمسون رجلاً[2] تقاتل عن حميّة وعصبيّة جاهلية.

وهنا دخلت عناصر جديدة في الحرب منها: دعاء الرسول (صلى الله عليه وآله) وثباته وبسالة حمزة وقوّة عليّ (عليه السلام)، فغاص عليّ وحمزة وأبطال المسلمين في وسط قريش، ونسي كلّ واحد منهم نفسه وكثرة عدّوه، فتطايرت الرؤوس عن الأجساد،

---

(١) الإرشاد للمفيد ١: ٦٨ ـ ٦٩ (فصل في ذكر غزوة بدر وفضله عليه السلام)، رسائل السيد المرتضى ٤: ١١٩ ـ ١٢٠ و ١٢٤ (فصل في مقتل ابن عبد ود)، تاريخ الطبري ٢: ١٤٨ (ذكر حوادث السنة الثانية للهجرة)، الكامل في التاريخ ٢: ١٢٥ (ذكر حوادث السنة الثانية من الهجرة)، البداية والنهاية لابن كثير ٣: ٣٣٢ ـ ٣٣٣ (فصل في غزوة بدر الكبرىٰ).

(٢) راجع الكامل في التاريخ ٢: ١١٨ (ذكر حوادث السنة الثانية للهجرة).

وأمدّ الله المسلمين بالقوة والعزيمة والثبات، وأسر المسلمون كلّ من عجز عن الفرار حتىٰ بلغ عدد الأسرىٰ سبعين رجلاً، وعدد القتلىٰ اثنين وسبعين رجلاً.

وتنصّ الروايات(١) علىٰ أنّ علياً (عليه السلام) قتل العدد الأكبر منهم، فعلىٰ أقل التقادير أنّه (عليه السلام) قتل أربعة وعشرين، وشارك في قتل ثمانية وعشرين آخرين، ويبدو أنّ الذين قتلهم عليّ (عليه السلام) هم أبطال قريش وصناديدها.

وفي هذه المعركة المهمّة كان عليّ (عليه السلام) صاحب راية رسول الله (صلى الله عليه وآله) إضافة إلىٰ دوره المميّز الذي حسم المعركة لصالح المسلمين(٢).

وروي أنّ رجلاً من بني كنانة دخل علىٰ معاوية بن أبي سفيان فقال له: هل شهدت بدراً؟ قال: نعم، قال: فحدّثني ما رأيت وحضرت.

قال: ما كنّا شهوداً إلّا كغياب، وما رأينا ظفراً كان أوشك منه، قال: فصف لي ما رأيت.

قال: رأيت عليّ بن أبي طالب غلاماً شابّاً ليثاً عبقرياً يفري الفرىٰ، لا يثبت له أحد إلّا قتله، ولا يضرب شيئاً إلّا هتكه، ولم أر من الناس أحداً قطّ أنفق منه، يحمل حملته ويلتفت التفاتة كأنّه ثعلب روّاغ، وكأنَّ له عينين في قفاه، وكأنّ وثوبَه وثوبُ وحش(٣).

٢ ـ عليّ (عليه السلام) في غزوة اُحد:

لم تكن قريش لتنسىٰ هزيمتها الساحقة في معركة بدر ومقتل صناديدها

---

(١) الإرشاد للمفيد ١: ٦٩ (فصل في غزوة بدر)، بحار الأنوار ١٩: ٣٦٥، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٤: ٢١٢ (القول فيمن شهد بدراً).

(٢) العُدد القوية: ٢٤٧ / ح ٤٠، جواهر المطالب في مناقب عليّ أبي أبي طالب(عليه السلام) ١: ٢٣٤ (باب ٣٨)، الاستيعاب ٣: ١٠٩٦، ترجمة الإمام عليّ(عليه السلام) تحت رقم ١٨٥٥، الوافي بالوفيات ٢١: ١٧٨ ت ٤ حرف العين، تهذيب الكمال ٢٠: ٤٨٣ / رقم ٤٠٨٩.

(٣) حلية الأولياء ٩: ١٤٥ / ترجمة الشافعي تحت رقم ٤٥١.

ورجالها وكثير من أبطالها فعزمت على الثأر من المسلمين لتردّ اعتبارها الذي فقدته، ولم يمضِ سوىٰ عام حتىٰ استكملت قريش عدّتها، واجتمع إليها أحلافها من المشركين واليهود، وانضمّ إليهم كلّ حاقد وناقم علىٰ الدين الإسلامي، فاتّفقت كلمة الكفر، واتّحدت قوىٰ الباطل لمواجهة الحقّ، وخرج جيش الكفر باتّجاه المدينة وقد تجاوز عدده ثلاثة آلاف، وذلك في أوائل شوال من السنة الثالثة للهجرة.

وما أن وصل خبرهم إلىٰ مسامع النبيّ (صلى الله عليه وآله) حتىٰ جمع المسلمين واستشارهم في الموقف المناسب الذي يجب أن يتّخذوه، ثمّ خطب فيهم وحثّهم علىٰ القتال والصبر والثبات، ووعدهم بالنصر والأجر، وتجهّز للخروج بمن معه وكانوا ألفاً أو يزيدون، ودفع لواءه لعليّ بن أبي طالب (عليه السلام) ووزّع الرايات علىٰ وجوه المهاجرين والأنصار، وأبىٰ النفاق إلّا أن يأخذ دوره في إضعاف المسلمين، فرجع عبدالله ابن اُبيّ بمن تبعه في منتصف الطريق، وكان عددهم يناهز الثلاثمائة.

واستمرّ النبيّ (صلى الله عليه وآله) في مسيره قدماً حتىٰ بلغ اُحداً، فأعدّ أصحابه للقتال ووضع تخطيطاً سليماً محكماً للمعركة يضمن لهم النصر، حيث أمر خمسين رجلاً من الرماة أن يكونوا من وراء المسلمين إلىٰ جانب الجبل، وأكّد عليهم بأن يلزموا أماكنهم ولا يتركوها حتىٰ لو قُتل المسلمون جميعاً[1].

ووصلت قريش إلى «اُحد» وأعدّوا أنفسهم للقتال، فقسّموا الأدوار ووزّعوا

---

(١) راجع السيرة النبوية لابن هشام ٣: ٥٨١ ـ ٥٨٦ (ذكر حدث غزوة اُحد)، تاريخ الطبري ٢: ١٨٧ ـ ١٩٢ (حوادث السنة الثالثة للهجرة غزوة اُحد)، الكامل في التاريخ ٢: ١٥٠ ـ ١٥٢ (حوادث السنة الثالثة للهجرة غزوة اُحد)، البداية والنهاية لابن كثير ٤: ١١ ـ ١٧ (غزوة اُحد)، وقد أوردنا عنهم الخبر باختصار.
والذي قال بتسليم اللواء لعليّ(عليه السلام) هو ابن حبان في الثقات ١: ٢٢٤ ـ ٢٢٥ (غزوة اُحد) بعد أن ذكر تفصيل سماع النبيّ بخروج قريش، وخروجه(صلى الله عليه وآله) من المدينة.

المهام كما بدا لهم، وأعطوا لواءهم لبني عبدالدار، وأوّل من استلمه منهم طلحة بن أبي طلحة، ولمّا علم النبيّ بذلك أخذ اللواء من عليّ (عليه السلام) وسلّمه إلىٰ مصعب بن عمير وكان من بني عبدالدار، وبقي معه إلىٰ أن قُتل، وحينئذٍ ردّه النبيّ (صلى الله عليه وآله) إلىٰ عليّ (عليه السلام)[١].

وكانت معركة «أُحد» قد وقعت في شوال من العام الثالث من الهجرة.

وفي اللحظة التي كمل فيها التنظيم انطلقت شرارة المعركة عندما برز كبش الشرك وحامل رايتهم طلحة بن أبي طلحة الذي كان يُعدّ من شجعان قريش، يتقدّم نحو المسلمين رافعاً صوته متحدّياً لهم مستخفّاً بجمعهم قائلاً: يا معشر أصحاب محمد! إنّكم تزعمون أنّ الله يعجّلنا بسيوفكم إلىٰ النار ويعجّلكم بسيوفنا إلىٰ الجنّة؛ فهل أحد منكم يعجّله سيفي إلىٰ الجنّة أو يعجلني سيفه إلىٰ النار؟

فخرج إليه عليّ (عليه السلام) وبرزا بين الصفّين ورسول الله (صلى الله عليه وآله) جالس في عريش أُعدّ له يشرف علىٰ المعركة ويراقب سيرها، فضرب عليّ طلحة فقطع رجله وسقط علىٰ الأرض وسقطت الراية، فذهب عليّ ليُجهز عليه فكشف عورته وناشده الله والرحم، فتركه عليّ فكبّر رسول الله(صلى الله عليه وآله) وكبّر معه المسلمون فرحاً بنتيجة هذه الجولة[٢].

ثمّ تقدّم أخوه عثمان بن أبي طلحة فحمل الراية فحمل عليه حمزة بن عبدالمطلب فضربه فقتله، فحمل اللواء من بعده أخوهما أبو سعيد، فحمل عليه عليّ (عليه السلام) فقتله، ثمّ أخذ اللواء أرطاة بن شرحبيل فقتله عليّ، وهكذا تعاقب علىٰ حمل اللواء تسعة من بني عبدالدار قُتلوا بأجمعهم بسيف عليّ أو سيف حمزة،

---

(١) تاريخ الطبري: ١٩٩/٢ (ذكر حوادث السنة الثالثة من الهجرة).

(٢) تاريخ الطبري ٢: ١٩٤ (حوادث السنة الثالثة من الهجرة)، الكامل في التاريخ ٢: ١٥٢ (حوادث السنة الثالثة من الهجرة).

وكان آخر من حمل اللواء هو غلام لبني عبدالدار يُدعىٰ «صواب» فحمل عليه عليّ وقتله، وسقط اللواء من بعده في ساحة المعركة ولم يجرؤ أحد أن يحمله، فدبّ الرعب في قلوب المشركين، وانهارت معنوياتهم، وانكشف المشركون لا يلوون علىٰ شيء حتىٰ أحاط المسلمون بنسائهم، وبدت المعركة وكأنّها قد حُسمت لصالح المسلمين.

وهنا عصفت النازلة العظمىٰ بالمسلمين حيث ترك الرماة موقعهم فوق الجبل، وانحدروا يشاركون إخوتهم غنائم المعركة، ولم يثبت علىٰ الجبل إلّا عشرة رماة.

فنظر خالد بن الوليد ـ وكان علىٰ خيل المشركين ـ إلى موقع الرّماة فرأىٰ خلوّ الجبل منهم وعلم بقلّة الثابتين فصاح بخيله، وكرّ يحمل علىٰ الرماة وتبعه عكرمة فقتلوهم[1].

وهنا تغيّر ميزان القوىٰ ورجحت الكفّة لصالح المشركين، فاستطاعوا أن ينفذوا الى معسكر المسلمين ويشقّوا صفوفهم، وهناكانت المأساة التي لم يعرف المسلمون لها مثيلاً، فارتبك المسلمون وضاع صوابهم، فكانت هزيمة بعد نصر وانكساراً بعد انتصار، وتفرّق الناس كلّهم عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأسلموه إلىٰ أعدائه بعد أن استشهد عمّه حمزة ومصعب بن عمير، ولم يبق معه أحد إلّا عليّ ونفر قليل من المهاجرين والأنصار.

في هذه اللحظات الحاسمة والحرجة سجّل التأريخ موقف الصمود والفداء الذي وقفه عليّ (عليه السلام) من رسول الله(صلى الله عليه وآله)، حين وقف ليدافع عن النبيّ (صلى الله عليه وآله) بكلّ قوة وبسالة وكل همّته سلامة الرسول والرسالة، إذكان يحمل الراية بيد والسيف

(١) راجع تفسير القمي ١: ١١٢ ـ ١١٣ (غزوة أُحد في تفسير سوة آل عمران)، بحار الأنوار ٢٠: ٥٠ ـ ٥٢ / ح٣، تاريخ الطبري ٢: ١٩٤ ـ ١٩٧ (حوادث السنة الثالثة من الهجرة)، الكامل في التاريخ ٢٤: ١٥٢ ـ ١٥٤ (حوادث السنة الثالثة من الهجرة) وفيها إختصار وتفاوت في اللفظ.

بالأُخرىٰ يصدّ الكتائب ويردّ الهجمات عن الرسول، وكأنّه جيش بكامل عِـدَّته وعُدَّته، وكان الرسول(صلى الله عليه وآله). كلّما رأىٰ جماعة تهجم عليه قال لعليّ (عليه السلام): يا عليّ إحمل عليهم، فيحمل عليهم ويفرّقهم، فلم يزل عليّ يقاتل حتىٰ أثخنته جراحات عديدة في وجهه ورأسه وصدره وبطنه ويديه.

فأتىٰ جبرئيل (عليه السلام) النبيّ (صلى الله عليه وآله) فقال: إنّ هذه لهي المواساة، فقال رسول الله(صلى الله عليه وآله): إنّه منّي وأنا منه، فقال جبرئيل: وأنا منكما، فسمعوا صوتاً في السماء ينادي: لا سيف إلّا ذو الفقار ولا فتىٰ إلّا عليّ[1].

وهكذا استطاع أمير المؤمنين (عليه السلام) أن يحافظ علىٰ حياة الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله)، وأن يوصل نتيجة المعركة إلىٰ حالة من التوازن دون أن يحرز أحد الطرفين نصراً حاسماً.

٣ ـ عليّ(عليه السلام) بعد غزوة «اُحد»:

ولمّا انصرف أبو سفيان ومن معه؛ بعث رسول الله (صلى الله عليه وآله) عليّاً (عليه السلام) فقال: **أُخرج في آثار القوم وانظر ماذا يصنعون، فإن كانوا قد جنّبوا الخيل وامتطوا الإبل فإنّهم يريدون مكّة، وإن ركبوا الخيل وساقوا الإبل فهم يريدون المدينة.**

قال عليّ (عليه السلام): **«فخرجتُ في آثارهم فرأيتهم جنّبوا الخيل وامتطوا الإبل يريدون مكّة»**[2].

ولمّا رجع رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلىٰ أهله ناول سيفه ابنته فاطمة (عليها السلام) وقال:

---

(١) راجع الكافي ٨: ١١٠ / ح ٩٠، علل الشرائع ١: ٧، باب ٧، ح٣، بحار الأنوار ٢٠: ٧٠ ـ ٧١ / ح٧، تاريخ الطبري ٢: ١٩٧ (حوادث السنة الثالثة)، الكامل في التاريخ ٢: ١٥٤ (حوادث السنة الثالثة)، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٤: ٢٥٠ ـ ٢٥١ (ذكر غزوة أُحد).

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ٣: ٦٠٩، الكامل في التاريخ ٢: ١٦٠ (حوادث السنة الثالثة من الهجرة)، عيون الأثر ١: ٤٢٥ (ذكر غزوة أُحد).

«اغسلي عن هذا دمه يابنية»، وناولها عليّ (عليه السلام) سيفه وقد خضّب الدم يده إلىٰ كتفه، فقال لها رسول الله (صلى الله عليه وآله): **«خذيه يافاطمة فقد أدّىٰ بعلك ما عليه، وقد قتل الله بسيفه صناديد قريش»**[1].

كانت معركة أُحد قاسية نتيجتها، شديدة وطأتها، باهضة ومكلّفة خسارتها. ورغم مرارة المعركة نلمح فيها ومضات ساطعة من مواقف عليّ (عليه السلام)، فقد امتاز بأُمور دون أن يشاركه فيها أحد:

١ ـ إنّه كان صاحب راية رسول الله (صلى الله عليه وآله) والتي لم تسقط إلىٰ الأرض رغم فرار أغلب المسلمين.

٢ ـ لقد قتل بنفسه أصحاب راية المشركين الذين تصدّوا لحملها، وقد أظهر بذلك حنكة عسكرية وشجاعة فذّة، وأحدث بذلك شرخاً كبيراً في صفوف المشركين كان سبباً في هزيمتهم في أوّل المعركة.

٣ ـ لقد ثبت مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) ولم يفرّ بعدما فرّ عنه الناس وهذا يدلّ علىٰ إيمانه المطلق بالرسول وبالرسالة وبحقانية المعركة وهو خير دليل علىٰ عمق العقيدة ورسوخها في نفسه (عليه السلام).

٤ ـ لقد كان هو المحامي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) والدافع عنه كتائب المشركين الذين قصدوا النبي (صلى الله عليه وآله) لقتله، فكان عليّ(عليه السلام) يمثّل الدرع الواقي لرسول الله عن كل مكروه، وهذا دليل على عظيم حبّه للرسول وتفانيه فيه وحرصه علىٰ سلامته.

٥ ـ إنّ أكثر المقتولين من المشركين يومئذٍ كانوا قتلاه[2]، وهذا يدلّ علىٰ قابلياته القتالية العالية وقوّته وشجاعته (عليه السلام).

---

(١) الإرشاد للمفيد ١: ٨٩ ـ ٩٠ (ذكر شجاعته الفائقة)، كشف الغمة ١: ١٩٥ (ذكر غزوة أُحد)، بحار الأنوار ٢٠: ٨٨.

(٢) الإرشاد : ٨٢، الفصل ٢٣ الباب ٢.

٦ ـ انّ الأخلاق والقيم العالية التي عكسها في المعركة أصبحت مثلاً يُضرب حيث ترك الإجهاز على طلحة بن أبي طلحة عندما كشف عن عورته فتركه(عليه السلام) حياء وتكرّماً.

٧ ـ إنّه (عليه السلام) كان قريباً من رسول الله (صلى الله عليه وآله) ملازماً له أشد الملازمة حيث كان الرسول يوجّهه ليردّ المهاجمين، وهو الذي أخذ بيد النبي (صلى الله عليه وآله) لمّا سقط في إحدىٰ الحفر التي كان قد حفرها أبو عامر الراهب في ساحة المعركة ليقع فيها المسلمون[١].

كما إنّه هو الذي حمل الماء بدرقته إلىٰ النبيّ (صلى الله عليه وآله) ليغسل الدم والتراب عن وجهه ورأسه.

٨ ـ ورغم الجراحات التي تعرّض لها عليّ (عليه السلام) والجهد الذي بذله؛ فقد أرسله النبيّ (صلى الله عليه وآله) بعد انصراف قريش عن المعركة ليستطلع أخبارهم، وهذا يدلّ علىٰ ثقة الرسول بقدرة عليّ الفائقة ودقّة ضبطه للمعلومات وحنكته في معالجة الأُمور المستعصية[٢].

٤ ـ عليّ (عليه السلام) في غزوة الخندق :

لقد فشلت قريش في القضاء علىٰ المسلمين وأدركت ذلك بوضوح، ولكنّها مع ذلك أخذت تتهيّأ مرةً أُخرىٰ لتوجيه الضربة القاضية للمسلمين، وذلك بالتحالف مع القبائل الأُخرىٰ والاستعانة باليهود أيضاً، حتى بلغ عدد جيش

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٣: ٥٩٨ (ذكر ما لقي سول الله(صلى الله عليه وآله) يوم أُحد)، عيون الأثر لابن سيّد الناس ١: ٤١٨ (ذكر غزوة أُحد)، السيرة النبوية لابن كثير ٣: ٤٦ (غزوة أُحد).

(٢) هذه الامتيازات لعليّ (عليه السلام) في غزوة أُحد قد ذكرها العلّامة السيد محسن الأمين في أعيان الشيعة: ١ / ٣٩٠ فراجع.

الأحزاب عشرة آلاف مقاتل يقودهم أبو سفيان[١]، وازداد غيظ وحقد المشركين حين واجهوا الخندق فرأوا الأُسلوب الدفاعي الجديد الّذي اتّخذه الرسول(صلى الله عليه وآله)، وكان ذلك بعد أن استشار أصحابه فأشار عليه سلمان الفارسي رضي الله عنه بحفر الخندق، غير أنّ الاندفاع والحماس والغرور بالعدّة والعدد كان قويّاً في نفوس الأحزاب المجتمعة لقتال المسلمين والقضاء على الإسلام نهائياً.

وتمكّن بعض فرسان قريش من عبور الخندق من مكان ضيّق فيه، فأصبحوا هم والمسلمون علىٰ صعيد واحد، فازداد المسلمون خوفاً علىٰ خوفهم وخرج عليّ ابن أبي طالب في نفر من المسلمين حتىٰ أخذ عليهم الثغرة التي أقحموا منها خيلهم.

فوقف عمرو بن عبد ودّ يطلب المبارزة ويتحدّىٰ المسلمين، وهدأت أصوات المسلمين أمام صيحاته وكأنّ علىٰ رؤوسهم الطير، كلّ يفكر في نفسه ويحسب لهذا الفارس ألف حساب.

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): **هل يبارزه أحد ؟** فبرز إليه عليّ (عليه السلام) فقال: أنا له يارسول الله، فأجلسه النبيّ، وللمرّة الثانية والثالثة طالب عمرو المبارزة فلم يكن يجيبه إلّا عليّ (عليه السلام) وفي كلّ مرّة كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يطلب منه الجلوس[٢] ثم أذن النبيّ لعليّ بعد أن عمّمه بعمامته وقلّده بسيفه وألبسه درعه، ثمّ رفع يديه وقال: «**اللّهم إنّك أخذت عبيدة يوم بدر وحمزة يوم أُحد وهذا عليّ أخي وابن عمّي فلا تذرني فرداً وأنت**

(١) تفسير القمي ٢: ١٧٦ (في تفسير سورة الأحزاب)، الطبقات الكبرى ٢: ٦٦ (ذكر غزوة الخندق)، تاريخ الطبري ٢: ٢٣٦ (ذكر حوادث السنة الخامسة للهجرة).

(٢) الإرشاد للمفيد ١: ١٠٠ (ذكر مبارزته عليه السلام عمرو بن عبد ود)، تفسير مجمع البيان ٨: ١٣١ ـ ١٣٢ (تفسير سورة الأحزاب)، بحار الأنوار ٤١: ٨٩، المناقب للخوارزمي: ١٦٩ ح٢٠٢، البداية والنهاية لابن كثير ٤: ١٢١ (غزوة الخندق)، السيرة الحلبية ٢: ٦٤١ (غزوة الخندق).

خير الوارثين»[١].

وبرز عليّ (عليه السلام) إلىٰ ساحة المعركة بعد أن قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «**برز الإيمان كلّه إلىٰ الشرك كلّه**»[٢].

وانحدر عليّ (عليه السلام) نحو عمرو والثقة بنصر الله تملأ قلبه، أمّا عمرو فقد كان لقاؤه مع عليّ مفاجأة له، وفي هذا الموقف تردّد عمرو في مبارزة عليّ (عليه السلام) فقال له: يا عمرو، إنّك كنت في الجاهلية تقول: لا يدعوني أحد إلىٰ ثلاثة إلّا قبلتها أو واحدة منها، قال: أجل.

قال عليّ (عليه السلام): **فإنّي أدعوك إلىٰ شهادة أن لا إله إلّا الله وأنّ محمداً رسول الله وأن تسلم لربّ العالمين،** قال: أخّر عني هذه، قال علي (عليه السلام): **أما إنّها خير لك لو أخذتها، ثمّ** قال: **ترجع من حيث جئت،** قال: لا تتحدّث نساء قريش بهذا أبداً، قال عليّ (عليه السلام): **تنزل تقاتلني.**

فغضب عمرو عند ذلك ونزل عن فرسه وعقرها، ثمّ أقبل علىٰ عليّ (عليه السلام) فتقاتلا، وضربه عمرو بسيفه فاتّقاه عليّ بدرقته، فأثبت فيها السيف وأصاب رأسه، ثمّ ضربه عليّ علىٰ عاتقه فسقط إلىٰ الأرض يخور بدمه، وعندها كبّر عليّ(عليه السلام) وكبّر المسلمون خلفه، وانجلت الواقعة عن مصرع عمرو، وفرّ أصحابه من هول ما شاهدوه، فلحق بهم عليّ فسقط نوفل بن عبدالله في الخندق فنزل إليه علي فقتله[٣].

---

(١) السيرة الحلبية ٢: ٦٤١ ـ ٦٤٢ (غزوة الخندق).

(٢) الطرائف للسيد ابن طاووس: ٣٥ / ح٢٢ وص٦٠ / ح٥٧، بحار الأنوار ٢٠: ٢١٥ / ح٢، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٣: ٢٦١ و ٢٨٥ (القول في إسلام أبي بكر) وج١٩: ٦١ (مثل من شجاعة الإمام عليّ عليه السلام). ورواه الميلاني في قادتنا: ١٠٨/٢، عن الدميري في حياة الحيوان: ٢٤٨/١، وعن الفضل بن روزبهان: إنّه حديث صحيح لا ينكره إلّا سقيم الرأي ضعيف الإيمان ولكنه ليس نصّاً في الإمامة.

(٣) شرح الأخبار للنعماني ١: ٣٢٣ ـ ٣٣٤ / ح٢٩٣، المناقب لابن شهر آشوب ٣: ١٦٢ (في قتاله عليه السلام يوم الأحزاب)، بحار الأنوار ٣٩: ٦، المستدرك للحاكم النيسابوري ٣: ٣٢ ـ ٣٣ (ذكر مبارزته عليه السلام لعمرو بن ←

وتلقّت الأحزاب هذه الضربة القاسية بدهشة واستغراب، لأنّها لم تكن تتوقّع أنّ أحداً يجرؤ علىٰ قتل عمرو بن عبدودّ، فدبّ الخوف في نفوسهم ولم يجسر أحد منهم علىٰ تكرار المحاولة إلّا أنّهم بقوا محاصرين للمدينة فترة من الزمن حتىٰ أذن الله بهزيمتهم حين استخدم رسول الله (ﷺ) أُسلوباً آخر لمحاربتهم.

وامتاز عليّ (عليه السلام) علىٰ جميع من حضروا غزوة الخندق بأُمور هي:

١ ـ مبادرته لحماية الثغرة التي عبر منها عمرو وأصحابه، والتي تدلّ علىٰ الحزم والإقدام في مواجهة الطوارئ في ساحة المعركة.

٢ ـ مبارزته عَمْراً وقتله، وقد تردَّدَ المسلمون وجبنوا في مبارزته فلم يخرج إليه أحد، وقد أشاد رسول الله (ﷺ) بموقف عليّ فقال: «**لمبارزة عليّ بن أبي طالب لعمرو بن عبدودّ يوم الخندق أفضل من عمل أُمّتي إلىٰ يوم القيامة**»[1].

٣ ـ الشجاعة والقوّة الفائقة التي ظهرت منه (عليه السلام) طوال المعركة تمثلت واضحة حينما لحق المنهزمين الذين عبروا مع عمرو بن عبدود، وهو راجل وهم فرسان.

٤ ـ الأخلاق العالية التي تميّز بها (عليه السلام) في أحرج اللحظات، مظهراً فيها عظمة الرسالة والرسول، منها: أنه لم يسلب عَمْراً درعه مع أنّها من الدروع الممتازة بين دروع العرب.

٥ ـ إنّ قتله (عليه السلام) عَمْراً ونوفلاً ولحوقه بالمنهزمين كان سبباً في إعادة الثقة للمسلمين بنفوسهم بعدما رأوا الجمع الكبير لقريش وأحلافها، وأيضاً كان سبباً لهزيمة المشركين مع ما أصابهم من الريح والبرد وسَبَّب خوفهم من أن

ـــ عبد ود)، تاريخ مدينة دمشق ٤٢: ٧٨ (ترجمة علي عليه السلام تحت رقم ٤٩٣٣)، الفصول المهمة لابن الصباغ: ٥٨ (فصل في شجاعته عليه السلام قصة الأحزاب) وفيها اختلاف وتفاوت يسير باللفظ.

(١) المناقب لابن شهر آشوب ٣: ١٦٣ (فصل في قتاله عليه السلام يوم الأحزاب)، إقبال الأعمال للسيد ابن طاووس ٢: ٢٦٧، باب ٤ فصل ٨، بحار الأنوار ٣٩: ٢، تاريخ بغداد ١٣: ١٩ (ترجمة لؤلؤ القيصري تحت رقم ٦٩٧٨)، المناقب للخوارزمي: ١٠٧ / ح١١٢، تفسير الرازي ٣٢: ٣١ (في تفسير سورة القدر).

يعاودوا الغزو.

٦ ـ الشرف الرفيع الذي ناله عليّ (عليه السلام) بشهادة الرسول حين قال (صلى الله عليه وآله) عند مبارزة عليّ (عليه السلام): «**برز الإيمان كلّه إلى الشرك كلّه**»[١].

٥ ـ عليّ (عليه السلام) في صلح الحديبية* :

بعد الأحداث المؤلمة والمعارك الدامية التي خاضها النبيّ (صلى الله عليه وآله) والمسلمون مع قريش واليهود؛ تمكّنت الرسالة الإسلاميّة أن تخطو خطوات بعيدة المدىٰ وتحقّق من خلالها للمسلمين كياناً واضحاً ووجوداً مستقلاً وقوة ومهابة كان لابدّ من الاعتناء بها في شتىٰ الميادين.

وكان المسلمون يطيرون شوقاً لزيارة الكعبة المعظّمة ويتذكّرونها كلّما وقفوا في صلاتهم متّجهين نحوها. في هذا الوقت من عمر الرسالة الإسلامية عزم النبيّ (صلى الله عليه وآله) على أداء فريضة من فرائض الإسلام بأمر من الله، فقرّر الحجّ واتّخذ كلّ الإجراءات والتدابير اللازمة لمثل هذه الخطوة حتّىٰ أعلن (صلى الله عليه وآله) مراراً أنّه لا يريد الحرب ضد قريش أو غيرها.

ولمّا علمت قريش بالخبر، اجتمعت كلمتهم علىٰ منعه (صلى الله عليه وآله) من دخول مكّة مهما كلّفهم ذلك من جهد وخسائر، وأرسلوا خالد بن الوليد علىٰ رأس جماعة من الفرسان ليقطع عليه الطريق.

وحين نزل النبيّ (صلى الله عليه وآله) والمسلمون منطقة «الجحفة»؛ كان الماء قد نفد لديهم ولم يجدوا ماءً، فأرسل (صلى الله عليه وآله) الروايا فلم يتمكّنوا من جلب الماء لتردّدهم وخوفهم من قريش، عندها دعا النبيّ (صلى الله عليه وآله) عليّاً (عليه السلام) وأرسله بالروايا لجلب

---

(١) الطرائف للسيد ابن طاووس: ٣٥ / ح ٢٢ وص ٦٠، ح ٥٧، بحار الأنوار ٢: ٢١٥ / ح ٢، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣: ٢٦١ و ٢٨٥ (القول في إسلام أبي بكر) وج ١٩: ٦١ (مثل من شجاعته عليّ عليه السلام).

(*) كان خروج النبي لأداء العمرة في مطلع ذي القعدة من السنة السادسة للهجرة المباركة.

الماء، وخرج السقاة وهم لا يشكّون في رجوعه لمّا رأوا من رجوع من تـقدّمه، فخرج عليٌّ (عليه السلام) حتىٰ وصل «الحرار» واستقىٰ، ثمّ أقبل بها إلىٰ النبيّ (صلى الله عليه وآله) ولها زَجَل، فلمّا دخل كبّر النبيّ (صلى الله عليه وآله) ودعا له بالخير[١].

ثم إن قريشاً اضطرّت النبيّ أن يعدل عن الطريق المؤدّي إلىٰ مكّة، وانحرف به رجلٌ من «أسلم» إلىٰ طريق وعرة المسالك خرجوا منها إلى ثنية المراد، فهبط الحديبيّة، وحاولت قريش أكثر من مرّة التحرّش بالمسلمين ومهاجمتهم بقيادة خالد بن الوليد، لكنّ عليّاً (عليه السلام) وجماعة من المسلمين الأشدّاء كانوا يصدّون تلك الغارات ويفوّتون الفرصة علىٰ قريش في جميع محاولاتها العدوانية[٢].

واضطرّت قريش أن تفاوض النبيّ (صلى الله عليه وآله) بعدما رأت العزيمة والإصرار منه ومن المسلمين علىٰ دخول مكّة، فأرسلت إليه مندوبين عـنها للـتفاوض، وكـان آخرهم سهيل بن عمرو وحويطب من بني عبدالعزّىٰ. ويبدو أنّ المفاوضات لم تنحصر بخصوص قضيّة الدخول إلىٰ مكّة في ذلك العام[٣] بل تناولت أُموراً أُخرىٰ لصالح الطرفين.

فقد روي أنّ عليّاً (عليه السلام) قال: لمّا كان يوم الحـديبيّة؛ خـرج إلـينا نـاس مـن المشركين فقالوا لرسول الله (صلى الله عليه وآله): يا محمّد! خرج إليك أُناس من أبنائنا وإخواننا وأرقّائنا وليس لهم فقه في الدين، وإنّما خرجوا فراراً من أموالنا وضياعنا فارددهم إلينا، فقال: إذا لم يكن لهم فقه في الدين كما تزعمون سنفقّههم فيه، وأضاف إلىٰ ذلك: يا معشر قريش! لتنتهنّ أو ليبعثنّ الله عليكم من يضرب رقابكم بالسيف قد امتحن الله قلبه بالإيمان، فقال له أبو بكر وعمر والمشركون: من هو ذلك الرجل

---

(١) الإرشاد للمفيد ١: ١٢١ (فصل صلح الحديبية)، الدر النظيم للعاملي: ١٧٢ ـ ١٧٣ (غزوة الحديبية)، بحار الأنوار ٢٠: ٣٦٠، الإصابة لابن حجر ٥: ٢٦٩ (ترجمة قائد مولىٰ عبدالله بن سلام تحت رقم ٦٩٧٢).

(٢) سيرة الأئمّة الاثني عشر للحسني: ١ / ٢١٧ عن ابن إسحاق.

(٣) راجع إرشاد المفيد ١: ١١٩ (فصل في غزوة الحـديبية)، تـاريخ الطـبري ٢: ٢٧٦ ـ ٢٧٧ (حـوادث السـنة السادسة للهجرة غزوة الحديبية).

يارسول الله، فقال (صلى الله عليه وآله): هو خاصف النعل، وكان قد أعطىٰ نعله لعليّ (عليه السلام) يخصفها[1].

وبعد أن تمّ الاتّفاق بين الطرفين علىٰ بنود الصلح؛ دعا رسول الله (صلى الله عليه وآله) عليّ ابن أبي طالب فقال له: **أُكتب يا عليّ، «بسم الله الرحمن الرحيم»**، فقال سهيل: أمّا الرحمن فوالله ما أدري ماهو لكن اكتب باسمك اللّهمّ، فقال المسلمون: والله لانكتبها إلّا بسم الله الرحمن الرحيم، فقال النبيّ (صلى الله عليه وآله): **أُكتب باسمك اللّهمّ، هذا ماقاضىٰ عليه محمّد رسول الله**، فقال سهيل: لو كنّا نعلم أنّك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك، ولكن اكتب محمّد بن عبدالله، فقال النبيّ (صلى الله عليه وآله): **إنّي لرسول الله وإن كذّبتموني**، ثمّ قال لعليّ (عليه السلام): **امح رسول الله**، فقال (عليه السلام): **يارسول الله، إنّ يدي لا تنطلق لمحو اسمك من النبوّة**، فأخذه رسول الله فمحاه، ثمّ قال له: **أما إنّ لك مثلها وستأتيها وأنت مضطرّ لذلك**[2].

٦ ـ عليّ (عليه السلام) في غزوة خيبر* :

لمّا تم عقد صلح الحديبية إطمأنّ النبيّ الأعظم(صلى الله عليه وآله) علىٰ مستقبل الرسالة الإسلاميّة من ناحية مداهمة قريش وباقي أطراف عرب الجزيرة الذين كانوا باقين علىٰ شركهم، لأنّ بنود الصلح كانت تتّجه لصالح المسلمين، يضاف إلىٰ ذلك

---

(١) كشف الغمة ١: ٣٤٣ (ذكر أحاديث ما ورد في مدحه (عليه السلام) خاصف النعل)، ذخائر العقبىٰ: ٧٦ (ذكر تهديد النبي(صلى الله عليه وآله) لقريش يوم الحديبية ببعثه (عليه السلام))، بحار الأنوا ٢٠: ٣٤٤ ـ ٣٤٥، سنن الترمذي ٥: ٣٩٧ ـ ٣٩٨، (باب مناقب الإمام عليّ (عليه السلام)، ح٣٧٩٩)، أُسد الغابة: ٢٦ (ترجمة عليّ بن أبي طالب (عليه السلام))، العمدة لابن البطريق: ٢٢٤ ـ ٢٢٨ / فصل ٢٨، ح٣٥٣ ـ ٣٥٧ أحاديث خاصف النعل.

(٢) الإرشاد للمفيد ١: ١١٩ ـ ١٢٠ (فصل في صلح الحديبية)، إعلام الورىٰ ١: ٣٧١ ـ ٣٧٢ (نبذة من خصائصه (عليه السلام))، تاريخ الطبري: ٢٨١ ـ ٢٨٢ (حوادث السنة السادسة للهجرة غزوة الحديبية)، الكامل في التاريخ ٢: ٢٠٤ (حوادث السنة السادسة للهجرة ذكر عمرة الحديبية).

(*) خيبر: مدينة كبيرة ذات حصون ومزارع ونخل كثير، تقع خارج المدينة علىٰ بعد حوالي (٩٠) ميلاً، وقعت الغزوة في بداية محرّم من العام السابع للهجرة.

تنامي قوّة المسلمين ـ عِدّة وعُدّة ـ فقد أقبل علىٰ الإسلام خلق كثير، والعرب أدركوا أنّ قريشاً علىٰ عتوّها وطغيانها وقوّتها قد انكسرت شوكتها وفشلت خططها في القضاء علىٰ الإسلام بالقوّة، ولذاكان التوقيع علىٰ عقد الصلح إستسلاماً من قريش الى الدولة الإسلامية الجديدة.

وبقيت قوّة اُخرىٰ تثير الشغب وترصد فرص الغدر، تلك هي جموع اليهود الذين كانوا خارج المدينة، فكان النبيّ (صلى الله عليه وآله) يراقبهم خشية أن يتآمروا عليه بدعم خارجي، وخيانات اليهود ونقض العهود منهم قد تكررت في السنين الخمس الأخيرة، لذا قرّر النبيّ (صلى الله عليه وآله) غزو «خيبر» التي أصبحت معقل اليهود وحصنهم. فأمر(صلى الله عليه وآله) أصحابه أن يتجهّزوا للغزو بأسرع وقت، فتمّ ذلك فخرج من المدينة وأعطىٰ الراية لعليّ (عليه السلام) ومضىٰ يجدّ السير باتّجاه خيبر، فوصل اليهم ليلاً ولم يعلم به أهلها، فخرجوا عند الصباح، فلمّا رأوه عادوا وامتنعوا في حصونهم، فحاصرهم النبيّ وضيّق عليهم ونشبت معارك ضارية بين الطرفين حول الحصون، وتمكّن النبيّ(صلى الله عليه وآله) من فتح بعض حصونهم، واستمرّ الحصار والقتال بضعاً وعشرين يوماً، وبقيت بعض الحصون المنيعة، فبعث النبيّ (صلى الله عليه وآله) برايته أبا بكر فرجع ولم يصنع شيئاً، وفي اليوم الثاني بعث بها عمر بن الخطاب فرجع خائباً كصاحبه يجبّن أصحابه ويجبّنه أصحابه، وهنا عزَّ علىٰ رسول الله (صلى الله عليه وآله) أن يعقد بيده لواءً فيرجع خائباً، أو يوجّه أحداً إلى جهة فيرتدّ منهزماً، فأعلن (صلى الله عليه وآله) كلمة خالدة تتضمّن معان عميقة، فقال بصوت رفيع يسمعه أكثر المسلمين: «**لأعطينّ الراية غداً رجلاً يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله، كرّاراً غير فرّار يفتح الله عليه، جبرئيل عن يمينه وميكائيل عن شماله**»[1].

---

(١) قد تواترت طرق حديث الراية من مذاهب المسلمين كافة بتفاوت يسير باللفظ واختصار من هذه المصادر التي أوردت هذا الحديث اُنظر:

←

فاشرأبّت الأعناق وامتدّت وتمنّىٰ كلّ واحد أن يكون مصداق ذلك، حتىٰ أنّ عمر بن الخطاب قال: ما أحببت الإمارة إلّا يومئذٍ، وتمنّيت أن أُعطىٰ الراية[1].

فلمّا طلع الفجر، قام النبيّ (صلى الله عليه وآله) فدعا باللواء والناس علىٰ مصافّهم، ثمّ دعا عليّاً (عليه السلام)، فقيل: يارسول الله! هو أرمد، قال: فأرسلوا له، فذهب إليه سلمة ابن الأكوع وأخذ بيده يقوده حتىٰ أتىٰ به النبيّ (صلى الله عليه وآله) وقد عصّب عينيه، فوضع النبيّ رأس عليّ في حجره، ثمّ بلّ يده من ريقه ومسح بها عيني عليّ فبرأتا حتىٰ كأن لم يكن بهما وجع، ثمّ دعا النبيّ لعليّ بقوله: **اللّهمّ إكفه الحرّ والبرد**[2].

ثمّ ألبسه درعه الحديد وشدَّ ذا الفقار الّذي هو سيفه (صلى الله عليه وآله) في وسطه وأعطاه الراية ووجّهه نحو الحصن، فقال (صلى الله عليه وآله): «**أنفذ علىٰ رسلك حتىٰ تنزل بساحتهم، ثمّ ادعهم إلىٰ الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حقّ الله تعالىٰ فيه، فوالّذي نفسي بيده، لَئِن يهدي بهداك ـ أو لَئِن يهدي الله بهداك ـ رجلاً واحداً خير من أن يكون لك حمر النعم**»[3].

قال سلمة: فخرج والله يهرول هرولةً وإنّا لخلفه نتّبع أثره حتّى ركز رايته في

ـــ أمالي الصدوق: ٦٠٤ / ح٨٣٩، الإرشاد للمفيد ١: ١٢٦ (فصل في ما جاء عن شجاعة عليّ عليه السلام)، الخرائج والجرائح ١: ١٥٩ / ح٢٤٩، الطرائف لابن طاووس: ٥٨ / ح٥٣، بحار الأنوار ٣٩: ٩ ـ ١٠، مسند أحمد بن حنبل ١: ٩٩ (ما أسند عن عليّ عليه السلام) و١٨٥ (ما أسند عن سعد بن أبي وقاص)، وج٤: ٥٢ (ما أسند عن ابن الأكوع)، صحيح مسلم ٥: ١٩٥ (كتاب الجهاد والسير، باب قوله تعالى: ﴿**وهو الّذي كَفَّ أيديكم**﴾)، وج٧: ١٢٠ (كتاب الفضائل، باب من فضائل علي عليه السلام)، سنن ابن ماجه ١: ٤٣ / ح١١٧، سنن الترمذي ٥: ٣٠٢، باب ٨٧، ح٣٨٠٧، المستدرك للحاكم النيسابوري ٤: ١٠٩ (ذكر بعض فضائل علي عليه السلام)، الإصابة لابن حجر ٤: ٤٦٨ (ترجمة عليّ عليه السلام رقم ٥٧٠٤) وجلّ مصادر المسلمين ذكرت الحديث.

(١) صحيح مسلم ٧: ١٢١ (كتاب الفضائل، باب من فضائل عليّ عليه السلام)، تاريخ مدينة دمشق ٤٢: ٨٣ و٨٤ (ترجمة عليّ عليه السلام رقم ٤٩٣٣).

(٢) مناقب الإمام أميرالمؤمنين (عليه السلام) للكوفي ٢: ١٥ / ح٥٠٣، الإرشاد للمفيد ١: ١٢٦ (فصل في غزوة خيبر)، المناقب لابن شهرآشوب ٢: ٣٣٦ ـ ٣٣٧ (فصل في معجزاته في نفسه عليه السلام)، بحار الأنوار ٢١: ٥، إمتاع الأسماع ١١: ٢٧٩، السيرة الحلبية ٢: ٧٣٥ (ذكر غزوة خيبر حوادث السنة السابعة للهجرة).

(٣) الطرائف لابن طاووس: ٥٦ / ح٥٢، ذخائر العقبى: ٧٣ (ذكر انه لم ترمد عيناه عليه السلام)، مسند أحمد ٥: ٣٣٣ (حديث أبي مالك سهل بن سعد)، صحيح البخاري ٥: ٧٧ (كتاب المغازي، باب غزوة خيبر)، صحيح مسلم ٧: ١٢٢ (كتاب الفضائل، باب فضائل عليّ عليه السلام).

رخم من حجارة تحت الحصن، فأطلع إليه يهوديّ من رأس الحصن، فقال: مـن أنت؟ قال: «**أنا عليّ بن أبي طالب**».

قال: قال اليهودي لأصحابه: غلبتم، وما أُنزل علىٰ موسىٰ(١).

ثمّ خرج إليه أهل الحصن، وكان أوّل من خرج إليه الحارث أخو «مرحب» وكان معروفاً بالشجاعة، فانكشف المسلمون ووثب عليّ (عليه السلام)، فتضاربا وتقاتلا فقتله عليّ (عليه السلام) وانهزم اليهود إلىٰ الحصن، ثمّ خرج مرحب وقد لبس درعـين وتقلّد بسيفين واعتمّ بعمامتين ومعه رمح لسانه ثلاثة أسنانٍ.

فاختلف هو وعليّ بضربتين، فضربه عليٌّ بسيفه فقدّ الحجر الذي كان قد ثقبه ووضعه علىٰ رأسه، وقدّ المغفر، وشقّ رأسه نصفين حتىٰ وصل السيف أضراسه، ولمّا أبصر اليهود ماحلّ بفارسهم «مرحب»؛ ولّوا منهزمين إلىٰ داخـل الحـصن وأغلقوا بابه.

فصار عليّ (عليه السلام) إليه فعالجه حتىٰ فتحه، وأكثر الناس من جانب الخندق ـ الّذي حول الحصن ـ لم يعبروا معه (عليه السلام) فأخذ باب الحصن فقلعه وجعله علىٰ الخندق جسراً لهم حتىٰ عبروا وظفروا بالحصن ونالوا الغنائم(٢).

وروي: أنّه اجتمع عدّة رجال علىٰ أن يحرّكوا الباب فما استطاعوا.

---

(١) المناقب لابن شهر آشوب ٣: ١٥٣ (فصل في غزوة خيبر)، الطرائف لابن طاووس: ٥٧ / ح٥٣، بحار الأنوار ٣٩: ٣، السيرة النبوية لابن هشام ٣: ٧٩٨ (ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله يعطي الراية يوم خيبر لعليّ عليه السلام)، تاريخ مدينة دمشق ٤٢: ٨٩ و٩٠ و٩١ (ترجمة عليّ عليه السلام رقم ٤٩٣٣)، البداية والنهاية لابن كثير ٧: ٣٧٣ (شيء من فضائل أمير المؤمنين عليّ عليه السلام)، إمتاع الأسماع ١١: ٢٨٩، السيرة الحلبية ٢: ٧٣٧ (ذكر غزوة خيبر حوادث السنة السابعة للهجرة).

(٢) إمتاع الأسماع ١٣: ٣٣٣ (ما صنعه الله بيهود خيبر)، سبل الهدىٰ والرشاد ٥: ١٢٥ ـ ١٢٧ (ذكر من قتله عليّ عليه السلام يوم خيبر)، السيرة الحلبية ٢: ٧٣٧ ـ ٧٣٨ (ذكر غزوة خبير السنة السابعة).
وقد ذكر المؤرخون غزوة خيبر ودور الإمام عليّ(عليه السلام) بطرق عديدة وألفاظ متفاوتة. منهم: الطبري في تاريخه ٢: ٣٠٠ ـ ٣٠١ (حوادث السنة السابعة غزوة خيبر)، تاريخ مدينة دمشق ٤٢: ٩٣ ـ ٩٣ (ترجمة عليّ عليه السلام رقم ٤٩٣٣)، الكامل في التايخ ٢: ٢١٦ (حوادث السنة السابعة للهجرة غزوة خيبر) إلى غير ذلك من مصادر التاريخ.

قال ابن عمرو: ما عجبنا من فتح الله خيبر علىٰ يدي عليّ (عليه السلام) ولكنّا عجبنا من قلعه الباب ورميه خلفه أربعين ذراعاً، ولقد تكلّف حمله أربعون رجلاً فما أطاقوه، فأخبر النبيّ (صلى الله عليه وآله) بذلك فقال: «**والذي نفسي بيده لقد أعانه عليه أربعون ملكاً**».

وروي أنّ أمير المؤمنين (عليه السلام) قال في رسالته إلىٰ سهل بن حنيف: «**والله ما قلعت باب خيبر ورميت به خلف ظهري أربعين ذراعاً بقوّة جسدية ولا حركة غذائية، لكّني أُيّدت بقوّة ملكوتية ونفس بنور ربّها مضيئة، وأنا من أحمد كالضوء من الضوء**»[1].

٧ ـ عليّ (عليه السلام) في فتح مكّة*:

ساد الهدوء والسلم على الأجواء المحيطة بقريش والمسلمين، والتزم رسول الله (صلى الله عليه وآله) بكامل بنود الحديبية، غير أنّ قريشاً كانت تنوي نقض المعاهدة، وقد تصوّرت أن ضعفاً أصاب المسلمين بعد انسحابهم من معركة «مؤتة» منهزمين، فأدّىٰ استخفافها بالمسلمين إلىٰ التآمر علىٰ أحلاف النبيّ (صلى الله عليه وآله) من خزاعة، فحرّضت بعض أحلافها من بني بكر، فوقعت بينهما مناوشات فتغلّب بنو بكر بمعونة قريش على خزاعة، وبهذا فقد نقضت قريش المعاهدة وأعلنت الحرب على المسلمين.

فعزم النبيّ (صلى الله عليه وآله) علىٰ محاربة قريش، وقال كلمته المشهورة: «**لا نصرت إن لم أنصر خزاعة**»؛ وأخذ يستعدّ لذلك وهو يحرص علىٰ أن لا يذاع هذا الأمر، ولكن حاطب بن أبي بلتعة سرّب الخبر، فأرسل كتاباً إلىٰ قريش مع امرأة يخبرهم بما

---

(١) أمالي الصدوق ٦٠٤ / ح ٨٣٩ و ٨٤٠، روضة الواعظين للنيسابوري: ١٢٧ (مجلس ذكر فضائل أمير المؤمنين عليه السلام)، بحار الأنوار ٢١: ٢٦ / ح ٢٤ و ٢٥.

(*) كان فتح مكة في شهر رمضان سنة ثمانٍ من الهجرة النبويّة. راجع تاريخ الطبري ٢: ٣٢٣ (ذكر حوادث السنة السابعة خبر فتح مكة).

عزم عليه النبيّ (صلى الله عليه وآله)، وقبل خروجها من ضواحي المدينة؛ نزل الوحي على النبيّ وأخبره بذلك، فأرسل خلفها بالفور عليّاً والزبير، وأمرهما بأن يجدّا السير في طلبها قبل أن تفلت منهما، فأدركاها علىٰ بعد أميالٍ من المدينة، فأسرع إليها الزبير وسألها عن الكتاب فأنكرته وبكت فرقّ لها الزبير، ورجع عنها ليخبر عليّاً ببراءتها وقال له: ارجع لنخبر الرسول(صلى الله عليه وآله) بذلك، فقال عليّ (عليه السلام): «**إنّ رسول الله(صلى الله عليه وآله) يخبرنا بأنّها تحمل كتاباً وتقول أنت بأنّها لا تحمل شيئاً**»، ثمّ شهر عليّ (عليه السلام) سيفه وأقبل عليها حتىٰ استخرج الكتاب منها، ورجع إلى النبيّ (صلى الله عليه وآله) وسلّمه إيّاه.

ولمّا أتمّ النبيّ (صلى الله عليه وآله) الاستعدادات والتجهيزات اللازمة للخروج إلىٰ مكّة؛ أعطىٰ لواءه إلىٰ عليّ (عليه السلام) ووزّع الرايات علىٰ زعماء القبائل ومضىٰ يقطع الطريق باتّجاه مكّة.

ولمّا رأت قريش أنّها لا طاقة لها أمام النبيّ (صلى الله عليه وآله) والمسلمين؛ استسلمت ولم تجد بُدّاً من أن يدخل كلّ فرد منهم داره ليأمن على نفسه انقياداً للأمان الذي أعلنه النبيّ لهم.

وروي: أنّ سعد بن عبادة كان معه راية رسول الله (صلى الله عليه وآله) على الأنصار ولمّا مرَّ علىٰ أبي سفيان وهو واقف بمضيق الوادي (في الطريق إلىٰ مكّة) قال أبو سفيان: من هؤلاء؟ قيل له: هؤلاء الأنصار عليهم سعد بن عبادة مع الراية، فلمّا حاذاه سعد قال: يا أبا سفيان، اليوم يوم الملحمة، اليوم تُستحلّ الحرمة، اليوم أذلّ الله قريشاً، فلمّا مرَّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) بأبي سفيان وحاذاه أبو سفيان ناداه: يا رسول الله! أمرت بقتل قومك فإنّه زعم سعد ومن معه حين مرّ بنا أنه قاتلنا فإنّه قال: اليوم يوم الملحمة... أُنشدك الله في قومك، فأنت أبرّ الناس وأرحمهم وأوصلهم.

فقال (صلى الله عليه وآله): «**كذب سعد، اليوم يوم المرحمة، اليوم أعزَّ الله فيه قريشاً، اليوم يعظّم الله فيه الكعبة، اليوم تكسىٰ فيه الكعبة**».

وأرسل رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلىٰ سعد بن عبادة عليّاً (عليه السلام) أن ينزع اللواء منه، وأن يدخل بها مكّة[1].

ودخل رسول الله (صلى الله عليه وآله) مكّة بذلك الجيش الكبير الذي لم تعرف له مكة نظيراً في تاريخها، ولواؤه بيد عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)، وأعلن العفو العامّ عنهم وهو علىٰ أبواب مكّة .

عليّ (عليه السلام) يحطّم الأصنام :

وروي عن عليّ (عليه السلام) أنّه قال: «**انطلق بي رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلىٰ كسر الأصنام، فقال لي: اجلس، فجلست إلىٰ جنب الكعبة، ثمّ صعد الرسول علىٰ منكبي فقال لي: انهض بي، فنهضت به، فلمّا رأىٰ ضعفي تحته قال: اجلس، فجلست ونزل عنّي، وقال: يا عليّ اصعد علىٰ منكبي، فصعدت على منكبيه، ثمّ نهض بي حتىٰ خيل لي أن لو شئت نلت السماء، وصعدت على الكعبة.. فألقيت الصنم الأكبر وكان من نحاس موتداً بأوتاد من حديد، فقال(صلى الله عليه وآله): عالجه، فلم أزل أُعالجه ورسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: إيه إيه، حتّى قلعته، فقال: دقّه، فدققته وكسّرته ونزلت**»[2].

(١) قد حاولنا في هذا المقام أن نجمع بين ما ذكره المؤرخون من فصول فتح مكة العظيم ودور أمير المؤمنين(عليه السلام) فيه ببعض الاختصار والتصرف. راجع الإرشاد للمفيد ١: ١٣٠ ـ ١٣٧ (فصل في ذكر فتح مكة)، السيرة النبوية لابن هشام ٤: ٨٥١ ـ ٨٦٤ (ذكر فتح مكة السنة الثامنة للهجرة وأسبابها)، تاريخ الطبري ٢: ٣٢٣ ـ ٣٣٤ (حوادث السنة الثامنة للهجرة خبر فتح مكة)، الكامل في التاريخ ٢: ٢٣٩ ـ ٢٥٤ (حوادث السنة الثامنة للهجرة فتح مكة)، البداية والنهاية لابن كثير ٤: ٣١٧ ـ ٣٣٤ (ذكر غزوة الفتح الأعظم وفصولها)، إمتاع الأسماع ١٣: ٣٧٣ ـ ٣٧٩، السيرة الحلبية ٣: ٤ ـ ٢٢ (فتح مكة وأسبابها).

(٢) مناقب الإمام أمير المؤمنين للكوفي ٢: ٦٠٦ / ح ١١٠٥، المناقب لابن شهر آشوب ٢: ١٥٥ (فصل في ذكر الاستنابة)، بحار الأنوار ٣٨: ٧٦ ـ ٧٧، المصنف لابن أبي شيبة ٨: ٥٣٤ / ح ٩ (حديث فتح مكة)، المستدرك للحاكم ٢: ٣٦٧ ،ذكر صعود عليّ(عليه السلام) على منكب رسول الله(صلى الله عليه وآله)، تاريخ بغداد ١٣: ٣٠٤ (ذكر مَن اسمه نعيم، رقم ٧٢٨٢)، المناقب للخوارزمي ١٢٣ / ح ١٣٩.

٨ ـ عليّ (عليه السلام) في غزوة حنين[١]:

بعد أن كتب الله النصر والفتح لرسوله (صلى الله عليه وآله) حين دخل مكّة واستسلمت قريش وأذعنت له أجمعت قبيلة «هوازن» وقبيلة «ثقيف» على محاربة النبيّ (صلى الله عليه وآله) والمبادرة إليه قبل أن يغزوهم، وأعدّ لهم النبيّ العدّة لمّا سمع بذلك، وعبّأ المسلمين الذين تجاوز عددهم إثني عشر ألفاً وخرج إليهم من مكّة.

ولمّا قربوا من موقع العدوّ صفّهم النبيّ (صلى الله عليه وآله) ووزّع الألوية والرايات على قادة الجيش وزعماء القبائل، فأعطىٰ عليّاً لواء المهاجرين[٢]. ولكنّ هوازن أعدّت خطّةً للغدر بالمسلمين علىٰ حين غفلة منهم، فكمنوا لهم في شعاب وادٍ من أودية تهامة حيث لا بدّ لهم من المرور فيه.

وحين انحدر المسلمون في وادي «حنين» باغتتهم كتائب هوازن من كلّ ناحية، وانهزمت بنو سليم وكانوا في مقدّمة جيش المسلمين وانهزم مَنْ وراءهم، وخلّىٰ الله تعالى بينهم وبين عدوّهم لإعجابهم بكثرتهم، ولم يثبت منهم مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلّا نفر قليل من بني هاشم وأيمن بن عبيد[٣].

ووقف عليّ (عليه السلام) كالمارد يضرب بسيفه عن يمينه وشماله، فلم يدن أحد من النبيّ (صلى الله عليه وآله)؛ إلّا جَنْدَلَه بسيفه، وكان لثبات النبيّ (صلى الله عليه وآله) ودفاع عليّ (عليه السلام) ومن معه أن عادت الثقة إلىٰ نفوس بعض المسلمين، فأعادوا الكَرّة على هوازن. وخرج رجل من هوازن يدعىٰ «أبو جرول» حامل رايتهم وكان شجاعاً، فتحاماه الناس

---

(١) وقعت غزوة «حنين» في شوال سنة ثمانٍ للهجرة النبويّة. راجع الطبقات الكبرى ٢: ١٤٩ (غزوة حنين)، وتاريخ الطبري ٢: ٣٤٤ (حوادث السنة الثامنة غزوة حنين).

(٢) تفسير القمي ١: ٢٨٥ ـ ٢٨٦ (ذكر سورة التوبة غزوة حنين)، الطبقات الكبرىٰ ٢: ١٥٠ (غزوة حنين).

(٣) تفسير القمي ١: ٢٨٧ (تفسير سورة التوبة غزوة حنين)، الطبقات الكبرىٰ ٢: ١٥٠ ـ ١٥١، تاريخ الطبري ٢: ٣٤٧ (حوادث السنة الثامنة ذكر غزوة حنين).

ولم يثبتوا له، فبرز إليه عليّ (عليه السلام) وقتله، فدبَّ الذعر في نفوس المشركين كما دبَّ الحماس في نفوس المسلمين، ووضع المسلمون سيوفهم في هوازن وأحلافها يقتلون ويأسرون وعليّ (عليه السلام) يتقدّمهم حتىٰ قتل بنفسه أربعين رجلاً من القوم، فكان النصر للمسلمين[1].

٩ ـ عليّ (عليه السلام) في غزوة تبوك* :

استعدّ النبيّ (صلى الله عليه وآله) لمواجهة الروم حين علم أنّهم يريدون الإغارة والهجوم علىٰ الجزيرة، فأعدّ بما يملك من استراتيجية محكمة العدّة والعدد، وقرّر ـ لأهمية الموقف والنزال ـ أن يكون على رأس الجيش المتقدّم، ولكنّ الظروف السياسية والعسكرية لم تكن تدعو للاطمئنان التامّ ونفي الاحتمال من هجوم المنافقين أو المرجفين على المدينة أو قيامهم بأعمال تخريبية أُخرىٰ، لذا يتطلّب الأمر أن يبقىٰ في المدينة من يتمتّع بمؤهّلات ولياقات عالية وحكمة بالغة ودراية تفصيلية في جميع الأُمور وحرص على العقيدة كي يتمكّن من مواجهة الطوارئ، فاختار النبيّ الأكرم (صلى الله عليه وآله) عليّاً لهذه المهمّة الحسّاسة كي يقوم مقام النبيّ في غيابه.

فقال (صلى الله عليه وآله): **«يا عليّ، إنّ المدينة لا تصلح إلّا بي أو بك»**.

ولمّا تحرّك النبيّ (صلى الله عليه وآله) باتّجاه «تبوك»؛ ثقل علىٰ أهل النفاق بقاء عليّ (عليه السلام) على رأس السلطة المحليّة في عاصمة الدولة الإسلاميّة، وعظم عليهم مقامه،

(١) الإرشاد للمفيد ١: ١٤٢ ـ ١٤٤ (فصل في غزاة حنين)، المناقب لابن شهر آشوب ٣: ١٦٩ ـ ١٧٠ (فصل في غزوات شتىٰ له عليه السلام)، كشف الغمة ١: ٢٢٢ ـ ٢٢٣ (غزوة حنين)، المغازي للواقدي ٢: ٩٠٢ (غزوة حنين) وفيهما اختلاف يسيرٍ باللفظ.

(*) وقعت غزوة «تبوك» في شهر رجب سنة تسعٍ من الهجرة النبويّة. راجع تاريخ الطبري ٢: ٣٧٣ (حوادث السنة التاسعة «غزوة تبوك»).

وعلموا أنّها في حراسة أمينة ولا مجال لمطمع فيها، فساءهم ذلك، فأخذوا يردّدون في مجالسهم ونواديهم أنّ النبيّ (صلى الله عليه وآله) لم يستخلفه إلّا استثقالاً ومقتاً له، فبهتوا بهذا الإرجاف عليّاً، كبهت قريش للنبي بالجِنّة والسِّحر.

فلمّا بلغ عليّاً (عليه السلام) إرجاف المنافقين به أراد تكذيبهم وإظهار فضيحتهم، فأخذ سيفه وسلاحه ولحق بالنبيّ (صلى الله عليه وآله) فقال: يا رسول الله، إنّ المنافقين يزعمون أنّك خلّفتني استثقالاً ومقتاً، فقال (صلى الله عليه وآله): **ارجع إلى مكانك فإنّ المدينة لا تصلح إلّا بي أو بك، فأنت خليفتي في أهل بيتي ودار هجرتي وقومي، أما ترضىٰ ـ يا عليّ ـ أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسىٰ إلّا أنّه لا نبيّ بعدي؟**

فرجع عليّ (عليه السلام) ومضىٰ رسول الله (صلى الله عليه وآله) في سفره[1].

---

(١) الإرشاد للمفيد ١: ١٥٤ ـ ١٥٦ (فصل في غزاة تبوك)، كشف الغمة ١: ٢٢٧ ـ ٢٢٨ (غزوة تبوك)، كشف اليقين: ١٤٥ ـ ١٤٦ (باب ١، مطلب ٢، مبحث ٢)، بحار الأنوار ٢١: ٢٠٧ ـ ٢٠٨ / ح ١، تاريخ الطبري ٢: ٣٦٧ـ ٣٦٨ (حوادث السنة التاسعة غزوة تبوك)، المستدرك للحاكم النيسابوري ٢: ٣٣٧ (حديث المنزلة). وحديث المنزلة تكاثرت طرقه حتى بلغ التواتر والشهرة، وهو كذلك مما أبان به رسول الله (صلى الله عليه وآله) فضل عليّ (عليه السلام) وإمامته، وكان هارون أخا موسىٰ من الولادة، ولم يكن عليّ (عليه السلام) كذلك من رسول الله (صلى الله عليه وآله) وكان هارون (عليه السلام) نبياً بعثه الله مع موسى (عليه السلام) إلى فرعون، كما ذكره جلّ جلاله في كتابه المجيد، فأخبر النبيّ (صلى الله عليه وآله) إنّ علياً (عليه السلام) ليس بنبي، فلم يبق مما يكون به منزلة عليّ (عليه السلام) من رسول الله (صلى الله عليه وآله)، منزلة هارون من موسى (عليهما السلام) إلّا أن يكون وزيره وخليفته كما أخبر الله عزّ وجل عن موسىٰ قوله: ﴿**واجعل لي وزيراً من أهلي...**﴾ (طه: ٢٩) وقوله: ﴿**أخلفني في أهلي...**﴾ (الأعراف: ١٤٢). وبهذا التصريح يكون أمير المؤمنين (عليه السلام) هو الخليفة والوزير لرسول الله (صلى الله عليه وآله)، الكافي ٨: ١٠٧ / ح ٨٠ (باب من أحبّ أهل بيت النبيّ صلى الله عليه وآله)، أمالي الصدوق: ٢٣٨ / ح ٢٥٢، تحف العقول: ٤٣٠ (ما روي عن الرضا عليه السلام في الاصطفاء)، مناقب الإمام أمير المؤمنين للكوفي ١: ٤٩٩ / باب حديث المنزلة وذكر فيه طرق كثيرة، مسند أحمد ١: ١٧٠ (ما أسند عن سعد بن أبي وقاص) وج٣: ٣٢ (ما أسند عن أبي سعيد الخدري) وص٣٣٨ (ما أسند عن جابر بن عبدالله) وج٦: ٣٦٩ (حديث فاطمة عمّة أبي عبيدة)، صحيح البخاري ٤: ٢٠٨ (باب المناقب، باب مناقب المهاجرين وفضل الصحابة)، وج٥: ١٢٩ (كتاب المغازي، باب غزوة تبوك)، صحيح مسلم ٧: ١٢٠ ـ ١٢١ (كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عليّ رضي الله عنه)، سنن ابن ماجة ١: ٤٥ / ح ٢١، سنن الترمذي ٥: ٣٠٢ / ح ٣٨٠٨، باب ٨٧ وص ٣٠٤، ح ٣٨١٣، باب ٩١، من مناقب عليّ (رضي الله عنه)، إلى غير ذلك من مصادر الحديث التي تجدها في كتب الحديث والتاريخ والسير.

١٠ ـ عليّ(عليه السلام) يبلّغ سورة براءة :

استمرّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) بتبليغ رسالته المباركة وأخذ ينشر الإسلام في ربوع الجزيرة العربية، وفي ذات الوقت كان يطارد فلول الشرك عسكرياً حتىٰ أشرفت السنة التاسعة للهجرة على نهايتها، فأصبح للإسلام كيان سياسي مستقلّ واُمّة تسودها علاقات متينة وأرض مترامية الأطراف وحدود منيعة، ولم يعد لقوىٰ الشرك وجود خطير، فكان لابدّ من تصفيتهم، ونزلت علىٰ رسول الله (صلى الله عليه وآله) سورة «براءة» وفيها التشريعات الّتي تحدّد موقفه من المشركين والعهود والأحلاف الّتي كان قد أبرمها معهم.

وكان أفضل مكان لإعلان هذا القرار وقراءة هذا البيان الرسمي الإلهي هو البيت الحرام، وأفضل وقت له هو اليوم العاشر من ذي الحجّة حيث يجتمع المشركون من أطراف الجزيرة، فأرسل النبيّ (صلى الله عليه وآله) أبا بكر ليحجّ بالناس ويبلّغ سورة «براءة»، ولمّا انتهىٰ إلىٰ «ذي الحُلَيفة» وهو المكان المعروف اليوم بمسجد الشجرة، وإذا بالوحي ينزل علىٰ النبيّ(صلى الله عليه وآله) ويأمره أن يرسل مكانه عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)، فأرسل النبيّ عليّاً وأمره أن يأخذ الآيات من أبي بكر ويبلّغها بنفسه، فمضىٰ نحو مكّة وهو على ناقة النبيّ(صلى الله عليه وآله) حتىٰ التحق بأبي بكر، فلمّا سمع رغاء الناقة عرفها فخرج فزعاً وهو يظنّه رسول الله (صلى الله عليه وآله) وإذا هو عليّ، فأخذ منه الآيات ورجع أبو بكر إلى المدينة خائفاً أن يكون قد نزل فيه ما أغضب النبيّ(صلى الله عليه وآله)، فقال: يا رسول الله! أَنزل فيَّ شيءٌ؟ فقال النبيّ (صلى الله عليه وآله): «**لا، ولكنّي أُمرت أن أُبلّغها أنا أو رجل منّي**».

وانطلق عليّ (عليه السلام) في طريقه حتىٰ بلغ مكّة، وعندما اجتمع الناس لأداء مناسكهم؛ قرأ عليهم الآيات الأُولىٰ من السورة، ونادىٰ في الناس: لايدخل مكّة

مشرك بعد عامه هذا، ولا يطوف بالبيت عريان، ومن كان بينه وبين رسول الله عهد فعهده إلىٰ مدّته[١].

١١ ـ عليّ (عليه السلام) في اليمن :

وإكمالاً لنشر الإسلام أرسل النبيّ (صلى الله عليه وآله) إلى اليمن خالد بن الوليد وجمعاً من الصحابة ليدعوا قبيلة «همدان» إلى الإسلام، وظلّ خالد نحواً من ستة أشهر دون أن يحقّق نجاحاً، فلم يتمكّن من إقناع همدان باعتناق الإسلام، فبعث إلى النبيّ(صلى الله عليه وآله) مَن يخبره بعدم إجابة القوم له وانصرافهم عنه، عند ذاك بعث النبيّ (صلى الله عليه وآله) عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) وطلب منه أن يُعيد خالداً إلىٰ المدينة ويحلّ محلّه في مهمّته ، ويبقي معه من يشاء من المجموعة المرسلة مع خالد.

روي عن البراء بن عازب الّذي كان مع خالد وبقي في سريّة عليّ(عليه السلام):كنت ممّن خرج مع خالد فأقمنا ستة أشهر ندعوهم إلىٰ الإسلام فلم يجيبوا، ثمّ إنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) بعث عليّاً (عليه السلام) وأمره أن يقفل خالداً ويكون مكانه، فلمّا دنونا من القوم؛ خرجوا إلينا وصلّىٰ بنا عليّ(عليه السلام) ثمّ صفّنا صفاً واحداً ثمّ تقدّم بين أيدينا وقرأ عليهم كتاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) بإسلامهم، فأسلمت همدان جميعاً وأرسل عليّ (عليه السلام) إلىٰ رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالخبر السارّ، فخرّ رسول الله ساجداً ثمّ رفع رأسه وقال: السلام علىٰ همدان[٢].

---

(١) مناقب أمير المؤمنين(عليه السلام) للكوفي ٢٢ / ح٥١١، علل الشرائع ١: ١٩٠، باب ١٥١، ح٣، ذخائر العقبى: ٦٩ (ذكر اختصاصه عليه السلام بالتبليغ عن النبيّ صلى الله عليه وآله)، مسند أحمد ١: ٣ (ما أسند عن أبي‌بكر)، تايخ الطبري ٢: ٣٨٢ ـ ٣٨٣ (حوادث السنة التاسعةبعث سورة براءة)، شواهد التنزيل للحسكاني ١: ٣٠٥ ـ ٣١٥ (باب ٥٧ بعث عليّ بن أبي طالب بتسع آيات من أوّل براءة)، الكامل في التاريخ ٢: ٢٩١ (حوادث السنة التاسعة ذكر حجّ أبي بكر).

(٢) الإرشاد للمفيد ١: ٦١ ـ ٦٢ (فصل في بعثه عليه السلام إلى اليمن)، المناقب لابن شهر آشوب ٢: ١٤٨ (فصل في ←

وروي: أنّ النبيّ (صلى الله عليه وآله) أرسل عليّاً في مهمّة ثانية إلىٰ اليمن ليدعو «مذحج» إلى الإسلام، وكان معه ثلاثمائة فارس، وعقد رسول الله له اللواء وعمّمه بيده، وأوصاه أن لا يقاتلهم إلّا إذا قاتلوه، فلمّا دخل إلىٰ بلاد مذحج؛ دعاهم إلىٰ الإسلام فأبوا عليه ورموا المسلمين بالنبل والحجارة، فأعدّ عليّ (عليه السلام) أصحابه للقتال، وهجم عليهم فقتل منهم عشرين رجلاً فتفرّقوا وانهزموا فتركهم، ثمّ دعاهم إلىٰ الإسلام ثانية فأجابوه لذلك، وبايعه عدد من رؤسائهم، وقالوا: له نحن علىٰ من وراءنا من قومنا وهذه صدقاتنا فخذ منها حقّ الله.

ثمّ إنّ عليّاً جمع الغنائم فأخرج منها الخمس وقسّم الباقي علىٰ أصحابه، وبلغه خبر خروج النبيّ (صلى الله عليه وآله) إلى مكّة لأداء فريضة الحجّ، فتعجّل (عليه السلام) السير ليلتحق بالنبيّ (صلى الله عليه وآله) في مكّة[1].

وروي: أنّ عليّاً (عليه السلام) قال: **بعثني رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى اليمن، فقلت: يا رسول الله، تبعثني إلىٰ قومٍ وأنا حديث السنّ لا أُبصر القضاء، فوضع يده علىٰ صدري وقال: اللّهمّ ثبّت لسانه واهدِ قلبه، ثمّ قال: إذا جاءك الخصمان فلا تقضِ بينهما حتىٰ تسمع من الآخر، فإنّك إذا فعلت ذلك؛ تبيّن لك القضاء**، قال عليّ (عليه السلام): **والله ما شككت في قضاءٍ بين اثنين**[2].

وروي أنّ بعض من كان في سريّة عليّ (عليه السلام) اشتكىٰ من شدّته في إعطاء الحقّ، فلمّا سمع النبيّ (صلى الله عليه وآله) ذلك قال: **أيّها الناس، لا تشتكوا عليّاً فوالله إنّه لأخشن في**

← الإستنابة)، بحار الأنوار ٣٨: ٧١ / ح١، تاريخ الطبري ٢: ٣٨٩ ـ ٣٩٠ (حوادث السنة العاشرة بعث خالد)، الكامل في التاريخ ٢: ٣٠٠ (حوادث السنة العاشرة بعث خالد)، السيرة الحلبية ٣: ٢٦٤ ـ ٢٦٥ (حوادث السنة العاشرة).

(١) الطبقات الكبرىٰ ٢: ١٦٩ ـ ١٧٠ (ذكر سرية علي بن أبي طالب إلى اليمن)، عيون الأثر لابن سيد الناس ٢: ٣٤٠ (ذكر سرية عليّ عليه السلام إلى اليمن)، السيرة الحلبية ٣: ٢٢٤ ـ ٢٢٥ (حوادث السنة العاشرة ذكر سرية عليّ عليه السلام إلى مذحج).

(٢) مسند أحمد ١: ١١١ (ما أسند عن عليّ عليه السلام)، المستدرك للحاكم ٣: ١٣٥ (ذكر قضاء عليّ عليه السلام قم ٤٩٣٣)، البداية والنهاية لابن كثير ٥: ١٢٣ ـ ١٢٤ (باب بعث رسول الله صلى الله عليه وآله عليّ عليه السلام إلى اليمن).

ذات الله من أن يشتكىٰ منه[١].

وعن عمرو بن شاس الأسلمي أنّه قال: كنت مع عليّ (عليه السلام) في خيله التي بعثه بها رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلىٰ اليمن، فوجدت في نفسي عليه[٢]، فلمّا قدمت المدينة شكوته في مجالس المدينة وعند من لقيته، فأقبلت يوماً ورسول الله (صلى الله عليه وآله) جالس في المسجد، فلمّا رآني أنظر إلىٰ عينيه نظر إليَّ حتىٰ جلست إليه، فقال: **إيه يا عمرو، لقد آذيتني**، فقلت: إنّا لله وإنّا اليه راجعون أعوذ بالله والإسلام من أن أُؤذي رسول الله، فقال (صلى الله عليه وآله): «**من آذىٰ عليّاً فقد آذاني**»[٣].

١٢ ـ عليّ(عليه السلام) في يوم المباهلة:

اجتمع زعماء نصارىٰ نجران وحكماؤهم يتدارسون أمر كتاب النبيّ (صلى الله عليه وآله) الذي يدعوهم فيه إلى الإسلام. ولم يتوصلوا إلى رأي قاطع إذ كانت في أيديهم تعاليم تؤكد وجود نبي بعد عيسىٰ(عليه السلام)، وما ظهر من محمّد(صلى الله عليه وآله) فهو يشير الى نبوّته. من هنا قرّروا أن يرسلوا وفداً يقابل شخص النبيّ(صلى الله عليه وآله) ويحاوره.

واستقبل النبيّ (صلى الله عليه وآله) الوفد الكبير، وقد بدى عليه عدم الرضا لمظهرهم الذي كان يحمل شعار الوثنية، فقد كانوا يرتدون الديباج والحرير ويلبسون الذهب

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٤: ١٠٢٢ (خطبة رسول الله في حجة الوداع)، مسند أحمد ٣: ٨٦ (ما أسند عن أبي سعيد الخدري)، المستدرك للحاكم النيسابوري ٣: ١٣٤ (باب النهي عن شكاية عليّ)، تاريخ الطبري ٢: ٤٠٢ (حوادث السنة العاشرة بعث سرايا إلى اليمن)، البداية والنهاية لابن كثير ٥: ٢٢٨ (فصل في أنه صلى الله عليه وآله خطبَ في حجة الوداع بمكان يسمى الغدير).

(٢) المستدرك علىٰ الصحيحين: ٣ / ١٣٤.

(٣) شرح الأخبار للنعماني ١: ١٥٤ / ح٩٩، ذخائر العقبىٰ: ٦٥ (باب من آذاه عليه السلام آذى النبيّ صلى الله عليه وآله)، بحار الأنوار ٢١: ٣٦٠ / ح١، مسند أحمد ٣: ٤٨٣ (حديث عمرو بن شاوس)، المستدرك للحاكم النيسابوري ٣: ١٢٢ (باب فضائل عليّ عليه السلام)، البداية والنهاية لابن كثير ٥: ١٢١ (باب بعث رسول الله صلى الله عليه وآله عليّاً عليه السلام وخالدٍ إلى اليمن).

ويحملون الصلبان في أعناقهم. ثم غدوا عليه ثانية وقد بدّلوا مظهرهم فرحّب بهم واحترمهم وفسح لهم المجال ليمارسوا طقوسهم.

ثم عرض عليهم الإسلام وتلا عليهم آيات من القرآن فامتنعوا وكثر الحجاج معهم، فخلصوا إلى أن يباهلهم النبيّ(صلى الله عليه وآله)، وكان ذلك بأمر من الله عزّ وجلّ واتفقوا على اليوم اللاحق موعداً[(١)].

وخرج إليهم رسول الله(صلى الله عليه وآله) وهو يحمل الحسين وبيده الحسن وخلفه ابنته فاطمة وابن عمّه عليّ بن أبي طالب امتثالاً لأمر الله تعالى الذي نصّ عليه الذكر الحكيم قائلاً: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِمَا جَاءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِل فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ ٱللّهِ عَلَى ٱلْكَاذِبِينَ ﴾[(٢)] ولم يصحب سواهم أحداً من المسلمين ليثبت للجميع صدق نبوته ورسالته. وهنا قال أسقف نجران: يا معشر النصارىٰ إني لأرى وجوهاً لو سألوا الله أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله، فلا تباهلوا فتهلكوا، ولا يبقىٰ على وجه الأرض نصراني.

لقد أجمع أهل القبلة حتى الخوارج منهم على أنّ النبيّ (صلى الله عليه وآله) لم يَدْعُ للمباهلة من النساء سوىٰ بضعته الزهراء ومن الأبناء سوىٰ سبطيه وريحانتيه الحسن والحسين(عليهما السلام) ومن الأنفس إلّا أخاه عليّاً (عليه السلام)، الذي كان منه بمنزلة هارون من موسى، فهؤلاء أصحاب هذه الآية ـ بحكم الضرورة التي لا يمكن جحودها ـ لم يشاركهم فيها أحد من العالمين، كما هو بديهيّ لكل من ألمّ بتاريخ المسلمين، وفيهم خاصّة نزلت لا في سواهم[(٣)].

لقد باهل النبيّ (صلى الله عليه وآله) بهم خصومه من أهل نجران فانتصر عليهم ، وأُمّـهاتُ

(١) تفسير القمي ١: ١٠٤ (في تفسير سورة آل عمران)، الطبقات الكبرىٰ ١: ٣٥٧ (وفد نجران).
(٢) آل عمران (٣) : ٦١.
(٣) راجع الكلمة الغرّاء : ١٨١.

المؤمنين كنّ حينئذٍ في حجراته (صلى الله عليه وآله) فلم يدعُ واحدةً منهنّ، ولم يدع صفيّة وهي شقيقة أبيه، ولا أُمّ هاني وهي كريمة عمّه، ولا واحدةً من نساء الخلفاء الثلاثة وغيرهم من المهاجرين والأنصار.

كما أ نّه لم يدعُ مع سيديّ شباب أهل الجنة أحداً من أبناء الهاشميين ولا أحداً من أبناء الصحابة، وكذلك لم يدع مع عليّ أحداً من عشيرته الأقربين ولا واحداً من السابقين الأوّلين[1]

طبيعة عمل النبيّ (صلى الله عليه وآله) :

إنّ النبيّ (صلى الله عليه وآله) الذي كان يعيش همّ انتصار الرسالة الإسلامية وإبلاغها الى العالم الإنساني بذل قصارىٰ جهده في التبليغ والنصح لبناء مجتمع رسالي رصين يقاوم كلّ الظروف حتىٰ يسود الإسلام بقاع الدنيا، وقد عمل (صلى الله عليه وآله) علىٰ محورين رئيسين:

أوّلهما: توعية الأُمّة بالمقدار الذي تستوعبه من فهم وثقافة وقدرة على ممارسة الحياة الإسلامية كما أرادها الله سبحانه، وكان لعليّ (عليه السلام) دور فاعل في هذا المحور، إلى جانب النبيّ (صلى الله عليه وآله) الذي كان مشغولاً في توسيع رقعة المجتمع الإسلامي آنذاك .

---

(١) قال السيد عبدالحسين شرف الدين في هامش ١٠٦ ص٧٧ في كتابه النصّ والاجتهاد: وهذا الحديث ذكره المفسّرون والمحدثون وأهل السير والأخبار، وكل من أرّخ حوادث السنة العاشرة للهجرة. (انتهىٰ).
وراجع: تفسير القمي ١: ١٠٤ (في تفسير الآية ٦١ من سورة آل عمران)، تفسير فرات الكوفي: ٨٦ / ح٦٣، شرح الأخبار ٢: ٣٣٩ ـ ٣٤٠ / ح ٦٨٠، الإرشاد للمفيد ١: ١٦٧ ـ ١٨٦ (ذكر استصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله أهل بيته عليهم السلام للمباهلة)، تفسير القرآن للصنعاني ١: ١٢٢ (في تفسير الآية ٦١ من سورة آل عمران)، جامع البيان (تفسير الطبري) ٣: ٤٠٧ (في تفسير الآية ٦١ من سورة آل عمران)، تاريخ اليعقوبي ٢: ٨٢ (ذكر كتابه صلى الله عليه وآله الى رؤساء القبائل)، البداية والنهاية لابن كثير ٥: ٦٤ ـ ٦٥ (ذكر وفد نجران)، إمتاع الأسماع ١٤: ٦٩ (شهادة الأساقفة للمصطفى صلى الله عليه وآله) .

وثانيهما: تربية الصفوة، وكان عليّ (عليه السلام) أيضاً يساند النبيّ في هذه المهمّة الكبرىٰ، فكانت مهمّته استمراراً لمهمّة النبيّ (صلى الله عليه وآله) التي لا تقبل التعطيل والتجميد.

لقد قام النبيّ(صلى الله عليه وآله) بإعداد وتوعية الصفوة التي اختارها الله سبحانه لِتَخْلُفَ في غيابه وتقود المجتمع الإسلامي والرسالة الإسلاميّة وتصونها عن الإنحراف والزيغ، إعداداً على مستوىٰ قيادة التجربة وعلىٰ مستوىٰ الحكم، وقد أعدّ النبيّ(صلى الله عليه وآله) من أهل بيته عليّاً ليتسلّم التجربة الإسلاميّة من بعده من خلال إشراكه في كلّ المواقف المهمّة والمعقّدة والصعبة ومن خلال تثقيفه ثقافة خاصة لم يشاركه أحد فيها، فقد روي عنه (عليه السلام) أنّه قال: **«علّمني رسول الله (صلى الله عليه وآله) من العلم ألف باب يفتح من كلّ باب ألف باب»**[1].

وكان عليّ (عليه السلام) يتمتّع بمؤهّلات ولياقات عالية أهّلته الى نيل ثقة النبيّ(صلى الله عليه وآله) المطلقة في قوله وفعله، فقد لاحظنا أنّ النبيّ (صلى الله عليه وآله) أخذ عليّاً صغيراً وتعهّده وربّاه، حتى لازمه طوال فترة حياته، وما أن مضت فترة علىٰ الدعوة الإسلامية؛ حتىٰ أعلن النبيّ (صلى الله عليه وآله) عن اتّخاذه عليّاً (عليه السلام) أخاً ومؤازراً له في دعوته، وكرّر هذا الإعلان في مواطن عديدة، بل اتّخذه أخاً له ووزيراً يخلفه في كلّ شيء ما عدا النبوّة.

وحين توضّحت معالم شخصيّة عليّ (عليه السلام) للأُمّة؛ بدأ النبيّ (صلى الله عليه وآله) يكلّفه بأن ينوب عنه في المهمّات التي لا يمكن أن يقوم بها أحد غير النبيّ (صلى الله عليه وآله) أو من يمثّله تمثيلاً كاملاً، مثل: المبيت في فراش النبيّ ليلة الهجرة؛ وردّ الودائع، وحمل الفواطم إلى المدينة.

---

(١) دلائل الإمامة: ٢٣٥ (ذكر معجزاته عليه السلام)، الإرشاد للمفيد ١: ٣٤ (فصل في أنّه أعلم الصحابة)، الطرائف لابن طاووس: ١٣٦ (اعترافات في فضائل عليّ عليه السلام)، بحار الأنوا ٢٢: ٤٦١ / ح ١٠، تاريخ مدينة دمشق ٤٢: ٣٨٥ (ترجمة عليّ عليه السلام رقم ٤٩٣٣)، البداية والنهاية لابن كثير ٧: ٣٩٦ (ذكر شيء من فضائل عليّ عليه السلام) .

ومن صور اهتمام النبيّ بعليّ في هذه المرحلة؛ أنّه لم يدخل المدينة عند هجرته إليها، بل بقي في قبا ينتظر عليّاً حتىٰ التحق به.

ومن تلك الصور تبليغ سورة «براءة» فقد أخذ عليّ (عليه السلام) السورة من أبي بكر بأمر النبيّ(صلى الله عليه وآله) وبلّغها النّاس.

وحين اضطرّ النبيّ (صلى الله عليه وآله) للمواجهات العسكرية لم يعط رايته إلّا لعليّ (عليه السلام)، وكان يرسله في كلّ المواقف المستعصية التي تتطلّب كفاءة عالية، فكان عليّ(عليه السلام) يؤدّيها علىٰ أتمّ وجه.

وفي مرحلة جديدة بعد أن امتاز عليّ (عليه السلام) على غيره من الصحابة بصدق سريرته وعمق إيمانه وتفانيه من أجل العقيدة أشار النبيّ (صلى الله عليه وآله) إلىٰ أهميّة الموقع الرسالي لأهل بيته (عليهم السلام) واستمرار وجوده في وجودهم المستمرّ وعظيم حبّه لهم، وميّز عليّاً من بينهم، بعد أن عزّز القرآن الكريم موقف النبيّ (صلى الله عليه وآله) هذا تجاههم بقوله: ﴿**قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِي ٱلْقُرْبَىٰ**﴾[١].

وأشار النبيّ(صلى الله عليه وآله)[٢] إلى طهارة عليّ وأهل بيته من الرجس المادي والمعنوي[٣]، حتىٰ لم يأذن لأحد بالمرور بمسجده على كلّ حال إلّا لعليّ[٤].

ولم يزل النبيّ(صلى الله عليه وآله) يوجّه القاعدة الشعبية والجماهير المسلمة للالتفاف حول عليّ، ويأمرهم بحبّه والرجوع إليه عند حلول المشاكل المستعصية، ووضّح لهم ضرورة معرفة شخصية عليّ (عليه السلام) في شدّة إيمانه وتفانيه في ذات الله وسعة علمه

---

(١) الشورىٰ (٤٢) : ٢٣ .

(٢) أمالي الصدوق: ٢٠٨ / ح ٢٣٠، أمالي الطوسي: ٨٩ / ح١٣٨، بحار الأنوار ١٠: ١٤١، مسند أحمد ١: ٣٣١ (ما أسند عن ابن عبّاس)، صحيح مسلم ٧: ١٣٠ (كتاب الفضائل، باب فضائل أهل البيت عليهم السلام)، سنن الترمذي ٥: ٣٠ / ح٣٢٥٨ .

(٣) دلائل الإمامة: ٢٣٦ (ذكر معجزاته عليه السلام) الطرائف لابن طاووس: ٥١٦ في وصف عليّ عليه السلام، بحار الأنوار: ٨٧/٤٠، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١، ١٥ (القول في نسب أمير المؤمنين).

(٤) الكافي: ٧/ ٤٢٤ باب النوادر حديث ٦، أمالي الصدوق: ٦٣ حديث ٢٥، شرح الأخبار: ٢/ ٣١٠ حديث ٦٣٦، المناقب للخوارزمي: ٨٢ حديث ٦٧،كنز العمال: ١١/ ٦١٤ حديث ٣٢٩٧٧ .

بالقرآن وبالرسالة وتعاليم الرسول(صلى الله عليه وآله)، فكانت الأحاديث النبويّة تترىٰ بالإشادة به مثل: «**أقضاكم عليّ**[١]. **أعلمكم عليّ**[٢]. **أعدلكم عليّ**» وقد أثبتت الأحداث والوقائع صحّة ذلك.

وفي آخر منسك من مناسك الإسلام أشرك النبيّ (صلى الله عليه وآله) عليّاً في حجّه دون غيره من المسلمين وقد صرّح بذلك، وقاما معاً بنحر الهدي كما سيأتي بيانه.

لقد كانت هذه الخطوات إعداداً مهماً وتمهيداً لإعلان وسام الخلافة والإمامة حين وقف النبيّ (صلى الله عليه وآله) بعد إتمام مناسك حجّة الوداع ليعلن للأُمة أنّه سيغادر الدنيا ويخلف عليّاً كقائد ومرجع للأُمّة بعده، وقد كان هذا الإعلان والتنصيب صادراً عن الله تعالى، حتى تمّت بيعة الناس لعليّ (عليه السلام) بإمرة المؤمنين ونزل الوحي الإلهي ببلاغ تمام النعمة وكمال الدين كما سوف نرىٰ بشيء من التفصيل.

١٣ ـ عليّ (عليه السلام) في حجّة الوداع :

بشوق غامر وغبطة تملأ القلوب تطلّع المسلمون إلىٰ اللقاء العبادي السياسي الذي لم يشهد التأريخ نظيراً له من قبل عندما تحرّك موكب النبيّ (صلى الله عليه وآله) في أواخر شهر ذي القعدة من السنة العاشرة للهجرة باتجاه مكّة ليؤدّي مناسك الحجّ وحيث اللقاء مع الجموع القادمة من أطراف الجزيرة العربية يحدوها هدف واحد وتحت راية واحدة يردّدون شعاراً إلهياً واحداً[٣]:

[**لبّيك اللّهمّ لبّيك لبّيك لا شريك لك لبيك إنّ الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك لبّيك**].

---

(١) إشارة السبق لأبي الحلبي : ٥٤ ، كشف الخفاء للعجلوني : ١٦٢/١ ح ٤٨٩ ، وتفسير القرطبي : ١٦٢/١٥ .

(٢) الكافي : ٤٢٤/٧ ح ٦ ، خصائص الأئمة للشريف الرضي : ٨٤ .

(٣) يرى بعض المؤرّخين أنّ من خرج مع النبيّ كان يبلغ تسعين ألفاً، ويرىٰ البعض الآخر أنهم كانوا مائة وعشرين ألفاً، عدا من حجّ من أهالي مكّة وضواحيها واليمن وغيرها. راجع السيرة الحلبية : ٣ / ٣٠٨ (حوادث السنة العاشرة باب حجة الوداع).

وكان النبيّ (صلى الله عليه وآله) قد كتب إلىٰ عليّ (عليه السلام) ـ وهو في اليمن ـ يأمره أن يلتحق به في مكّة ليحجّ معه، وأسرع عليّ بالخروج من اليمن ومعه الغنائم والحلل التي كان قد أصابها من اليمن، والتقىٰ بالنبيّ (صلى الله عليه وآله) وقد أشرف علىٰ دخول مكّة، فاستبشر بلقائه وأخبره بما صنع في اليمن، ففرح النبيّ (صلى الله عليه وآله) بذلك وابتهج وقال له: **بِـمَ أهللت؟** فقال عليّ(عليه السلام): يارسول الله! إنّك لم تكتب إليّ بإهلالك ولا عرفته فعقدتُ نيّتي بنيّتك، وقلت: **اللّهمّ إهلالاً كإهلال نبيّك، وسقت معي من البدن أربعاً وثلاثين، فقال رسول الله(صلى الله عليه وآله): الله أكبر وأنا قد سقت معي ستاً وستين، فأنت شريكي في حجّي ومناسكي وهديي، فأقم علىٰ إحرامك وعد إلىٰ جيشك وعجّل به حتىٰ نجتمع بمكّة»**، وكان عليّ(عليه السلام) قد سبق الجيش حينما بلغ مشارف مكّة وأَمّر عليهم رجلاً منهم[1].

وأدّىٰ النبيّ(صلى الله عليه وآله) مناسك الحجّ والعمرة وعلي معه، وقال (صلى الله عليه وآله): **«منىٰ كلّها منحر»**، فنحر بيده الكريمة ثلاثة وستين، ونحر عليّ (عليه السلام) سبعة وثلاثين تمام المائة، ثمّ اجتمع الناس فخطب النبيّ (صلى الله عليه وآله) خطاباً جامعاً وعظ المسلمين فيه ونصحهم[2].

أتمَّ النبيّ (صلى الله عليه وآله) والمسلمون مناسكهم في منىٰ، ثمّ رجع إلى مكّة فدخل فيها، وطاف طواف الوداع، ثمّ اتّجه إلىٰ المدينة.

١٤ ـ عليّ (عليه السلام) أمير للمؤمنين :

ولمّا انصرف النبيّ (صلى الله عليه وآله) راجعاً إلى المدينة ومعه تلك الحشود الغفيرة من

---

(١) الإرشاد للمفيد ١: ١٧١ ـ ١٧٢ (فصل في خروج النبيّ صلى الله عليه وآله إلى الحجّ)، إعلام الورىٰ بأعلام الهدى ١: ٢٥٩ ـ ٢٦٠ (فصل في حجة الوداع)، بحار الأنوار ٢١: ٣٨٤ ح ١٠، وراجع الطبقات الكبرى ٢: ١٨٨ (ذكر حجة الوداع)، مسند أحمد ١: ٣٩ (ما أسند عن عمر بن الخطاب)، صحيح البخاي ٥: ١١١ (كتاب المغازي، بعث عليّ عليه السلام إلى اليمن)، صحيح مسلم ٤: ٣٧ (كتاب الحج، باب وجوه الإحرام).

(٢) السيرة النبوية لابن كثير ٤: ٣٨١ ـ ٣٨٢ (ذكر باب إفاضة رسول الله صلى الله عليه وآله إلى البيت العتيق)، السيرة الحلبية ٣: ٣٣٠ (السنة العاشرة باب حجة الوداع).

المسلمين؛ وصل إلىٰ غدير خمّ من الجحفة التي تتشعّبُ فيها طرق أهل المدينة والعراق ومصر، وذلك في اليوم الثامن عشر من ذي الحجّة، نـزل عـليه الوحـي الإلهي قائلاً: ﴿يَا أَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ وَإِن لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَٱللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ إِنَّ ٱللّهَ لاَ يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْكَافِرِينَ﴾[١] وأمره أن يقيم عليّاً علماً للناس ويبلّغهم ما نزل فيه من تعيينه لمنصب الولاية وفرض الطاعة عـلى كـلّ مسلم، وقد ضمن الوحي للنبيّ (صلى الله عليه وآله) أن يكفيه شرّ الحـاقدين والحـاسدين مـن الناس.

وكان أوائل القوم قريباً من الجحفة، فأمر رسول الله (صلى الله عليه وآله) أن يردّ من تقدّم منهم، ويحبس من تأخّر عنهم في ذلك المكان الذي لم يكن منزلاً لأحد من قبله، ولم يكن هو(صلى الله عليه وآله) ينزل فيه لولا خطاب الوحي له، ثـمّ وقـف (صلى الله عليه وآله) بـين تـلك الجموع وقال بصوت يسمعه الجميع: **«أيّها الناس كأنّي قد دعيت فأجبت، إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فانظروا كيف تخلفوني فيهما، فإنهما لن يفترقا حتىٰ يردا عليَّ الحوض.. ثمّ قال: إنّ الله مولاي وأنا وليُّ كلّ مؤمن ومؤمنة،** وأخذ بيد عليّ (عليه السلام) وقال: **«من كنت مولاه فهذا عليٌّ مولاه، اللّهم والِ من والاه، وعادِ من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، وأَدر الحق معه حيث دار، أَلا فليبلّغ الشاهد الغائب»**.

ثمّ لم يتفرّقوا حتّىٰ نزل أمين الوحي بالآية الكريمة: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلإِسْلاَمَ دِيناً﴾[٢] .

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): **«الله أكبر على إكمال الدين وإتمام النـعمة، ورضـى الرب برسالتي والولاية لعلّي من بعدي»** ثمّ طفق المسلمون يهنّئون عليّاً بإمرة المـؤمنين وكان ممّن هنّأه من الصحابة الشيخان أبو بكر وعمر، كلٌّ يقول: بخٍ بخٍ لك يا ابن

(١) المائدة (٥) : ٦٧.

(٢) المائدة (٥): ٣.

أبي طالب، أصبحتَ وأمسيتَ مولاي ومولىٰ كلّ مؤمن ومؤمنة[١].

وروي: أنّ النبيّ (صلى الله عليه وآله) أمر بنصب خيمة لعليّ (عليه السلام) وأمر المسلمين أن يدخلوا عليه فوجاً فوجاً ويسلّموا عليه بإمرة المؤمنين، ففعل ذلك كلّهم حتّىٰ من كان معه (صلى الله عليه وآله) من أزواجه ونساء المسلمين[٢].

١٥ ـ وصيّ النبي(صلى الله عليه وآله) والتحديّات بعد غدير خم

لقد تناقل المسلمون ما جرىٰ في غدير خم وانتشر قول النبيّ (صلى الله عليه وآله): **«من كنت مولاه فعليّ مولاه»** فَبلغ الحارث ابن النعمان الفهري، فأتىٰ النبيّ(صلى الله عليه وآله) علىٰ ناقته وكان بالأبطح، فنزل وعقل ناقته وقال للنبيّ وهو في ملأ من الصحابة: يا محمّد! أمرتنا عن الله أن نشهد أن لا إله إلّا الله وأنّك رسول الله فقبلنا منك، ثمّ ذكر سائر أركان الإسلام وقال: ثمّ لم ترض بهذا حتّىٰ مددت بضبعي ابن عمّك وفضّلته علينا وقلت: **«من كنت مولاه فعليّ مولاه»** فهذا منك أم من الله؟

فقال النبيّ (صلى الله عليه وآله): **«والله الذي لا إله إلّا هو، هو أمر الله»** فولّىٰ الحارث يريد

---

(١) الإرشاد للمفيد ١: ١٧٤ ـ ١٧٧ (فصل في حديث الغدير)، إعلام الورىٰ بأعلام الهدىٰ ١: ٢٦١ ـ ٢٦٣ (فصل في بيعة غدير خم)، كشف الغمة ١: ٢٣، ـ ٢٣٨ (فصل في إنفاذ عليّ وحج رسول الله صلى الله عليه وآله)، تاريخ بغداد ٨: ٢٨٤ / ح٤٣٩٢، شواهد التنزيل ١: ٢٠٠ ـ ٢٠٣ / ح٢١٠ ـ ٢١٣، البداية والنهاية لابن كثير ٧: ٣٨٥ ـ ٣٨٦ (حديث غديرخم)، الفصول المهمة لابن الصباغ: ٤٠ ـ ٤١ (فصل في حديث براءة وغدير خم).

كانت عناية المولىٰ سبحانه عناية خاصة لإشهار هذا الحديث؛ لتتداوله الألسن؛ حتى يكون حجة قائمة لأمير المؤمنين(عليه السلام). ولذلك أمر المولىٰ عزّ وجل التبليغ في جو مزدحم بالحجيج عندما انصرف نبيّه(صلى الله عليه وآله) من الحج الأكبر. فنزلت الآيات تترى على النبيّ(صلى الله عليه وآله) تأمره بالتبليغ وعدم خشية الناس. وأمر بتبليغ الشاهد الغائب؛ ليكونوا كلهم رواة هذا الحديث. وقد بلغ عددهم مائة ألف. وبهذا الحديث صنفت المؤلفات، وتداوله المؤرخون وأرباب السير وأهل البيت، وبلغ من الشهرة والتواتر حيث لا يمكن لأحدٍ ردّه وتكذيبه، إلّا إنّ البعض حاول تأويله لغة. ومن أراد الوقوف على طرق الحديث فليقرأ نصوص وطرق وظروف الحديث للعلّامة الأميني في موسوعته (الغدير).

(٢) الإرشاد للمفيد: ١ / ١٧٦ (فصل في حديث الغدير) إعلام الورىٰ بأعلام الهدىٰ ١: ٢٦٢ (فصل في بيعة الغدير).

راحلته وهو يقول: اللّهمّ إن كان هذا هو الحقَّ من عندك فأمطر علينا حجارةً من السماء أو ائتنا بعذاب أليم، فما وصل إليها حتىٰ رماه الله بحجر فسقط علىٰ هامّته وخرج من دبره، وأنزل الله تعالىٰ: ﴿**سَأَلَ سَآئِلُ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ**﴾[١].

١٦ ـ محاولات الرسول (صلى الله عليه وآله) لتثبيت زعامة عليّ (عليه السلام):

لقد كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) علىٰ علمٍ تامّ بما سيؤول إليه وضع المسلمين من بعده، لأنّه كان يراقب العلل والأمراض التي كان قد ابتلي بها مجتمعه، وكان علىٰ يقين بأن أوّل ضربة من بعده ستوجّه إلىٰ الخطّ الرسالي الذي أرسىٰ قواعده هو بمؤازرة أخيه عليّ بن أبي‌طالب، وإلىٰ الزعامة التي أشار إليها النبيّ (صلى الله عليه وآله) في أن تخلفه ليستمرّ الخطّ الصحيح للدعوة والرسالة الإسلاميّة، ولأنّ هذا يهدّد مصالح الكثير ممّن أحاط بالرسول(صلى الله عليه وآله) ممّن كانوا يريدون أن يستفيدوا من الإسلام ويتنعّموابه حين يتزّعمون هذا الكيان الكبير الذي بناه النبيّ(صلى الله عليه وآله) بالتضحيات الكبرىٰ.

وكان(صلى الله عليه وآله) يتخوّف من أن تتحول الشريعة الإسلامية إلىٰ شيء آخر غير الذي أنزله الله عليه، وتكون خاضعة للأهواء والرغبات، وكمصداق علىٰ تخوف النبيّ هو واقعة الحارث بن النعمان الذى جاء مستفسراً بل مستنكراً علىٰ النبيّ مواقفه تجاه أخيه وابن عمّه عليّ(عليه السلام).

فما كان منه (صلى الله عليه وآله) إلّا وأن يعلن موقفه من الإتّجاه الصحيح لخطّ الدعوة

(١) الطرائف لابن طاووس: ١٥٢ ـ ١٥٣ حديث ٢٣٥، العدد القويّة: ١٨٥ ـ ١٨٦ / ح١٧، بحار الأنوار ٨: ٦ ـ ٧ / ح١٠، تفسير الثعلبي ١٠: ٣٥ (في تفسير سورة المعارج آية ١)، شواهد التنزيل ٢: ٣٨١ ـ ٣٨٢ / ح١٠٣٠ و ١٠٣١، الفصول المهمة لابن الصباغ: ٤١ ـ ٤٢ (في قول الله تعالى: سأل سائل)، السيرة الحلبية ٣: ٣٣٧ (ذكر حوادث السنة العاشرة باب حجة الوداع)، والحمويني في فرائد السمطين، والزرندي الحنفي في معارج الوصول ودرر السمطين، والسمهودي في جواهر العقدين، والعماري في تفسيره، والشربيني القاهري الشافعي في تفسيره، والمناوي الشافعي في فيض القدير، والحلبي في السيرة الحلبية والحفني الشافعي في شرح الجامع الصغير، والزرقاني المالكي في شرح المواهب اللدنية، والشبلنجي الشافعي في نور الأبصار، وغيرهم كما تجد تفصيل ذلك في الجزء الأول من موسوعة « الغدير ».

الإسلامية عبر مراحل ووسائل عديدة، فكان يكرّر لأصحابه قوله: **إن تستخلفوا عليّاً ـ وما أراكم فاعلين ـ تجدوه هادياً مهدياً يحملكم على المحجّة البيضاء**[١].

وروي أنّ سعد بن عبادة قال في ملأ من الناس: فوالله لقد سمعت رسول الله(صلى الله عليه وآله) يقول: **إذا أنا متُّ تضلّ الأهواء بعدي ويرجع الناس علىٰ أعقابهم، فالحقّ يومئذٍ مع عليّ(عليه السلام)**»[٢].

وحديث الثقلين[٣] شاهد آخر علىٰ ضرورة التمسّك بقيادة عليّ (عليه السلام) والسير على هَدْيه ومنهاج ولايته لضمان سلامة العقيدة الإسلامية وتحصينها من الانحراف.

ثمّ بدأ النبيّ (صلى الله عليه وآله) بإعداد خطّة جديدة لإتمام تنفيذ الأمر الإلهي بتنصيب عليٍّ أميراً للمؤمنين، فأمر بإعداد جيش جرّار يضمّ فيه كلّ العناصر التي يحتمل أن تدخل في حلبة الصراع السياسي مع الإمام عليّ (عليه السلام) وتتسابق معه على زعامة الساحة السياسية وقيادة الأُمّة الإسلاميّة، لئلّا ينحرف مسار الرسالة الإسلامية عن طريقها القويم.

---

(١) حلية الأولياء لأبي نعيم: ١ / ٦٤ (ترجمة عليّ عليه السلام)، شواهد التنزيل ١: ٨٣ ـ ٨٤ / ح١٠٢.

(٢) كتاب الأربعين للشيرازي: ٢٢٨ (تزييف الإجماع على خلافة أبي بكر).

(٣) أمالي الصدوق: ٥٠٠ / ح ٦٨٧، مناقب أمير المؤمنين للكوفي ٢: ١١٢ ح٦٠٤، روضة الواعظين للنيسابوري: ٢٧٣ (مجلس فى مناقب آل محمد صلى الله عليه وآله)، أمالي الطوسي: ١٦٢ / ح٢٦٨، بحار الأنوار ٦٥: ٢٢ / ح٣٧، مسند أحمد ٣: ١٤ و١٧ (ما أسند عن أبي سعيد الخدري) ج٤: ٢٧١ (حديث زيد بن أرقم)، المصنف لابن أبي شيبة ٧: ١٧٦ / ح٥ (باب الوصية بالقرآن)، المستدرك للحاكم النيسابوري ٣: ١٤٨ (باب حديث الثقلين)، تفسير الثعلبي ٩: ١٨٦ (في تفسير سورة الرحمن)، تاريخ مدينة دمشق ١٩: ٢٥٨ وترجمة زيد ابن أرقم: ٢٣٢٨، ونكتفي بهذا القدر من المصادر المهمة من الفريقين، والحديث له طرق كثيرة وصلت حدّ الشهرة بل التواتر.

١٧ ـ مرض النبيّ (صلى الله عليه وآله) وسريّة اُسامة إلى الشام :

إنّ حياة عليّ (عليه السلام) هي حياة النبيّ (صلى الله عليه وآله) وحياة الرسالة الإسلامية، فالمواقف المهمّة والصعبة في الكثير من الصراعات والأزمات والمنعطفات التي وقف فيها عليّ بكلّ بسالة وشجاعة مع رسول الله حتىٰ آخر لحظات عمره الشريف تكشف عن مدىٰ القرب والاتصال والتلاحم المصيري بين الرسول وعليّ، وتفهّمنا جيّداً من خلال الآيات والروايات وحوادث التأريخ أنّ علياً هو الامتداد الطبيعي لرسول الإسلام (صلى الله عليه وآله) وهو المؤهّل لقيادة الاُمّة الإسلامية بعد الرسول (صلى الله عليه وآله) وليس ثمة إنسان آخر قادر على أن يقوم بهذه المهمّة الكبرىٰ غيره.

لقد أودع النبيّ (صلى الله عليه وآله) عليّاً (عليه السلام) أسرار النبوّة وتفاصيل الرسالة وحمّله عبء مسؤولية رعايتها وصيانتها، حتىٰ أنّه أوكل إليه أمر تجهيزه ودفنه دون غيره، لعلمه وثقته بأنّ عليّاً (عليه السلام) سينفّذ أوامره ولا يحيد عنها قيد أنملة ولا يتردّد طرفة عين، ولم يكن النبيّ (صلى الله عليه وآله) يطمئنّ لغيره هذا الاطمئنان.

وكان النبيّ (صلى الله عليه وآله) حريصاً على إعلان خلافة عليّ (عليه السلام) وأنّه الوصيّ من بعده حتىٰ آخر لحظات حياته المباركة مضافاً إلىٰ كلّ التصريحات والتلميحات التي أبداها في شتىٰ المناسبات ومختلف المواقف.

ولمّا رجع النبيّ (صلى الله عليه وآله) من حجّه الوداع إلىٰ «طيبة»، أقام فيها أيّاماً حتى اعتلّت صحّته واشتدّ به ألم المرض، وكان (صلى الله عليه وآله) يقول: **«ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت بخيبر فهذا أوان انقطاع أبهري من ذلك السمّ»**[1] .

(١) صحيح البخاري ٥: ١٣٧ (كتاب المغازي، باب مرض رسول الله صلى الله عليه وآله)، المستدرك للحاكم النيسابوري ٣: ٥٨ (باب تعزية الخضر عليه السلام بوفاته صلى الله عليه وآله)، البداية والنهاية لابن كثير ٥: ٢٤٦ (الآيات والأحاديث المنذرة بوفاته صلى الله عليه وآله)، السيرة الحلبية ٣: ٤٥٧ (حوادث سنة ١١ باب وفاته صلى الله عليه وآله).

وتقاطر المسلمون عليه يعودونه وفي نفوسهم القلق والأسىٰ من جهة والحيرة والتساؤل عن مصير الأيّام الآتية والرسالة السماوية من جهة أُخرى، إذ كان ينعىٰ(صلى الله عليه وآله) إليهم نفسه الشريفة ويوصيهم بما يضمن لهم استمرار مسيرة الرّسالة وتحقيق السعادة والنجاح، وكان ممّا قال(صلى الله عليه وآله): **«أيّها الناس! يوشك أن أُقبض قبضاً سريعاً فينطلق بي وقدّمت إليكم القول معذرة اليكم اَلا إنّي مخلّف فيكم كتاب الله عزّ وجلّ وعترتي أهل بيتي»** وكان يأخذ بيد عليّ (عليه السلام) ويقول: **«هذا عليّ مع القرآن والقرآن مع عليّ لا يفترقان حتىٰ يردا عليَّ الحوض»**[(١)].

وأراد (صلى الله عليه وآله) أن يتمّم مساعيه لكي يهيء الأُمور لتنصيب عليٍّ خليفةً من بعده من دون أن تؤثّر عليه قوىٰ التنافس أو مؤامرات المغرضين ودسائس المنحرفين، فقد أجمع المؤرّخون علىٰ أنّ النبيّ (صلى الله عليه وآله) في الأيّام الأخيرة من حياته المباركة لم يكن يعنيه شيء أكثر من تجهيز جيش يضمّ أكبر عدد من المسلمين بما في ذلك أبو بكر وعمر ووجوه المهاجرين والأنصار، وأمّر عليهم أُسامة بن زيد وإرساله إلىٰ الحدود الشمالية لمنطقة الجزيرة العربية واستثنىٰ عليّاً (عليه السلام).

ولكنّ عدداً من الصحابة لم يَرُقْ لهم أمر النبيّ (صلى الله عليه وآله) فتثاقلوا عن الخروج في جيش أُسامة واعتذروا بأعذار واهية، وانطلقت ألسنتهم بالنقد اللاذع والإعتراض المرّ علىٰ تأمير أُسامة، فخرج (صلى الله عليه وآله) ـ رغم كلّ الآلام ـ وخطب فيهم وحثّهم علىٰ الانضواء تحت قيادة أُسامة[(٢)]، وقد بدا عليه الانفعال والتصلّب، واستمرّ يلحّ علىٰ إنفاذ الجيش والخروج نحو هدفه، وقال(صلى الله عليه وآله): **«أنفذوا جيش أُسامة، لعن الله من تخلّف عن جيش أُسامة»**[(٣)].

---

(١) أمالي الطوسي: ٤٧٩ / ح ١٠٤٥، كشف الغمة ٢: ٣٥ (باب مناقب شتى)، بحار الأنوار ٢٢: ٤٧٦ / ح٢٦، ينابيع المودة للقندوزي ١: ١٢٤ / ح٥٦، راجع الصواعق المحرقة لابن حجر: ١٢٤ و ١٢٦.

(٢) بحا الأنوار ٢١: ٤١٠ ـ ٤١١، الطبقات الكبرى ٢: ١٨٩ ـ ١٩٠ (ذكر سرية أُسامة).

(٣) دعائم الإسلام ١: ٤١ (باب ذكر التوقيف على الأئمة(عليهم السلام))، الصراط المستقيم ٢: ٢٩٦ (فصل ٩، باب ←

ونجد هنا غرابةً في الموقف، وهي إلحاح الرسول(صلى الله عليه وآله) علىٰ إنفاذ جيش اُسامة إلىٰ الوجهة التي وجّهها إيّاه علىٰ الرغم من مرضه وعلمه بدنوّ أجله، فلو كان لأحد ممّن كان تحت إمرة اُسامة أهميّة في حالة وفاة النبيّ (صلى الله عليه وآله)؛ لاستثناه. وأعجب من ذلك هو تلكّؤ بعض الصحابة عن تنفيذ أمر النبيّ وتخلّفهم عن جيش اُسامة، فكأن هناك أمراً خفياً كانوا يريدون إبرامه[1].

ويبدو أنّ الرسول(صلى الله عليه وآله) قد استشفّ من التحركات التي صدرت من الصحابة أنّهم يبغون لأهل بيته الغوائل ويتربّصون بهم الدوائر، وأنّهم مجمعون علىٰ صرف الخلافة عنهم، فرأىٰ (صلى الله عليه وآله) أن يصون اُمّته عن الانحراف ويحميها من الفتن، فأراد أن يحاول معهم محاولة جديدة لتثبيت ولاية عليّ (عليه السلام) عليهم وتأكيد خلافته له(صلى الله عليه وآله) فقال: «**إئتوني بالكتف والدواة أكتب إليكم كتاباً لن تضلّوا بعده أبداً**».

فتنازعوا ـ ولا ينبغي عند نبيّ أن يتنازع ـ فقالوا: ما شأنه؟ أَهَجَر؟ استفهموه. فذهبوا يردّدون عليه القول: فقال (صلى الله عليه وآله): «**دعوني فالذي أنا فيه خير ممّا تدعوني إليه**»، وأوصاهم بثلاث، قال: «**أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أُجيزهم**»، وقال الرواة: «وسكت الرواة عن الثالثة» عمداً وقال بعض الرواة: قال: فنسيتها[2].

ـــــــــــــــ

← ١٢)، بحار الأنوار ٣٠: ٤٢٧، الملل والنحل للشهرستاني ١: ٢٣ (المقدمة ٤)، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٦: ٥٢ (ما روي عن أمر فاطمة عليها السلام مع أبي بكر)، المواقف للإيجي ٣: ٦٥٠.

(١) وممّا يؤكّد هذا الظنّ أنّ الصحابة الذين أبوا الخروج في جيش اُسامة كانوا يخشون تكرّر الموقف الذي حصل في غزوة تبوك عندما استخلف النبيّ (صلى الله عليه وآله) علياً في المدينة ومن ثمّ تصريحه له بـ «**أنت منّي بمنزلة هارون من موسىٰ إلّا أنّه لا نبيّ بعدي**» قد مرّ الحديث في ص١٠٩ هامش (١) ومثل هذا كان كافياً لإثارة روح التمرّد فيهم إذ لم تنتفِ بواعث الحسد في نفوسهم.

بل إنّهم أدركوا أنّ الأمر في هذه المرّة يحمل أبعاداً اُخرىٰ تتعدّىٰ مسألة الخروج مع جيش اُسامة، خاصةً بعد أن رأوا الرسول(صلى الله عليه وآله) يصرّ علىٰ خروجهم مع اُسامة ويستثني عليّاً، وعلامات المرض تشتد عليه، وفي هذه الفترة كان (صلى الله عليه وآله) يكرّر عليهم بأنّي اُوشك أن اُدعىٰ فاُجيب.

(٢) الطبقات الكبرى ٢: ٢٤٢ (ذكر الكتاب الذي أراد سول الله صلى الله عليه وآله أن يكتبه)، صحيح البخاري ٥: ١٣٧ ←

لقد دوّن أكثر المؤرّخين هذا الحديث في كتبهم علىٰ هذا النحو، ولم يذكروا من وصاياه إلّا وصيّتين وسكتوا عن الثالثة أو تناسوها مجاراةً للحاكمين الّذين تقمّصوا الخلافة بعد الرسول (صلى الله عليه وآله)، في حين أنّه لم يسبق لأحد من الرواة لأحاديثه (صلى الله عليه وآله) أن نسي شيئاً أو فاته دون أن يدوّنه حتىٰ يمكن القول بأنّهم أحصوا حتىٰ أنفاسه (صلى الله عليه وآله) فكيف نسي الحاضرون علىٰ كثرتهم وازدحامهم عنده وصيّته الثالثة وهو في حالة الوداع لهم؟ وهم ينتظرون كلّ كلمة تصدر منه تهدّئ من روعهم وتبعث الأمل في نفوسهم نحو المستقبل؟ ولولا أنّ الثالثة كانت مؤكّدة لنصوصه السابقة على خلافة عليّ (عليه السلام)؛ لم ينسها أو لم يتغافل عنها أحد من الرواة أُولئك[1]!

١٨ عليّ (عليه السلام) مع النبيّ (صلى الله عليه وآله) في اللحظات الأخيرة :

اشتدّ المرض علىٰ النبيّ (صلى الله عليه وآله) فأُغمي عليه، فلمّا أفاق قال (صلى الله عليه وآله): «**أُدعوا لي أخي وصاحبي**» وعاوده الضعف فقالت عائشة: لو بَعثتَ إلىٰ أبي بكر، وقالت حفصة: لو بعثت إلىٰ عمر، فاجتمعوا عنده جميعاً فقال (صلى الله عليه وآله): «**انصرفوا فإن تك لي حاجة أبعث إليكم**»[2].

ثمّ دُعي أخوه عليّ (عليه السلام) فلمّا دنا منه أومأ إليه، فأكبَّ عليه، فناجاه الرسول (صلى الله عليه وآله) طويلاً، ثمّ ثقل النبيّ وحضره الموت، فلمّا قارب خروج نفسه قال

← (كتاب المغازي، باب مرض رسول الله)، صحيح مسلم ٥: ٧٤ ـ ٧٥ (كتاب الوصية، باب ترك الوصية لمن له شيء يوصي به)، تاريخ الطبري ٢: ٤٣٦ (حوادث سنة ١١)، الكامل في التاريخ ٢: ٣٢٠ (حوادث سنة ١١ ذكر مرض رسول الله صلى الله عليه وآله)، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٣: ٣٠ ـ ٣١ (ذكر طرف من سيرة النبيّ صلى الله عليه وآله)، البداية والنهاية لابن كثير ٥: ٢٤٧ (باب الآيات والأحاديث المنذرة بوفاة الرسول صلى الله عليه وآله)، إمتاع الأسماع ١٤: ٤٤٧ ـ ٤٤٨ (ذكر إرادة الرسول صلى الله عليه وآله أن يكتب كتاباً لأصحابه).

(١) سيرة الأئمة الاثني عشر، للسيّد هاشم معروف الحسني: ١ / ٢٥٥.

(٢) تاريخ الطبري: ٢ / ٤٣٩ (ذكر حوادث سنة ١١).

لعليّ (عليه السلام): **«ضع رأسي في حجرك، فقد جاء أمر الله تعالى، فإذا فاضت نفسي فتناولها بيدك، وامسح بها وجهك، ثمّ وجّهني إلى القبلة وتولّ أمري وصلِّ عليَّ أوّل النـاس، ولا تفارقني حتىٰ تواريني في رمسي، واستعن بالله تعالىٰ»**[1].

وهكذا انتقل الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) إلىٰ جوار ربّه راضياً مرضيّاً بعد أن أدّىٰ رسالته بأحسن وجه، وأوضح السبيل للأُمّة من بعده. وعلي بن أبي طالب (عليه السلام) يلازمه ملازمة الظل لذي الظل ويتابعه متابعة التلميذ لأُستاذه في جميع لحظات حياته الرسالية المباركة .

* * *

(١) الإرشاد للمفيد: ١ / ١٨٦ ـ ١٨٧ (فصل في وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله).



فيه فصول :

الفصل الأوّل :

عصر الإمام عليّ (عليه السلام)

الفصل الثاني :

الإمام عليّ (عليه السلام) في عهد أبي بكر

الفصل الثالث :

الإمام عليّ (عليه السلام) في عهد عمر

الفصل الرابع :

الإمام عليّ (عليه السلام) في عهد عثمان

الفصل الأوّل

عصر الإمام عليّ (عليه السلام)

حديث الوفاة:

لم يكن حول النبيّ (صلى الله عليه وآله) في اللحظات الأخيرة من حياته سوىٰ عليّ (عليه السلام) وبني هاشم، وقد علم الناس بوفاته (صلى الله عليه وآله) من الضجيج وعويل النساء، فأسرعوا وتجمّعوا في المسجد وخارجه وهم في حالة من الإرتباك والدهشة والحيرة بين باكٍ ونائح، وبينما هم علىٰ هذه الحالة وإذا بموقف غريب يصدر من عمر إذ خرج ـ بعد أن دخل علىٰ رسول الله (صلى الله عليه وآله) ـ والسيف في يده يهزّه ويقول: إن رجالاً من المنافقين يزعمون أنّ رسول الله قد مات، إنّه والله ما مات ولكنّه قد ذهب إلىٰ ربّه كما ذهب موسىٰ بن عمران[١].

ولم يهدأ عمر من صخبه وضجيجه وعجيجه حتىٰ وصل أبو بكر[٢] إلىٰ بيت رسول الله (صلى الله عليه وآله) فكشف عن وجه النبيّ واطمأنّ من رحيله وسرعان ما خرج قائلاً ومنادياً: أيّها الناس، من كان يعبد محمّداً فإنّ محمّداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإنّ الله حيّ لا يموت، ثمّ تلا قوله تعالىٰ: ﴿**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ**﴾[٣][٤].

---

(١) الكامل في التاريخ ٢: ٣٢٣ ـ ٣٢٤ (حوادث سنة ١١ ذكر مرض سول الله (صلى الله عليه وآله)).

(٢) يروىٰ أنّ أبا بكر كان في «السنح» وهو محل يبعد عن المدينة بميل واحد أو أكثر قليلاً. راجع تاريخ الطبري ٢: ٤٤٢ (ذكر حوادث سنة ١١).

(٣) آل عمران (٣): ١٤٤.

(٤) الطبقات الكبرىٰ ٢: ٣٦٧ ـ ٣٧٠ (ذكر كلام الناس حين شكّوا بموته (صلى الله عليه وآله)). تاريخ الطبري ٢: ٤٤٢ ـ ٤٤٤←

ثمّ ترك عمر وأبو بكر وأبو عبيدة بن الجرّاح البيت الذي فيه جثمان النبيّ(صلى الله عليه وآله) وتركوه إلىٰ عليّ وأهل بيته المفجوعين بوفاته، أهل بيته الذين أذهلهم المصاب الجلل عن كلّ شيء، ثمّ قام عليّ (عليه السلام) ومَن معه من أهل بيته بتجهيز النبيّ والصلاة عليه ودفنه[1]، وفي الوقت نفسه كانت الأنصار قد عقدت اجتماعاً لها في سقيفة بني ساعدة للتشاور في أمر الخلافة بعد أن كانوا قد لمسوا من بعض الصحابة تحرّكاً مريباً تجاه خلافة الإمام عليّ بن أبي طالب(عليه السلام).

مداهمة الحزب القرشي للأنصار في السقيفة :

ما أن قرع سمع عمر خبر اجتماع الأنصار في السقيفة؛ حتىٰ أتىٰ منزل رسول الله (صلى الله عليه وآله) وكان أبو بكر قد وصل إليه ودخله ليطمئن من رحيله(صلى الله عليه وآله)، فأرسل إليه أن أُخرج إليَّ، فأجابه بأنّه مشغول، فأرسل إليه عمر ثانيةً أن أُخرج فقد حدث أمر لابدّ أن تحضره.

فخرج إليه أبو بكر، فمضيا مسرعين نحو السقيفة ومعهما أبو عبيدة والتحق بهم في الطريق آخرون، فأدركوا الأنصار في ندوتهم في سقيفة بني ساعدة ولمّا يتمّ الاجتماع بعد ولم ينفضّ أصحابه، فتغيّر لون سعد بن عبادة وأُسقط ما في أيدي الأنصار وساد عليهم الوجوم والذهول، ونفذ الثلاثة في تجمّع الأنصار أتمّ نفوذ وأتقنه نفوذاً كشف عن معرفتهم بالنفوس ونوازعها ورغباتها وعن معرفتهم بنقاط الضعف التي من خلالها أسقطوا الأنصار وأخرجوهم من دائرة النزاع على الخلافة.

← (حوادث سنة ١١ من الهجرة) ، الكامل في التاريخ: ٣٢٣/٢ ـ ٣٢٤ (حوادث سنة ١١ ، ذكر مرض رسول الله صلى الله عليه وآله) .

(١) الكامل في التاريخ ٢: ٣٣٢ ـ ٣٣٣ (حوادث سنة ١١ تجهيز النبيّ صلى الله عليه وآله).

وحين أراد عمر أن يتكلّم نهره أبو بكر لعلمه بشدّته وغلظته والموقف خطير وملبّد بالأحقاد والأضغان، ويجب أن يستعمل فيه البراعة السياسية والكلمات الناعمة لكسب الموقف أوّلاً ثمّ يأتي دور الشدّة والغلظة والتهديد ثانياً.

لقد افتتح أبو بكر الحديث بأُسلوب بليغ فخاطب الأنصار باللطف، ولم يستعمل في خطابه أيّ كلمة مثيرة لعواطفهم فقد قال: «نحن المهاجرون[1] أوّل الناس إسلاماً، وأكرمهم أحساباً، وأوسطهم داراً، وأحسنهم وجوهاً، وأمسّهم برسول الله (صلى الله عليه وآله) رحماً، وأنتم إخواننا في الإسلام، وشركاؤنا في الدين، نصرتم وواسيتم، فجزاكم الله خيراً، فنحن الأُمراء وأنتم الوزراء، لا نفتات عليكم بمشورة، ولا نقضي دونكم الأُمور، فقال الحباب بن المنذر بن الجموح: يا معشر الأنصار! املكوا عليكم أمركم، فإنّ الناس في ظلّكم ولن يجترئ مجترئ علىٰ خلافكم، ولا يصدر أحد إلّا عن رأيكم، أنتم أهل العزّة والمنعة، وأُولو العدد والكثرة، وذوو البأس والنجدة، وإنّما ينظر الناس ما تصنعون فلا تختلفوا فتفسد عليكم أُموركم، فإن أبىٰ هؤلاء إلّا ما سمعتم فمنّا أمير ومنهم أمير»، فقال عمر: «هيهات! لا يجتمع سيفان في غمد، والله لا ترضىٰ العرب أن تؤمّركم ونبيّها من غيركم، ولا تمتنع العرب أن تولّي أمرها من كانت النبوّة منهم، فمن ينازعنا سلطان محمّد ونحن أولياؤه وعشيرته»؟!

فقال الحباب بن المنذر: «يا معشر الأنصار! املكوا أيديكم، ولا تسمعوا مقالة هذا وأصحابه فيذهبوا بنصيبكم من هذا الأمر، فإن أبوا عليكم؛ فاجلوهم من هذه البلاد، وأنتم أحقّ بهذا الأمر منهم، فإنّه بأسيافكم دانَ الناس بهذا الدين، أنا جذيلها المحكَّك وعُذيقها المرجَّب، أنا أبو شبل في عرينة الأسد، والله إن شئتم لنعيدها جذعة».

وهنا تأزّم الموقف وكاد أن يقع الشرّ بين الطرفين، فوقف أبو عبيدة بن

---

(١) والصحيح هو «نحن المهاجرين».

الجرّاح ليَحُول دون ذلك ويتدارك الفشل، فقال بصوت هادئ مخاطباً الأنصار: «يا معشر الأنصار! أنتم أوّل من نصر وآوىٰ، فلا تكونوا أوّل من بدّل»، وانسلّت كلماته هادئةً إلىٰ النفوس، فسادَ الصمت لحظات علىٰ الجميع، فاغتنمها بشير بن سعد لصالح المهاجرين هذه المرّة، يدفعه لذلك حَسده لسعد بن عبادة فقال: «يا معشر الأنصار! ألا إنّ محمّداً من قريش وقومه أولىٰ به، وأيم الله لا يراني الله أُنازعهم هذا الأمر».

فاغتنم المهاجرون الثلاثة هذه الثغرة في جبهة الأنصار، فطفقوا يقدّم بعضهم بعضاً، فبدا أنّهم لم يروا أنّ واحداً منهم يدعمه نصّ شرعيّ أو يختص بميزة ترفع من رصيده مقابل غيره فتؤهّله للخلافة.

فقال أبو بكر: هذا عمر وأبو عبيدة بايِعوا أيّهما شئتم، وقال عمر: يا أبا عبيدة ابسط يدك أُبايعك، فأنت أمين هذه الأُمّة، فقال أبو بكر: يا عمر! ابسط يدك نبايع لك، فقال عمر: أنت أفضل منّي، قال أبو بكر: أنت أقوىٰ منّي، قال عمر: قوّتي لك مع فضلك أبسط يدك أُبايعك فلمّا بسط يده ليبايعاه سبقهما بشير بن سعد فبايعه، فناداه الحباب بن المنذر: يا بشير! عَقَّتك عقاق أنفِستَ علىٰ ابن عمّك الإمارة؟!

ولمّا رأت الأوس ما صنع بشير وما تطلب الخزرج من تأمير سعد؛ قال بعضهم لبعض وفيهم أُسيد بن خضير وكان نقيباً: والله لئن وليتها الخزرج مرّة؛ لازالت عليكم بذلك الفضيلة أبداً، فقوموا فبايعوا أبا بكر، فانكسر علىٰ سعد والخزرج ما أجمعوا عليه، وأقبل أصحاب أُسيد يبايعون أبا بكر[1].

وقالت بعض الأنصار: لانبايع إلّا عليّاً[2].

(١) الإمامة والسياسة ١: ٢٢ ـ ٢٨ (ذكر السقيفة وبيعة أبي بكر)، تاريخ الطبري ٢: ٤٥٥ ـ ٤٥٨ (حوادث سنة ١١ ذكر الخبر عما جرىٰ بين المهاجرين والأنصار في السقيفة)، الكامل في التاريخ ٢: ٣٢٦ ـ ٣٣١ (حوادث سنة ١١ ذكر حديث السقيفة)، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٦: ٥ ـ ١١ (يوم السقيفة).

(٢) تاريخ الطبري: ٤٤٣/٢ (حوادث سنة ١١).

ثم أقبل أبـو بكـر والجـماعة التـي تـحيط بـه يـزفّونه إلىٰ المسـجد زفـاف العروس[1] والنبيّ (صلى الله عليه وآله) لازال ملقىً علىٰ فراش الموت، وعمر يهرول بين يديه وقد نبر حتىٰ أزبد شدقاه وجماعته تحوطه وهم مـتّزرون بـالأُزر الصـنعانية، لا يمرّون بأحد إلّا خبطوه وقدّموه، فمدّوا يده فمسحوها علىٰ يد أبي بكر يبايعه شاء ذلك أو أبىٰ[2].

لقدكانت حجّة الحزب القرشي في السقيفة ضد الأنصار مبنيّة علىٰ أمرين:

١ ـ إنّ المهاجرين أوّل الناس إسلاماً.

٢ ـ إنّهم أقرب الناس إلىٰ رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأمسّهم به رحماً.

وقد أدان هؤلاء القادة أنـفسهم بـهذه الحـجّة، وذلك لأنّ الخـلافة إذاكـانت بالسبق إلىٰ الإسلام والقرابة القريبة من رسـول الله (صلى الله عليه وآله) ـ كـما يـدّعون ـ فـهي لعليّ (عليه السلام) وحده، لأنّه أوّل الناس إسلاماً وإيماناً وتصديقاً بـالرسالة الإسـلامية، وأخوه بمقتضىٰ المؤاخاة التي عـقدها النـبيّ بـينه وبـين عـليّ يـوم آخـىٰ بـين المهاجرين في مكّة، وبينهم وبين الأنصار في المدينة، وابن عمّه نسباً وأقـرب الناس إلىٰ نفسه وقلبه بلا شكّ لأحدٍ في ذلك.

تحليل الموقف في السقيفة :

لقد سارع الأنصار إلىٰ سقيفة بني ساعدة، وعقدوا لهم اجتماعاً سرّياً أحاطوه بكثير من الكتمان والتحفّظ، وأحضروا معهم شيخ الخزرج سعد بن عبادة الذي كان مريضاً، فقال لبعض بنيه: إنّه لا يستطيع أن يسمع المجتمعون صوته لمرضه، وأمره أن يتلقّىٰ منه قوله ويردّده علىٰ مسامع الناس، فكان سعد يتكلّم ويستمع

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٦ / ٨.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١ / ٢١٩ (اختلاف الرأي في خلافة أبي بكر).

اليه ابنه، ويرفع صوته بعد ذلك، قال سعد مخاطباً الحاضرين:

أنّ لكم سابقةً إلىٰ الدين وفضيلةً في الإسلام ليست لقبيلة من العرب، إنّ رسول الله لبث في قومه بضع عشرة سنة يدعوهم إلىٰ عبادة الرحمن وخلع الأوثان، فما آمن من قومه إلّا قليل، حتىٰ أراد بكم خير الفضيلة، وساق إليكم الكرامة، وخصّكم بدينه، فكنتم أشد الناس علىٰ من تخلّف عنه، وأثقلهم علىٰ عدوّه من غيركم، ثمّ توفّاه الله وهو عنكم راضٍ. فشدّوا أيديكم بهذا الأمر فإنّكم أحقّ الناس وأولاهم[1].

لكنّ المتتّبع للأحداث يلمح أنّ اجتماع الأنصار لم يكن في بداية أمره للاستئثار بتراث النبيّ (صلى الله عليه وآله) واغتصاب الخلافة من أهلها الشرعيّين، وذلك من خلال ملاحظة ما يلي:

١ ـ عدم حضور خيار الأنصار وهم البدريّون في الاجتماع، مثلُ : أبي أيوب الأنصاري، حذيفة بن اليمان، البراء بن عازب، عبادة بن الصامت.

٢ ـ إنّ الأنصار كانوا يعلمون جيّداً النصوص النبويّة ويحفظونها، ومنها: **أنّ الأئمة من قريش**[2]، وعرفوا جيّداً الأحكام الواردة في شأن العترة الطاهرة وشهدوا تنصيب عليّ (عليه السلام) في غدير خم، وأوصاهم النبيّ (صلى الله عليه وآله) بعليّ وأهل بيته (عليهم السلام)،

---

(١) السقيفة وفدك للجوهري: ٥٦ ـ ٥٧ (السقيفة القسم الأوّل)، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٦: ٥ ـ ٦ (ذكر يوم السقيفة).

(٢) قد ورد هذا الحديث بعدّة ألفاظ: مرة خلفاء ونقباء، ومرة أُمراء، وأخرىٰ أئمة، وكلهم من قريش، وكذلك تعددت طرق الحديث حيث بلغ حدّ التواتر إلّا أنه فسّره البعض على هواه، دون التحقق من حقيقة هدف هذا الحديث وإلىٰ أي طريق يريد ايصال المجتمع الإسلامي ومن هو صاحب الطريق الحقّ.

راجع أمالي الصدوق: ٣٨٧ و ٣٨٨ / ح ٤٩٩ و ٥٠٠، الغيبة للنعماني: ١٠٤ / ح ٣١ و ٣٢ (فصل ١ من الباب ٤)، الغيبة للطوسي: ١٢٨ ـ ١٢٩ / ح ٩٠ ـ ٩٣، بحار الأنوار ٣٦: ٢٣٠ ـ ٢٣١ / ح ١١ ـ ١٢، مسند أحمد ٥: ٨٧ ـ ٨٨ (حديث جابر بن سمرة)، صحيح البخاري ٨: ١٢٧ (كتاب الإحكام)، صحيح مسلم ٦: ٣ ـ ٤ (كتاب الإمارة، باب الناس تبع لقريش)، سنن الترمذي ٣: ٢٤٠، باب ٤٠، ح ٢٣٢٣، مستدرك الحاكم النيسابوري ٣: ٦١٧ (ذكر أبي جحيفة) وغيرها من كتاب السيرة والتاريخ أحجمنا عن ذكرها روماً للاختصار.

وحين أدركوا أنّه ليس له دور رئيس في الحكم أخذوا يقولون: لا نبايع إلّا عليّاً[١].

٣ ـ ثمّ إنّ النبيّ (صلى الله عليه وآله) لم يزل مسجّىً ولم يُدفن بعدُ، فهل يعقل أن لا يشارك خيارهم في شرف حضور مراسم الدفن وينشغلوا في اجتماع انتخاب الخليفة؟

٤ ـ من الممكن تفسير اجتماعهم هذا بأنّه لتقرير مصيرهم من الحكم الجديد بعد علمهم بما كانت تخطّط له قريش من تطبيق قرارهم الذي صرّحوا به من أنّه: لا تجتمع النبوّة والخلافة في بني هاشم؛ وهم ليست لهم دوافع كالتي كانت في نفوس زعماء قريش، ثمّ إنّ تخوّفهم هذا له سوابق فبعد فتح مكّة؛ خشيت الأنصار أن لا يعود معهم النبيّ (صلى الله عليه وآله) وكان طبيعيّاً أن يتخوّفوا من العزلة السياسية والإداريّة.

وإذا قرّرت قريش صرف الخلافة عن صاحبها الشرعيّ وهو عليّ (عليه السلام)؛ فما دور الأنصار وهم الثقل الأكبر في جمهور المسلمين، ولهم الدور الفاعل والرئيس في نشر الرسالة الإسلاميّة ؟ !

إنّ اجتماع الأنصار في السقيفة لم يكن حاسماً في قراراته، فقد عُقد لدراسة الاحتمالات المتوقّعة للخلافة بعد الرسول (صلى الله عليه وآله) ، وأيضاً لم يكن جميع الأنصار علىٰ رأي واحد، فقد كانت تختفي في اُفق الاجتماع نوايا متنافرة وتنطوي النفوس علىٰ رغبات متضادّة، فنجد بعضهم يجيب سعداً قائلاً : وفّقت في الرأي وأصبت في القول، ولن نعدو ما رأيت، نولّيك هذا الأمر.

ثمّ ترادّوا في الكلام فقالوا: فإن أبىٰ المهاجرون وقالوا نحن أولياؤه وعشيرته.

وهنا انبرى آخرون فقالوا: نقول: منّا أمير ومنكم أمير، فعلّق سعد على هذا

---

(١) تاريخ الطبري: ٢ / ٤٤٣.

الاقتراح قائلاً: فهذا أوّل الوهن[١].

إنّ الأنصار بموقفهم هذا قد هيّأوا فرصة سياسية ثمينة ماكانت لتفوت الجناح المترقّب للفوز بالسلطة، وفتحوا باب الصراع على مصراعيه بعيداً عن القيم والأحكام الإسلامية؛ إذ قدّمت فيه الحسابات القبلية علىٰ الحسابات الشرعية، وتقدّمت فيه مصلحة القبيلة علىٰ مصلحة الرّسالة الإسلامية.

وقد اعتذر عمر من مباغتة الأنصار في السقيفة فقال: وإنّا والله ما وجدنا أمراً هو أقوىٰ من مبايعة أبي بكر، خشينا إن فارقنا القوم ولم تكن بيعة أن يحدثوا بعدنا بيعة، فإمّا أن نتابعهم علىٰ ما لا نرضىٰ أو نخالفهم فيكون الفساد...[٢].

وهكذا أخذ الموقف السياسي يزداد تعقيداً وإعضالاً.

نظرة قريش للخلافة :

حين انطلقت الرسالة الإسلامية في مكّة وبين ظهراني قريش؛ لم تتحمّل قريش ظهور نبيّ في بطنٍ من خيار بطونها، بل أفضلها على الإطلاق وهم بنو هاشم، فاجتمعت كلمة قريش علىٰ محاربة النبيّ (صلى الله عليه وآله) وبني هاشم بكلّ وسائل الحرب ومقارعتهم بشتّىٰ الأساليب وخطّطت للتآمر لا حُبّاً بالأصنام وما هم عليه من عبادتها ولا كراهية للدعوة الجديدة، فليس في الإسلام ما لا ترتضيه الفطرة السليمة[٣] ، لكن قريشاً لا تريد أن تفقد الموقع السياسي والاجتماعي القائم علىٰ اقتسام مناصب الشرف والسيادة، في مجتمع الجزيرة الذي كانت تحكمه النزعة

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٦: ٦ (ذكر يوم السقيفة).

(٢) مسند أحمد ١: ٥٦ (مسند عمر حديث السقيفة)، تاريخ الطبري ٢: ٤٤٧ (حوادث سنة ١١ حديث السقيفة)، الكامل في التاريخ ٢: ٣٢٨ (حوادث سنة ١١ حديث السقيفة)، البداية والنهاية لابن كثير ٥: ٢٦٧ (قصة السقيفة)، السيرة الحلبية ٣: ٤٨٣ (حوادث سنة ١١ قصة السقيفة).

(٣) يروى أنّ كثيراً من زعماء قيش كانوا يجاهرون بالعداء للدين ولكنّهم يذهبون خلسةً لاستماع القرآن.

القبلية.

من هنا لم تحب قريش أن يتميّز البطن الهاشمي عن بقيّة بطونها ولا أن يتفوّق عليها، وقد تصوّرت أنّ التفاف الهاشميّين حول النبوّة الجديدة ودفاعهم المستميت عن النبيّ (صلى الله عليه وآله) هو إصرار هاشمي علىٰ التميّز والرغبة بالتفوّق علىٰ الجميع، فحاصرت قريش الهاشميّين في شِعب أبي طالب، وتآمرت علىٰ قتل النبيّ(صلى الله عليه وآله)، وفشل الحصار وفشلت محاولات الاغتيال لشخص النبيّ(صلى الله عليه وآله)، وعلا شأن الرسالة الإسلامية علىٰ كلّ القوىٰ المناوئة، وأسلمت قريش طوعاً أو كرهاً، فلم تعد لقريش قدرة علىٰ الوقوف في وجه النبوّة الخاتمة.

ولكنّ إعداد النبيّ (صلى الله عليه وآله) العدّة لتكون الخلافة من بعده لعليّ ولذرّيّته (عليهم السلام) بأمر من الله تعالى وباعتبارهم. الأجدر والأعلم بأُصول الشريعة وأحكامها، وأنّهم الأفضل من كلّ أتباعه، والأنسب لقيادة الأُمّة، قد أثار هذا المنطق في نفوس قريش النزعة القبلية والأحقاد الجاهليّة فقرّرت أن لا تسمح باجتماع النبوّة والخلافة في بني هاشم، فالنبوّة والخلافة في عرف قريش سلطان وحكم كما صرّح بذلك أبو سفيان يوم فتح مكّة بقوله للعبّاس بن عبدالمطّلب: لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيماً[1].

هذه الرؤية كانت قد سادت على الأجواء السياسية المحمومة في آخر أ يّام النبيّ (صلى الله عليه وآله)، وقريش ترىٰ أنّ النبيّ ميّت لا محالة في مرضه هذا، وقد أخبرهم (صلى الله عليه وآله) بذلك، وأيضاً لو تركت الأُمور علىٰ ما خطّطه النبيّ(صلى الله عليه وآله) لتسير في مجراها الطبيعي فالخلافة ستؤول إلىٰ عليّ (عليه السلام) حتماً. من هنا كان الحزب

---

(١) تفسير مجمع البيان ١٠: ٤٧١ (تفسير سورة النصر)، بحار الأنوار ٢: ١٠٤، الطبقات الكبرىٰ ٢: ١٣٥ (ذكر غزوة رسول الله صلى الله عليه وآله عام الفتح)، تاريخ الطبري ٢: ٣٣٣ (حوادث سنة ٨ غزوة فتح مكة)، الكامل في التاريخ ٢٤: ٣٤٦ (حوادث سنة ٨ ذكر فتح مكة).

المناوئ لبني هاشم بصورة عامّة ولعليّ (عليه السلام) خاصّة لابدّ له من التحرّك لضبط كلّ تحرّك لا يروق لقريش، فكانت السقيفة.

يشهد لقرار قريش بعدم السماح باجتماع النبوّة والخلافة في بني هاشم المحاورة التي جرت بين عمر وابن عباس في زمن خلافة عمر، فقد قال له عمر: يا ابن عباس! أتدري ما منع قومكم منكم بعد محمّد (صلى الله عليه وآله)؟ قال ابن عباس: فكرهت أن أُجيبه فقلت: إن لم أكن أدري فإنّ أمير المؤمنين يدري، فقال عمر: كرهوا أن يجمعوا لكم النبوّة والخلافة فتجحفوا علىٰ قومكم، فاختارت قريش لأنفسها فأصابت ووفّقت[1].

وثمّة أمر آخر يتعلّق بموضوع تحويل الخلافة عن عليّ (عليه السلام) وهو أنّ عليّاً(عليه السلام) كان قد وتر قريشاً في حروبها ضد الإسلام وإنّ كلّ دم أراقه رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان بسيف عليّ (عليه السلام) وسيف غيره فإنّ العرب بعد وفاته (صلى الله عليه وآله) عصبت تلك الدماء بعليّ وحده، لأنّه لم يكن في رهط النبيّ مَن يستحق في شرع قريش وعاداتهم أن يعصب به تلك الدماء إلّا عليّ وحده[2].

ومن هنا كان التخطيط لصرف الخلافة عن عليّ(عليه السلام) أمراً متوقّعاً وطبيعيّاً في عرف قريش القبلي المبتني على اقتسام مناصب الشرف والزعامة.

ملامح التخطيط لإقصاء الخلافة عن الإمام عليّ (عليه السلام):

يُلاحظ المتتبّع لأحداث التاريخ قبل رحيل الرسول(صلى الله عليه وآله) وبعده أنّ هناك تخطيطاً محكماً كان يبيّته الخطّ المناوئ لعليّ (عليه السلام) لتقمّص الخلافة ومنع عليّ من

---

(١) السقيفة وفدك للجوهري: ١٣١ (القسم الثاني)، تاريخ الطبري ٣: ٣٨٩ (حوادث سنة ٢٣ خبر من رثا عمر)، الكامل في التاريخ ٦٣ ـ ٦٤ (حوادث سنة ٢٣ بعض سيرة عمر).

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٣: ٣٠٠ (ذكر وصية ابن عباس).

ممارستهاكما خطط له رسول الله(صلى الله عليه وآله) ويمكن معرفة ذلك من خلال ما يلي :

١ ـ بقاؤهم في المدينة وإصرارهم على عدم الخروج منها على أيّ حال، وازداد إصرارهم عندما عرفوا أنّ النبيّ (صلى الله عليه وآله) قد تدهورت صحّته، كما لاحظوا بأنّ النبيّ (صلى الله عليه وآله) في تلك الأيام كان يكثر من التوصية بعليّ (عليه السلام) وضرورة اتّباعه ضماناً لسلامة الدين والدولة.

٢ ـ حضورهم الدائم قرب الرسول ومحاولتهم الحيلولة دون حصول شيء يدعم ولاية عليّ (عليه السلام)، فكان الشغب وايجاد التوتّر في مجلس النبيّ (صلى الله عليه وآله) تحت شعار: «حسبنا كتاب الله» ثمّ اتهام النبيّ المعصوم (صلى الله عليه وآله) بغلبة الوجع ممّا أزعج النبيّ، حيث إنّ قول النبيّ (صلى الله عليه وآله): **«إئتوني : بدواة وكتف»**[1] من غير المعقول أن يثير النفور والشكّ في نفوس الجميع، فلم يكن داعٍ لِإعتراضهم إلّا إثارة الشغب ومنع النبيّ (صلى الله عليه وآله) عن الكتابة.

٣ ـ السرعة في البتّ بموضوع الخلافة وإتمام البيعة عبر استغلالهم الفرصة بانشغال الإمام عليّ (عليه السلام) وبني هاشم بمراسم تجهيز النبيّ ودفنه، فحين علم عمر بنبأ الاجتماع في السقيفة؛ أرسل إلىٰ أبي بكر حين دخل إلى بيت رسول الله(صلى الله عليه وآله): أن اُخرج فقد حدث أمر لابدّ أن تحضره، ولم يوضّح ذلك خشية أن يطّلع عليه عليّ أو أحد من بني هاشم. فهل كان هذا الأمر المهمّ يعني أبا بكر دون بقيّة المسلمين وفيهم من هو أحرص علىٰ الإسلام من أبي بكر وعمر؟ ولماذا لم يدخل عمر بنفسه إلىٰ داخل دار النبيّ (صلى الله عليه وآله) حيث يجتمع الناس فيتحدّث اليهم ؟

٤ ـ سعيهم لضمان حياد الأنصار وإبعادهم عن ميدان التنافس السياسي بدعوىٰ أنّهم ليسوا عشيرة النبيّ (صلى الله عليه وآله).

٥ ـ الترتيب في أخذ البيعة أوّلاً من الأنصار، لأنّ قريشاً لو بايعت الخليفة

(١) تقدم الحديث في ص١٢٦.

الجديد؛ لما كان لبيعتها أدنىٰ قيمة واقعية، ولأمكن الإمام فيما بعد أن يقيم الحجّة علىٰ قريش، ولا يمكن لأيّ فرد أن يقف في موقع الندّ لعليّ (عليه السلام) إذا كانت الأنصار في كفّة الإمام.

ويمكن ملاحظة ذلك من طريقة أخذ البيعة بعد الخروج من السقيفة، إذ كان الناس مجتمعين في المسجد فقال عمر: ما لي أراكم مجتمعين حلقاً شتّىٰ ؟ ! قوموا فبايعوا أبا بكر فقد بايعته الأنصار، فقام عثمان ومن معه من بني اُميّة فبايعوا، وقام سعد وعبدالرحمن ومعهما بنو زهرة فبايعوا.

٦ ـ دخول عناصر من خارج المدينة معدّةً سلفاً لتأييد الطرف المناوئ لبني هاشم، بدليل قول عمر: ما هو إلّا أن رأيت «أسلم» فأيقنتُ بالنصر[١].

٧ ـ محاولتهم التعتيم على الإجراءات التي تمّت ، واتهامهم لكلّ مَن يعارضهم بأنّه يريد الفتنة وشقّ عصا المسلمين، وقد اتّضح ذلك من خلال الحوادث التي تتابعت فيما بعدُ، والقضاء على من ثبت على عدم البيعة وخالف قرار السقيفة[٢].

٨ ـ ومن الأدلّة علىٰ التخطيط السابق: أنّ عثمان بن عفّان كتب اسم عمر في الوصية كخليفة من بعد أبي بكر[٣] من دون أن يأمره بذلك، فقد كان مغمىً عليه، فمن أين علم عثمان أنّ عمر هو الخليفة بعد أبي بكر ؟

٩ ـ ثمّ إنّ عمر وضع عثمان ضمن مجموعة أحدها يكون خليفة المسلمين[٤]

---

(١) تاريخ الطبري: ٢ / ٤٥٩ (حوادث سنة ١١ خبر السقيفة).

(٢) الطبقات الكبرىٰ ٣: ٢٠٠ (ذكر وصيّة أبي بكر)، تاريخ الطبري ٢: ٦١٨ (ذكر أسماء قضاته، حوادث سنة ١٣)، الكامل في التاريخ ٢: ٤٢٥ (ذكر استخلاف عمر، حوادث سنة ١٣)، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١: ١٦٥ (عهد أبي بكر بالخلافة).

(٣) تاريخ الطبري ٣: ٢٩٣ (حوادث سنة ٢٣ قصة الشورىٰ)، الطبقات الكبرى ٣: ٣٤٤ (ذكر استخلاف عمر)، الكامل في التاريخ ٣: ٦٦ (حوادث سنة ٢٣ قصة الشورى)، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٩: ٤٩ (أخبار يوم الشورىٰ).

(٤) أنساب الأشراف ٥: ١٩.

وخطط للشورى بما يضمن ترشيحه، وأيّ خبير بالتأريخ مُلمّ بمجريات الأُمور وتركيبة المرشّحين الستّة يستطيع أن يحلّل ذلك كما حلل الإمام عليّ(عليه السلام) الموقف بوضوح.

١٠ ـ حين تشكّلت الحكومة التي تمخّضت عن اجتماع السقيفة؛ تولّىٰ أبو بكر الخلافة، وأبو عبيدة المال، وعمر القضاء[1]، وهذه هي أهمّ المناصب وأكثرها حساسيةً في مناهج الحكم والدولة، هذه التركيبة لجهاز الدولة والعناصر الحاكمة لا تتأتّىٰ صدفةً ولا يتمّ ذلك إلّا عن تخطيط سابق .

١١ ـ قول عمر حين حضرته الوفاة: لو كان أبو عبيدة حيّاً استخلفته[2]. وليست كفاءة أبي عبيدة هي التي أوحت إلىٰ عمر بهذا التمنّي، لأنّه كان يعتقد أهليّة عليّ (عليه السلام) للخلافة، ومع ذلك لم يشأ أن يتحمّل أمر الأُمّة ـ كما زعم ـ حيّاً كان أو ميّتاً.

١٢ ـ اتّهام معاوية لأبي بكر وعمر بالتخطيط لاستلاب الخلافة من عليّ (عليه السلام)، وهو المقرّب منهما كما جاء ذلك في كتابه إلىٰ محمّد بن أبي بكر إذ قال: فقد كنّا وأبوك نعرف فضل ابن أبي طالب وحقّه لازماً لنا مبروراً علينا، فلمّا اختار الله لنبيّه (صلّى الله عليه وآله) ما عنده وأتمّ وعده وأظهر دعوته وأفلج حجّته وقبضه إليه؛ كان أبوك والفاروق أوّل من ابتزّه حقّه وخالفه علىٰ أمره، علىٰ ذلك اتّفقا واتّسقا، ثمّ إنّهما دعواه إلىٰ بيعتهما فأبطأ عنهما وتلكّأ عليهما فهمّا به الهموم وأرادا به العظيم[3].

---

(١) الكامل في التأريخ: ٢ / ٤٢٠ (حوادث سنة ١١).

(٢) تاريخ الطبري ٣: ٢٩٢ (حوادث سنة ٢٣ قصة الشورىٰ)، الكامل في التاريخ ٣: ٦٥ (حوادث سنة ٢٣ قصة الشورىٰ)، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١: ١٩٠ (قصة الشورىٰ).

(٣) وقعة صفّين لابن مزاحم: ١١٩ ـ ١٢٠ (قدوم ابن عباس)، الاختصاص للمفيد: ١٢٦ (ردّ معاوية على كتاب محمّد بن أبي‌بكر)، بحار الأنوار ٣٣: ٥٧٩ / ح ٧٢٤، أنساب الأشراف للبلاذري: ٣٩٦ (ترجمة عليّ عليه السلام جواب معاويه على كتاب محمد بن أبي بكر)، مروج الذهب للمسعودي ٣: ١٩٩ (ذكر خلافة معاوية)، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣: ١٨٩ ـ ١٩٠ (ذكر كتاب معاوية رداً على كتاب محمّد بن أبي‌بكر).

١٣ ـ قول أمير المؤمنين عليّ (عليه السلام) لعمر: **إحلب يا عمر حلباً لك شطره، اشدد له اليوم أمره ليرد عليك غداً**[١].

١٤ ـ إتّهام الزهراء (عليها السلام) للحاكمين بالحزبيّة السياسية والتآمر للإنقضاض علىٰ السلطة وتجريد بني هاشم منها بقولها:

«**فوسمتم غير إبلكم، وأوردتم غير شربكم... ابتداراً زعمتم خوف الفتنة؟ ﴿ أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِٱلْكَافِرِينَ ﴾**[٢] »[٣].

سلبيّات حادثة السقيفة :

١ ـ الاستبداد بالرأي والقرار، فقد استهان المشاركون في السقيفة بوصايا رسول الله (صلى الله عليه وآله) للمسلمين بالاهتمام بعترته الطاهرة، واستخفّوا بأوامره المصرّحة بلزوم الاقتداء بهم والتمسّك بحبلهم، ولو فرض ـ جدلاً ـ أنّه لا نصّ بالخلافة من رسول الله (صلى الله عليه وآله) علىٰ أحد من آل محمد وفرض كونهم غير متميّزين في حسب أو نسب أو أخلاق أو جهاد أو علم أوعمل أو إيمان أو إخلاص، بل كانوا كسائر الصحابة، فهل كان ثمّة مانع شرعيّ أو عقليّ أو عرفيّ يمنع تأجيل عقد البيعة إلىٰ حين الإنتهاء من تجهيز رسول الله(صلى الله عليه وآله)[٤]؟ !

إن هذا الاستعجال من المبادرين لسدّ الفراغ الذي خلّفته وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله)

---

(١) الصراط المستقيم للعاملي ٢: ٢٢٥ (الباب ١١)، كتاب الأربعين للشيرازي: ١٥٣ (ترتيب الاجماع على خلافة عليّ عليه السلام)، بحار الأنوار ٢٨: ١٨٥ / ح ١، الإمامة والسياسة: ٢٩ (إباية عليّ عليه السلام البيعة)، السقيفة وفدك للجوهري: ٦٢ (القسم الأوّل)، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٦: ١١ (أخبار يوم السقيفة).

(٢) التوبة (٩): ٤٩.

(٣) شرح الأخبار ٣: ٣٥ / ح ٩٧٤، الطرائف لابن طاووس: ٢٦٥ (ما جرى على فاطمة عليها السلام)، بحار الأنوار ٢٩: ٢٢٥ و ٢٣٧ و ٢٧٣، السقيفة وفدك للجوهري: ١٤٣ (القسم الثاني)، بلاغات النساء لابن طيفور: ١٤ (ذكر كلام فاطمة وخطبها)، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٦: ٢٥١ (الفصل الثاني: هل النبيّ يورث).

(٤) النّص والاجتهاد للسيّد عبدالحسين شرف الدين: ٢٥ ط أُسوة.

إن دلّ على شيء فإنّما يدلّ على وجود نصوص أو أرضية تشريعية كان ينبغي تفويتها والمبادرة لأخذ زمام الأمر، لئلّا تأخذ النصوص فاعليتها إن جرت الأُمور بشكل طبيعي، ولهذا قال عمر عن بيعة أبي بكر: إنّها كانت فلتة وقى الله المسلمين شرّها ألا ومن عاد لمثلها فاقتلوه[1].

٢ ـ لم تكن البيعة جامعة لأهل الحلّ والعقد الذي يعتبر شرطاً أساسياً في حصول الإجماع وفي مشروعية الانتخاب إن كان الاجماع دليل المشروعية له، إذ أُلغي في السقيفة استشارة الطبقة الرفيعة من الصحابة مثل عليّ (عليه السلام) والعباس وعمار بن ياسر وسلمان وخزيمة بن ثابت وأبي ذر وأبي أيوب الأنصاري والزبير بن العوام وطلحة وأُبي بن كعب، وغيرهم من سائر الصحابة من المهاجرين والأنصار.

٣ ـ استعمال العنف والقسوة في طريقة أخذ البيعة من المسلمين، فإنّ كثيراً من المسلمين قد أُرغموا عليها، وقد لعبت دِرَّة عمر في سبيل تحقيقها وإيجادها دوراً كبيراً.

٤ ـ لقّنت السقيفة مفاهيم منحرفة للأُمّة، منها:

أ ـ الإستعلاء علىٰ الأُمّة والاستخفاف بشأنها تحت شعار «مَن ذا ينازعنا سلطان محمّد ؟ !»[2].

ب ـ تحويل مفهوم النبوّة الرّبانية وخلافة الرسول (صلى الله عليه وآله) إلىٰ مفهوم السلطة

(١) عيون أخبار الرضا(عليه السلام) ١: ٢٥٥ / ح١ (باب ذكر ما كلم به الرضا عليه السلام يحيىٰ بن أكثم)، تاريخ اليعقوبي: ٢: ١٥٨ (ذكر أيام عمر بن الخطاب)، السقيفة وفدك للجوهري: ٤٧ (القسم الأوّل)، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢: ٢٦ و٢٩ (أخبار السقيفة) وج ٢٠: ٢١ (كلام أبي المعالي)، المواقف للإيجي ٢: ٦٠٠ و٦١١، البداية والنهاية لابن كثير ٥: ٢٦٦ (قصة سقيفة بني ساعدة).

(٢) الإمامة والسياسة ١: ٢٥ (ذكر السقيفة وما جرىٰ)، تاريخ الطبري ٢: ٤٥٧ (حوادث سنة ١١ خبر السقيفة)، الكامل في التاريخ ٢: ٣٣٠ (حوادث سنة ١١ حديث السقيفة)، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢: ٣٨ (حديث السقيفة).

العشائرية التي تستمد قوّتها وشرعيتها من انتخاب أبناء العشيرة وليس من نصوص الشريعة المقدّسة.

ج ـ فسح المجال أمام المسلمين لطرح التعددية في السلطة ومنافسة مَن فرض الله طاعته بالنصّ، وتشجيع التمرّد على الحاكم المعصوم المنصوب بأمر من الله تعالىٰ ،كما قالوا: منّا أمير ومنكم أمير.

د ـ هيّأ اجتماع السقيفة الأرضيّة المناسبة لتجاوز وجود الاُمّة وتجاوز رأيها السياسي كما حصل ذلك مرة اُخرىٰ عند تعيين عمر ، وثالثة عند وفاة عمر متمثلاً في الشورىٰ التي فرضها عمر علىٰ المسلمين .

موقف الإمام عليّ (عليه السلام) من اجتماع السقيفة :

لم يكن الإمام عليّ (عليه السلام) طامعاً في الحكم وساعياً في استلام الخلافة والتربّع على عرشها بمقدار طمع غيره من الصحابة فيها، إذكان همّه الأوّل والأخير تثبيت دعائم الإسلام ونشره، وإعزاز الدين وأهله، وإظهار عظمة الرسول(صلى الله عليه وآله) وبيان سيرته، وحثّ الناس على الاقتداء بمنهجه(صلى الله عليه وآله)، فانشغل بأمر تجهيز النبيّ والصلاة عليه ودفنه، وماكان يدور في خَلَده أنّ الخلافة تعدوه وهو المؤهّل لها رسالياًوالمرشّح لها نبويّاً،ولكنّ نفوس القوم أضمرت ما ينافي وصايا،وأغراهم الطمع في السلطان بغير حقّ،فتركوا نبيّهم مطروحاً بين أهله وذهبوا ليتنازعوا سلطانه.

لقد وصلت أخبار السقيفة إلىٰ بيت النبيّ (صلى الله عليه وآله)، حيث يجتمع عليّ (عليه السلام) وبنو هاشم والمخلصون من الصحابة حول جسد رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فقال العباس عمّ الرسول لعليّ: يا ابن أخي، اُمدد يدك اُبايعك، فيقال: عمّ رسول الله بايع ابن عمّ رسول الله، فلا يختلف عليك اثنان.

فقال (عليه السلام): **يا عمّ، وهل يطمع فيها طامع غيري؟**

قال العباس: ستعلم.

غير أنّ الإمام (عليه السلام) لم يكن ليخفىٰ عليه ما كان يجري في الساحة من مؤامرات آنذاك فأجابه بصريح القول: «**إنّي لا أُحبّ هذا الأمر من وراء رِتاج**»[١].

موقف أبي سفيان:

وروي: أنّ أبا سفيان جاء إلىٰ باب دار رسول الله (صلى الله عليه وآله) وعليّ (عليه السلام) والعباس موجودان فيه، فقال: ما بال هذا الأمر في أقلّ حيّ من قريش؟! والله لئن شئت لأملأنّها عليهم خيلاً ورجالاً، فقال عليّ (عليه السلام): **ارجع يا أبا سفيان طالما عاديت الإسلام وأهله فلم تضرّه بذاك شيئاً.**

وروي أيضاً: أنّه لمّا اجتمع الناس علىٰ بيعة أبي بكر؛ أقبل أبو سفيان وهو يقول: والله إنّي لأرىٰ عجاجةً لا يطفئها إلّا دم، يا آل عبدمناف فيم أبو بكر من أُموركم! أين المستضعفان عليّ والعباس، وقال: أبا حسن، ابسط يدك أُبايعك، فأبىٰ عليّ (عليه السلام) عليه وزجره وقال: **إنّك والله ما أردت بهذا إلّا الفتنة، وإنّك طالما بغيت الإسلام شرّاً، لا حاجة لنا في نصيحتك.**

ولمّا بويع أبو بكر قال أبو سفيان: ما لنا ولأبي فصيل، إنما هي بنو عبد مناف! فقيل له: إنّه قد ولّىٰ ابنك، قال: وصلته رحم[٢].

ولم تكن معارضة أبي سفيان للسقيفة عن إيمانه بحقّ الإمام عليّ (عليه السلام) وبني هاشم، وإنّما كانت حركة سياسية وخلخلة ظاهرة لما حصل أراد بها الكيد للإسلام وإضعاف المتنازعين، فإنّ علاقة أبي بكر مع أبي سفيان كانت وثيقة للغاية[٣].

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٩: ١٩٦ (ترجمة عائشة) والرتاج الباب المغلق.

(٢) تأريخ الطبري: ٢ / ٤٤٩ (حوادث سنة ١١ حديث السقيفة)، والكامل في التأريخ: ٢ / ٣٢٦ (حوادث سنة ١١ السقيفة).

(٣) فقد روي أنّ أبا سفيان اجتاز علىٰ جماعة من المسلمين منهم أبو بكر وسلمان وصهيب وبلال، فقال ←

أقطاب المعارضة للسقيفة :

كان من الطبيعي أن تبرز الأطراف معارضة لنتائج السقيفة التي لم يتمتّع أصحابها بالأهليّة الكافية والأحقيّة في الزعامة، وهذه الأطراف هي:

الأوّل : الأنصار باعتبارهم كتلة سياسية واجتماعية كبيرة لابدّ من حسابها في ميزان الترشيح والانتخاب، فنازعوا الخليفة الفائز وصاحبيه في سقيفة بني ساعدة، ووقعت بينهم المنازعة التي انتهت بفوز قريش.

وقد انتفع أبو بكر وحزبه في مواجهة الأنصار من أمرين:

١ ـ تركّز فكرة الوراثة الدينية في الذهنية العربية حيث برزت في قوله بأنّهم شجرة النبيّ (صلى الله عليه وآله) وأقربهم إليه، فهم أولىٰ به من سائر المسلمين، وأحقّ بخلافته وسلطانه.

٢ ـ انشقاق الأنصار علىٰ أنفسهم بين مؤيّد ومعارض لأبي بكر، نتيجة تجذّر النزعة القبلية في نفوسهم، أو لحسد بعضهم لبعض، أو الرغبة في نيل الحظوة والقُربة لدىٰ السلطة الحاكمة الجديدة، حتى برزت هذه الظاهرة واضحة في قول أُسيد بن حضير في السقيفة: «لئن ولّيتموها سعداً عليكم مرة واحدة لا زالت لهم بذلك عليكم الفضيلة ولا جعلوا لكم نصيباً فيها أبداً فقوموا فبايعوا أبا بكر»[١].

وأعطىٰ اجتماع السقيفة لأبي بكر القوّة من ناحيتين:

ـ بعضهم: أما أخذت سيوف الله من عنق عدّو الله مأخذها؟

فزجرهم أبو بكر وقال لهم: أتقولون هذا لشيخ قريش وسيّدهم؟.. ومضىٰ مسرعاً إلىٰ النبيّ (صلى الله عليه وآله) يخبره بمقالة القوم فردّ عليه الرسول (صلى الله عليه وآله) قائلاً: يا أبا بكر لعلك أغضبتهم؟ لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت الله. مسند أحمد ٥: ٦٤ (حديث عائذ بن عمرو)، صحيح مسلم: ٧: ١٧٣ (كتاب الفضائل، باب فضائل الأنصار)، فضائل الصحابة للنسائي: ٥١ (فضل صهيب بن سنان).

(١) الإمامة والسياسة للدينوري ١: ٢٦ (بيعة أبي‌بكر).

١ ـ إضعاف دور القاعدة الشعبية للإمام عليّ (عليه السلام) فإنّ الأنصار سجّلوا علىٰ أنفسهم بذلك مذهباً لا يسمح لهم بأن يقفوا بعد السقيفة إلىٰ صفّ الإمام ويخدموا قضيته وأحقّيته في الخلافة.

٢ ـ بروز أبي بكر كمدافع وحيد عن حقوق المهاجرين بصورة عامّة وعن قريش خاصّة في مجتمع الأنصار، حيث إنّ الظرف كان مناسباً جدّاً، إذ خلا من أقطاب المهاجرين الذين لم يكن لتنتهي المسألة في محضرهم إلىٰ نتيجتها التي انتهت إليها.

الثاني: الأُمويّون الذين كان لديهم مطمع سياسيّ كبير في نيل نصيب مرموق من الحكم، واسترجاع شيء من مجدهم السياسي في الجاهلية وعلىٰ رأسهم أبوسفيان، وقد تعامل معهم أبو بكر وحزبه وفق معرفتهم بطبيعة النفس الأُموية وشهواتها السياسيّة والمادية، فكان من السهل علىٰ أبي بكر أن يتنازل عن بعض المبادئ والحقوق الشرعية، فدفع لأبي سفيان جميع ما في يده من أموال المسلمين وزكواتهم التي جمعها من سفره الذي بعثه فيه رسول الله (صلى الله عليه وآله) لجباية الأموال، ولم يعبأ الفائزون بالسقيفة بمعارضة الأُمويين وتهديد أبي سفيان وما أعلنه من كلمات الثورة والرغبة في تأييد الإمام عليّ (عليه السلام) وبني هاشم.

بل استفاد أبو بكر وحزبه من الأُمويّين في إضعاف دور بني هاشم حاضراً ومستقبلاً بأن جعلوا للأُمويّين حظّاً في العمل الحكومي في عدّة من المرافق الهامّة في الدولة.

الثالث: الهاشميّون وأخصّاؤهم كعمار وسلمان وأبي ذر والمقداد رضوان الله عليهم، وجماعات كثيرة من الناس الذين كانوا يرون البيت الهاشمي هو صاحب الحقّ الشرعي بالخلافة، وهو الوارث الطبيعي لرسول الله (صلى الله عليه وآله) بحكم نصّ الغدير ومناهج السياسة التي كانوا يألفونها.

ولم تكن لتنطلي عليهم الحجج الواهية التي طرحتها أطراف السقيفة، فرأت فيهم تيارات تسعىٰ للإستئثار بالحكم لإرضاء شهواتهم ونذيراً بانحراف التجربة الإسلامية عن مسارها الصحيح.

نتائج السقيفة :

نجح أبو بكر وحزبه في مواجهة الأنصار والأُمـويين، وكسب المـوقف بأن أصبح خليفة للمسلمين، ولكنّ هذا النجاح جرّه إلىٰ تناقض سياسي واضح، لأنّه لم يملك في السقيفة من رصيد إلّا أن يجعلوا حجّتهم مبنيّة علىٰ أساس القرابة من رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ومن ثَمّ يقرّوا مذهب الوراثة للزعامة الدينية.

غير أنّ وجود بني هاشم كطرف معارض بدّل الوضـع السـياسي، واحـتجّت المعارضة على أبي بكر وحزبه بنفس حجّتهم علىٰ باقي الأطراف، وهي إذا كانت قريش أولىٰ برسول الله من سائر العرب فبنو هاشم أحقّ بالأمر من بقية قريش.

وهذا ما أعلنه الإمام عليّ (عليه السلام) حين قال: «**إذا احتجّ المهاجرون بالقُرب من رسول الله (ﷺ) كانت الحجّة لنا علىٰ المهاجرين بذلك قائمة، فإن فلجت حجّتهم كانت لنا دونهم، وإلّا فالأنصار علىٰ دعوتهم**».

وأوضحه العباس في حديث له مع أبي بكر إذ قال له: وأمّا قولك نحن شجرة رسول الله (صلى الله عليه وآله) فإنكم جيرانها ونحن أغصانها[1].

فالإمام عليّ (عليه السلام) كان مصدر رعب ورهب في نـفوس الفـائزين فـي لعـبة السقيفة وسدّاً منيعاً إزاء رغباتهم وطموحاتهم، وكان بإمكانه أن يستغلّ النفعيّين ـ وما أكثرهم! ـ والذين يميلون مع كلّ ريـح ويـنعقون مـع كـلّ نـاعق والذيـن يعرضون أصواتهم ومواقفهم رخيصة في الأسواق السياسية، وأن يشبع نهمهم ممّا

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٦ / ٥ (أخبار يوم السقيفة).

خلّفه الرسول (صلى الله عليه وآله) من الخمس وغلّات أراضي المدينة ونتاج «فدك» التي كانت تدرّ بالخيرات، إلّا أنّه (عليه السلام) أبىٰ عن كلّ ذلك لكمال شخصيّته وسموّ منزلته، هذا من جانب، ومن جانب آخر كان بوسعه (عليه السلام) أن يتحرّك محتجّاً أمام أرباب السقيفة بمبدأ القرابة الذي يعدّ ورقة رابحة بيده حتىٰ ألمح لذلك بقوله (عليه السلام): «**احتجوّا بالشجرة وأضاعوا الثمرة**»[1]. وكان السواد الأعظم من الناس يقدّسون أهل البيت ويحترمونهم لذلك السبب، وبالتالي سيدفع السلطة الحاكمة إلىٰ أزمة سياسية حرجة لا مخرج منها، بيد أنّه (عليه السلام) كان أسمىٰ من ذلك وأجلّ، حيث قدّم (عليه السلام) المصلحة الإسلامية العليا علىٰ كلّ المصالح الخاصة .

ولتلافي احتمال تحرّك الإمام على هذا المسار تردّدت السلطة بين موقفين:

أوّلاً: أن لا تقرّ للقرابة بشأن في الخلافة، وهذا معناه نزع الثوب الشرعي عن خلافة أبي بكر الذي تقمّصه يوم السقيفة.

ثانياً: أنّ تناقض السلطة الحاكمة نفسها وإصرارها علىٰ مبادئها التي أعلنتها في السقيفة مقابل بقيّة الأطراف، فلا ترىٰ أيّ حقّ للهاشميّين في السلطة وهم أقرب الناس إلى رسول الله(صلى الله عليه وآله)، أو تراه لهم، ولكن في غير ذلك الظرف الذي يكون معنى المعارضة مقابلة حكم قائم ووضع قد تعاقد عليه الناس.

وكان الخيار الثاني هو خيار السلطة[2].

* * *

---

(١) نهج البلاغة ١: ١١٦ / خ ٦٧، بحار الأنوار ٢٩: ٦١١ / ح٢٦، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٦: ٤ (كلام له(عليه السلام) تحت رقم ٦٦).

(٢) راجع تفصيل ذلك في «فدك في التأريخ» للشهيد الصدر: ٨٤ ـ ٩٦ (أحداث السقيفة).

الفصل الثاني

الإمام عليّ (عليه السلام) في عهد أبي بكر

خطوات السلطة لمواجهة المعارضة:

ما كانت الفئة المسيطرة لتتنازل عن السلطة بعد أن سعت وخطّطت للاستيلاء عليها، فثبتت علىٰ آرائها التي روّجتها في السقيفة ودعمتها بشتّىٰ الوسائل والسبل بغض النظر عن شرعيّتها، أو صحّتها في مجال المحافظة علىٰ سلامة الدعوة الإسلامية، من هنا نلاحظ بعض الخطوات السياسية كانت تستهدف إبعاد آل محمّد(صلى الله عليه وآله) عن الحكم نهائياً والقضاء علىٰ الرصيد الذي يمدّ الهاشميين بالقوة، بل القضاء علىٰ كلّ معارضة محتملة مستقبلاً، وهي كما يلي:

١ ـ إنّ السلطة الجديدة أخذت علىٰ المعارضين أنّ مخالفتهم الخليفة الجديد ليس إلّا إحداثاً للفتنة المحرّمة في شريعة الإسلام، وكان يدعم إدانتهم للمعارضة هذه أنّ ظروف الدولة الإسلامية كانت غير مستقرّة بعد، وكان الأعداء من خارج البلاد يهدّدون الدولة الإسلامية إضافة إلىٰ أحداث الردّة التي حصلت بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله) داخل حدود الدولة الإسلامية الفتيّة.

٢ ـ أُسلوب الشدّة والعنف الذي اتّبعه الخليفة وحزبه مع الإمام عليّ (عليه السلام) ومن معه لا يقلّ عن الأُسلوب الذي اتّبع مع سعد بن عبادة في السقيفة، فقد بلغت الشدّة منهم أنّ عمر بن الخطّاب هدّد بحرق دار الزهراء وبيت الإمام عليّ(عليهما السلام) رغم

تواجد فاطمة(عليها السلام) فيه[1]، ومعنىٰ هذا أنّ فاطمة وغيرها من آل محمد (صلى الله عليه وآله) ليس لهم حرمة تصونهم أمام بطش الجهاز الحاكم .

٣ ـ إنّ أبا بكر ومن معه لم يشرك شخصاً من الهاشميّين في شأن من شؤون الحكم المهمّة خشية أن يصل الهاشميّون إلىٰ الخلافة[2] لم يُجعل منهم والياً علىٰ شبر من الدولة الإسلامية الواسعة وهو مؤشر للاحتكار السياسي بدل المشاركة السياسية التي كانت تتطلّبها الشورى أو الديمقراطية الإسلامية المزعومة عند أنصارهم.

٤ ـ إعداد وتهيئة كتلة سياسية ضخمة تنافس آل محمّد (صلى الله عليه وآله) وتعاديهم، لنيل الخلافة والمركز الأعلىٰ في الحكم، فإنّنا نلاحظ أنّ الأُمويّين ذوي الطموحات السياسية الواضحة قد احتلوا الصدارة في المناصب الإداريّة أيام أبي بكر وعمر، وإضافة إلىٰ ذلك أ نّ مبدأ الشورىٰ الذي ابتكره الخليفة الثاني كان يجعل من عثمان بن عفّان المرشح الأوفر حظّاً من غيره من المنافسين.

هذه الكتلة السياسية من شأنها أن تعظم وتتّسع لأنّها ليست متمثلة في شخص بل في بيت كبير، وبالتالي سوف لن تكون الظروف مهيّئة لصعود آل محمّد (صلى الله عليه وآله) إلىٰ سدّة الخلافة بسهولة علىٰ أقلّ تقدير.

٥ ـ عزل كلّ العناصر التي كانت تميل إلىٰ بني هاشم، فقد روي أنّ أبا بكر عزل خالد بن سعيد بن العاص عن قيادة الجيش الذي وجّهه لفتح الشام بعد أن أسندها إليه لا لشيء إلّا لأنّ عمر نبّهه إلىٰ نزعته الهاشمية وميله إلى آل محمّد،

---

(١) كتاب سليم بن قيس: ١٤٩ ـ ١٥٠ (ذكر قضايا السقيفة)، الهداية الكبرى للخصيبي: ١٧٧ ـ ١٧٨ (باب ٣ باب سيدة النساء عليها السلام)، المسترشد: ٣٧٦ ـ ٣٧٨ / ح ١٢٥، بحار الأنوار ٤٣: ١٩٧ / ح ٣٩.

(٢) تاريخ الطبري ٢: ٦١٧ (حوادث سنة ١٣ ذكر أسماء قضاة وعمّال أبي بكر)، الكامل في التاريخ ٢: ٤٢ (حوادث سنة ١٣ أسماء قضاة وعمّال أبي بكر).

وذكّره بموقفه المعارض لهم بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله)[1].

٦ ـ إضعاف القدرة الاقتصادية للإمام عليّ (عليه السلام) خشية أن يستثمرها الإمام في الدعوة لاستعادة حقّه الشرعي في الخلافة، فقام الخليفة بمصادرة فدك من الزهراء(عليها السلام) لعلمه أنّها (عليها السلام) كانت سنداً قوياً للإمام في الدعوة إلىٰ نفسه، هذا إذا علمنا أنّ أطرافاً سياسية باعت صوتها للحكومة، فمن الممكن أن تفسخ المعاملة إذا عرض عليها ما ينتج ربحاً أكبر، كما وأنّ الخليفة أبا بكر نفسه اتّخذ المال وسيلة من وسائل الإغراء وكسب الأصوات[2].

وإذا أضفنا لذلك أنّ الزهراء(عليها السلام) كانت دليلاً يحتجّ به أنصار الإمام عليّ(عليه السلام) علىٰ أحقّيته بالخلافة نستوضح أنّ الخليفة كان موفّقاً كلّ التوفيق في مسعاه السياسي لإظهار موقف الزهراء (عليها السلام) ـ الداعم لأمير المؤمنين(عليه السلام) ـ موقفاً محايداً، وذلك بأُسلوب لبق وغير مباشر لإفهام المسلمين أنّ فاطمة (عليها السلام) امرأة من النساء ولا يصحّ أن تؤخذ آراؤها ودعاويها دليلاً في مسألة بسيطة كفدك، فضلاً عن موضوع مهم كالخلافة، وأنّها إذا كانت تطلب أرضاً ليس لها بحقّ؛ فمن

(١) تاريخ الطبري : ٥٨٦/٢ (حوادث سنة ١٣ ذكر عزل خالد بن سعيد)، المستدرك للحاكم النيسابوري ٣: ٢٤٩ ـ ٢٥٠ (مناقب خالد بن سعيد).

(٢) قصة مصادرة فدك وكيف صودرت من قبل الخليفة قصة مشهورة ومتواترة وتناقلها المؤرخون والمحدثون وأهل الفقه ونظم فيها الشعراء القصائد من كافة الفرق الإسلامية وكلاً فسّر القصة حسب ما يرتأي. راجع شرح الأخبار للنعماني ٣: ٣٢ / ح٩٧٣، وص٣٤، ح٩٧٤، دلائل الإمامة للطبري: ١٠٩ (حديث فدك وما جرىٰ بين فاطمة عليها السلام وأبيبكر)، الاحتجاج للطبرسي ١: ١١٩ (احتجاج فاطمة عليها السلام على أبيبكر)، الطرائف لابن طاووس: ٢٤٧ (باب فيما جرى على فاطمة عليها السلام ومنعها فدك)، الصراط المستقيم للعاملي ٢: ٢٨٢ (منعه فاطمة عليها السلام من فدك والخمس من الباب ١٢)، السقيفة وفدك للجوهري: ٩٩ (القسم الثاني فدك)، مسند أحمد ١: ٤ (ما أسند عن أبيبكر)، صحيح البخاري ٥: ٢٥ (كتاب المغازي، باب حديث بني النضير) وج٨: ٣ (كتاب الفرائض)، صحيح مسلم ٥: ١٥٥ (كتاب الجهاد والسير، باب قول النبيّ: نحن لا نورث)، الطبقات الكبرىٰ ٢: ٣١٤ (ذكر ميراث رسول الله صلى الله عليه وآله وما نزل عليه صلى الله عليه وآله)، تاريخ الطبري ٢: ٤٤٨ (حوادث سنة ١١ قصّة السقيفة)، البداية والنهاية لابن كثير ٥: ٣٠٦ (بيان أنه صلى الله عليه وآله قال لا نورث).

الممكن أن تطلب[١] لقرينها الدولة الإسلامية كلّها، وليس له فيها حقّ كما يدّعيه هؤلاء الصحابة الذين رشّحوا أنفسهم لخلافة رسول الله (صلى الله عليه وآله) وسيطروا علىٰ زمام الأمر.

فقد روي أنّه لمّا استقرّ الأمر لأبي بكر، بعث إلىٰ وكيل الزهراء فأخرجه منها واستولىٰ على فدك، واحتجّ بحديث لم يروه غيره، وهو أنّه سمع النبيّ (صلى الله عليه وآله) يقول: «إنّا معاشرَ الأنبياء لا نورّث، ما تركناه صدقة» فالنبيّ لا يورث وإنّما ميراثه في المساكين وفقراء المسلمين[٢].

الاحتجاجات علىٰ أبي بكر:

إنّ الصفوة الخيّرة من الصحابة الذين وقفوا مع الإمام عليّ (عليه السلام) في المطالبة بحقّه الشرعي في الخلافة، احتجّوا بصلابة وثقة وعلانية وبحجّة واضحة ودامغة وبدليل شرعيّ منصوص، وبأُسلوب يدلّ علىٰ الحرص علىٰ إصابة الحقّ وصيانة الحكم الإسلامي من الانحراف، فقد وقفوا في مسجد الرسول (صلى الله عليه وآله) فانبرىٰ الصحابيّ الجليل خزيمة بن ثابت فقال: أيّها الناس! ألستم تعلمون أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) قَبِل شهادتي وحدي، ولم يرد معي غيري؟ فقالوا: بلىٰ، قال: فأشهد أنّي سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: «**أهل بيتي يفرّقون بين الحقّ والباطل، وهم الأئمّة الذين يقتدىٰ بهم**»، وقد قلت ما علمت، وما علىٰ الرسول إلّا البلاغ المبين.

واحتجّ عمار بن ياسر فقال: يا معاشر قريش ويا معاشر المسلمين! إن كنتم علمتم وإلّا فاعلموا أنّ أهل بيت نبيّكم أولىٰ به وأحقّ بإرثه وأقوم بأُمور الدين

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٦ / ٢٨٤ (في أن فدك هل هي نحلة رسول الله صلى الله عليه وآله) وفيه جواب مدرس المدرسة الغربية علي بن الفارقي بهذا المعنىٰ عندما سأله ابن أبي الحديد.

(٢) راجع تفسير القمي ٢: ١٥٥ ـ ١٦١ (قصة فدك)، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٦: ٢١٨ ـ ٢٢٤ (ذكر ما ورد من السير والأخبار في أمر فدك).

وآمن علىٰ المؤمنين وأحفظ لملّته وأنصح لأُمّته، فمروا صاحبكم فليردّ الحقّ إلىٰ أهله قبل أن يضطرب حبلكم ويضعف أمركم ويظهر شقاقكم وتعظم الفتنة بكم.

ووقف سهل بن حنيف فقال: يا معشر قريش! أشهد علىٰ رسول الله (صلى الله عليه وآله) وقد رأيته في هذا المكان ـ يعني مسجد النبيّ ـ وقد أخذ بيد عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) وهو يقول: **«أيّها الناس، هذا عليّ إمامكم من بعدي ووصيّي في حياتي وبعد وفاتي، وقاضي ديني، ومنجز وعدي، وأوّل من يصافحني علىٰ حوضي، وطوبىٰ لمن تبعه ونصره، والويل لمن تخلّف عنه وخذله»**.

ثمّ قام أبو الهيثم بن التيّهان فقال: وأنا أشهد على رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنّه أقام عليّاً يوم غدير خم، فقالت الأنصار: ما أقامه إلّا للخلافة، وقال بعضهم: ما أقامه إلّا ليعلم الناس أنّه مولىٰ من كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) مولاه، وكثر الخوض في ذلك فبعثنا رجلاً منّا إلىٰ رسول الله (صلى الله عليه وآله) فسألوه عن ذلك، فقال: **«هو وليّ المؤمنين بعدي وأنصح الناس لأُمّتي»**، وأنا أشهد بما حضرني، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر، إنّ يوم الفصل كان ميقاتاً.

ثمّ قام آخرون منهم أبو ذر وأبو أيوب الأنصاري وعتبة بن أبي لهب والنعمان بن عجلان وسلمان الفارسي فاحتجّوا على القوم(١).

محاولة إرغام الإمام (عليه السلام) علىٰ البيعة :

كان لامتناع الإمام عن البيعة وقيام عدد من الصحابة الأجلّاء بالاحتجاج العلني ومطالبة السلطة بالتنحّي عنها وتسليمها إلىٰ صاحبها الشرعي الأثر الفعّال في تحريك مشاعر المسلمين وتعبئتهم في صف أمير المؤمنين (عليه السلام)، هذا بالإضافة

(١) الخصال للصدوق: ٤٦١ ـ ٤٦٥ (أبواب اثني عشر)، الاحتجاج ١: ٨٩ ـ ١٠٦ (احتجاج الاثني عشر على أبي بكر وإنكارهم عليه في المسجد)، بحار الأنوار ٢٨: ١٨٩ ـ ٢٠٢ / ح٢، تأريخ أبي الفداء: ١ / ١٥٦.

الىٰ وجود بعض العشائر المؤمنة المحيطة بالمدينة مثل أسد وفزارة[1] وبني حنيفة وغيرهم ممن شاهد بيعة يوم الغدير (غدير خم) التي عقدها النبيّ (صلى الله عليه وآله) لعليّ (عليه السلام) بإمرة المؤمنين من بعده الذين رفضوا بيعة أبي بكر، وامتنعوا عن أداء الزكاة للحكومة الجديدة باعتبارها غير شرعية، وكانوا يقيمون الصلاة ويؤدّون جميع الشعائر ،كلّ هذا كان يشكّل خطراً علىٰ الحكم القائم، فرأت السلطة الحاكمة أن تضع حدّاً لهذا الخطر، وذلك بإجبار رأس المعارضة وهو عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) علىٰ بيعة أبي بكر.

وذكر بعض المؤرّخين أنّ عمر أتىٰ أبا بكر فقال له: ألا تأخذ هذا المتخلّف عنك بالبيعة؟ يا هذا لم تصنع شيئاً ما لم يبايعك عليّ! فابعث إليه حتىٰ يبايعك.

فأجمعوا آراءَهم علىٰ إرغام الإمام (عليه السلام) وقسره علىٰ البيعة لأبي بكر، فأرسلوا قوة عسكرية فأحاطت بداره فدخلوا داره بعنف[2]، وأخرجوه منها بصورة لا تليق بمكانة شخص قال عنه رسول الله (صلى الله عليه وآله): **«أنت منّي بمنزلة هارون من موسىٰ إلّا أنّه لا نبيّ بعدي»**[3].

وجيء به إلىٰ أبي بكر، فصاحوا به بعنف: بايع أبا بكر، فأجابهم الإمام بمنطق الواثق الجريء الشجاع: **«أنا أحقّ بهذا الأمر منكم، لا أُبايعكم وأنتم أولىٰ بالبيعة لي، أخذتم الأمر من الأنصار، واحتججتم عليهم بالقرابة من النبيّ (صلى الله عليه وآله) وتأخذونه منّا أهل البيت غصباً! ألستم زعمتم للأنصار أنّكم أولىٰ بهذا الأمر منهم لمّا كان محمّد (صلى الله عليه وآله) منكم فأعطوكم المقادة، وسلّموا إليكم الإمارة؟ وأنا أحتجّ عليكم بمثل ما احتججتم به علىٰ الأنصار، نحن أولىٰ برسول الله(صلى الله عليه وآله) حيّاً وميّتاً، فأنصفونا إن كنتم تؤمنون وإلّا فبوءوا**

(١) تأريخ الطبري: ٢ / ٤٧٦ (حوادث سنة ١١ قصة السقيفة).

(٢) الإمامة والسياسة : ٣٠ (إباية عليّ عليه السلام البيعة)، وتاريخ الطبري: ٢ / ٤٤٣ (حوادث سنة ١١ قصة السقيفة).

(٣) ذكرنا مصادر الحديث في المرحلة الثالثة (في غزوة تبوك ص١٠٨ و١٠٩ هامش ١) راجع هناك.

بالظلم وأنتم تعلمون»[١].

وبهذا الموقف الصريح أوضح الإمام الحقيقة من الحجّة السياسية التي اتّخذوها ذريعة للوصول إلى الحكم، فلم يكن لهم بدّ من التسليم أو الردّ بما تحويه أفكارهم وتضمره نفوسهم، فثار ابن الخطّاب بعد أن أعوزته الحجّة في الردّ علىٰ الإمام، فسلك طريق العنف قائلاً له: إنّك لست متروكاً حتىٰ تبايع، فزجره الإمام قائلاً: «**إحلب حلباً لك شطره، واشدد له اليوم يردده عليك غداً، والله يا عمر لا أقبل قولك ولا أُبايعه**»[٢].

هنا كشف الإمام (عليه السلام) عن سرّ اندفاعات عمر وحماسه من أجل البيعة، فإنّ موقفه هذا من أجل أن ترجع إليه الخلافة وشؤون الملك بعد أبي بكر.

وخاف أبو بكر من تطوّر الأحداث في غير ما يحب، وخشي من عواقب غضب الإمام فقال له: إن لم تبايع فلا أُكرهك، ثمّ تكلّم أبو عبيدة بن الجرّاح محاولاً تهدئة الإمام عليّ (عليه السلام) وكسب ودّه، فقال:

يا ابن عم! إنّك حديث السنّ وهؤلاء مشيخة قومك، ليس لك مثل تجربتهم ومعرفتهم بالأُمور، ولا أرىٰ أبا بكر إلّا أقوىٰ علىٰ هذا الأمر منك وأشد احتمالاً واضطلاعاً به، فسلّم لأبي بكر هذا الأمر، فإنّك إن تعش ويطل بك بقاء فأنت لهذا الأمر خليق وبه حقيق من فضلك ودينك وعلمك وفهمك وسابقتك ونسبك وصهرك.

إنّ هذه التصريحات السياسية غايتها تضليل الآراء وتسويف المواقف، وهي لم تكن لتنطلي علىٰ وعي الإمام (عليه السلام) بل أثارت في نفسه الألم والاستياء من بوادر الانحراف، فاندفع يخاطب القوم في محاولة لتنبيههم بخطئهم، فقال: «**الله الله يا معشر المهاجرين! لا تخرجوا سلطان محمّد في العرب عن داره وقعر بيته إلىٰ دوركم وقعور**

---

(١) الإمامة والسياسة: ٢٨ ـ ٢٩ (إباية عليّ عليه السلام البيعة).

(٢) الإمامة والسياسة: ٢٩ (إباية عليّ عليه السلام البيعة)، السقيفة وفدك للجوهري: ٦٣ (القسم الأوّل)، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٦: ١١ (من أخبار يوم السقيفة).

بيوتكم، ولا تدفعوا أهله عن مقامه في الناس وحقّه، فوالله يا معشر المهاجرين لنحن أحقّ الناس به، لأنّا أهل البيت، ونحن أحقّ بهذا الأمر منكم، ماكان فينا القارئ لكتاب الله، الفقيه في دين الله، العالم بسنن رسول الله، المضطلع بأمر الرعيّة، الدافع عنهم الأُمور السيّئة، القاسم بينهم بالسويّة، والله إنّه لفينا، فلا تتّبعوا الهوىٰ فتضلّوا عن سبيل الله فتزدادوا من الحقّ بُعداً»[1].

وروي: أنّ الزهراء (عليها السلام) خرجت خلف أمير المؤمنين من أجل الدفاع عن الإمام (عليه السلام) لأنّها خشيت أن يكون القوم قد أعدّوا السوء لإيقاعه بالإمام، وقد أخذت بيد ولديها الحسن والحسين (عليهما السلام) وما بقيت هاشمية إلّا وخرجت معها، فوصلت مسجد النبيّ (صلى الله عليه وآله) وهدّدت القوم بالدعاء عليهم إن لم يتركوا الإمام فقالت (عليها السلام): **«خلّوا عن ابن عمّي، خلّوا عن بعلي، والله لأنشرنّ شعري ولأُضعنّ قميص أبي علىٰ رأسي ولأدعونّ عليكم، فما ناقة صالح بأكرم علىٰ الله منّي، ولا فصيلها بأكرم علىٰ الله من ولدي»**[2].

الإمام عليّ (عليه السلام) ومضاعفات السقيفة:

إذا كانت مواقف الإمام عليّ (عليه السلام) كلّها رائعة؛ فموقفه من الخلافة بعد رسول‌الله (صلى الله عليه وآله) من أكثرها روعةً، فالعقيدة الإلهية تريد في كلّ زمان بَطَلاً يفتديها بنفسه ونفيسه ويعزّز به المبدأ، وهذا هو الذي بعث بعليّ إلىٰ فراش الموت، وبالنبيّ (صلى الله عليه وآله) إلىٰ مدينة النجاة يوم الهجرة، ولم يكن ليتهيّأ للإمام (عليه السلام) في محنته بعد وفاة أخيه الرسول (صلى الله عليه وآله) أن يضحّي لها كلا ولديه الحسن والحسين؛ لأنه لو ضحّىٰ بنفسه في سبيل توجيه الخلافة إلىٰ مجراها الشرعي في رأيه؛ لما

(١) الإمامة والسياسة: ٢٩ (إباية عليّ عليه السلام البيعة)، السقيفة وفدك للجوهري: ٦٣ (القسم الأوّل)، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٦: ١٢ (أخبار يوم السقيفة).

(٢) المسترشد: ٣٨١ ـ ٣٨٢ / ح١٢٨، بحار الأنوار ٢٨: ٢٠٦ / ح٥.

بقي بعده من يمسك الخيط من طرفيه، وسبطا رسول الله (صلى الله عليه وآله) طفلان لا يتهيّأ لهما من الأمر ما يريد.

إنّ عليّاً الذي كان علىٰ أتمّ استعداد لتقديم نفسه قرباناً للمبدأ في جميع أدوار حياته منذ ولد في الكعبة والىٰ أن استُشْهِدَ في مسجد الكوفة؛ قد ضحّىٰ بموقعه الذي نصبه فيه رسول الله (صلى الله عليه وآله) وتنازل عن القيادة السياسية الظاهرة في سبيل المصالح العليا التي جعله رسول الله (صلى الله عليه وآله) وصيّاً عليها وحارساً لها.

وقف عليّ (عليه السلام) عند مفترق الطرق، كلٌ منها حرج وكلٌ منها شديد علىٰ نفسه:

١ ـ أن يبايع أبا بكر دون ممانعة، ويكون حاله مثل بقية المسلمين، بل ويحافظ علىٰ وجوده ومنافعه الشخصية ومصالحه المستقبلية وينال المكانة والتكريم والاحترام لدىٰ الجهاز الحاكم. وهذا غير ممكن، لأنّه يعني إمضاءه (عليه السلام) لبيعة أبي بكر وولايته، وهذا مخالف لأوامر رسول الله (صلى الله عليه وآله) ومؤدٍّ إلىٰ انحراف الخلافة والولاية والإمامة عن مسارها الأصلي ومعناها الحقيقي إلىٰ الأبد، وتبدّد الجهود والتضحيات التي بذلها النبيّ (صلى الله عليه وآله) والإمام عليّ (عليه السلام) من أجل إرساء قواعد الإسلام وتحكيم أُصول الخلافة الشرعية، وبالتالي انحراف التجربة الإسلامية كلّها.

٢ ـ أن يعلن النهضة المسلّحة علىٰ خلافة أبي بكر، ويدعو الناس إليها ويدفعهم نحوها.

٣ ـ أن يسكت وفي العين قذىً وفي الحلق شجىٰ، ويحاول أن يسلك سبيلاً معتدلاً يحفظ كيان الإسلام ويصون المسلمين ووجودهم وأن يجني ثماره متأخّراً.

ولكن ماذا كان يترقّب للنهضة من نتائج؟ هذا ما نريد أن نتبيّنه علىٰ ضوء الظروف التأريخية لتلك الساعة العصيبة.

ومن المألوف أنّ الحاكمين لم يكونوا ينزلون عن مراكزهم بأدنىٰ معارضة تواجههم وهم من عرفناهم حرصاً وشدّةً في أمر الخلافة، ومعنىٰ هذا أنّهم

سيدافعون عن سلطانهم الجديد، ومن المعقول جدّاً حينئذٍ أن يغتنم سعد ابن عبادة الفرصة ليعلنها حرباً أُخرىٰ لإشباع أهوائه السياسية، لأنّنا نعلم أنّه هدّد الحزب المنتصر بالنهضة عندما طلب منه البيعة وقال: «لا والله حتّىٰ أرميكم بما في كنانتي وأُخضّب سنان رمحي وأضرب بسيفي وأُقاتلكم بأهل بيتي ومن أطاعني ولو اجتمع معكم الإنس والجنّ ما بايعتكم»[1].

وأكبر الظنّ أنّه تهيّب الإقدام على الثورة ولم يجرؤ علىٰ أن يكون أوّل شاهر للسيف ضدّ الخلافة القائمة، وإنّما اكتفىٰ بالتهديد الشديد الذي كان بمثابة إعلان الحرب، وأخذ يترقّب تضعضع الأوضاع ليشهر سيفه بين السيوف، فكان حريّاً به أن تثور حماسته ويزول تهيّبه ويضعف الحزب القائم في نظره إذا رأىٰ صوتاً قويّاً يجهر بالنهضة فيعيدها جذعة محاولاً إجلاء المهاجرين من المدينة بالسيف[2]، كما أعلن ذلك المتكلّم عن لسانه في مجلس السقيفة.

ولا ننسىٰ بعد ذلك الأُمويّين وتكتّلهم السياسي في سبيل الجاه والسلطان، وما كان لهم من نفوذ في مكّة في سنواتها الجاهلية الأخيرة، فقد كان أبو سفيان زعيمها في مقاومة الإسلام والحكومة النبويّة، وكان عتاب بن أُسيد بن أبي العاص ابن أُميّة أميرها المطاع في تلك الساعة.

وإذا تأمّلنا ما جاء في تأريخ تلك الأيام[3] من أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) لمّا توفّي وبلغ خبره إلىٰ مكّة وعامله عليها عتاب بن أُسيد بن أبي العاص بن أُميّة استخفىٰ عتاب وارتجّت المدينة وكاد أهلها يرتدّون، فقد لا نقتنع بما يعلّل به رجوعهم عن الارتداد من العقيدة والإيمان، وليس مردّ ذلك التراجع إلىٰ أنّهم رأوا في فوز أبي

---

(١) تأريخ الطبري: ٢ / ٤٥٩ (حوادث سنة ١٣ قصة السقيفة).

(٢) تأريخ الطبري: ٢ / ٤٥٩، قصة السقيفة، قول الحبّاب بن المنذر: «أمَا والله لئن شئتم لنعيدنّها جذعَة...».

(٣) الكامل في التأريخ / لابن الأثير: ٣ / ١٢٣ وصلَ خبر وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله) وكان عتاب بن أُسيد بن أبي العاص بن أُميّة أميراً علىٰ مكّة.

بكر فوزهم وانتصارهم علىٰ أهل المدينة، كما ذهب إليه بعض الباحثين؛ لأنّ خلافة أبي بكر كانت في اليوم الذي توفّي فيه رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وأكبر الظنّ أنّ خبر الخلافة جاءهم مع خبر الوفاة، بل تعليل القضية: أنّ الأمير الأُمويّ عتاب بن أُسيد شاء أن يعرف اللون السياسي الذي اتّخذته أُسرته في تلك الساعة، فاستخفىٰ وأشاع بذلك الاضطراب حتّىٰ إذا عرف أنّ أبا سفيان قد رضي بعد سخط وانتهىٰ مع الحاكمين إلىٰ نتائج تصبّ في صالح البيت الأُموي؛[1] ظهر مرّة أُخرىٰ للناس وأعاد الأُمور إلىٰ مجاريها.

وعليه فالصلة السياسية بين رجالات الأُمويّين كانت قائمة في ذلك الحين، وهذا مايفسِّر لنا القوّة التي تكمن وراء أقوال أبي سفيان حينما كان ساخطاً علىٰ أبي بكر وأصحابه، إذ قال: إنّي لأرىٰ عجاجة لا يطفيها إلّا الدمّ، وقال عن عليّ والعبّاس: أما والذي نفسي بيده لأرفعنّ لهما من أعضادهما[2].

فالأُمويّون كانوا متأهّبين للثورة والانقلاب، وقد عرف عليّ (عليه السلام) منهم ذلك بوضوح حينما عرضوا عليه أن يتزعّم المعارضة، ولكنّه عرف أنّهم ليسوا من الذين يعتمد علىٰ تأييدهم، وإنّما يريدون الوصول إلىٰ أغراضهم عن طريقه، فرفض طلبهم، وكان من المنتظر حينئذٍ أن يشقّوا عصا الطاعة إذا رأوا الأحزاب المسلّحة تتناحر، ولم يطمئنّوا إلىٰ قدرة الحاكمين علىٰ ضمان مصالحهم، ومعنى انشقاقهم حينئذٍ إظهارهم للخروج عن الدين وفصل مكّة عن المدينة.

إذاً كانت الثورة العلويّة في تلك الظروف إعلاناً للمعارضة دموية تتبعها معارضات دموية ذات أهواء شتّى، وكان فيها تهيئة لظرف قد يغتنمه المشاغبون ثمّ المنافقون.

ولم تكن ظروف المحنة تسمح لعليّ بأن يرفع صوته وحده في وجه الحكم

---

(١) تاريخ الطبري: ٢ / ٤٤٩ (حوادث سنة ١٣ قصة السقيفة)، هدأت ثائرة أبي سفيان بعد أن ولّى الخليفة الأوّل ابنه معاوية، فقال: وصلته رحم.

(٢) تأريخ الطبري: ٤٤٩/٢ (حوادث سنة ١٣ قصة السقيفة).

القائم، بل لتناحرت وتقاتلت مذاهب متعدّدة الأهداف والأغـراض، ويـضيع بـذلك الكيان الإسلامي في اللحظة الحرجة التـي يـجب أن يـلتفّ المسـلمون حـول قـيادة موحّدة، ويركّزوا قواهم لصدّ ما كان يترقّب أن تتمخّض عنه الظروف الدقيقة من فتن وثورات[1].

ومن هنا كان علىٰ الامام عليّ أن يختار الطريق الوسط بين الحرب المسلّحة والبيعة عن اختيار ليحقّق أكبر قدر ممكن من الأهـداف الرسـالية التـي جـعله الرسول (صلى الله عليه وآله) وصيّاً عليها.

ومن هنا نعرف أنّ الرسول (صلى الله عليه وآله) كان قد أعدّ للإمام عليّ (عليه السلام) خطّتين، أو خطّة واحدة ذات مرحلتين، فالمرحلة الأُولىٰ هي نصبه إماماً شـرعياً وخـليفةً له بشكل رسمي بعد الإعلان الصريح وأخذ البيعة له من المسلمين، وإتمام الحجّة على جميع من حضر وغاب عن مشهد يوم الغدير.

وحيث كان الرسول (صلى الله عليه وآله) ذلك القائد السياسي المحنّك الذي أثبت للتأريخ ولمن عاصره جميعاً نفاذ بصيرته وبُعد نظره وشفقته على اُمّته وارتباطه المستمر بعالم الغيب والعلم الإلهي، الذي شاء للشريعة الإسلامية أن تكون خاتمة الشرائع، وعلىٰ أساسها ينبغي أن تتحقّق أهداف الرسالات الإلهية جميعاً. فمن هنا ومن حيث علمه (عليه السلام) بمدىٰ وعي الأُمّة للرسالة الإسلامية في عصره ومدى إندماجها وذوبانها في قيم الرسالة، وطبيعة المجتمع الذي أسلم أو استسلم لدولة الرسول بما كان يشتمل عليه من عصبيات وقيم جاهلية يصعب اجتثاثها بسرعة وبخطوات تربوية قصيرة. لكلّ هذا وغيره مـمّا يـمكن أن يـدركه المـتأمّل فـي الظـروف المحيطة بالرسول (صلى الله عليه وآله) وبدولته، يشعر المتأمّل بضرورة وجـود تـخطيط بـعيد المدىٰ يتكفّل تحقيق الأهداف الرسالية الكبرىٰ على المدىٰ البعيد بعد أن كـان يستحيل، أو يصعب اجتناء الثمار المرجوّة من حركة الرسالة في تلك الفـترة، وفـي

(١) فدك في التاريخ، الشهيد السيد محمد باقر الصدر: ١٠٢ ـ ١٠٥.

ذلك المجتمع على المدىٰ القريب بعد ملاحظة منطق العمل التغييري بشكل خاص.

إذن كانت المرحلة الثانية بعد إعراض الأُمّة، أو عدم انقيادها للأُطروحة النبويّة الإلهية هي الصبر والحزم والتخطيط العملي الواقعي لعمل تربوي جذري في ظلّ الدولة الإسلامية الفتيّة، ريثما تُهيَّأ الظروف اللازمة لإستلام الحكم وتحقيق تلك الأُطروحة، لتتحقّق جميع الأهداف الممكنة لتطبيق هذه الشريعة الخالدة تطبيقاً صحيحاً رائعاً.

الإمام عليّ (عليه السلام) ومهمّة جمع القرآن:

اتّفقت كلّ الروايات الصحيحة على أنّ الإمام عليّاً (عليه السلام) ما أن انتهىٰ من تجهيز النبيّ (صلى الله عليه وآله) ومواراته الثرىٰ؛ حتىٰ اعتكف في داره منشغلاً بجمع آيات القرآن وترتيبها ترتيباً يحفظ أسباب وتاريخ نزولها بعد أن كانت مبعثرة في الألواح.

وروي عن الإمام جعفر بن محمّد الصادق (عليه السلام): «**أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال لعليّ (عليه السلام): يا عليّ! القرآن خلف فراشي في المصحف والحرير والقراطيس فخذوه، واجمعوه، ولا تضيّعوه كما ضيّعت اليهود التوراة، فانطلق عليّ (عليه السلام) فجمعه في ثوب أصفر**»(١).

وجاء أيضاً: إنّ الإمام عليّاً (عليه السلام) رأىٰ من الناس طيرة عند وفاة النبيّ (صلى الله عليه وآله) فأقسم أنّه لا يضع على ظهره رداءه حتى يجمع القرآن، فجلس في بيته ثلاثة أيام حتىٰ جمع القرآن(٢).

كما روي أنّ عليّاً (عليه السلام) انقطع عن الناس مدّةً حتىٰ جمع القرآن، ثمّ خرج إليهم في إزار يحمله وهم مجتمعون في المسجد، فلمّا توسّطهم وضع الكتاب بينهم ثمّ قال: «**إنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: (إنّي مخلّف فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا كتاب الله**

---

(١) تفسير القمي ٢: ٤٥١ (في تفسير سورة الناس)، بحار الأنوار ٨٩: ٤٨ / ح٧.

(٢) الفهرست لابن النديم: ٣٠ (الجماع للقرآن على عهد النبي صلى الله عليه وآله)، شواهد التنزيل ١: ٣٦ / ح٢٣.

وعترتي أهل بيتي) وهذا كتاب الله وأنا العترة[١]، وقال لهم: **لئلّا تقولوا غداً إنّا كنّا عن هذا غافلين»**.

ثمّ قال: «**لا تقولوا يوم القيامة إنّي لم أدعُكُمْ إلىٰ نصرتي ولم أُذكّركم حقّي ولم أدعكم إلى كتاب الله من فاتحته إلى خاتمته**»[٢].

فقال له عمر: إن يكن عندك قرآن فعندنا مثله فلا حاجة لنا فيكما[٣].

ويبدو أنّ الإمام لم يكتف بجمع الآيات القرآنية بل قام أيضاً بترتيبها حسب النزول، وأشار إلى عامّه وخاصّه ومطلقه ومقيّده ومحكمه ومتشابهه وناسخه ومنسوخه وعزائمه ورخصه وسننه وآدابه، كما وأشار إلى أسباب النزول وأملىٰ ستّين نوعاً من أنواع علوم القرآن، وذكر لكلّ نوعٍ مثالاً يخصّه، وبهذا العمل الكبير استطاع الإمام أن يحافظ على أهمّ أصلٍ من أُصول الإسلام، وأن يوجّه العقل المسلم نحو البحث عن العلوم التي يزخر بها القرآن الكريم، ليصبح المصدر الرئيس للفكر والمصدر المباشر الذي تستمد منه الإنسانية ما تحتاجه في حياتها.

إنّ عليّاً أمير المؤمنين (عليه السلام) كان جديراً بما فعل، فإنّه قال: «**ما نزلت على رسول الله (صلى الله عليه وآله) آية من القرآن إلّا أقرأنيها وأملاها عليّ فكتبتها بخطّي، وعلّمني تأويلها وتفسيرها وناسخها ومنسوخها ومحكمها ومتشابهها، ودعا الله عزّ وجلّ أن يعلّمني فهمها، فما نسيت آيةً من كتاب الله عزّ وجلّ ولا علماً أملاه عليّ فكتبته وما ترك شيئاً علّمه الله عزّ وجلّ من حلال وحرام ولا أمر ولا نهي وما كان أو يكون من طاعة أو معصية إلّا علّمنيه وحفظته، فلم أنس منه حرفاً واحداً**»[٤].

---

(١) المناقب لابن شهرآشوب: ٢ / ٤١ (فصل في المسابقة بالعلم)، بحار الأنوار ٤٠: ١٥٥ ـ ١٥٦.

(٢) كتاب سليم بن قيس: ١٤٧ (قضايا السقيفة)، بحار الأنوار ٢٨: ٢٦٥، وج ٨٩: ٤١ / ح ١.

(٣) المناقب لابن شهر آشوب: ٤١/٢ (فصل في المسابقة بالعلم)، بحار الأنوار ٤٠: ١٥٥ ـ ١٥٦ .

(٤) الكافي ١: ٦٣ ـ ٦٤ / ح ١ (باب إختلاف الحديث)، الخصال للصدوق: ٢٥٧ ـ ٢٥٨ / ح ١٣١ (باب الأربع)، بحار الأنوار ٢٦: ٢٥٦ ـ ٢٥٧ / ح ٧٥، كفاية الطالب للكنجي: ١٩٩، والاتقان للسيوطي: ٢ / ١٨٧.

من مواقف الإمام عليّ (عليه السلام) في عهد أبي بكر :

قال الإمام(عليه السلام): «**فوالله ماكان يلقى في روعي ولا يخطر ببالي أنّ العرب تزعج هذا الأمر من بعده(صلى الله عليه وآله) عن أهل بيته، ولا أنّهم مُنَحّوهُ عنّي من بعده، فما راعني إلّا انثيال الناس إلىٰ أبي بكر يبايعونه، فأمسكت بيدي حتى رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الإسلام، يدعون إلى محق دين محمّد، فخشيت إن لم أنصر الإسلام وأهله أن أرى فيه ثلماً أو هدماً تكون المصيبة به أعظم من فوت ولايتكم التي هي متاع أيام قلائل يزول منها ماكان كما يزول السراب أو كما يتقشّع السحاب، فنهضت في تلك الأحداث حتىٰ زاح الباطل وزهق واطمأن الدين وتنهنه**»[1].

كلّ الأحداث التي جرت بعد وفاة الرسول(صلى الله عليه وآله) وما سادها من أجواء المشاحنات وما حفّها من ابتعاد عن الحقّ وانجراف في غير الطريق الذي كان على المسلمين سلوكه لم تَنس عليّاً أنّه الوصيّ علىٰ هذه الأُمّة وهو الوحيد القادر على تطبيق الرسالة الإسلامية.

كانت بيعة أبي بكر قد منعت الإمام من ممارسة إدارة شؤون الأُمّة مباشرة واضطرّته إلى أن يعتزل إلىٰ حين فإنّ وصايا الرسول الأعظم(صلى الله عليه وآله) له وعهده إليه بالتكليف الإلهي برعاية الأُمّة ثمّ حرصه العميق على الرسالة الإسلامية والمجتمع من التمزّق والضياع جعل من أمير المؤمنين القدوة المُثلى للمدافعين عن الكيان الإسلامي في كل الميادين .

من هنا وقف عليّ(عليه السلام) ليدلي بآرائه الصائبة، موضّحاً قواعد الدين وأحكامه الصحيحة في كلّ موقف كان يستعصي على الماسكين بزمام إدارة الدولة في زمن عصيب، وفي أُمّة لم تترسّخ معالم العقيدة الإلهية في نفوس أبنائها بَعدُ إذ كانت تقدّم الاعتبارات القبليّة على النصوص الشرعية أو تفسّرها بما ينسجم مع نزعاتها

---

(١) نهج البلاغة ٣: ١١٨ الكتاب ٦٢.

القبليّة، فكان عليّ (عليه السلام) ميزان القضاء والإفتاء في شؤون الحياة الإسلامية في عهد أبي بكر وما تلاه من فترات حكم الخلفاء من غير أهل البيت(عليهم السلام).

وقف عليّ(عليه السلام) ليدافع عن المدينة ويصدّ هجوم المرتدّين عن الإسلام ومعه الصفوة من الصحابة الذين ساندوه في محنته.

وصيّة أبي بكر إلىٰ عمر بن الخطّاب:

لم يزل الإمام عليّ (عليه السلام) مظلوماً حقّه، يتألّم علىٰ الخلافة للأُمّة التي حَرمت نفسها من عدله إذ تلكّأت عن الاستجابة للمخطّط الإلهي وعلى الرسالة إذ أخذت تنحسر عن البيئة التي تحتاج إليها، لا يجد سبيلاً إلّا الصبر وهو الحليم ولا يجد إلّا الأناة وهو البصير، وقد عبّر عن أحزانه وآلامه في خطبته الشهيرة بالشقشقيّة إذ قال:

«أما والله لقد تقمّصها ابن أبي قحافة، وإنّه ليعلم أنّ محلّي منها محلّ القطب من الرحىٰ، ينحدر عنّي السيل ولا يرقىٰ إليّ الطير، فسدلت دونها ثوباً، وطويت عنها كشحاً، وطفقت أرتئي بين أن أصول بيدٍ جذّاء أو أصبر علىٰ طخية عمياء، يهرم فيها الكبير، ويشيب فيها الصغير، ويكدح فيها مؤمن حتىٰ يلقى ربّه، فرأيت أنّ الصبر علىٰ هاتا أحجى، فصبرت وفي العين قذىٰ وفي الحلق شجا، أرىٰ تُراثي نهباً، حتىٰ مضىٰ الأول لسبيله فأدلىٰ بها إلى ابن الخطّاب بعده، فياعجباً بينا هو يستقيلها في حياته[١] إذ عقدها لآخر بعد وفاته لشدّ ما تشطّرا ضرعيها، فصيّرها في حوزة خشناء، يغلظ كَلمُها، ويخشن مسُّها، ويكثر العثار فيها والاعتذار منها»[٢].

لم تطل أيّام أبي بكر السنتين وسرعان ما تصرّمت فقد ألمّت به الأمراض وأشرف على الموت، وقد صمّم علىٰ أن يولي عمر الخلافة من بعده، فاعترض أكثر المهاجرين والأنصار، وأعلنوا كراهيّتهم لهذا القرار لما علموا من خشونة

---

(١) إشارة إلى قول أبي بكر: أقيلوني فلست بخيركم ، راجع شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١: ١٦٩ (عهد أبي بكر إلى عمر).

(٢) نهج البلاغة ١: ٣٠ ـ ٣٢ / ح٣.

أخلاق عمر وسوء تعامله مع الناس[1].

لكنّ أبا بكر أصرّ على موقفه وقد عرفنا أسباب الإصرار التي مرّ ذكرها.

ثمّ إنّ أبا بكر أحضر عثمان بن عفّان لوحده ليكتب عهده لعمر، فقال له: اُكتب: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما عهد أبو بكر بن أبي قحافة إلىٰ المسلمين، أما بعد.. ثمّ اُغمي علىٰ أبي بكر، فكتب عثمان: فإنّي قد استخلفت عليكم عمر بن الخطّاب ولم آلكم خيراً، ثمّ أفاق أبو بكر فقال: إقرأ عليّ، فقرأ عليه فكبّر أبو بكر وقال: أراك خِفتَ أن يختلف الناس إن مُتُّ في غشيتي، قال: نعم، قال: جزاك الله خيراً[2]. وبهذا يستدل البعض على حرص أبي بكر على الأُمّة وبذلك يتهم أعقل إنسان على وجه الأرض حين يتنكّر لوصية النبيّ (صلى الله عليه وآله) لعليّ (عليه السلام) بالخلافة أو حين ينكرها من الأساس ويزعم أنّ النبيّ (صلى الله عليه وآله) قد رحل الى ربّه من دون أن يصون اُمّته من الفتنة التي وقع فيها صحابته! كما يُنقل عن عمر حين حضرته الوفاة حيث كان متردّداً في الوصية لا يدري هل يقتدى بأبي بكر في الاستخلاف أم يقتدى بالنبيّ (صلى الله عليه وآله) في تركه الاستخلاف.

المؤاخذات على وصيّة أبي بكر:

لم يكن عليّ (عليه السلام) راضياً بما فعله أبو بكر للأسباب التالية:

١ ـ إنّ أبا بكر لم يستشر أحداً من المسلمين في تقرير مصير الخلافة إلّا عبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفّان اللذين كانا على معرفة تامّة بميول أبي بكر لاستخلاف عمر من بعده، خشية أن يدفعه أهل الرأي من الصحابة المخلصين

(١) الطبقات الكبرى ٣: ١٩٩ (وصية أبي بكر)، وتأريخ الطبري: ٢ / ٦١٨ و ٦١٩ (حوادث سنة ١٣ ذكر وصية أبي بكر)، والكامل في التأريخ: ٢ / ٤٢٥ (حوادث سنة ١١ ذكر استخلاف عمر)، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١: ١٦٤ (ذكر عهد أبي بكر إلى عمر).

(٢) الطبقات الكبرىٰ ٣: ٢٠٠ (ذكر وصية أبي بكر)، تاريخ الطبري ٢: ٦١٨ (حوادث سنة ١٣ ذكر وصية أبي بكر) الكامل في التأريخ: ٢ / ٤٢٥ (حوادث سنة ١٣ ذكر استخلاف عمر).

على تغيير رأيه في اختيار عمر.

٢ ـ الاصرار على إبعاد الإمام عليّ(عليه السلام) عن الساحة السياسية ومسألة تقرير مصير الخلافة فلم يستشره في أمر الخلافة، في حين أنّ أبا بكر كان يـفزع إلى الإمام عليّ(عليه السلام) في حلّ المشاكل المستعصية عليه، وقدكانت آراء الإمام ومواقفه في عهد أبي بكر هي الناصحة والصائبة .

٣ ـ إنّ أبا بكر فرض عمر فرضاً على المسلمين، وكأنّ له الوصاية عليهم حيّاً وميّتاً وذلك بقوله: استخلفت عمر بن الخطاب عليكم فاسمعوا له وأطيعوا، رغم أنّه رأى الغضب ظاهراً في وجوه الكثيرين من الصحابة.

٤ ـ إنّه ناقض نفسه في دعواه بالسير على منهاج رسول الله (صلى الله عليه وآله) لأنّـه كـان يدّعي أنّ النبيّ (صلى الله عليه وآله) توفّي ولم يعهد لأحدٍ في شأن الخلافة، في حين نجده يوصي لصاحبه عمر من بعده[1].

٥ ـ إنّ أبا بكر قد أسس لمجيء بني أُميّة الى حقل الزعامة الإسلامية وهـذا التأسيس هو الذي جلب الويلات للإسلام والمسلمين، وذلك مـن خـلال إثـارة طمعهم في الخلافة وتشجيعهم عليها بقوله لعثمان بن عفّان الأُموي: لولا عمر ما عدوتك[2].. وأبو بكر يعلم أنّ عثمان رجل عاطفي ضعيف الإرادة يـميل لبـني أُميّة، وأنّهم سيغلبونه على أمره، وهذا ما حصل.

---

(١) وهو من العجائب ؛ لانّه لمّا أفاق من الإغماء واستمع إلى ماكتبه عثمان من تعيين الخليفة بعده، قال: أراك خفت أن يختلف الناس إن متّ في غشيتي قال : نعم ؛كيف هو وعثمان خـافا مـن اخـتلاف النـاس ؟ ! وأمّا الرسول الأعظم الحكيم (صلى الله عليه وآله) لم يخف من اختلاف أُمّته! لأنهم يتّهمون بأنّه(صلى الله عليه وآله) مات ولم يعيّن أحداً!

بل نلاحظ عمر يمنع الرسول (صلى الله عليه وآله) من كتابة وصيّته في لحظاته الأخيرة بينما يجلس وبيده جريدة ومعه شديد مولى لأبي بكر ومعه الصحيفة التي فيها استخلاف عمر وعمر يقول: أ يّها الناس اسمعوا وأطيعوا قول خليفة رسول الله إنه يقول إني لم آلكم نصحاً . راجع تاريخ الطبري ٢: ٦١٨ (حوادث سنة ١٣ ذكر وصية أبيبكر) أرأيت التناقض بين موقفيه ؟ ! ولولا زعم أن الصحابة كالنجوم وأن من يجتهد ويخطأ منهم له أجر واحد لم يبق أي طريق لتأويل النصوص النبويّة ومخالفتها بهذه الصراحة.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ١ / ١٦٤ (ذكر عهد أبيبكر إلى عمر).

الفصل الثالث

الإمام عليّ(عليه السلام) في عهد عمر [1]

مهّد أبو بكر بخلافته لخلافة عمر بن الخطاب فتولّاها بكلّ يسر ودون أيّة معارضة تذكر من أقطاب المهاجرين والأنصار، وقد قبض علىٰ زمام الحكم بقوة وساس الأُمّة بشدّة، حتىٰ تحامىٰ لقاءه أكابر الصحابة[2]. وحقّقت بذلك قريش انتصاراً سياسياً آخر ومضت مصرّة علىٰ أن لا تعطي لبني هاشم مجالاً في الحكم ولا تعترف لهم بأي حقّ، وأتقن عمر هذا النهج أيّما إتقان.

أمّا الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب(عليه السلام) فلم يثأر لحقه المغتصب بعدما شاهد من سيرة السلطة الحاكمة ومستوى الفئة السائرة في ركبها، من تعنت وإصرار على احتكار السلطة، فوقف الإمام موقف الناصح الأمين للخليفة الجديد شعوراً منه بالمسؤولية الكبيرة، فهو الأمين علىٰ سلامة الرسالة والأُمّة، لقد ساهم الإمام أمير المؤمنين في الحياة العامّة ما وسعه من جهد، وأدّىٰ ما عليه من تكليف في تعليم وتفقيه وقضاء بصورة أوسع ممّا أدلى به في عهد أبي بكر حيث كانت الضرورة تقتضي ذلك، فقد اتّسعت رقعة البلاد الإسلامية واستجدّت أحداث كانت بحاجة إلىٰ أحكامٍ كان يعجز عن استنباطها الخليفة ومن حوله من الصحابة، وكانت الحلول والإجابات تنحصر في مَن عصمه من الخطأ من أهل بيت الرسالة.

---

(١) استخلاف عمر بن الخطاب في جمادى الآخرة عام (١٣) هـ.

(٢) تأريخ الطبري: ٢ / ٦١٧ و ٦١٨ (حوادث سنة ١٣ ذكر وصية أبي‌بكر).

ولذا كان عمر يقف مضطراً ومتصاغراً أمام علم باب مدينة علم النبيّ علـيّ بـن أبي‌طالب أمير المؤمنين وأوّل الأوصياء المرضيين ويحترم رأيه ويمضي حكمه وقراره حتىٰ روي عنه لأكثر من مرّة وفي أكثر من موقف حرج قوله: لا أبقاني الله لمعضلة ليس لها أبو الحسن(١).

فقد روي أنّ عمر أراد أن يرجم امرأةً مجنونةً اُتّهمت بالزنا، فردّ الإمام عليّ (عليه السلام) قضاء عمر. وذكّره بحديث رسول الله (صلى الله عليه وآله): «**رفع القلم عن ثلاث: عن المجنون حتى يبرأ، وعن النائم حتى يستيقظ، وعن الصبيّ حتىٰ يعقل**» حينذاك قال عمر: لولا عليّ لهلك عمر(٢).

معالم منهج عمر بن الخطّاب في الحكم(٣) :

١ ـ الشدّة والقسوة في التعامل مع الناس، وفرض الهيبة بالعنف والقوة، فخافه القريب والبعيد، وكان من شدته أنّ امرأةً جاءت تسأله عن أمر وكانت حاملاً ولشدّة خوفها منه أجهضت حملها. وقصّته مع جبلّةمعروفة وعنفه معه كان سبب ارتداده وهروبه إلى بلاد الروم(٤).

٢ ـ عدم مساواته في العطاء بين المسلمين، فقد ميّز بينهم تمييزاً لم ينهجه

---

(١) شرح الأخبار ٢: ٣١٧ / ح٦٥١، الطرائف السيد ابن طاووس: ٢٥٥ (فيما جرىٰ على فاطمة(عليها السلام)، الصراط المستقيم ١: ١٥٥ (باب ٧، فصل ١)، بحار الأنوار ٤٠: ١٤٨ /ح ٥٤، أنساب الأشراف للبلاذري: ٩٩ / ح٢٩، المناقب للخوارزمي: ٩٦ ـ ٩٧ / ح٩٧ و٩٨، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١: ١٨ (القول في نسب أمير المؤمنين)، ينابيع المودة للقندوزي ١: ٢٧٧ / ح٥٨.

(٢) الإرشاد للمفيد ١: ٢٠٣ (فصل ما جاء من قضاياه(عليه السلام) في إمارة عمر)، تذكرة الخواص ١: ٥٦٠ (باب ٥).

(٣) راجع النصّ والاجتهاد للسيّد عبدالحسين شرف الدين: ١٤٨.

(٤) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١: ١٧٤ و ١٨٣ (طرف من أخبار عمر)، إمتاع الأسماع للمقريزي ١٤: ٢٤٧ (ردّة جبلة).

النبيّ (صلى الله عليه وآله) ولا يؤيده القرآن، بل كان على أساس قَبَلي[١]، وكان من آثاره أن ظهرت الطبقية في المجتمع الإسلامي في العهود التي تلته، فنشط النسّابون لتدوين الأنساب وتصنيف القبائل بحسب أُصولها ممّا أدّىٰ إلى حنق الموالي على العرب وكراهيتهم لهم والتفتيش عن مثالبهم، وقد خالف بذلك سيرة الرسول الأكرم(صلى الله عليه وآله) وسيرة صاحبه أبي بكر أيضاً.

وندم عمر على تصرّفه هذا في آخر فترة حكمه حينما رأى الثراء الفاحش عند كثير من الصحابة، ولم تطب به نفسه، وإنّما راح يقول: لو استقبلت من الأمر ما استدبرت لأخذت من الأغنياء فضول أموالهم فرددتها على الفقراء[٢].

٣ ـ عدم الدقّة وعدم الموضوعية في اختيار العمّال والولاة ولم يكن الاختيار على أُسس إسلاميّة تخدم مشروع الحكومة الإسلامية وتحافظ على كيان الأُمّة، فإنّه استعمل مَنْ عُرف بالفساد وعدم الإخلاص للدين، وأصرّ بموقفه هذا علىٰ إبعاد كلّ ما يمتّ إلى الإمام عليّ (عليه السلام) بصلة من الصحابة الأجلّاء الذين وقفوا معه[٣].

٤ ـ استثناء معاوية من المحاسبة والمراقبة التي كان يشدّدها على ولاته، وتركه ليعمل علىٰ هواه ما يشاء لسنين طويلة، ممّا أعان معاوية على طغيانه واستقلاله بالشام في عهد عثمان، كما أُثر عنه قوله في توجيه تصرفات معاوية: إنه كسرىٰ العرب[٤].

---

(١) تأريخ الطبري: ٣ / ٢٩١ و ٢٩٢.

(٢) شرح النهج : ٢٩/٩.

(٣) شيخ المضيرة أبو هريرة محمود أبو ريّة: ٨٤ .

(٤) شرح الأخبار ٢: ١٦٤ / ح٤٩٥، تاريخ مدينة دمشق ٥٩: ١١٤ / ترجمة معاوية رقم ٧٥١٠، البداية والنهاية لابن كثير ٨: ١٣٤ (ترجمة معاوية).

محنة بدعة الشورىٰ :

إذا كانت السقيفة وبيعة أبي بكر فلتة وقى الله المسلمين شرها ـ كما قال عمر ـ فإنّ الشورىٰ أشدّ فتنةً وأسوأ تأثيراً في الابتعاد عن مسير الرسالة الإسلامية، فقد امتُحن المسلمون فيها امتحاناً عسيراً، وزرعت لهم الفتن والمصاعب وجلبت لهم الويلات والخطوب، وألقتهم في شرّ عظيم، إذ تبيّن التخطيط السافر لإقصاء الإمام عليٍّ عن سدة الحكم وتسليم زمام الأُمّة الإسلامية بيد غير الأكفّاء من دون وازع ديني أو حرص على مصير الإسلام والمسلمين.

قالوا: لمّا يئس عمر من حياته وأيقن برحيله أثر الطعنات التي أصابته قيل له: استخلف علينا، قال: والله لا أحملكم حيّاً وميّتاً، ثمّ قال: إن أستخلف فقد استخلف من هو خير منّي ـ يعني أبا بكر ـ وإن اَدَع فقد وَدَع من هو خير منّي ـ يعني النبيّ(صلى الله عليه وآله) ـ[1]، ثمّ أبدىٰ أسفه وحسرته علىٰ بعض من شاركه مسيرته للخلافة فقال: لو كان أبو عبيدة حيّاً لاستخلفته لأنّه أمين هذه الأمّة، ولو كان سالم مولى أبي حذيفة حيّاً لاستخلفته لأنّه شديد الحبّ لله، فقيل له: يا أمير المؤمنين لو عهدت عهداً.

قال: قد كنت أجمعت بعد مقالتي لكم أن أنظر فأُولّي رجلاً أمركم هو أحراكم أن يحملكم على الحقّ ـ وأشار إلى الإمام عليّ (عليه السلام) ـ ورهقتني غشية فرأيت رجلاً دخل جنّة قد غرسها، فجعل يقطف كلّ غضّة ويانعة فيضمّه إليه ويصير تحته، فعلمت أنّ الله غالب أمره، ومتوفّ عمر، فما أُريد أن أتحمّلها حيّاً وميّتاً عليكم هؤلاء الرهط الذين قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) عنهم: إنّهم من أهل الجنّة، وهم: عليّ وعثمان وعبد الرحمن وسعد والزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله، فليختاروا

(١) الإمامة والسياسة : ٤١ . قد عرفت سابقاً أنّ النبي (صلى الله عليه وآله) لم يدع . . . وقد عيّن خليفته مراراً كيوم الإنذار لعشيرته الأقربين وغدير خم وغيرهما .

منهم رجلاً، فإذا ولّوا والياً فأحسنوا مؤازرته وأعينوه[١]، وأمرهم أن يحبس هؤلاء الستّة حتى يولّوا أحدهم خلال أيام ثلاثة وأن يضرب عنق المخالف لاتّفاق الأغلبية أو الجناح المخالف للذي فيه عبد الرحمن بن عوف، وأن يصلّي صهيب بالناس ثلاثة أيام حتى تجتمع الأُمّة على خليفة، وطلب أن يحضر شيوخ الأنصار وليس لهم من الأمر شيء[٢].

وحين اجتمع أعضاء الشورىٰ لدىٰ عمر، وجّه إليهم انتقادات لاذعة لاتدلّ على وضوح توجّه صحيح أو إرشاد إلى انتخاب يعين الأُمّة في أزمتها، فقال: والله ما يمنعني أن استخلفك يا سعد إلّا شدّتك وغلظتك مع أنّك رجل حرب، وما يمنعني منك يا عبد الرحمن إلّا أنّك فرعون هذه الأُمّة، وما يمنعني منك يا زبير إلّا أنّك مؤمن الرضا كافر الغضب. وما يمنعني من طلحة إلّا نخوته وكبره[٣]، ولو وليها وضع خاتمه في إصبع امرأته. وما يمنعني منك يا عثمان إلّا عصبيتك وحبّك قومك وأهلك. وما يمنعني منك يا عليّ إلّا حرصك عليها، وإنّك أحرىٰ القوم إن وليتها أن تقيم على الحقّ المبين والصراط المستقيم[٤].

المؤاخذات علىٰ الشورىٰ :

إنّ نظام الشورىٰ الذي ابتدعه عمر للخلافة كان عارياً عن أي مصدر قرآني، أو

---

(١) تأريخ الطبري: ٣ / ٢٩٢ (حوادث سنة ٢٣ قصة الشورى)، الكامل في التأريخ: ٣ / ٦٦ (حوادث سنة ٢٣ قصة الشورى).

(٢) الإمامة والسياسة : ٤٢ (قصة الشورى)، طبقات ابن سعد : ٣ / ٢٦١ (قصة الشورى)، تاريخ الطبري : ٢٩٤/٣ (حواد سنة ٢٣ قصة الشورى)، والكامل في التأريخ: ٣ / ٦٨ (حوادث سنة ٢٣ قصة الشورى).

(٣) كيف هم يدخلون الجنة ـ حسب نقل عمر عن النبيّ (صلى الله عليه وآله) ـ مع أنّ عبد الرحمن فرعون هذه الأُمّة وطلحة صاحب الكبر والنخوة والزبير مؤمن الرضا كافر الغضب ؟!

(٤) الإمامة والسياسة: ٤٣ (قصة الشورى)، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١: ١٨٥ ـ ١٨٦ (قصة الشورى) وفيه تفاوت يسير باللفظ.

نبوي وكان يحمل التناقض بين طيّاته، فإنّنا نلاحظ فيه اُموراً تبعده عن الدقّة والموضوعية وذلك كما يلي:

١ ـ إنّ الأعضاء المقترحين للشورىٰ لم يحصلوا على هذا الامتياز بالأفضلية وفق ضوابط الانتخاب حيث لم تشترك القواعد الشعبية في الترشيح والانتخاب، وإطلاق كلمة الشورىٰ علىٰ هذا النظام المخطط له بذكاء إن هو إلّا تمرير للفرد المطلوب ترشيحه من خلال ما سُمّي بالشورى، لأنّه لم يكن إلّا ترشيح فرد ـ وهو شخص عمر ـ لجماعة وفرضهم على الاُمّة ومن ثَمّ أمر باجتماعهم تحت التهديد بالقتل والسلاح حتى يختاروا أحدهم.

٢ ـ إن تركيبة عناصر الشورىٰ غير منسجمة بل متنافرة الاتّجاهات، ولا يمثّل كلّ فرد فيهم إلّا نفسه لأنه لم يرشحه أحد من الاُمّة سوى عمر، فكيف يمكن أن يعبّر عن رأي الاُمّة جميعاً؟ وقد نشب الخلاف فيما بينهم من بعد الشورى ممّا فرّق شمل المسلمين[1].

٣ ـ إنّ الاستهانة بالأنصار ودورهم كان واضحاً ومستهدفاً، فقد طلب عمر حضورهم ولا شيء لهم بل ولا رأي، فالأمر منحصر في الستّة فما معنىٰ حضور الأنصار؟ بل إنّ عمر استهان بالاُمّة كلّها حين تمنّىٰ حياة سالم وأبي عبيدة قبل أن ينتهي الى الصياغة التي سُمّيت بالشورى.

٤ ـ إنّ عمر قد ناقض نفسه في عمليّة اختيار العناصر، ففي السقيفة كان يدّعي ويصرّ علىٰ أنّ الخلافة في قريش ، بينما نجده في هذا الموقف يتمنّىٰ حياة سالم مولىٰ أبي حذيفة ليوليه الأمر، كما أنّه استدعىٰ أصحاب الشورىٰ دون غيرهم من الصحابة بدعوى أنّ الرسول (صلى الله عليه وآله) مات وهو راضٍ عنهم أو أنّهم من أهل الجنّة، ولكنّه نسب اليهم عيوباً لا تجتمع مع الرضا عنهم ويتنزّه عنها أهل الجنة. ثم إنّه

---

(١) راجع تذكرة الخواص ١: ٣٤٩ ـ ٣٥١ (الباب الثالث خلافة عليّ(عليه السلام)) .

أمر صهيباً أن يصلّي بالناس ثلاثة أيام، لأنّ إمامة المصّلين لا ترتبط بالخلافة ولا تستلزمها، وقدكان يناضل يوم السقيفة من أجل استخلاف أبي بكر، وكانت صلاته المزعومة دليله الأوّل على أهليّة أبي بكر للخلافة.

٥ ـ لقد تظاهر عمر بأنّه أراد أن يستخلف عليّاً (عليه السلام) لأنّه سيحمل الأُمّة على النهج القويم والمحجّة البيضاء، ولكنّه رأىٰ في المنام ما رأى، فأعرض عن الإمام(عليه السلام) وكأنّه أراد بذلك التشويش على مكانة الإمام وأهليّته.

٦ ـ إنّ عمر قال: أكره أن أتحمّلها ـ يقصد الخلافة ـ حيّاً وميّتاً، ولكنّه عاد فحدّد ستّة أشخاص من أُمّة كبيرة، فأكّد بذلك نزعته في الاستعلاء علىٰ الأُمّة وقدراتها.

٧ ـ إنّ اختيار العناصر الستّة يبدو أمراً مبيّتاً لأنه حدّد نظاماً وخطوات يضمن من خلالها وصول الأمر إلى عثمان دون الإمام عليّ(عليه السلام) وهو العنصر المؤهّل من الله ورسوله لخلافة الرسول(صلى الله عليه وآله) وزعامة الأُمّة، فترشيح طلحة هو إثارة وتأكيد لأحقاد تيم، لأنّ الإمام نافس وعارض أبا بكر في خلافته وها هو الآن ينافس مرشّحها الجديد طلحة، وترشيحه لعثمان تأكيد منه على أحقاد أُميّة وإثارة نزعة السلطان والوجاهة لديها، وأمّا ترشيحه لعبد الرحمن وسعد فهو فتح جبهة سياسية جديدة منافسة للإمام عليّ (عليه السلام) فهما من بني زهرة ولهما نسب أيضاً مع بني أُميّة، فسوف يكون ميلهما لصالح عثمان لو تنافس مع الإمام (عليه السلام).

٨ ـ إنّه أمر بقتل أعضاء الشورىٰ في حالة عدم التوصّل إلى اتّفاق أو إبداء معارضة وإصرار ، وكيف يمكن التوفيق بين هذا وبين قوله: إنّ النبيّ (صلى الله عليه وآله) مات وهو راضٍ عنهم؟ وهل تكون مخالفة رأي عمر موجبة لقتل الصحابة[1] ؟

---

(١) تاريخ الطبري : ٣ / ٢٩٣ (حوادث سنة ٢٣ قصة الشورىٰ).

الحوار التاريخي بين ابن عبّاس وعمر حول الخلافة :

ذكر بعض المؤرخين حواراً وقع بين عمر وابن عباس في شأن الخلافة جاء فيه:

إنّ عمر قال لابن عبّاس: أما والله، إنّ صاحبك لأولىٰ الناس بالأمر بعد رسول الله، إلّا أنّنا خفناه على اثنتين.

قال ابن عبّاس: فما هما يا أمير المؤمنين؟

قال عمر: خفناه علىٰ حداثة سنّه، وحبّه بني عبد المطلب.

وذكروا عن بعض مجالس عمر بن الخطاب وكان قد جلس إليه نفر منهم عبد الله بن عباس، فقال له عمر: أتدري يا ابن عباس ما منع الناس منكم؟

قال ابن عبّاس: لا يا أمير المؤمنين.

قال عمر: لكنّني أدري.

قال ابن عباس: فما هو؟

قال عمر: كرهت قريش أن تجتمع لكم النبوّة والخلافة، فتجحفوا الناس جحفاً فنظرت لأنفسها فاختارت، ووُفّقت فأصابت.

فردّ عليه ابن عباس: أيميط أمير المؤمنين عنّي غضبه؟ فأمّنه عمر قائلاً: قل ما تشاء.

فقال ابن عباس: أمّا قولك: إنّ قريشاً كرهت... فإنّ الله تعالى قال لقوم: ﴿ **ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ** ﴾[1] .

وأمّا قولك: إنّا كنّا نجحف... فلو جحفنا بالخلافة جحفنا بالقرابة، ولكنّا قوم

---

(١) محمد (٤٧) : ٩.

أخلاقنا من خلق رسول الله (صلى الله عليه وآله) الذي قال ربّه فيه: ﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ** ﴾(١) وقال له: ﴿ **وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ** ﴾(٢).

وأمّا قولك: إنّ قريشاً اختارت... فإنّ الله تعالى يقول: ﴿**وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ**﴾(٣)، وقد علمت يا أمير المؤمنين أنّ الله اختار من خلقه من اختار، فلو نظرت قريش حيث نظر الله لوفّقت وأصابت.

فتفكّر عمر هُنيئة ثمّ قال ـ وقد آذاه من ابن عباس هذا الحديث الصريح ـ: علىٰ رسلك يا ابن عباس، أبت قلوبكم يا بني هاشم إلّا غشّاً في أمر قريش لا يزول، وحقداً عليها لا يحول.

قال ابن عباس: مهلاً يا أمير المؤمنين، لا تنسب قلوب بني هاشم إلى الغش، فهي من قلب رسول الله (صلى الله عليه وآله) الذي طهّره وزكّاه، وإنّهم لأهل البيت الذين قال لهم الله: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**﴾(٤).

ثمّ قال ابن عبّاس: وأمّا الحقد فكيف لا يحقد من غُصب شيئه(٥) ويراه في يد غيره؟

فغضب عمر وصاح ـ وقد حضره في هذه الآونة أمر كان يكتمه ـ ما أنت يا ابن عبّاس! إنّي قد بلغني عنك كلام أكره أن أُخبرك به فتزول منزلتك عندي.

قال ابن عباس: وما هو يا أمير المؤمنين؟ أخبرني به فإن يك باطلاً فمثلي أماط الباطل عن نفسه، وإن يك حقّاً فإنّ منزلتي عندك لا تزول به.

قال عمر: بلغني أنّك لا تزال تقول: أُخذ هذا الأمر منّا حسداً وظلماً.

فلم ينكص ابن عباس ولم يتزحزح عن موطئ قدميه، بل قال: نعم حسداً وقد

---

(١) القلم (٦٨) : ٤.
(٢) الشعراء (٢٦) : ٢١٥.
(٣) القصص (٢٨) : ٦٨.
(٤) الأحزاب (٣٣) : ٣٣.
(٥) في «ش» شعبه . ولعلّه: من غُصب على فيئه.

حسد إبليس آدم فأخرجه من الجنة، ونعم ظلماً وإنّك لتعلم يا أمير المؤمنين صاحب الحقّ من هو.. يا أمير المؤمنين، ألم تحتجّ العرب على العجم بحقّ رسول الله واحتجّت قريش على سائر العرب بحقّ رسول الله؟ فنحن أحقّ برسول الله من سائر قريش وغيرها.

فقال عمر: إليك عنّي يا ابن عباس، فلما رآه عمر قائماً يريد أن يبرح خشي أن يكون قد أساء إليه فأسرع يقول متلطّفاً به: أيّها المنصرف! إنّي علىٰ ماكان منك لراعٍ حَقَّكَ.

فالتفت ابن عباس إليه وهو يقول ولم يزايله جدّه: إنّ لي عليك يا أمير المؤمنين وعلى كلّ المسلمين حقّاً برسول الله، فمن حفظه فحقّ نفسه حفظ، ومن أضاعه فحقّ نفسه أضاع[1].

موقف الإمام عليّ (عليه السلام) من الشورىٰ :

أَلَمَّ الحزن والأسىٰ بقلب الإمام عليّ (عليه السلام)، وساورته الشكوك والمخاوف من موقف عمر وكيفيّة ترشيحه، فأيقن أنّ في الأمر مكيدةً دبّرت لإقصائه عن الخلافة من جديد وحرمان الحكومة الإسلامية عن ربّانها الجدير بها .

وما أن خرج الإمام (عليه السلام) من عند عمر؛ حتىٰ تلقّاه عمّه العباس فبادره قائلاً: **يا عمّ، لقد عُدِلَتْ عنّا.**

فقال العبّاس: من أعلمك بذلك؟

فقال عليّ (عليه السلام): قُرن بي عثمان، وقال عمر: كونوا مع الأكثر، فإن رضي

---

(١) المسترشد: ٦٨٢ ـ ٦٨٨ / ح ٣٥١ ـ ٣٥٥، بحار الأنوار ٣١: ٧١ ـ ٧٣ (قصة الشورى وما أبدع فيها)، تاريخ الطبري ٣: ٢٨٩ ـ ٢٩٠ (حوادث سنة ٢٣ ذكر من ندب عمر)، السقيفة وفدك للجوهري: ١٣١ ـ ١٣٢ (القسم الثاني)، الكامل في التاريخ ٣: ٦٣ ـ ٦٥ (حوادث سنة ٢٣ ذكر بعض سيرة عمر).

رجلان رجلاً ورجلان رجلاً فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف، فسعد لا يخالف ابن عمّه عبدالرحمن وعبد الرحمن صهر عثمان لا يختلفون، فيوليها عبد الرحمن عثمان أو يوليها عثمان عبد الرحمن، فلوكان الآخران معي لم ينفعاني[(١)].

وصدق الإمام (عليه السلام) في تفرّسه فقد آلت الخلافة إلى عثمان بتواطؤ عبدالرحمن، حيث روي أنّ سعداً وهب حقّه في الشورىٰ لابن عمّه عبد الرحمن، ومال طلحة لعثمان فوهب له حقّه، ولم يبق إلّا الزبير فتنازل عن حقّه لصالح الإمام(عليه السلام)، وهنا عرض عبد الرحمن أن يختار الإمام أو عثمان فقال عمار: إن أردت ألّا يختلف المسلمون فبايع عليّاً، فردّ عليه ابن أبي سرح: إن أردت ألّا تختلف قريش فبايع عثمان. فتأكّد التوجّه غير السليم للخلافة وبدت أعراض الانحراف واضحة جلية تؤجّجها نار العصبية.

فعرض عبد الرحمن بيعته بشرط السير على كتاب الله وسنّة نبيّه (صلى الله عليه وآله) وسيرة الشيخين، فرفض الإمام سيرة الشيخين وقبلها عثمان فتمّت له البيعة، فقال عليّ(عليه السلام) لعبد الرحمن: **«حبوته حبو دهره، ليس هذا أوّل يوم تظاهرتم فيه علينا، فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون»**[(٢)].

«والله ما فعلتها إلّا لأنّك رجوت منه ما رجا صاحبكما من صاحبه، دقّ الله بينكما عطر منشم»[(٣)].

(١) تاريخ المدينة لابن شبة ٣: ٩٢٥ (عمر يفصل صفات الصحابة)، تاريخ الطبري ٣: ٢٩٤ (حوادث سنة ٢٣ قصة الشورى)، الكامل في التاريخ ٣: ٦٧ (حوادث سنة ٢٣ قصة الشورى)، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٢: ٢٦٢ (الطعن التاسع ما روي عنه في قصة الشورى).

(٢) تاريخ المدينة ٣: ٩٢٩ ـ ٩٣٠ (كيف تم انتخاب عثمان خليفة)، تاريخ الطبري ٣: ٢٩٦ ـ ٢٩٨ (حوادث سنة ٢٣ قصة الشورىٰ)، الكامل في التاريخ ٣: ٧٠ ـ ٧١ (حوادث سنة ٢٣ قصة الشورىٰ).

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ١ / ١٨٨ (قصة الشورىٰ).

ثمّ التفت (عليه السلام) إلى الناس ليوضّح لهم خطأهم المتكرّر في الاستخلاف ورأيه في مصير الرسالة الإسلامية فقال :

«أيّها الناس! لقد علمتم أنّي أحقّ بهذا الأمر من غيري، أما وقد انتهىٰ الأمر إلى ما ترون، فو الله لأُسالمنّ ما سَلِمَتْ أُمور المسلمين، ولم يكن فيها جور إلّا عليّ خاصة، التماساً لأجرِ ذلك وفضلهِ، وزهداً فيما تنافَسْتُموه من زُخرفه وزِبْرجه»[1].

إنّ الامام (عليه السلام) دخل مع الباقين في الشورىٰ وهو يعلم بما ستؤول إليه، محاولة منه لإظهار تناقض عمر ومن سار على نهجه عند وفاة النبيّ (صلى الله عليه وآله) حين كان يرىٰ أنّه لا تجتمع الخلافة والنبوّة في بيت واحد، أمّا الآن فقد رشّح الإمام (عليه السلام) للخلافة. فكيف سمحت قريش يوم الشورىٰ باجتماع النبوّة والخلافة في بني هاشم بهذا الترشيح؟! إلّا أن يقال بأن الترشيح كان أمراً صوريّاً لتمرير خروج عثمان واستئثاره بالخلافة بحيث لا يُتّهم القائمون على تدبير أمر الحكم بالاستبداد وفضح أنفسهم بالتآمر على أهل البيت(عليهم السلام) .

ومن هنا دخل الإمام عليّ(عليه السلام) في هذه الشورىٰ لعلّة بيّنها بقوله: **«ولكنّي أدخل معهم في الشورىٰ لأنّ عمر قد أهّلني الآن للخلافة، وكان قبل ذلك يقول: إنّ رسول الله(صلى الله عليه وآله) قال: إنَّ النبوّة والإمامة لا يجتمعان في بيت، فأنا أدخل في ذلك لأُظهر للناس مناقضة فعله لروايته»**[2].

وبايع الإمام عليٌّ(عليه السلام) عثمان بن عفّان سعياً منه أن يصلح الأُمّة ويوجّهها، وأن يحافظ علىٰ كيانها، فلم يبخل علىٰ الأُمّة بالنصيحة والهداية والتربية في يوم من الأيّام، فإن أُبعدت الخلافة عنه (عليه السلام) فإنّه لم يدّخر وسعاً إلّا وبذله للمسلمين ما

(١) نهج البلاغة ١: ١٢٤ / خ ٧٤، بحار الأنوار ٢٩: ٦١٢ / ح٢٧.

(٢) الطرائف لابن طاووس: ٤٨٤ (طرائف خلافة عثمان)،كتاب الأربعين للشيرازي: ٢٤٩ (علة عدم مبايعة القوم عليّ(عليه السلام))، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١: ١٨٩ (ذكر قصة الشورىٰ).

يوضّح الحقّ ويُرشد إليه، ويهدي إلى السبيل الصحيح، ويعين الحاكم حين يعجز، ويعلّمه إذ يجهل، ويردعه إذ يطيش.

لماذا لم يوافق الإمام عليّ (عليه السلام) على شرط عبد الرحمن بن عوف ؟

لم يقف الإمام عليّ (عليه السلام) موقف المعارض والمناهض للخليفتين لمصلحة خاصّة أو غاية شخصية، وإنّما لصالح الدين والأُمّة والرسالة الإسلامية، مبتعداً عن الأهواء والرغبات الذاتية، مستنداً إلى القرآن والسنّة في كلّ مواقفه، حريصاً على الموضوعية والرسالية في كل قرار يتّخذه فإنّه الراعي لشؤون الرسالة والأُمّة في غياب الرّسول الأعظم (صلى الله عليه وآله)، لئلّا يشوب الرسالة الإسلامية شيء يحيد بها عمّا نزلت من أجله. وموقفه من رفض البيعة بشرط أن يسير سيرة الشيخين نابع من هذا المبدأ، إذ يوجد في الرسالة مرجع شرعي يصحّ أن يسمّىٰ بسيرة الشيخين، وإنّما هما القرآن والسنّة النبوية، فلو أنّ الإمام وافق بهذا الشرط؛ لكان معناه إعطاء الشرعية لِسيرة الشيخين كالسنّة النبويّة، قد كانت سيرة الشيخين تتضمن أنواع التناقض والتهافت فيما بينهما معاً ، بل فيما بينهما وبين القرآن والسنّة النبويّة الشريفة[1].

ثمّ إنّ الإمام (عليه السلام) كان دوره دور المربي بعد النبيّ (صلى الله عليه وآله) في هذه الأُمّة، فلم يكن من شأنه أن يوافق على اتّباع سيرة الشيخين ثم يخالفها، كما فعل عثمان حيث رضي بهذا الشرط ولكنّه لم يفِ به أو يسير بسيرتهما وهو الأعلم منهما كما عرفت من تصريحات الخلفاء أنفسهم بأعلميته وأفقهيته منهم.

* * *

(١) أُنظر السيّد عبدالحسين شرف الدين في كتابه القيّم: «النصّ والاجتهاد» والعلّامة الأميني في موسوعته القيّمة «الغدير» لترى الموارد التي خرج فيها الشيخان على كتاب الله وسنّة رسوله.

الفصل الرابع

الإمام علي(عليه السلام) في عهد عثمان*

قال أمير المؤمنين عليّ بن أبي‌طالب(عليه السلام) واصفاً عـهد عـثمان فـي‌خطبته المعروفة:

«إلى أن قام ثالثُ القوم نافجاً حضنيه بين نثيله ومعتلَفِه، وقام معه بنو أبيه يخضَمون مال الله خِضْمَةَ الإبل نِبْتَةَ الربيع، إلىٰ أن انتكث عليه فتلُه، وأجهز عليه عـملُه، وكـبَتْ بـه بِطْنَتُهُ»[1] .

لم يكن عثمان كسابقيه في إدارة شؤون الحكم، فما أن رشّحه ابـن عـوف خليفة للمسلمين وجاءوا به يـزفّونه إلىٰ مسـجد رسـول الله (صلى الله عليه وآله) ليـعلن سـياسة حكومته الجديدة وما أعدّ من مواقف لمستجدات الاُمور؛ صعد علىٰ المنبر فجلس في الموضع الذي كان يجلس فيه رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ولم يجلس فيه أبو بكر ولا عمر، إذ كان أبو بكر يجلس دونه بمرقاة، وعمر كان يجلس دون مجلس الأوّل أيضاً بمرقاة، وتكلّم الناس في ذلك فقال بعضهم: اليوم ولد الشرّ[2].

ولم يستطع أن يتكلّم بطلاقة، وإنّما قال: أمّا بعد، فإنّ أوّل مركب صعب، وما كنّا خطباء، وسيعلم الله وأنّ امرأً ليس بينه وبين آدم إلّا أب ميّت لموعوظ[3].

(*) كان استخلاف عثمان بن عفان في ذي الحجّة سنة (٢٣) هـ.

(١) نـهج البـلاغة ١: ٣٥ / خ٣، الإرشـاد للـمفيد ١: ٢٨٨ ـ ٢٨٩ (فـصل فـي مـختصر كـلامه(عليه السلام) الخـطبة الشقشقية).

(٢) تاريخ اليعقوبي : ٢ / ١٦٣ (ذكر أيام عثمان) .

(٣) الطبقات الكبرىٰ ٣: ٦٢ (ذكر بيعة عثمان)، تاريخ مدينة دمشق ٣٩: ٢٣٧ ذكر ترجمة عثمان بن عفان رقم

←

وقال اليعقوبي : فقام مليّاً لا يتكلّم ثم قال : إنّ أبا بكر وعمر كانا يعدّان لهذا المقام مقالاً وأنتم إلى إمام عادل أحوج منكم إلى إمام يشقّق الخطب وإن تعيشوا فسيأتيكم الخطْب ، ثم نزل[١].

واستهلّ عثمان أعماله بأُمور جعلت عامّة المسلمين ينقمون عليه سوىٰ أفراد عشيرته ـ بني أُميّة ـ فقد جاهر بالتحيّز لقبيلته وأظهر ميله لقومه معلناً أُمويّته، فأخذ يسوّدهم ويرفعهم فوق رقاب الناس، فوزّع مناصب الولاية علىٰ بني أُميّة وسلّم إليهم مقاليد الأُمور يعبثون بلا رادع لهم.

وقد تجاوز عثمان سياسة الشيخين في تولية المناصب، وحصر المناصب والمهامّ الرسمية للدولة الإسلامية ضمن دائرة ضيّقة جداً هي بنو أُميّة.

ولم يعبأ بنصح وتحذير الصحابة وعلىٰ رأسهم الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام)، تجاه السيرة الخطيرة التي سلكها لتحميل بني أُميّة على رقاب المسلمين وإهمال العناصر الصالحة بل عمل جاهداً على إبعاد أهل البيت(عليهم السلام) وأتباعهم عن كلّ ما يُمتّ الى السلطة بصلة.

موقف لأبي سفيان بعد بيعة عثمان :

بعد أن تمّت بيعة عثمان؛ أقبل أبو سفيان إلىٰ دار عثمان بن عفان في وقت كانت قد غصّت الدار بأهله وأعوانه تسودهم نشوة النصر والفوز بالحكم، وقد بدت علىٰ وجناته علامات الفرح والسرور، وتعلو شدقه بَسْمة حقود شامت ، تلوح منه بوادر الاستعلاء بعدما أذلّ الإسلام كبرياءَهم، فأدار وجهه يميناً وشمالاً قائلاً للحاضرين

ـ ٤٦١٩)، البداية والنهاية لابن كثير ٧: ١٦٦ (ذكر خلافة عثمان)، تاريخ الخلفاء: ١٦٤ ـ ١٦٥ (فصل في أوليات عثمان).

(١) تاريخ اليعقوبي : ٢ / ١٦٣ (ذكر أيام عثمان).

المجتمعين في دار عثمان: أفيكم أحد من غيركم؟ فأجابوه بالنفي فقال: يا بني اُميّة! تلقّفوها تلقّف الكرة، فوالذي يحلف به أبو سفيان ما من جنّةٍ ولا نارٍ، ولا حسابٍ ولا عقابٍ.. ولقد كنت أرجوها لكم، ولتصيرنّ إلىٰ صبيانكم وراثة[1].

ثمّ سار إلىٰ قبر سيّد الشهداء حمزة بن عبد المطّلب ـ رضوان الله تعالى عليه ـ فوقف علىٰ القبر وركله برجله وقال: يا أبا عمارة! إنّ الأمر الذي اجتلدنا عليه بالسيف أمسىٰ في يد غلماننا يتلعّبون به[2].

ملامح سلبيّة في حكم عثمان :

تعايش الإمام عليّ (عليه السلام) مع أبي بكر وعمر، ولم يظهر العداء العلنية لهما بشكل سافر، فقد كان الانحراف في مسيرة الحكومة الإسلامية مستتراً، وكان الإمام (عليه السلام) يتدخّل في أحيان كثيرة لإصلاح موقف الخليفة الخاطئ فيستجيب له، ولم يخشَ الشيخان أبو بكر وعمر من الإمام (عليه السلام) إلّا لكونه الممثّل الشرعي للاُمّة وصاحب الحقّ في الخلافة والقائد لتيار المعارضة الذي يضمّ أجلّاء الصحابة، ولكنّ الإمام بسكوته عن حقّه في الخلافة أمّن القوم من جانبه، ولكنه لم يتنازل عن قيم الرسالة والمبدأ الذي ورثه عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهو الاستئمان عليها والرقابة على الأُمّة والشهادة الكاملة عليها.

أمّا في فترة حكم عثمان فقد استشرىٰ الفساد ودبَّ في أجهزة الدولة بصورة علنية مكشوفة، وانتقلت العدوىٰ إلىٰ فئات المجتمع الإسلامي، فوقف الإمام معلناً رفضه واستنكاره علىٰ عثمان بصورة علنية، ووقف معه الصحابة الأجلّاء أمثال

---

(١) السقيفة وفدك للجوهري: ٨٧ (القسم الأوّل)، مروج الذهب ٢: ٣٢٢ ـ ٣٤٣ (خلافة عثمان)، الأغاني لأبي فرج ٦: ٣٧١ (ذكر أبي سفيان وأخباره)، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٩: ٥٣ (ذكر أخبا يوم الشورىٰ).

(٢) بحار الأنوار ٣٣: ٨٩ / ذيل الحديث ٤٠١، الغدير ١٠: ٨٣ (ذكر أبو سفيان ومواقفه)، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٦: ١٣٦ (ذكر بعض ما دار بين عليّ عليه السلام ومعاوية من كتب).

عمّار بن ياسر وأبي ذر، بل حتّى الذين وقفوا موقف المعارض لخلافة أمير المؤمنين لم يرضوا على عثمان سوء إدارته وفساد حكومته، ويمكن لنا أن نجمل طبيعة حكم عثمان وملامحه فيما يلي :

١ ـ إن عثمان وصل إلىٰ الحكم وقد تجاوز السبعين عاماً، وكان وصولاً لأرحامه ولوعاً بحبّهم وإيثارهم، فقد روي عنه قوله: لو أن بيدي مفاتيح الجنّة لأعطيتها بني اُميّة حتىٰ يدخلوا من عند آخرهم(١).

٢ ـ كما أنّ عثمان عاش غنيّاً مترفاً قبل الإسلام، وظلّ علىٰ غناه في الإسلام، فلم يكن ليتحسّس معاناة الفقراء وآلام المحرومين، فكانت شخصيته مزدوجة في التعامل مع الجماهير المحرومة التي تطالبه بالعدل والسوية، فيعاملها بالشدّة والقسوة، كما في تعامله مع عبد الله بن مسعود وعمار بن ياسر وأبي ذر وغيرهم.

٣ ـ وأمّا من جهة أقربائه فقد أدناهم وقلّدهم الاُمور رغم عدم كفاءتهم الإدارية، فاستعمل الوليد بن عقبة ابن أبي معيط علىٰ الكوفة وهو ممّن أخبر النبيّ (صلى الله عليه وآله) أنّه من أهل النار، واستعمل عبد الله ابن أبي سرح علىٰ مصر، ومعاوية بن أبي سفيان على الشام، وعبد الله بن عامر على البصرة، وصرف الوليد بن عقبة عن الكوفة وولّاها سعيد بن العاص(٢).

٤ ـ وكان عثمان ضعيفاً أمام صهره مروان بن الحكم، يسمع كلامه وينفّذ رغباته، حتىٰ أنّه عندما تألّبت الأمصار علىٰ عثمان وتأزّمت الأوضاع؛ تدخّل الإمام (عليه السلام) ليهدّئ الحالة ويرجع الثائرين ـ الذين جاءوا يطالبون بإصلاح السياسة الإدارية والمالية وتبديل الولاة ـ إلىٰ بلدانهم، وأخذ من عثمان شرطاً أن لا يطيع

(١) مسند أحمد ١: ٦٣ (ما أسند عن عثمان)، تاريخ مدينة دمشق ٣٩: ٢٥٢ (ترجمة عثمان رقم ٤٦١٩)، البداية والنهاية لابن كثير ٧: ٢٠٠ (ذكر محاصرة عثمان)، مجمع الزوائد ٧: ٢٢٧ (كتاب الفتن فتنة عثمان).
(٢) تاريخ اليعقوبي ٢: ١٦٤ ـ ١٦٦ (ذكر أيام عثمان)، تاريخ الطبري ٣: ٤٤٥ ـ ٤٤٦ (حوادث سنة ٣٥ ذكر عمال عثمان)، الكامل في التاريخ ٣: ١٨٦ (حوادث سنة ٣٥ ذكر عمال عثمان).

مروان بن الحكم وسعيد بن العاص.

ولكن بمجرد أن هدأت الأوضاع؛ عاد مروان وحرّض عثمان علىٰ أن يخرج وينال من الثوار، فخرج إليه الإمام عليّ (عليه السلام) مغضباً فقال: **«أما رضيت من مروان ولا رضي منك إلّا بتحرفك عن دينك وعن عقلك مثل جمل الضعينة يُقاد حيث يُسار به، والله ما مروان بذي رأي في دينه ولا نفسه»**[1]؟

وفي موقف آخر تجاه الوليد بن عقبة بعد شربه الخمر نلاحظ غضب الخليفة عثمان علىٰ الشهود الذين شهدوا علىٰ الوليد بشربه الخمر ودفعهم، وهنا تدخّل الإمام عليّ(عليه السلام) وهدّد عثمان من عواقب الأُمور، فأمره الإمام (عليه السلام) باستدعاء الوليد ومحاكمته وإقامة الحدّ عليه، وحين أُحضر الوليد وثبتت عليه شهادة الشهود؛ أقام الإمام (عليه السلام) عليه الحدّ ممّا أغضب عثمان، فقال للإمام: ليس لك أن تفعل به هذا، فأجابه الإمام بمنطق الحقّ والشرع قائلاً: **«بل وشرّ من هذا إذا فسق ومنع حقّ الله أن يؤخذ منه»**[2].

٥ ـ وأمّا سياسة عثمان المالية فقد كانت امتداداً لسياسة عمر من إيجاد الطبقية وتقديم بعض الناس علىٰ بعض في العطاء، إلّا أنّها أكثر فساداً من سياسة سابقه، فقد أثرىٰ بني أُميّة ثراءً فاحشاً، وحين اعترض عليه خازن بيت المال قال له: إنّما أنت خازن لنا، فإذا أعطيناك فخذ وإذا سكتنا عنك فاسكت، فقال: والله ما أنا لك بخازن ولا لأهل بيتك، إنّما أنا خازن للمسلمين.. وجاء يوم الجمعة وعثمان يخطب فقال: أيّها الناس! زعم عثمان أنّي خازن له ولأهل بيته، وإنّما كنت خازناً للمسلمين، وهذه مفاتيح بيت مالكم، ورمىٰ بها[3].

---

(١) تاريخ الطبري: ٣ / ٣٩٧ (ذكر سنة ٣٥ ذكر من سار إلى حصار عثمان)، الكامل في التاريخ ٣: ١٦٥ (حوادث سنة ٣٥ ذكر من سار إلى حصار عثمان).

(٢) مروج الذهب للمسعودي ٢: ٣٣٦.

(٣) تاريخ اليعقوبي ٢: ١٦٩ (ذكر أيام عثمان)، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣: ٣٥ ـ ٣٦ (ذكر مطاعن عثمان) وذكر قريب منه البلاذري في أنساب الأشراف ٦: ١٤٠ (ذكر أمر الوليد بن عقبة).

موقف للإمام علي (عليه السلام) مع عثمان :

نقم المسلمون على عثمان، وتصلّب خيار الصحابة في مواقفهم تجاه انحراف الخليفة وجهازه الحاكم، وفي قبال ذلك أمعن عثمان بالتنكيل بالمعارضين والمندّدين بسياسته المنحرفة، وبالغ في ذلك دون أن يرعى لصحابة رسول الله(صلى الله عليه وآله) صحبتهم له، فمن ذلك أنّ أباذرّ الصحابيّ الجليل أكثَرَ من اعتراضه علىٰ مساوئ عثمان، فسيّره إلى الشام، ولم يطق معاوية وجوده في الشام فأرجعه إلىٰ المدينة، واستمرّ أبو ذرّ في جهاده وإنكاره السياسة الاُمويّة، فضاق عثمان به ذرعاً فقرّر نفيه إلىٰ الربذة ومنع الناس من توديعه.

ولكنّ الإمام عليّاً (عليه السلام) خفّ لتوديعه ومعه الحسنان وعقيل وعبد الله بن جعفر، فاعترضهم مروان بن الحكم ليردّهم، فثار الإمام عليّ (عليه السلام) فحمل علىٰ مروان، وضرب اُذني دابته وصاح به: تنحَّ نحّاك الله إلى النار، ووقف الإمام عليّ (عليه السلام) مودّعاً أبا ذرّ فقال له: «**يا أبا ذرّ! إنّك غضبت لله فَارْجُ من غضبت له، إنّ القوم خافوك على دنياهم، وخفتهم على دينك، فاترك في أيديهم ما خافوك عليه، واهرب بما خفتهم عليه، فما أحوجهم إلى ما منعتهم! وما أغناك عمّا منعوك! وستعلم مَن الرابح غداً والأكثر حسداً!**»[1].

فلمّا رجع عليّ (عليه السلام) من توديع أبي ذر؛ استقبله الناس فقالوا له: إنّ عثمان عليك غضبان، فقال عليّ (عليه السلام): «**غضب الخيل علىٰ اللجم**»[2].

الآثار السلبيّة لحكومة عثمان في الاُمّة :

كانت حكومة عثمان استمراراً للخطّ السياسي الحاكم بإبعاد أهل البيت

(١) شرح نهج البلاغة ٨: ٢٥٢ ـ ٢٥٣ (أخبار أبي ذر حين خروجه إلى الربذة).
(٢) مروج الذهب ٢: ٣٤١ (ذكر خلافة عثمان)، بحار الأنوار ٣١: ١٨٢.

وأتباعهم عن الحكم وهو ينمّ عن عدم الوعى لمحتوىٰ الرسالة الإسلامية، وتركت هذه السياسة آثارها السيّئة علىٰ مسيرة الحكومة الإسلامية والأُمّة ككلّ، وأضافت مثالب ومطاعن للحاكمين وبيّنت مدى ابتعادهم عن الرسالة الإسلامية لدىٰ الجماهير، التي لم تعش مع القائد المعصوم ـ أي النبيّ الأعظم(صلى الله عليه وآله) ـ سوىٰ عقد واحد رأته فيها حاكماً ومربيّاً، واشتعلت في هذه الفترة نار الفتن في أطراف البلاد الإسلامية وجرّت على المسلمين الويلات والظلامات، ونحن من خلال سبرنا أغوار التاريخ نستنتج ما يلي :

١ ـ إنّ حكومة عثمان ابتعدت عن نهج الشريعة الإسلامية، فعطّلت الحدود وأشاعت الفساد وتهاونت في محاسبة المسؤولين عن ذلك، وهذا ما فسح المجال لشيوع الفوضىٰ في السلوك الاجتماعي وبثّ روح التمرّد علىٰ القانون. وكان من مظاهر الفساد شيوع الاستهتار والاستخفاف بالقيم والأحكام الإسلامية، فنجد أنّ بيوت الولاة والشخصيّات المتنفّذة كانت تعجّ بحفلات الغناء ومجالس الخمرة[١].

٢ ـ ركّزت حكومة عثمان على روح العصبية القبلية التي أظهرها أبو بكر في نهجه السياسي القبلي، وتجلّت في وصول بني أُميّة للحكم ثم تسلّطها على جميع مرافق الدولة، وأصبح بنو أُميّة جبهة سياسية قويّة مناوئة للإسلام وخصوصاً لخطّ آل البيت (عليهم السلام) وأصبحت فيما بعد العقبة الرئيسة أمام حكومة الإمام عليّ(عليه السلام).

٣ ـ اعتبرت حكومة عثمان أنّ الحكم حقّ موهوب لهم ولا يحقّ لأحدٍ انتزاعه، واتخذوه وسيلةً لإرضاء رغباتهم المنحرفة وشهواتهم الشيطانية، ولم تجعل من الحكم وسيلةً للإصلاح الاجتماعي، ونشر الرّسالة الإسلامية في بقاع الأرض[٢] ، ممّا شجّع الكثيرين في السعي للتسلّق إلىٰ الحكم للتمتّع بالسلطة

(١) الأغاني لأبي الفرج الإصفهاني: ٧ / ١٧٩.

(٢) الطبقات الكبرىٰ لابن سعد: ٣ / ٦٤ (ذكر عثمان)، وتأريخ الطبري: ٥ / ٣٤١ ـ ٣٤٦ (ذكر حوادث سنة ٣١).

والجاه، فعمرو بن العاص ومعاوية وطلحة والزبير لم يكونوا ينشدون من السعي للحكم أيّ هدف إنساني أو اجتماعي يعود بالنفع والمصلحة على الأُمّة.

٤ ـ خلقت حكومة عثمان طبقة كبيرة من الأثرياء[١] تتضرّر مصالحها مع الحكومة القائمة في مواجهةِ حكومة تطالب بتطبيق الحقّ والشرع، ممّا أدّى إلىٰ تحرّك قطعات المسلمين الفقراء للمطالبة بالقوّة في إصلاح النظام المالي، وتطوير الحياة الاقتصادية وتنظيم الدخل الفردي. وحركة أبي ذرّ تجاه الفساد المالي للحكومة خير شاهد ودليل علىٰ عمق تفشّي الفقر في أوساط الأُمّة.

٥ ـ إنّ استعمال العنف والقوّة والشدّة والقسوة في التعامل مع المعترضين وإهانتهم ولّد ردّة فعل معاكسة فثاروا على النظام القائم بالقوّة، وكان مقتل عثمان نقطة تحوّل في الصراعات الدائرة بين المسلمين، فعمل السيف عمله في أفراد الأمّة وأجّجه وزاد فيه تعنّت بني أُمية ومن والاهم علىٰ تحدّي الحقّ ورغبة الأُمّة في الإصلاح.

وهذا ما فسح المجال أمام النفعيّين في الوصول إلىٰ الحكم بقوّة السيف بعد أن افترقت الأُمّة الإسلامية في توجّهاتها السياسية، حيث أصبحت كلّ فرقة تريد الحكم لنفسها.

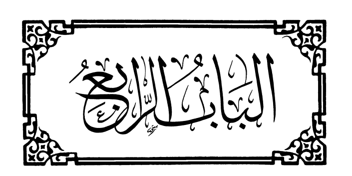
٦ ـ خلّف مقتل عثمان فتنةً يتأجّج أوارها كلّ حين، وشعاراً يرفعه النفعيّون والخارجون على الطاعة والبيعة لإثارة المشاكل والشَغَب والحروب تجاه أيّة حكومة شرعية جماهيرية كالحكومة التي تزعّمها الإمام عليّ (عليه السلام) بمالم يتحقق لأحد من الخلفاء الذين سبقوه من إجماع الصحابة وإصرارهم على تولّيه لشؤون الزعامة الإسلامية، وتكامل دور الفتنة والشقاق علىٰ يد معاوية فيما بعد، فحارب

(١) مروج الذهب ٢: ٣٣٢ ـ ٣٣٤ (ذكر خلافة عثمان)، أنساب الأشراف ٦: ١٣٣ ـ ١٣٨ (ذكر ما أنكروا من سيرة عثمان).

الإمام (عليه السلام) وأراق دماء المسلمين، ثمّ عمل على تشويه الدين واستغلال مشاعر المسلمين باتجاه إحكام السيطرة على رقابهم ثم تحويل الخلافة الى ملك عضوض متوارث، يساعدهم علىٰ ذلك سعة رقعة الدولة الإسلامية، ووجود فئات واسعة من المجتمع الإسلامي لم تستوعب الرسالة الإلهية بوعي وبصيرة.

٧ ـ وكان من نتائج الثورة على عثمان أن وجدت فئات مسلّحة من مختلف الأقطار الإسلامية كانت تحيط بالمدينة وتنتظر سقوط الحكومة الإسلامية، كما أنّ الأحداث أثبتت وشجّعت علىٰ تحرّك الجماهير لتغيير الحكم العثماني بالقوّة، وأصبحت هذه ورقةُ ضغطٍ قويّةً تؤثّر علىٰ الحكم الجديد.

* * *



فيه فصول :

الفصل الأوّل :

الإمام عليّ (عليه السلام) بعد مقتل عثمان

الفصل الثاني :

الإمام عليّ (عليه السلام) والناكثين

الفصل الثالث :

الإمام عليّ (عليه السلام) والقاسطين

الفصل الرابع :

الإمام عليّ (عليه السلام) والمارقين

الفصل الخامس :

الإمام عليّ (عليه السلام) سيّد شهداء المحراب

الفصل السادس :

تراث الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)

الفَصلُ الأوّلُ

الإمام علـيّ (عليه السلام) بعد مقتل عثمان

بيعة المسلمين للإمام عليّ (عليه السلام)* :

سادت الفوضىٰ أرجاء المدينة بعد مقتل عثمان؛ فاتّجهت الأنظار إلى لإمام عليّ (عليه السلام) لينقذ الأُمّة من محنتها وتخبّطها، ولم يتجرّأ أحدٌ أن يـدّعي أحـقيّته بالخلافة التي كانت تحيط بها المشاكل المستعصية، كما أنّ الظرف السياسي لم يمهل عثمان أن يتّخذ قراراً بشأن الخلافة كما خطّط الشيخان لمن يليهما الأمر، ولم يكن في أصحاب الشورىٰ من يملك مؤهّلات الخلافة كـالإمام عـليّ(عليه السلام)، فكيف وقد تعقّدت الأُمور وتدهور وضع الدولة وكيانها، ولابدّ أن يتزعّم الأُمّةَ قائدٌ يملك القدرة على النهوض بالأُمّة بعد انحطاطها وقيادتها بحزمٍ لتجتاز الأزمة وتصان عن الضياع، ولم يكن من هـو جـدير بكـل هـذه الخـصائص إلّا الإمـام عليّ(عليه السلام) الذي اعتبره الرسول(صلى الله عليه وآله) راعيها وسيّدها من بعده.

لقد تحرّكت جماهير المسلمين نحو الإمام عليّ (عليه السلام) طالبةً مـنه أن يـقبل قيادتها، ولكنّ الإمام (عليه السلام) استقبل الجماهير المندفعة بوجوم وتردّد، فقد حُرِم منها وهو صاحبها وجاءته بعد أن امتلأت الساحة انحرافاً والأُمّة تردّياً، وهيمنت عليها المشاكل المستعصية دون أن تحرز النجاح في العقود السابقة، فقال لهم: «**لا حاجة لي في أمركم أنا معكم فمن اخترتم رضيت به فاختاروا**»[1]. وقال (عليه السلام): «**لا تفعلوا**

(*) تمّت بيعة المسلمين مع الإمام عليّ (عليه السلام) في ذي الحجّة عام (٣٥) هـ

(١) تاريخ الطبري: ٣/٤٥٠ (ذكر حوادث سنة ٣٥ بيعة عليّ(عليه السلام)، الكامل في التاريخ ٣: ٩٠ (حوادث ←

فإنّي أكون وزيراً خير من أن أكون أميراً»[١].

وأوضح لهم الإمام (عليه السلام) عمّا سيجري فقال: «**أيّها الناس! أنتم مستقبلون أمراً له وجوه وألوان، لا تقوم به القلوب، ولا تثبت له العقول...**»[٢].

وأمام إصرار الجماهير على توليته الأمر قال لهم: «**إنّي إن أجبتُكم ركبتُ بكم ما أعلم... وإن تركتموني فإنّما أنا كأحدكم، ألا وإني من أسمعكم وأطوعكم لمن ولّيتموه أمركم**»[٣].

وتكاثرت جموع الناس التي كانت تطالبه بقبول الخلافة ومدّ يده للبيعة حتى وصف هذا الاحتشاد بقوله: «**فما راعني إلّا والناس كعرف الضبع ينثالون عليَّ من كلّ جانب حتىٰ لقد وطئ الحسنان وشقّ عطفاي مجتمعين حولي كربيضة الغنم**»[٤].

لم يكن الإمام حريصاً على السلطان، بل كان حرصه استنقاذ الاُمّة من الضياع، والمحافظة علىٰ الشريعة الإسلامية لتبقىٰ نقيّةً من الشوائب والبدع، فَقَبِلَ أن يتولّىٰ أمر الخلافة ولكنّه أخّر القبول إلى اليوم الثاني، واشترط أن تكون بيعة الجماهير علنيةً في المسجد، رافضاً بذلك اُسلوب البيعة التي ابتدعت في السقيفة والوصاية بلا بيعة والوصاية من خلال الشورىٰ، وفي الوقت ذاته ليعطي الاُمّة فرصةً اُخرىٰ كي تمتحن عواطفها وتتخذ قرارها في الخضوع له، فقد ضَيَّعَتْ فيما سبق نصوص النبيّ (صلى الله عليه وآله) على خلافته فانحرفت عن النهج النبوي. ومن هنا قال (عليه السلام): «**والله ما تقدّمت عليها ـ أي الخلافة ـ إلّا خوفاً من أن ينزو على الأُمّة تيسٌ علج من بني اُميّة فيلعب**

ـــــــــــــــ

← سنة ٣٥ ذكر بيعة عليّ عليه السلام).

(١) تاريخ الطبري ٣: ٤٥٠ (ذكر حوادث سنة ٣٥ بيعة عليّ عليه السلام) ، الكامل في التاريخ ٣: ١٩٠ (حوادث سنة ٣٥ ذكر بيعة عليّ عليه السلام) .

(٢) نهج البلاغة ١: ١٨١ ـ ١٨٢ / خ ٩٢، بحار الأنوار ٣٢: ٢٣ ـ ٢٤ / ح٨، تاريخ الطبري ٣: ٤٥٦ (حوادث سنة ٣٥ ذكر بيعة عليّ عليه السلام)، الكامل في التاريخ ٣: ١٩٣ (حوادث سنة ٣٥ ذكر بيعة عليّ عليه السلام).

(٣) المصدر السابق.

(٤) نهج البلاغة ١: ٣٥ ـ ٣٦ / خ٣، الإرشاد للمفيد ١: ٢٨٩ (فصل في خطبه عليه السلام).

بكتاب الله عز وجل»[١].

لقد كانت خطورة الموقف من نفوذ بني أُميّة في مراكز الدولة وطمعهم الشديد في المُلك ومسك السلطة في حالة من غياب الوعي الرسالي في المجتمع.

وما أن أقبل الصباح؛ حتىٰ حفّت الجماهير بالإمام (عليه السلام) تسير معه نحو المسجد، فاعتلىٰ المنبر وخاطب الجماهير قائلاً: «**يا أيّها الناس! إنّ هذا أمركم ليس لأحدٍ فيه حقّ إلّا من أمَّرْتُم، وقد افترقنا بالأمس وكنت كارهاً لأمركم، فأبيتم إلّا أن أكون عليكم، ألا وإنّه ليس لي أن آخذ درهماً دونكم، فإن شئتم قعدت لكم، وإلّا فلا آخذ على أحد...**».

فهتفت الجماهير بصوت واحد: نحن علىٰ ما فارقناك عليه بالأمس.. وقالوا: نبايعك على كتاب الله، فقال (عليه السلام): «**اللّهمّ اشهد عليهم**».

وتدافع الناس كالموج المتلاطم إلىٰ البيعة، فكان أوّل من بايع طلحة بيده الشلّاء والذي سرعان ما نكث بها عهد الله وميثاقه، وجاء بعده الزبير فبايع، ثمّ بايعه أهالي الأمصار وعامّة الناس من أهل بدر والمهاجرين والأنصار عامّة[٢].

كانت بيعة الإمام عليّ (عليه السلام) أوّل حركة انتخاب جماهيرية، ولم يحضَ أحدٌ من الخلفاء بمثل هذه البيعة، وبلغ سرور الناس ببيعتهم أقصاه، فقد أطلّت عليهم حكومة الحقّ والعدل، وتقلّد الخلافة صاحبها الشرعي ناصر المستضعفين والمظلومين، وفرحت الأُمّة بقبول الإمام بأن يبايعوه بالخلافة كما وصف الإمام(عليه السلام) ذلك بقوله: «**وبلغ سرور الناس ببيعتهم إيّاي أن ابتهج بها الصغير، وهَدَجَ إليها الكبير، وتحامل نحوها العَليل، وحَسَرَتْ إليها الكِعاب**»[٣].

---

(١) حياة الإمام الحسين لباقر شريف القرشي: ٤٠٠ نقلاً عن أنساب الأشراف للبلاذري ٢: ٨٥٥ (باب أقوال أمير المؤمنين عليه السلام).

(٢) الفتنة ووقعة الجمل: ٩٣ ـ ٩٤ (ذكر المبايعة لعليّ عليه السلام)، تاريخ الطبري ٣: ٤٥٦ (حوادث سنة ٣٥ خلافة عليّ عليه السلام)، الكامل في التاريخ ٣: ١٩٣ ـ ١٩٤ (حوادث سنة ٣٥ ذكر بيعة أمير المؤمنين عليه السلام).

(٣) نهج البلاغة ٢: ٢٢٢ / خ ٢٢٩، بحار الأنوار ٣٢: ٥١ / ح٣٥. ←

المتخلّفون عن بيعة الإمام (عليه السلام) :

رغم أنّ الإمام عليّاً (عليه السلام) كان هو الخليفة الشرعي كما نصّت على ذلك الأحاديث النبويّة الشريفة ، وأكدّها تاريخ الخلافة في عهد الشيخين وعثمان حيث اتّضح بأنّ خير من يرعىٰ الأُمّة والرسالة بعد غياب النبيّ(صلى الله عليه وآله) هو الإمام عليّ (عليه السلام) لما له من قابليات ومؤهّلات لا تتوفر عند غيره من المسلمين،كما وأنّ الأُمّة هي التي فزعت إلىٰ الإمام بكل شرائحها وفئاتها تطلب منه قبول الخلافة، لكنّنا نجد أنّ بعض من بايع الإمام من الصحابة أخذ يتراجع عن بيعته، وتلكأ البعض فلم يبايع كسائر المسلمين.

لقد كان تخلّفهم خرقاً لإجماع الأُمّة وتحدّياً لبيعتها، وبذلك فتحوا باباً جديدة في تأجيج الفتنة واستمرار الصراع الداخلي بين المسلمين، ومن هؤلاء المتخلّفين: سعد ابن أبي وقّاص، وعبد الله بن عمر، وكعب بن مالك، ومسلمة بن مخلد، وأبو سعيد الخدري، ومحمد بن مسلمة، والنعمان بن البشير، ورافع بن خديج، وعبد الله بن سلام، وقدامة بن مظعون، وأُسامة بن زيد، والمغيرة بن شعبة، وصهيب بن سنان، ومعاوية بن أبي سفيان[1]. ولكنّ بعضهم ندم على تفريطه في أمر بيعة الإمام.

وأما موقف الإمام (عليه السلام) من هؤلاء فإنّه لم يتعرّض لأحدٍ منهم بأيّ سوء، وتركهم وحالهم في الأُمّة لهم ما للناس وعليهم ما على الناس.

ــــ إبتهج الصغير: أي فرح. وهدج الكبير: مشىٰ مشياً ضعيفاً مرتعشاً. وتحامل العليل: تكلف المجيء على مشقة. وحسر الكعاب: أي كشفت عن وجهها حرصاً على حضور البيعة، والكعاب: الجارية التي قد نهد ثديها.

(١) تاريخ الطبري: ٤٥٢/٣ (حوادث سنة ٣٥ خلافة أمير المؤمنين عليه السلام)، الكامل في التاريخ ٣: ١٩١ ـ ١٩٢ (حوادث سنة ٣٥ خلافة وبيعة أمير المؤمنين عليه السلام).

عقبات في طريق حكومة الإمام (عليه السلام):

وصل الإمام عليّ (عليه السلام) إلى الحكم بعد ربع قرن من عزله عن ممارسة الحكم الإسلامي وقيادة الاُمّة والدولة، وطوال هذه الفترة السابقة أَلِفَ الناس أن يروا الإمام محكوماً لا حاكماً، محكوماً لاُناس أقلّ كفاءةً وشأناً منه ..كما أنّ عدداً من الشخصيات تنامىٰ لديها الشعور بالمنافسة وبلوغ قمّة السلطة لتحقيق أغراضهم الشخصية، فالزبير في السقيفة كان يدافع عن حقّ الإمام (عليه السلام) مقابل الفئات المندفعة نحو السلطة، ثمّ نجده اليوم ينازع الإمام علىٰ السلطة، ومعاوية الطليق ابن الطليق أصبح بعد هذه المدّة مناوئاً قويّاً يهدّد كيان الدولة.

وأيضاً ممّا أعاق حركة الإمام أنّ العناصر التي وقفت ضدّه على الخطّ المنحرف كان أغلبهم ممّن له صحبة مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهذا ممّا انخدع به أعداد من المسلمين، وعقّد الأمر علىٰ حكومته (عليه السلام) واستمراره في الحكم بشكل طبيعي.

إضافة إلىٰ أنّ الإمام (عليه السلام) استلم دولة مترامية الأطراف، ففي زمن أبي بكر لم تتجاوز الدولة الإسلامية حدود الجزيرة والعراق، أمّا في عهد الإمام عليّ(عليه السلام) فإنّها كانت تمتد إلىٰ شمال أفريقيا وأواسط آسيا إضافةً إلىٰ تمام الجزيرة والعراق والشام، وقد دخل في الإسلام أقوام من غير العرب، وهؤلاء المسلمون الجدد فتحوا عهدهم مع الإسلام في ظلّ حكومة غير معصومة، بل كانت منحرفة عن الخطّ الصحيح للرسالة الإسلامية، وكان علىٰ حكومة الإمام القيام بمهامّ رئيسية في أقصر وقت مع وجود الصراع الداخلي ومن تلك المهام:

١ ـ هدم الكيان الطبقي الذي أنشأه الخلفاء وذلك عبر:

أ ـ الالتزام بالمساواة في العطاء بين المسلمين جميعاً، متّبعاً في ذلك سنّة رسول الله(صلى الله عليه وآله) التي أهملها من كان قبله من الخلفاء، وقد أوضح في خطبته سياسة

التوزيع النابعة من حكم الله ﴿**إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم**﴾[(١)] فقال:

«ألا وأيّما رجلٍ استجاب لله وللرسول فصدّق ملّتنا ودخَل في ديننا واستقبل قبلتنا؛ فقد استوجب حقوق الإسلام وحدوده، فأنتم عبادالله، والمال مال الله، يُقسّم بينكم بالسويّة، لا فضل فيه لأحدٍ علىٰ أحدٍ، وللمتّقين عند الله غداً أحسن الجزاء وأفضل الثواب»[(٢)].

ب ـ استرجاع الأموال المنهوبة من بيت المال في عهد عثمان، فقد أعلن الإمام أنّ الأموال المأخوذة بغير حقّ ـ وما أكثرها في عهد عثمان ـ لابدّ أن ترجع إلىٰ بيت المال، حيث كانت الأموال الطائلة عند طبقة محيطة بالخليفة، أو أنّ عثمان كان يعطيها ليستميلها إليه. فقال (عليه السلام): **«ألا إنّ كلّ قطيعة أقطعها عثمان وكلّ مال أعطاه من مال الله فهو مردود في بيت المال، فإنّ الحقّ لا يبطله شيء، ولو وجدته قد تُزوج به النساء ومُلك به الإماء وفرّق في البلدان لرددته، فإنّ في العدل سعةً، ومن ضاق عليه العدل، فالجور عليه أضيق»**[(٣)].

هذه السياسة المالية لم ترق لقريش، فقد كان العديد من أقطابها تنالهم قرارات الإمام وهم في أنفة الطغيان والتكبّر والاستعلاء، مثل: مروان بن الحكم وطلحة والزبير، فما أن استوثقوا الجدّ في عمل الإمام حتى بدأوا بإثارة الفتن والإحَن أمام حكومة الإمام، حتى أنّ طلحة والزبير جاءا إلىٰ الإمام (عليه السلام) يعترضان علىٰ ذلك فقالا: إنّ لنا قرابةً من نبي الله وسابقةً وجهاداً، وإنّك أعطيتنا بالسوية ولم يكن عمر ولا عثمان يعطوننا بالسوية، كانوا يفضلوننا على غيرنا.

فقال (عليه السلام): **فهذا كتاب الله فانظروا ما لكم من حقٍّ فخذوه**، قالوا: فسابقتنا ! قال (عليه السلام): **أنتما أسبق منّي؟** قالا: لا، فقرابتنا من النبيّ (صلى الله عليه وآله)! قال (عليه السلام): **أقرب من**

---

(١) الحجرات (٤٩): ١٣.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٧: ٣٧ (فصل فيما كان من أمر طلحة والزبير)، وعنه في بحار الأنوار: ٣٢: ١٧ ح٧.

(٣) شرح الأخبار ١: ٣٧٣ / ح٣١٦، بحار الأنوار ٣٢: ١٦ / ح٦، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١: ٢٦٩ (شرح الخطبة ١٥).

قرابتي؟ قالا: لا، فجهادنا، قال (عليه السلام): **أعظم من جهادي؟** قالا: لا، قال (عليه السلام): **فوالله ما أنا في هذا المال وأجيري إلّا بمنزلة سواء**(١).

ج ـ المساواة أمام حكم الله تعالىٰ:

لم يكن الإمام (عليه السلام) غافلاً عن تطبيق أحكام الشريعة في عهد من سبقه من الخلفاء، فكان يحكم ويفصل بالحقّ والعدل، إذ يعجز غيره، وما أن استلم زمام أُمور الدولة؛ حتىٰ ضرب أروع صنوف العدل وسلك أوضح سبل الحقّ مظهراً عدل الشريعة الإلهية وقدرة الإسلام علىٰ إقامة دولة تنعم بالحرية والأمان والعدل. ومواقف الإمام (عليه السلام) كثيرة وما كان يتحرّج أن يجري القانون علىٰ نفسه وأهل بيته وأصحابه، فقد ترافع مع اليهودي إلىٰ شريح القاضي ليفصل بينهم في درع افتقده (عليه السلام)(٢).

وقد كانت أحكام الإمام في فصل القضاء نابعة من عمق فهمه للشريعة وسعة علم الإمام بأُمور الدين والدنيا، وتدلّ علىٰ عصمته في الفكر والعمل.

٢ ـ التنظيم الإداري وإعادة السيطرة المركزية للدولة:

قام الإمام (عليه السلام) بإعفاء الولاة الذين عيّنهم عثمان من مناصبهم، ونصب ولاة كانوا جديرين بهذه المهمّة، ومحلّ ثقة المسلمين، فأرسل عثمان بن حنيف الأنصاري بدلاً عن عبد الله بن عامر إلىٰ البصرة، وعلىٰ الكوفة أرسل عمارة بن شهاب بدلاً عن أبي موسىٰ الأشعري، وعلىٰ اليمن عيّن عبيد الله بن عبّاس بدلاً عن يعلىٰ بن منبّه، وعلىٰ مصر عيّن قيس بن سعد بن عبادة بدلاً عن عبد الله بن سعد، وعلىٰ الشام سهل بن حنيف بدلاً من معاوية بن أبي سفيان، وكلّ هذه

(١) الخرائج والجرائح ١: ١٨٧ / ح٢١، بحار الأنوار ٣٢: ١١٠ / ح٨٥.

(٢) المناقب لابن شهر آشوب ٢: ١٢١ ـ ١٢٢ (فصل في المسابقة بالتواضع)، بحار الأنوار ٤١: ٥٦ ـ ٥٧ / ح٦، أخبار القضاة لابن حيان ٢: ٢٠٠ (ما روي عن شريح مسنداً)، وقد وردت هذه عن شريح ولكن مع نصراني فيعدة مصادر منها: تاريخ مدينة دمشق ٤٢: ٤٨٧ ترجمة أمير المؤمنين(عليه السلام) رقم ٤٩٣٣، البداية والنهاية لابن كثير ٨: ٥، كنز العمال ٧: ٢٤ / ح١٧٧٨٩.

التغييرات الإدارية إنّما كانت لسوء سيرة الولاة السابقين واستمرارهم في الاستئثار ببيت مال المسلمين حتىٰ آخر لحظة، فقد استولىٰ يعلىٰ بن منبّه علىٰ بيت مال اليمن وهرب به، وحرّك معاوية قوّة عسكرية لصدّ سهل بن حنيف عن ممارسة مهامّه الجديدة[1].

وفي عملية اختيار الولاة الجدد كان الإمام (عليه السلام) دقيقاً وموضوعياً وحريصاً على تطبيق الشريعة الإسلامية بجهازه الإداري الجديد، وقد أعاد الثقة للأنصار بأنفسهم ورفع معنويّاتهم، إذ أشركهم في الحكم، كما أنّ الإمام لم يكن مستعدّاً لقبول الحلول الخاوية والملتوية، أو أنصاف الحلول، بل كان حازماً في اجتثاث الفساد، حتّىٰ رفض (عليه السلام) ما أُقترح عليه من إبقاء معاوية علىٰ الشام حتّى يستقر حكم الإمام ثمّ تنحيته فيما بعد[2].

وحاول الإمام فرض سيطرة الخلافة المركزية علىٰ ولاية الشام بعد أن امتنع معاوية فيها عن البيعة، فعزم الإمام(عليه السلام) على تنحيته بالقوّة فجهّز جيشاً الى الشام ودفع الراية إلىٰ ولده محمد بن الحنفية، وولّىٰ عبد الله بن عبّاس علىٰ ميمنته وعمر بن أبي سلمة علىٰ الميسرة، ودعا أبا ليلىٰ بن عمر بن الجرّاح فجعله على مقدّمة الجيش، وخطب في أهل المدينة وحثّهم علىٰ القتال، ولكن حال دون التحرّك إليهم وصول خبر خروج طلحة والزبير علىٰ حكم الإمام في البصرة بعد أن كانا قد استأذناه في الخروج للعمرة فأذن لهما، وحذّرهما في نفس الوقت من نكث البيعة[3].

---

(١) تاريخ الطبري ٣: ٤٦٢ ـ ٤٦٣ (حوادث سنة ٣٦ ذكر تفريق علي عليه السلام عماله)، الفتنة ووقعة الجمل للضبي: ١٠٠ (أخبار عمال عليّ عليه السلام).

(٢) تأريخ الطبري: ٣ / ٤٦١ و ٤٦٢ (حوادث سنة ٣٦ تفريق عمال عليّ عليه السلام)، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١: ٢٣٢ (ذكر أمر طلحة والزبير مع عليّ عليه السلام)، البداية والنهاية: ٧ / ٢٥٥ (ذكر بيعة عليّ عليه السلام).

(٣) الفتنة ووقعة الجمل للضبي: ١٠٧ ـ ١٠٨ (ذكر إستنفار أهل المدينة)، الكامل في التاريخ ٣: ٢٠٣ ـ ٢٠٥ (حوادث سنة ٣٦ تفريق عماله عليه السلام).

مجالات عمل الإمام عليّ (عليه السلام) في الأُمّة :

هناك دور مفروض في الشريعة الإسلامية للشخصيّة التي ترعىٰ شؤون الرسالة الإسلامية وتعمل على فاعليتها في الحياة الإنسانيّة وحمايتها في الصراع مع التيارات المختلفة بعد غياب النبيّ القائد (صلى الله عليه وآله). وقد نصّت الشريعة على أنّ الإمام عليّاً (عليه السلام) ومِن بعده أبناءه المعصومون هم المعنيّون بذلك.

وممارسة دور الراعي والقائد لشؤون الرسالة والأُمّة تقتضي أن يتولّىٰ الإمام المعصوم أعلىٰ السلطات في الدولة، ولكن بعد رحيل المصطفىٰ(صلى الله عليه وآله) استولت على هذا الموقع عناصر غير مؤهّلة لذلك في ظرف تاريخي معقّد قد بيّنا خصائصه. ولم يكن ذلك ليمنع الإمام (عليه السلام) عن ممارسة دوره القيادي، ولكن طبيعة الصراع اقتضت أن يعمل الإمام عليّ (عليه السلام) في مجالين محاولة منه لإصلاح انحراف الأُمّة والمحافظة على هويتها ومقدّساتها:

المجال الأوّل (المجال السياسي): وفيه سعىٰ الإمام(عليه السلام) لاستلام مقاليد الحكم وزمام التجربة، والنهوض بالأُمّة كما أراد الله لها. عبّر عن مسؤوليته تجاه هذا الأمر بقوله (عليه السلام): «**لولا حضور الحاضر وقيام الحجّة بوجود الناصر وما أخذ الله على العلماء أن لا يقارّوا على كظّة ظالم ولا سغب مظلوم؛ لألقيت حبلها على غاربها**»[(١)].

فحاول الإمام (عليه السلام) تعبئة الأُمّة وجمع الناصر، ولكنّه لم يتمكّن أن يصل إلى حدّ إنجاح هذه المحاولة لأسباب منها:

١ ـ عدم وعي الأُمّة لرزيّة يوم الخميس وما تلاها من رزايا يوم السقيفة وما جرىٰ فيها من مؤامرات محبوكة وتوجّهات سياسية خاطئة كانت تخفىٰ علىٰ شريحة كبيرة من الأُمّة. أو أن المسلمين كانوا لا يعون خطورتها وعمقها التاريخي

(١) نهج البلاغة ١: ٣٦ ـ ٣٧ / خ٣، بحار الأنوار ٢٩: ٤٩٩ ـ ٥٠٠ / ح١.

والمستقبلي.

٢ ـ عدم فهم عامّة المسلمين لمسؤولية الإمام ودور الإمامة الراشدة، فقد تصوّروا مطالبة الإمام بالخلافة مطلباً شخصياً وهدفاً فردياً، ولكنّ الحقيقة أنّ دخول الإمام في مواجهة الحاكمين كان بوعي رسالي وإرادة صادقة كي يضمن استمرار الرّسالة الاسلامية نقيةً كما شرّعها الله بعيدةً عن الزيغ والانحراف، وقد ضحّىٰ بكلّ شيء من أجل ذلك لأن المقياس عند الإمام(عليه السلام) هو سلامة الرسالة وفاعليتها على أُسس الحقّ والعدل الإلهي وهو القائل: «**إعرف الحقّ تعرف أهله**»[1] وقد قال رسول الله(صلى الله عليه وآله) عنه وعن مواقفه: «**عليّ مع الحقّ والحقّ مع عليّ**»[2].

كما أنّ الامام عليّاً (عليه السلام) عمل بشمولية وعلىٰ جميع المستويات موفّقاً بين النظرية والتطبيق، فربّىٰ أصحابه علىٰ الأهداف الرسالية ونأىٰ بهم عن الميل مع هذا الطرف أو ذاك لمصالح مادّيّة، والإمام نفسه رفض أن يستلم الحكم بشرط أن يسير بسيرة الشيخين، إذ كانت تلك السيرة تسيء إلىٰ الرسالة والمجتمع الإسلامي.

٣ ـ كانت الرواسب الجاهلية ذات تأثير سلبي علىٰ مواقف الاُمّة، فالعهد قريب بالإسلام ولم تدرك الاُمّة عمق الرسالة وسموّ الرسول ودور الإمام، فتصوّروا أنّ عهد النبيّ(صلى الله عليه وآله) بالوصاية للإمام(عليه السلام) مجرّد عملية ترشيح لأحد أعضاء اُسرته، وإنّه قد يهدف لإحياء أمجاد اُسرة متطلّعة للمجد والسلطان كما هو دأب غالب

---

(١) التبيان للطوسي ١: ١٩٠ (في تفسير سوره البقرة)، مجمع البيان للطبرسي ١: ١٨٧ (في تفسير سورة البقرة)، بحار الأنوار ٤٠: ١٢٦ / ح١٨، تفسير القرطبي ١: ٣٤٠ (تفسير سورة البقرة آية ٤٢)، تفسير البحر المحيط ٨: ١٢٣ (في تفسير سورة ق).

(٢) أمالي الصدوق: ١٥٠ / ح١٤٦، المناقب للكوفي ١: ٤٩٣ / ح٤٠٠، شرح الأخبار للقاضي ٢: ٦٠ / ح٤٢١، بحار الأنوار ٢٨: ١٩٠ / ح٢، الإمامة والسياسة ١: ٩٨ (حرب الجمل التحام الحرب)، تاريخ بغداد ١٤: ٣٢٢ (ترجمة يوسف بن محمد رقم ٧٦٤٣)، تاريخ مدينة دمشق ٤٢: ٤٤٩ (ترجمة الإمام عليّ عليه السلام رقم ٤٩٣٣)، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢: ٢٩٧ (ذكر الأخبار الواردة عن معرفه الإمام عليه السلام بالأمور الغيبية).

الحكّام قبل النبيّ (صلى الله عليه وآله) وبعده.

٤ ـ ولا ينبغي أن ننسىٰ دور المنافقين وأطماعهم في زعزعة الاستقرارالسياسي وتقويض الأمن الاجتماعي، ومحاولة إثارة الأحقاد بين المسلمين، وتغلغلهم في الجهاز الحاكم ومرافق الدولة كماكانوا يزدادون توغّلاً حين كان الحاكم ضعيفاً أو منحرفاً.

٥ ـ ولا نستبعد الأمراض النفسية لدىٰ المتصدّين للزعامة، كحبّ السلطة والشهرة وكسب الموقع الاجتماعي والسياسي المتميّز الى جانب الشعور بالنقص لديهم تجاه الإمام عليّ (عليه السلام)، حيث كان الإمام (عليه السلام) يمثّل تحدّياً سافراً بوجوده، وبصدقه، وبجهاده، وبصراحته (كما تجدر الإشارة الى بعض هذه التحديّات في كتاب معاوية لمحمد ابن أبي بكر)[1].

المجال الثاني (المجال الاجتماعي): وحين لم يفلح الإمام(عليه السلام) في المجال الأوّل ولم يبلغ هدفه عمل الإمام (عليه السلام) على تحصين الأُمّة ضد الانهيار التامّ وإعطائها من المقوّمات النفسية والثقافية القدر الكافي، كي تتمكّن من البقاء صامدة في مواجهة التحديات بعد استيلاء فئة غير كفوءة على السلطة، والانحدار بالأُمّة عن صراط الحقّ وجادّة الصواب.

لقد اجتهد الإمام (عليه السلام) في تعميق الرسالة فكرياً وروحياً بل أعطاها وعياً سياسياً وحاول إعطاء الصورة الحقيقية للنظرية الإسلامية عبر أساليب منها:

١ ـ التدخّل الإيجابي في عمل أصحاب الزعامة المنحرفة بعد أن كانوا لا يحسنون مواجهة ومعالجة القضايا الكثيرة البسيطة منها والمعقدة. وتوجيههم نحو المسار الصحيح لإنقاذ الأُمّة من مزيد الضياع، فكان دور الإمام (عليه السلام) دور الرقيب

(١) وقعة صفّين: ١١٩ (كتاب معاوية إلى محمد بن أبي بكر)، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣: ١٨٩ (كتاب معاوية إلى محمّد بن أبي بكر).

الرسالي الذي يتدخّل لتقويم الأود.

وكان الإمام يتدخّل ويتصدّىٰ للردّ علىٰ شبهات المنكرين للرسالة بعد أن عجز المتصدّون للزعامة عن ذلك، ونجده أيضاً: كان يتدخّل ليعطي للخليفة نصائح عسكرية أو اقتصادية، وما أكثر نصائحه ومعالجاته القضائية[١]!

٢ ـ وكان الإمام(عليه السلام) يعطي توجيهات سياسية للخليفة ليمنعه من المزيد من الانحراف من خلال الوعظ والنصيحة، وبدا هذا الأُسلوب جليّاً في عهد عثمان بن عفان حيث كان لا يتقبّل التوجيه والنصيحة.

٣ ـ تقديم المثل الأعلى للإسلام والصورة الحقيقية لطبيعة وشكل الحكم والمجتمع الإسلامي، وقد ظهر هذا واضحاً في فترة حكومة الإمام (عليه السلام)، وعلى هذا الأساس استند الإمام في قبوله للحكم بعد أن رفضه، فقد مارس دور القائد السياسي المحنّك والحاكم العادل وكان نموذج الإنسان الذي صاغته الرسالة الإسلامية، وكان مثالاً يُحتذىٰ به لبلوغ هدف الرسالة، فهو المعصوم عن الخطأ والزلل والدنس في الفكر والعمل والسيرة.

٤ ـ تربية وبناء ثلّة صالحة من المسلمين كانت تُعين الإمام (عليه السلام) في حركته الإصلاحية والتغييرية، وذلك عبر تحرّكها في وسط الأُمّة لإنضاج أفكارها وتوسيع قاعدة الثلّة الواعية الصالحة، لتتواصل الأجيال اللاحقة في العمل وفق النهج الإسلامي الصحيح[٢].

٥ ـ إحياء سنّة رسول الله(صلى الله عليه وآله) المغيّبة وتدوينها والاهتمام بالقرآن تلاوةً وحفظاً وتفسيراً وتدويناً، إذ هما عماد الشريعة، ولابدّ أن تدرك الأُمّة حقائق القرآن والسنّة كما هي وكما أُريد لها أن تفهمها.

---

(١) تأريخ اليعقوبي: ٢ / ١٣٣، ١٤٥.

(٢) أهل البيت تنوّع أدوار ووحدة هدف للشهيد السيد محمّد باقر الصدر: ٥٩ ـ ٦٩.

الثقافة الإسلامية في عهد حكم الخلفاء * :

إنّ من أخطر المشاكل التي تواجهها الرسالات والعقائد هو تصدّي الفئات غير الأكفّاء نفسيّاً وفكرياً للدفاع عنها أو تطبيقها، وحين يتعرّض المتصدّون للزعامة للاختبار من قبل الأُمّة كي يكتشفوا مدىٰ علمهم بالرسالة فإنّ سكوتهم أو اختلافهم سيزرع شكّاً لدىٰ الجماهير ويزعزع ثقتهم بالرسالة ومقدرتها على مجاراة الحياة، ومن ثَمّ يتحوّل الشكّ إلىٰ حالة مرضية تجعل الأُمّة تتقاعس عن التفاعل مع الرسالة، أو الدفاع عنها في معترك الصراعات وخضمّ الأزمات، ومن هنا نجد أن النبيّ (صلى الله عليه وآله) كان يتصدّىٰ لكلّ قضيّة غامضة أو مجهولة كانت تطرح في حياة الأُمّة فكان يعطي الموقف الواضح للرسالة منها، ونرىٰ ذلك جليّاً في سيرة الإمام عليّ (عليه السلام) من بعده خلال حكم الخلفاء الثلاثة حين كان يظهر للناس عجزهم وقصورهم العلمي والعملي، وقد فسح الإمام(عليه السلام) المجال للبحث والسؤال الى أقصى حدٍّ ممكن عندما تسلّم زمام الحكم بنفسه.

وحين أدركت الفئة الحاكمة قبله أنّها ليست كفوءة للحكم وأنّها قاصرة علمياً؛ اتّخذت عدّة إجراءات لمعالجة هذه الظاهرة منها :

الإجراء الأوّل منع نشر أحاديث رسول الله(صلى الله عليه وآله) لما فيها من التوجيه العلمي والبعث نحو الوعي والفاعلية في الحياة، إضافةً إلى أنّ أحاديث الرسول(صلى الله عليه وآله) تعلن بوضوح أنّ أهل البيت هم المعنيّون بالخلافة وشؤون الرسالة دون من عداهم، ومن هنا نعلم السرّ في رفع شعار «حسبنا كتاب الله» الذي تحدّىٰ قائله به رسول الله (صلى الله عليه وآله) في مرضه عندما أراد أن يدوّن كتاباً لن تضلّ الأُمّة من بعده.

ويبدو أنّ ظاهرة تحديد أو منع نشر أحاديث النبيّ بدأت قبل هذا التأريخ،

(*) للمزيد من التفصيل راجع معالم المدرستين للسيد مرتضىٰ العسكري: ٢ / ٤٣ .

وذلك عندما منعت قريش عبد الله بن عمرو بن العاص من كتابة الأحاديث[1]، كما قامت السلطة الحاكمة بحرق الكتب التي تضمّنت نصوصاً من أحاديث الرسول(صلى الله عليه وآله)[2].

الإجراء الثاني إنّ ظاهرة النهي عن السؤال عمّا لا يُعلم من معاني الآيات القرآنية تعني تجريد الأُمّة من سلاح البحث والتحقيق والتعلّم للقرآن نفسه بعد عزل السنّة عن القرآن ، والاهتمام بظواهر القرآن فقط من دون فسح المجال للتدبّر والتفقّه في آياته وأحكامه حتىٰ أوصىٰ عمر عمّاله قائلاً: «جرّدوا القرآن وأقلّوا الرواية عن محمّد وأنا شريككم»[3]. بل إنّه عاقب كلّ من يسأل عن تفسير آيات القرآن[4].

الإجراء الثالث فتح باب الاجتهاد في مقابل النصّ، فقد اجتهد أبو بكر في جملة من الأحكام من دون أن يستند إلىٰ نصّ قرآني أو حديث عن رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ومن ذلك مصادرة تركة النبيّ ومنع أهل البيت من حقّهم في الخمس، واحراقه الفجاءة السلمي[5] وفتواه في مسألة الكلالة[6] وفتواه في إرث

(١) مسند أحمد ٢: ١٦٢ (ما أسند عن عبدالله بن عمرو بن العاص)، سنن الدارمي ١: ١٢٥ (كتاب العلم، باب من رُخص في كتابة العلم)، سنن أبي داود ٢: ١٧٦ / ح٢٦٤٦ (من كتاب العلم)، المستدرك للحاكم ١: ١٠٦ (باب تقييد العلم بالكتاب)، تفسير ابن كثير ٤: ٢٦٤ (في تفسير سورة النجم).

(٢) الطبقات الكبرىٰ ٥: ١٨٨ (ترجمة القاسم بن محمّد)، سير أعلام النبلاء ٥: ٥٩ (ترجمة القاسم بن محمد رقم ١٨).

(٣) الطبقات الكبرى ٦: ٧ (تسمية من نزل الكوفة من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله)، المستدرك للحاكم النيسابوري ١: ١٠٢ (ذكر أمر عمر بتجريد القرآن)، كنز العمال ٢: ٢٨٤ ـ ٢٨٥ / ح٤٠١٧.

(٤) راجع نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٢: ٩٣ (نكت من كلام عمر وسيرته).

(٥) المسترشد: ٢٢٦ ـ ٢٢٧ / ح٦٥، تاريخ اليعقوبي ٢: ١٢٤ (ذكر أيام أبي‌بكر)، تاريخ الطبري ٢: ٤٩٢ (حوادث سنة ١١ ذكر ردة هوازن) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٧: ٢٢٢ (الطعن على أبي‌بكر الطعن الحادي عشر).

(٦) سنن الدارمي ٢: ٣٦٥ (كتاب الفرائض، باب الكلالة)، السنن الكبرى للبيهقي ٦: ٢٢٣ (كتاب الفرائض، باب حجب الإخوة والأخوات).

الجدّة[١]، كما اجتهد عمر بن الخطّاب في التمييز في العطاء خلافاً لسنّة رسول الله (صلى الله عليه وآله)[٢] واجتهد في منع متعتي الحجّ والنساء وغيرها ممّا تجده في كتاب (النصّ والاجتهاد)[٣]، وقد اجتهد عثمان بن عفّان في إسقاط القود عن عبيد الله بن عمر[٤] وتأوّل في جملة من الأحكام الصريحة خلافاً لما قرّره رسول الله (صلى الله عليه وآله) حتى ثار عليه المسلمون كما عرفت.

كلّ هذه الأُمور وغيرها أثارت للدولة الإسلامية وللأُمّة المسلمة الكثير من المصاعب والمصائب التي كانت السبب الرئيس في انحراف المسيرة المقرّرة للرسالة الإسلامية، ووقوع الكثيرين في شِباك الفتن والضلالة، حتى قال الإمام عليّ (عليه السلام) عن ذلك:

«إنّما بدء وقوع الفتن أهواء تُتّبع وأحكام تُبتدع، يخالف فيها كتاب الله، ويتولّىٰ عليها رجالٌ رجالاً على غير دين الله، فلو أنّ الباطل خلص من مزاج الحقّ؛ لم يخف على المرتادين، ولو أنّ الحقّ خلص من لبس الباطل، انقطعت عنه ألسن المعاندين، ولكن يؤخذ من هذا ضغث ومن هذا ضغث فيمزجان فهنالك يستولي الشيطان على أوليائه، وينجو الذين سبقت لهم من الله الحسنى»[٥].

جهود الإمام (عليه السلام) في إحياء الشريعة الإسلامية :

كان الإمام عليّ (عليه السلام) يرىٰ أنّ أهمّ ما يلزمه بعد غياب الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله)

(١) سنن الدارمي ٢: ٣٥٩ (كتاب الفراض، باب قول أبي بكر في الجدة).
(٢) تاريخ الخلفاء للسيوطي: ١٤٣ (ذكر نبذ من قضايا عمر).
(٣) مسند أحمد ١: ٥٢ (ما أسند عن عمر)، صحيح مسلم ٤: ٣٨ (كتاب الحج، باب المتعة في الحجّ)، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١: ١٨٢ (نبذ من أخبار عمر).
(٤) راجع منهاج السنّة لابن تيمية: ٣ / ١٩٣، وهناك اجتهادات كثيرة للخلفاء تذكرها كتب التأريخ.
(٥) نهج البلاغة ١: ٩٩ ـ ١٠٠ / خ ٥٠، بحار الأنوار: ٢٩٠ / ح٨.

هو صيانة الشريعة المقدسة من أي تحريف وانحراف، ورعاية شؤون الدّولة الإسلامية حتىٰ تستمر في تكاملها من دون تلكؤ أو توقّف، وقد بذل جهده في ذلك أثناء حكم الخلفاء متغاضياً بمرارة وألم عن حقّه في الخلافة وإدارة شؤون الأُمّة مباشرة، وما أن أمسك زمام الحكم؛ حتىٰ خطا خطوات عظيمة في مجال إحياء سنّة رسول الله (صلى الله عليه وآله) وفي الدعوة إلى الحياة في ظلّها، واهتم اهتماماً كبيراً بالقرآن الكريم وتفسيره وتربية الأُمّة وإصلاح الفساد أَينما وجد، ويمكننا أن نلخّص الخطوات التي قام بها الإمام عليّ (عليه السلام) كما يلي :

١ ـ فتح باب الحوار والسؤال عن القرآن والسنّة وكلّ ما يتعلّق بالشريعة المقدّسة أمام الجماهير المسلمة وبصورة علنية وعامّة من دون أن يتردّد حتىٰ في جواب مخالفيه وأعدائه الحاقدين عليه.

٢ ـ الاهتمام بالقرّاء مراعياً لشؤونهم ومتّبعاً فيهم سنّة الرسول (صلى الله عليه وآله) في التعليم، فكان تعليم قراءة القرآن مقروناً بتعلّم ومعرفة ما فيه من العلم والعمل والتفقّه في أحكام الدين.

٣ ـ الاهتمام بقراءة المسلمين من غير العرب، أو من الذين لا يحسنون اللغة العربية بصورة صحيحة، فوضع علم النحو لحفظ اللسان عن اللحن في الكلام[١].

٤ ـ دعا الإمام (عليه السلام) إلى رواية السنّة النبوية وتدوينها ومدارستها، فكان يقول: «**قيّدوا العلم بالكتابة**»[٢] وأمر (عليه السلام) بالبحث في علوم السنّة بقوله: «**تزاوروا وتدارسوا الحديث ولا تتركوه يدرس**»[٣].

٥ ـ ركّز الإمام على مصدرية القرآن والسنّة للتشريع، وأدان المصادر الأُخرىٰ

(١) الأغاني: ١٢ / ١٣، الفهرست لابن النديم: ٥٩، وفيات الأعيان: ٢ / ٢١٦، والبداية والنهاية: ٨ / ٣١٢.

(٢) الثاقب في المناقب للطوسي: ٢٧٨ (الباب ١٢، فصل ٩)، شرح مئة كلمة لأمير المؤمنين لميثم البحراني: ٢٦١ (البحث الثاني الكلمة ١٠)، الطبقات الكبرى: ٦ / ١٨٦.

(٣) كنز العمال : ١٠: ٣٠٤ حديث ٢٩٥٢٢.

كالاستحسان والقياس وغيرهما ممّا لا يكون مصدراً شرعياً للأحكام الإلهية[١].

كما أنّ الإمام (عليه السلام) أحيا سنّة رسول الله (صلى الله عليه وآله) في سيرته العبادية والأخلاقية، فعالج البدع التي طرأت على الشريعة نتيجة اجتهاد وإبتداع من سبقه من الخلفاء[٢].

٦ ـ استطاع الإمام أن يربّي ثلّةً صالحةً من المؤمنين تتحرّك في المجتمع الإسلامي للمساهمة في قيادة التجربة الإسلامية والمحافظة على المجتمع الإسلامي.

ويبدو أنّ الإمام عليّاً (عليه السلام) بدأ عملياً في هذا المسار منذ حياة الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) وبأمر منه، حيث نجد أنّ النبيّ كان يُوكل مهمّة تعهّد ورعاية من يجد فيهم الرغبة والوعي للنهوض إلى الإمام عليّ(عليه السلام)، وكان (صلى الله عليه وآله) يحثّ على التمسّك في العمل بخط عليّ حتى تكوّنت جماعة عرفت بشيعة عليّ في حياة الرسول (صلى الله عليه وآله) مثل: عمار بن ياسر، وسلمان الفارسي، وأبي ذر، وجابر بن عبد الله الأنصاري، والمقداد بن الأسود، وعبد الله بن عباس، ممّن ثبتوا علىٰ هذا الخطّ رغم كلّ الظروف الصعبة التي مرّت بها التجربة الإسلامية بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله).

وحين استلم أمير المؤمنين (عليه السلام) الخلافة؛ احتفّت به جماعة من المؤمنين الأوفياء الأشدّاء على الكفّار الرحماء فيما بينهم، فازداد الإمام (عليه السلام) اعتناءً بهم وأعدّهم إعداداً رسالياً خاصاً، وأودعهم علوماً شتّى عن مختلف نواحي الحياة، وقام هؤلاء الصحابة الأجلّاء بدورهم في دعم الرسالة الإسلامية ومساندة الإمام(عليه السلام) والمحافظة على الشريعة من أهل الزيغ والانحراف، فكانت مواقفهم

---

(١) نهج البلاغة : الخطبة (١٢٥) .

(٢) صحيح مسلم: كتاب صلاة التراويح، ومسند أحمد: ٥ / ٤٠٦، وصحيح البخاري: كتاب الخمس : باب ٥ / حديث ٢٩٤٤، وسنن أبي داود: ٢ / حديث ١٦٢٢.

رائعة وبطولية مقابل الحكّام الطواغيت والمتسلّطين بغير حقّ على اُمور المسلمين، ومن هؤلاء: مالك الأشتر، وكميل بن زياد النخعي، ومحمد بن أبي بكر، وحجر بن عدي، وعمرو بن الحمق الخزاعي، وصعصعة بن صوحان العبدي، ورُشيد الهجري، وهاشم المرقال، وقنبر مولاه، وسهل ابن حُنيف وغيرهم.

* * *

الفَصلُ الثَّاني

الإمام عليّ (عليه السلام) والنّاكثين*

مثيرو الفتن :

كانت بيعة الناس لأمير المؤمنين (عليه السلام) بمنزلة كارثة بل صاعقة حلّت بقريش وكلّ مَن يكنّ العداء للإسلام، فحكومة الإمام هي امتداد لحكومة رسول الله (صلى الله عليه وآله) التي أذلّت رموز الظلم والعدوان والبغي، وجاءت بالعدل والمساواة والحقّ والفضيلة، وحطّمت المصالح الاقتصادية القائمة على الربا والاحتكار والاستغلال، فعزّ علىٰ كثير من كبار قريش أن يكونوا علىٰ قدم المساواة مع أيّ مواطن آخر من أيّ فئة كانت في حكومة الإمام عليّ (عليه السلام) الذي طالت إصلاحاته وُلاة عثمان .

وقد كان كلّ من طلحة والزبير يرىٰ نفسه قريناً لأمير المؤمنين (عليه السلام)، بعدما رشّحهما عمر للخلافة فكان يتوقّع كلّ منهما أن يلي حكومة جزء كبير من البلاد الإسلامية على أقلّ تقدير، وكان لعائشة المقام المرموق لدىٰ الخلفاء السابقين حيث كانت تتحدّث كما تشاء، وهي الآن تعلم أن لا مجال لها في حكومة تعتمد القرآن والسنّة مصدراً ودستوراً للتشريع والتنفيذ .

وكان معاوية يتصرّف في الشام تصرّف الحاكم المطلق المتفرّد والطامع في السيادة الإسلامية العظمىٰ جادّاً في تولّي أُمور الأُمّة الإسلامية بصورة تامّة، فكانت المفاجأة لجميع هؤلاء بقرارات الإمام وتخطيطه للإصلاح الشامل إضافةً إلى

(*) وقعت معركة الجمل في جمادى الآخرة عام (٣٦) هـ.

تضرّر مجموعة أو مجموعات كانت تستغل مناصبها في عهد عثمان وهي الآن قد فقدت مصدر ثرواتها، فإنّ وجود الإمام في قمّة السلطة كان يُعدّ تهديداً صارخاً للخطّ القبلي المنحرف الذي سارت عليه قريش ، لأنّ الإمام عليّاً (عليه السلام) قد عرف بأنّه القادر على رفع راية الإسلام الحقّ من دون أن تأخذه في الله لومة لائم، ولهذا فهو سيكشف زيف الخطّ المنحرف دون تردّد.

من هنا اجتمعت آراؤهم وأهواؤهم على إثارة الفتن للحيلولة دون استقرار الحكم الجديد، ولم يكن تقلّب الوضع السياسي ووجود العناصر المعادية للاتّجاه الصحيح لمسيرة الحكومة الإسلامية غريباً على الإمام عليّ (عليه السلام)؛ فقد أخبره النبي (صلى الله عليه وآله) بتمرّد بعض الفئات على حكمه، وعهد إليه بقتالهم كما أ نّه قد سمّاهم له بالناكثين والقاسطين والمارقين[1].

عائشة تعلن التمرّد على حكم الإمام علي(عليه السلام) :

كان موقف أُم المؤمنين عائشة من عثمان موقفاً غريباً ومتناقضاً لا يليق بمقام امرأة تعدّ من نساء النبيّ(صلى الله عليه وآله) ومن اُمّهات المؤمنين، فكانت تردّد قولها: «اقتلوا نعثلاً»، وتحرّض الناس على التمرّد عليه وعلىٰ قتله[2]، وقد خرجت من المدينة

---

(١) أمالي الصدوق: ٤٦٤ / ح ٦٢٠، المناقب لابن سليمان الكوفي ١: ٣٥٥ / ح ٢٨١، شرح الأخبار للنعماني ١: ٢٠٧ / ح ١٧٠، بحار الأنوار ١٨: ١١٩ / ح٣٣ مستدرك الحاكم: ٣ / ١٣٩ (أخبار النبيّ صلى الله عليه وآله بقتله عليه السلام الناكثين)، تاريخ مدينة دمشق ٤٢: ٤٧١ (ترجمة عليّ عليه السلام رقم ٤٩٣٣)، البداية والنهاية لابن كثير ٧: ٣٣٩ (ذكر سنة ٣٧ هـ وقعة صفّين)، سبل الهدىٰ والرشاد ١٠: ١٥٠ (أبواب معجزات النبيّ صلى الله عليه وآله الباب ٩).

(٢) كتاب الفتوح للكوفي ٢: ٤٢١ (ذكر خروج عائشة إلى الحجّ)،كشف الغمة ١: ٢٣٩ (ذكر وقعة الجمل)، كشف اليقين: ١٥٢ (المطلب الثاني، المبحث الثاني)، الإمامة والسياسة ١: ٧٢ (ذكر خلاف عائشة بيعة عليّ عليه السلام)، الفتنة ووقعة الجمل للضبي: ١١٥ (ذكر توجه عائشة إلى المدينة)، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٦: ٢١٥ (أخبار عائشة في خروجها إلى البصرة)، السيرة الحلبية ٣: ٣٥٦ (حوادث سنة ٣٦ وقعة الجمل).

إلى مكّة أثناء محاصرة عثمان من قبل الثوار وهي تتوقّع النهاية السريعة لعثمان، ومن ثمَّ فوز قريبها طلحة بالخلافة ، والاستيلاء على الحكم.

وحين فوجئت بأنّ الأمر قد استقرّ ـ بعد بيعة الناس إلى الإمام عليّ(عليه السلام) ـ كرّت راجعة نحو مكّة بعد أن كانت قد عزمت على الرجوع إلى المدينة[١]، وأعلنت حزنها وتظلّمها علىٰ عثمان، فقيل لها: أنتِ التي حرّضت على قتله فاختلقت عذراً واهياً، فقالت: إنّهم استتابوه ثمّ قتلوه[٢]. وكأنّها كانت حاضرة تشهد مقتله.

وأعلنت السيدة عائشة حربها ضدّ الإمام عليّ (عليه السلام) في خطابها الذي ألقته في مكّة محرّضة أتباعها على الحرب[٣].

وطمعت السيدة عائشة في توسيع جبهتها ضدّ الإمام عليّ (عليه السلام) فحاولت إخراج أزواج النبيّ(صلى الله عليه وآله) معها ضدّ الإمام(عليه السلام)، فامتنعن من ذلك، وحاولت أُمّ سلمة أن تثنيها عن الخروج وأخذت تنصحها عسىٰ أن ترجع عمّا قرّرته من الخروج، وتجنّب الأُمّة بلاء التفرقة والدماء، فقالت لها: إنّك كنت بالأمس تحرّضين على عثمان وتقولين فيه أخبث القول وما كان إسمه عندك إلا نعثلاً، وإنّك لتعرفين منزلة عليّ بن أبي طالب عند رسول الله (صلى الله عليه وآله)، أفأُذكّرك؟ قالت أُمّ سلمة: أتذكرين يوم أقبل (صلى الله عليه وآله) ونحن معه حتىٰ إذا هبط من قديد ذات الشمال خلا بعليّ يناجيه، فأطال فأردت أن تهجمين عليهما فنهيتك فعصيتِني فهجمتِ عليهما، فما لبثتِ أن رجعت باكية، فقلتُ: ما شأنك؟ فقلتِ: إنّي هجمت عليهما وهما يتناجيان،

---

(١) الكامل في التأريخ: ٣ / ٢٠٦.

(٢) تاريخ الطبري ٣: ٤٧٧ (حوادث سنة ٣٦ طلب عائشة بدم عثمان)، الكامل في التاريخ ٣: ٢٠٦ (حوادث سنة ٣٦، ذكر ابتداء وقعة الجمل).

(٣) تاريخ الطبري ٣: ٤٦٨ (حوادث سنة ٣٦ ذكر استئذان طلحة والزبير عليّ(عليه السلام))، الكامل في التايخ ٣: ٢٠٧ (حوادث سنة ٣٦، ذكر ابتداء وقعة الجمل).

فقلتُ لعليّ: ليس لي من رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلّا يوم من تسعة أيام أفما تدعني يا ابن أبي طالب ويومي؟ فأقبل رسول الله (صلى الله عليه وآله) عليَّ وهو غضبان محمرّ الوجه، فقال: **«ارجعي وراءك والله لا يبغضه أحدٌ من أهل بيتي ولا من غيرهم من الناس إلّا وهو خارج من الإيمان»**، فرجعتِ نادمة ساخطة، قالت عائشة: نعم أذكر ذلك، قالت أُمّ سلمة: أيّ خروج تخرجين بعد هذا؟ فقالت عائشة: إنّما أخرج للإصلاح بين الناس، وأرجو فيه الأجر إن شاء الله، فقالت أُمّ سلمة: أنتِ ورأيكِ، فانصرفت عائشة عنها[1].

وروي: أنّ نساء النبيّ (صلى الله عليه وآله) خرجن مع عائشة إلىٰ منطقة «ذات عرق» ويبدو أنّهنّ حاولن إرجاع عائشة إلى المدينة والحيلولة دون وقوع الفتنة، فلم يتوصّلن إلى حلّ فبكين على الإسلام وبكىٰ الناس معهنّ، وسمّي ذلك اليوم بـ «يوم النحيب»[2].

مكر معاوية ونكث الزبير وطلحة للبيعة :

كان معاوية قد سيطر على الشام وأحكم إدارتها، وكانت لديه أجهزة يستطيع بها أن يحرّكها وفق رغباته وأهوائه، وماكانت لديه مشكلة مع جماهير الشام لأنّ بلاد الشام منذ عرفت الإسلام عرفت آل أبي سفيان ولاة عليها من قبل الخليفة، فقبله كان أخوه يزيد والياً عليها،كما أنّ بلاد الشام بعيدة عن عاصمة الخلافة ممّا أعطاه قدراً كافياً من الاستقرار والقوّة. وبدأ معاوية تحرّكه السياسي لتأجيج الفتنة المشتعلة بسبب مقتل عثمان، وأخذ يستثمرها لصالحه، فخاطب الزبير وطلحة خطاباً حرّك فيهما الأطماع والرغبات للدخول في الصراع الجديّ ضدّ الإمام (عليه السلام)

(١) بحار الأنوار ٣٢: ١٦٩ ـ ١٧٠ / ح ١٣٠، شرح النهج لابن أبي الحديد: ٦ / ٢١٧ ـ ٢١٨ (أخبار خروج عائشة الى البصرة).

(٢) تاريخ الطبري ٣: ٤٧٨ (حوادث سنة ٣٦ طلب عائشة بدم عثمان)، الكامل في التاريخ ٣: ٢٠٩ (حوادث سنة ٣٦ ذكر ابتداء وقعة الجمل).

محاولاً تعقيد الفتنة في العاصمة ومركز الخلافة. فكتب رسالة إلىٰ الزبير جاء فيها:

«لعبد الله الزبير أمير المؤمنين من معاوية بن أبي سفيان.. سلام عليك، أمّا بعد، فإنّي قد بايعت لك أهل الشام فأجابوا واستوسقوا كما يستوسق الجلب، فدونك الكوفة والبصرة لا يسبقك إليها ابن أبي طالب، فإنّه لا شيء بعد هذين المصرين، وقد بايعت لطلحة بن عبيد الله من بعدك فأظهِرا الطلب بدم عثمان وادعوا الناس إلى ذلك، وليكن منكما الجدّ والتشمير، أظفركما الله وخذل مناوئكما»[1].

ولمّا وصلت رسالة معاوية إلىٰ الزبير؛ خفّ لها طرباً واطمأنّ إلى ما أظهره له معاوية من تقديمه للخلافة فاتفق هو وطلحة على نكث بيعة الإمام والخروج عليه، فأظهرا الحسرة والتأسّف على بيعتهما للإمام فأخذا يقولان: بايعنا مكرّهين، وما أن وصلت إلى أسماعهما نداءات عائشة محرّضة علىٰ الإمام؛ حتى اجتهدا في الحيلة للخروج إليها.

وروي أنّهما جاءا يطلبان من الإمام المشاركة في الحكم فلم يتوصّلا إلى شيء، فقرّرا الالتحاق بعائشة ثمّ عادا ثانية إلى الإمام (عليه السلام) ليستأذناه للخروج للعمرة، فقال لهما الإمام (عليه السلام): نعم والله ما العمرة تريدان وإنّما تريدان أن تمضيا لشأنكما[2]. وروي أ نّه(عليه السلام) قال لهما: بل تريدان الغدرة[3].

واجتمع الناكثون لِبيعة الإمام (عليه السلام) في بيت عائشة في مكّة بعد أن كانوا متنافرين متحاربين في عهد عثمان، فضمّ الاجتماع الزبير وطلحة ومروان بن الحكم على أن يتّخذوا من دم عثمان شعاراً لتعبئة الناس لمحاربة الإمام عليّ(عليه السلام)،

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد: ١ / ٢٣١ (ذكر أمر طلحة والزبير مع عليّ عليه السلام).

(٢) الإمامة والسياسة لابن قتيبة: ٧٠ ـ ٧١ (ذكر إختلاف الزبير وطلحة).

(٣) الجمل للمفيد: ٨٩ (ذكر قصة الإفك والمناقشة فيها)، شرح النهج: ١ / ٢٣٢ (أمر طلحة والزبير مع عليّ عليه السلام).

فرفعوا قميص عثمان كشعار للتمرّد والعصيان، وأخذوا يُشيعون أنّ الإمام عليّاً (عليه السلام) هو المسؤول عن إراقة دم عثمان، لأنّه آوىٰ قتلته ولم يقتصّ منهم، وقرّروا أن يكون زحفهم نحو البصرة واحتلالها واتّخاذها مركزاً للتحرّك ومنطلقاً للحرب، حيث إنّ معاوية يسيطر على الشام، والمدينة لا زالت تعيش حالة الاضطراب[(١)].

مسير عائشة إلىٰ البصرة:

مضت عائشة في ما عزمت عليه من إثارة الفتنة والدخول في المواجهة المسلّحة مع الإمام عليّ (عليه السلام) وهو الخليفة الشرعي، فحشدت أعداداً من الناس كان يدفعهم الحقد والكراهية للإسلام وللإمام عليّ (عليه السلام) ويحدوهم الطمع بالدنيا ونيل السلطان، وجهّزهم يعلىٰ بن منبه بمستلزمات الحرب من السيوف والإبل التي سرقها من اليمن عندما عزله الإمام عنها، وقدم عليهم عبد الله بن عامر بمال كثير كان قد سرقه من البصرة أيضاً[(٢)]. وجهّزوا لعائشة جملها المسمّى (عسكر) وقد احتفّ بها بنو اُميّة وهي تتقدّم أمام الحشد متوجّهين نحو البصرة، تسبقهم كتبهم التي أرسلوها إلىٰ عدد من وجوه البصرة، وفيها الدعوة للخروج على بيعة الإمام (عليه السلام) بدعوىٰ المطالبة بدم عثمان[(٣)].

وبدرت بوادر المكر والخداع ـ التي تكاد تكون ملازمة لكلّ من ناوأ الإمام عليّاً (عليه السلام) ـ من زعماء الفتنة، فلمّا خرجوا من مكّة أذّن مروان بن الحكم للصلاة،

---

(١) تاريخ الطبري ٣: ٤٦٩ ـ ٤٧١ (ذكر استئذان طلحة والزبير عليّ عليه السلام حوادث سنة ٣٦).

(٢) تاريخ الطبري ٣: ٤٦٩ (حوادث سنة ٣٦ استئذان طلحة والزبير عليّ عليه السلام)، الكامل في التايخ ٣: ٢٠٧ (حوادث سنة ٣٦ ذكر ابتداء وقعة الجمل)، البداية والنهاية لابن كثير ٧: ٢٥٧ (ابتداء وقعة الجمل).

(٣) تاريخ الطبري ٣: ٤٧٥ (حوادث سنة ٣٦ شراء لجمل لعائشة)، الكامل في التاريخ ٣: ٢١٠ (حوادث سنة ٣٦ ابتداء وقعة الجمل)، البداية والنهاية لابن الأثير ٧: ٢٥٨ (ابتداء وقعة الجمل).

ثمّ جاء حتّىٰ وقف علىٰ طلحة والزبير محاولاً إثارة الشرّ والوقيعة بين الرجلين وغرس بذر فتنة ليستغلّها فيما بعد إن تمكّن، فقال: على أيّكما أُسلّم بالإمرة وأُؤذّن بالصلاة، فتنافس أتباع الرجلين كلّ يريد تقديم صاحبه، فأحسّت عائشة بوقوع الشرّ فأرسلت أن يصلّي بالناس ابن أُختها عبد الله بن الزبير[١].

وحين وصل جيش عائشة إلى منطقة «أوطاس»؛ لقيهم سعيد بن العاص والمغيرة بن شعبة، وحين علم سعيد بدعوىٰ عائشة «الطلب بدم عثمان» استهزأ ضاحكاً وقال: فهؤلاء قتلة عثمان معك يا أُمّ المؤمنين[٢] !.

وروي: أنّ سعيداً قال: أين تذهبون وتتركون ثأركم وراءكم على أعجاز الإبل[٣]؟!، يقصد بذلك طلحة والزبير وعائشة، ووصل الجيش إلىٰ مكان يقال له: «الحوأب» فتلقّتهم كلاب الحيّ بنباح وعواء، فذعرت عائشة وسألت محمد بن طلحة عن المكان فقالت: أيّ ماء هذا؟ فأجابها: ماء الحوأب يا أُمّ المؤمنين.. فهلعت وصرخت: ما أراني إلّا راجعة، قال: لِمَ؟ قالت: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول لنسائه: **«كأنّي بإحداكنّ قد نبحها كلاب الحوأب وإيّاك أن تكوني يا حميراء»**. ثمّ ضربت عضد بعيرها فأناخته وقالت: ردّوني، أنا والله صاحبة ماء الحوأب، فأناخوا حولها يوماً وليلة، وجاءها عبد الله بن الزبير فحلف لها بالله أنّه ليس ماء الحوأب، وأتاها بمن يشهد لها زوراً من الأعراب فشهدوا بذلك. فكانت أوّل شهادة زور في الإسلام[٤].

---

(١) تاريخ الطبري ٣: ٤٧٣ (حوادث سنة ٣٦ خروج عليّ(عليه السلام) إلى الربذة)، الكامل في التاريخ ٣: ٢٠٩ (حوادث سنة ٣٦ ابتداء وقعة الجمل).

(٢) الإمامة والسياسة ١: ٨٢ (خروج عائشة وطلحة والزبير إلى البصرة).

(٣) الكامل في التاريخ ٣: ٢٠٩ (حوادث سنة ٣٦ ابتداء وقعة الجمل)، إمتاع الأسماع ١٣: ٢٣١ (ذكر وقعة الجمل).

(٤) الإمامة والسياسة ١: ٨٢ (ذكر توجه طلحة والزبير إلى البصرة)، مروج الذهب ٢: ٣٥٧ ـ ٣٥٨ (ذكر الأخبار ←

مناوشات على مشارف البصرة :

حين شارف جيش عائشة مدينة البصرة؛ قام عثمان بن حنيف والي الإمام (عليه السلام) على البصرة موضّحاً شأن الجيش المتقدم إليهم، ومحذّراً الناس من الفتنة وضلالة موقف زعماء الجيش، وأعلن المخلصون للإسلام وللإمام (عليه السلام) استعدادهم للدفاع عن الحقّ والشريعة المقدّسة وصدّ الناكثين عن الاستيلاء على البصرة[1].

وفي محاولة من عثمان بن حنيف ـ الذي يتأسّىٰ بأخلاق الإسلام ويطيع إمامه(عليه السلام) ـ سعىٰ أن يثني عائشة ومَن معها من غيّهم لتجنّب وقوع القتال، فأرسل إليهم عمران بن حصين وأبا الأسود الدؤلي ليحاججوا عائشة ومن معها ببطلان موقفهم، ولكن محاولات الرجلين باءت بالفشل، فقد كانت عائشة ومعها طلحة والزبير مصرّين على نيّتهم في إثارة الفتنة وإعلان الحرب[2].

وأقبلت عائشة ومن معها حتى انتهوا إلى «المربد» فدخلوا من أعلاه وخرج إليهم عثمان بن حنيف ومن معه من أهل البصرة، فتكلّم طلحة والزبير وعائشة يحرّضون الناس علىٰ الخروج على بيعة الإمام (عليه السلام) بدعوىٰ الثأر لعثمان، فاختلف الناس بين معارض ومؤيّد.

← عن يوم الجمل)، الكامل في التاريخ ٣: ٢١٠ (حوادث سنة ٣٦ ذكر ابتداء وقعة الجمل)، البداية والنهاية لابن كثير ٧: ٢٥٨ (ذكر ابتداء وقعة الجمل)، والحديث أخرجه محدثوا الفريقين عن عائشة بطرق عديدة راجع شرح الأخبار للنعماني ١: ٣٣٨ / ح٣٠٤، الخرائج والجرائح ١: ٦٧ / ح١٢٣ و ١٢٤، الصراط المستقيم ٢: ١٦١ و ١٦٣ (أحاديث عائشة وأخبارها)، مسند أحمد ٦: ٥٢ و ٩٧ (حديث السيدة عائشة)، المستدرك للحاكم ٣: ١٢٠ (ذكر الخالة أمّ)، المصنّف لابن أبي شيبة ٨: ٧٠٨ح ١٥ (ذكر مسير عائشة وعليّ). إلى غير ذلك من المصنّفات التي ذكرت هذا الحديث تركنا ذكرها للاختصار.

(١) الإمامة والسياسة ١: ٨٣ (ذكر نزول طلحة والزبير البصرة)، الكامل في التاريخ ٣: ٢١١ ـ ٢١٢ (ذكر ابتداء وقعة الجمل حوادث سنة ٣٦)، البداية والنهاية لابن كثير ٧: ٢٥٩ (ذكر ابتداء وقعة الجمل).

(٢) تاريخ الطبري: ٣ / ٤٧٩ ط مؤسسة الأعلمي، والكامل في التأريخ: ٣ / ٢١١ .

وأقبل جارية بن قدامة السعدي لينصح عائشة عسىٰ أن يردّها ويمنعها من تأجيج الفتنة، فقال: يا أُمّ المؤمنين! والله لقتل عثمان بن عفان أهون من خروجك من بيتك على هذا الجمل الملعون، عرضة للسلاح، إنّه قد كان لك من الله ستر وحرمة فهتكتِ سترك وأبحت حرمتك، إنّه من رأىٰ قتالك؛ فإنّه يرىٰ قتلك، لئن كنت أتيتنا طائعةً فارجعي إلى منزلك، وإن كنت أتيتنا مستكرهة فاستعيني بالناس[1].

الاقتتال ـ الهدنة ـ الغدر :

افتتن الناس بقدوم عائشة علىٰ البصرة، فبين منكر ومؤيّد ومصدّق ومكذّب افترقت جماهير البصرة، وتأزّم الموقف، فاصطدم الناس واقتتلوا على فم السكّة، ولم يحجز بينهم إلّا الليل، وكان عثمان بن حنيف لا يريد إراقة الدماء ويجنح للسلم وينتظر قدوم الإمام عليّ (عليه السلام) إلى البصرة، فلمّا عضّت الحرب الطرفين؛ تنادوا للصلح، فكتبوا كتاباً لعقد هدنة مؤقّتة على أن يبعثوا رسولاً إلى المدينة يسأل أهلها، فإن كان طلحة والزبير أُكرها على البيعة؛ خرج ابن حنيف عن البصرة، وإلّا خرج عنها طلحة والزبير .

وعاد كعب بن مسور رسول الطرفين إلى المدينة بادّعاء أُسامة بن زيد أنّ طلحة والزبير بايعا مكرهين ومخالفة أهل المدينة لرأي أُسامة فاستغلّها زعماء جيش عائشة، فهجموا في ليلة ذات رياح ومطر علىٰ قصر الإمارة حيث يتواجد عثمان بن حنيف فقتلوا أصحابه وأسروه ونتفوا لحيته ورأسه وحاجبيه، ولكنّهم خافوا من قتله لأنّ أخاه سهل بن حنيف كان والياً من قبل الإمام على المدينة[2].

---

(١) الفتنة ووقعة الجمل للضبي: ١٢٥ (الموقف بالبصرة)، تاريخ الطبري: ٣ / ٤٨٢ (حوادث سنة ٣٦ ذكر دخولهم البصرة)، والكامل في التأريخ: ٣ / ٢١٣ (حوادث سنة ٣٦ ذكر ابتداء وقعة الجمل).

(٢) الفتنة ووقعة الجمل للضبي: ١٢٧ ـ ١٢٩ (ذكر وقف القتال في البصرة)، تاريخ الطبري ٣: ٣٨٣ ـ ٣٨٥ ←

حركة الإمام (عليه السلام) للقضاء علىٰ التمرّد[1] :

حين استلم الإمام عليّ (عليه السلام) زمام الحكم كانت هناك عقبة أمام استقرار الأمن وسيطرة الحكومة الشرعية المركزية، وهي إعلان معاوية بن أبي سفيان تمرّده على خلافة الإمام، فشرع (عليه السلام) بالاستعداد العسكري ودخل المعترك السياسي لإيقاف التمزّق في كيان الاُمّة ومنع سفك الدماء.

وما أن اُحيط الإمام (عليه السلام) علماً بحركة عائشة وطلحة والزبير نحو البصرة وإعلانهم العصيان عدل عمّا كان يخطّطه لمعالجة موقف معاوية والشام، فاتّجه (عليه السلام) نحو البصرة بجيش يضمّ وجوه المهاجرين والأنصار.

وصل الإمام (عليه السلام) إلى منطقة «الربذة» فكتب إلى الأمصار يستمدّ العون ويوضّح الأمر،كي يتوصّل إلى إخماد نار الفتنة وحصرها في أضيق نطاق، فأرسل الىٰ الكوفة محمد بن أبي بكر ومحمد بن جعفر، فأبىٰ أبو موسى الأشعري الاستجابة للإمام ومارس دور المثبّط عن مناصرة الإمام (عليه السلام) في موقفه، ثمّ أرسل عبد الله بن عباس ولم يتمكّن من إقناع أبي موسىٰ بالانصياع والكفّ عن تثبيط الناس عن نصرة الإمام، فأرسل (عليه السلام) ولده الحسن وعمار بن ياسر ثمّ تبعهم مالك الأشتر فعزلوا أبا موسىٰ، وتحرّكت الكوفة بكلّ ثقلها تنصر أمير المؤمنين (عليه السلام)، فلحقت به في «ذي قار»[2].

ولم يتباطأ الإمام (عليه السلام) في مراسلة طلحة والزبير وإيفاد الرسل إليهم، عسىٰ أن

← (حوادث سنة ٣٦ذكر دخولهم البصرة)، الكامل في التاريخ ٣: ٢١٥ـ٢١٦ (حوادث سنة ٣٦ذكر ابتداء وقعة الجمل).

(١) الإمامة والسياسة: ٧٤، وتأريخ الطبري: ٥ / ٥٠٧.

(٢) راجع تاريخ الطبري ٣: ٤٩٣ ـ ٤٩٥ و ٥٠٠ ـ ٥٠٣ (حوادث سنة ٣٦ ذكر سيرة عليّ عليه السلام وخبر وصوله ذا قار).

يعودوا لرشدهم ويدركوا خطورة فتنتهم فيجنّبوا الأُمّة المصائب والبلايا وسفك الدماء[١]، فأوفد إلى عائشة زيد بن صوحان وعبد الله بن عباس وغيرهما، فحاوروهم بالحجّة والدليل والعقل حتى أنّ عائشة قالت لابن عباس: لا طاقة لي بحجج عليّ، فقال ابن عباس: لا طاقة لك بحجج المخلوق فكيف طاقتك بحجج الخالق[٢]؟!

نصائح الإمام(عليه السلام) الى الناكثين:

أكثَر الإمام (عليه السلام) من مراسلة طلحة والزبير بعد أن شارفت قواته على أبواب البصرة، فخشيت عائشة ومن معها من اقتناع قادتها وجموع الناس معها بحجج الإمام (عليه السلام)؛ فخرجوا لملاقاته، فلمّا توقّفوا للقتال أمر الإمام (عليه السلام) منادياً ينادي في أصحابه: «**لا يرمينّ أحدٌ سهماً ولا حجراً ولا يطعن برمح حتىٰ أُعذر القوم فأتّخذ عليهم الحجّة البالغة**»[٣].

فلم يجد الإمام (عليه السلام) منهم إلّا الاصرار على الحرب، ثمّ خرج الإمام (عليه السلام) إلى الزبير وطلحة فوقفوا ما بين الصفّين، فقال الإمام (عليه السلام) لهما: «**لعمري لقد أعددتما سلاحاً وخيلاً ورجالاً، إن كنتما أعددتما عند الله عذراً فاتّقيا الله ولا تكونا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً، ألم أكن أخاكما في دينكما؟ تحرّماني دمي وأُحرّم دمكما فهل من حدث أحلّ لكما دمي؟**[٤]

ثمّ قال (عليه السلام) لطلحة: **أجئت بعرس رسول الله (صلى الله عليه وآله) تقاتل بها وخبّأت عرسك في**

(١) الإمامة والسياسة ١: ٩٠ (تعبئة القتال).

(٢) المناقب لابن شهر آشوب ٣: ١٨٠ ـ ١٨١ (فصل في حرب الجمل)، بحار الأنوار ٣٢: ١٢٢.

(٣) الإمامة والسياسة ١: ٩١ (كتاب عليّ عليه السلام لعائشة)، مروج الذهب ٢: ٣٦١ (ذكر مبدأ القتال).

(٤) تاريخ الطبري ٣: ٥١٤ (حوادث سنة ٣٦ نزول عليّ عليه السلام الزاوية)، الكامل في التاريخ ٣: ٢٣٩ (حوادث سنة ٣٦ مسير عليّ عليه السلام إلى البصره)، البداية والنهاية ٧: ٢٦٨ (ذكر مسير عليّ عليه السلام إلى البصرة).

البيت؟! أما بايعتني؟ ثمّ قال (عليه السلام) للزبير: **قدكنا نعدّك من بني عبد المطلب حتى بلغ ابنك ابن السوء عبد الله ففرّق بيننا**، ثمّ قال (عليه السلام): **أتذكر يا زبير يوم مررت مع رسول الله(صلى الله عليه وآله) في بني غنم، فنظر إليّ فضحك وضحكت إليه فقلتَ له:** لا يدع ابن أبي طالب زهوه، **فقال لك رسول الله (صلى الله عليه وآله): ليس بِمُزهٍ** ـ أي: ليس به زهو ـ **لتقاتله وأنت له ظالم؟!** قال الزبير: اللهم نعم»[١].

وروي: أنّ الزبير اعتزل الحرب وقتل بعيداً عن ساحة الحرب بعد أن استعرت الفتنة[٢]. كما أنّ طلحة قتله مروان بن الحكم في ساحة المعركة[٣].

نشوب الحرب:

كان الإمام (عليه السلام) طامحاً حتىٰ آخر لحظة قبل نشوب القتال أن يرتدع الناكثون عن غيّهم، فلم يأذن بالقتال رغم ما شاهد من اصرار زعماء الفتنة على المضي في الحرب، فقال (عليه السلام) لأصحابه: «**لا يرمينّ رجل منكم بسهم، ولا يطعن أحدكم فيهم برمح حتىٰ أُحدث إليكم، وحتىٰ يبدؤوكم بالقتال والقتل**»[٤].

وشرع أصحاب الجمل بالرمي فقتل رجل من أصحاب الإمام، ثمّ قتل ثانٍ وثالث، عندها أَذِنَ (عليه السلام)[٥] بالردّ عليهم والدفاع عن الحقّ والعدل.

لقد التحم الجيشان وأخذا يقتتلان قتالاً رهيباً، فتساقطت الرؤوس وتقطّعت

---

(١) الكامل في التاريخ ٣: ٢٣٩ ـ ٢٤٠ (حوادث سنة ٣٦ مسير عليّ عليه السلام إلى البصرة)، البداية والنهاية ٧: ٢٦٨ (ذكر مسير عليّ عليه السلام إلى البصرة)، إمتاع الأسماع ١٣: ٢٤٢ (ذكر خبر وقعة الجمل).

(٢) الإمامة والسياسة ١: ٩٢ ـ ٩٣ (ذكر مقتل الزبير)، تاريخ الطبري ٣: ٥٣٩ ـ ٥٤٠ (حوادث سنة ٣٦ مقتل الزبير)، مروج الذهب ٢: ٣٦٣ ـ ٣٦٤ (ذكر خطبة لعليّ عليه السلام قبل التحام القوم).

(٣) تاريخ اليعقوبي ٢: ١٧٨ (ذكر خلافة أمير المؤمنين عليّ عليه السلام)، والإمامة والسياسة ١: ٩٧ (ذكر التحام الحرب)، مروج الذهب ٢: ٣٦٥ (بين عليّ وطلحة).

(٤) شرح النهج: ٩ / ١١١ (ذكر أخبار يوم الجمل).

(٥) الإمامة والسياسة ١: ٩٥ (ذكر التحام الحرب)، مروج الذهب ٢: ٣٦١ ـ ٣٦٢ (ذكر مبدأ القتال).

الأيدي وأُثخنت الجراحات في الفريقين، ووقف أمير المؤمنين(عليه السلام) ليشرف على ساحة المعركة فرأى أصحاب الجمل يستبسلون في الدفاع عن جملهم فنادىٰ بأعلى صوته: «**ويلكم! اعقروا الجمل فإنّه شيطان...**».

فهجم الإمام (عليه السلام) وأصحابه حتىٰ وصلوا إلى الجمل فعقروه، ففرّ من بقي من أصحاب الجمل من ساحة المعركة فأمر (عليه السلام) بعد ذلك بحرق الجمل وتذرية رماده في الهواء لئلّا تبقىٰ منه بقية يفتتن بها السذّج والبسطاء، ثمّ قال الإمام (عليه السلام): **لعنه الله من دابّة، فما أشبهه بعجل بني اسرائيل.**

ومدّ بصره نحو الرماد الذي تناثر في الهواء فتلا قوله تعالى: ﴿**.. وَٱنظُرْ إِلَىٰ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفاً لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُ فِي ٱلْيَمِّ نَسْفاً**﴾[1][2].

مواقف الإمام بعد المعركة :

كتب الله النصر لأمير المؤمنين (عليه السلام) على مخالفيه، ووضعت الحرب أوزارها، وانقشع غبار المعركة، ونادى منادي الإمام (عليه السلام) يعلن العفو العام: **ألا لا يجهز على جريح ولا يتبع مول ولا يطعن في وجه مدبر، ومن ألقىٰ السلاح فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن، وأن لا يؤخذ شيء من أموال أصحاب الجمل إلّا ما وجد في عسكرهم من سلاح أو غيره ممّا استخدم في القتال، وما سوىٰ ذلك فهو ميراث لورثتهم**[3].

وأمر الإمام عليّ (عليه السلام) محمّد بن أبي بكر وعمّار بن ياسر أن يحملوا هودج عائشة من بين القتلىٰ وسط ساحة المعركة وينحّوه جانباً، وأن يتعهّد محمّد أمر أُخته عائشة، فلمّا كان من آخر الليل أدخلها محمّد البصرة فأنزلها في دار عبد الله

---

(١) طه (٢٠) : ٩٧.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١: ٢٦٦ (من أخبار يوم الجمل).

(٣) تاريخ اليعقوبي ٢: ١٨٣ (ذكر خلافة أمير المؤمنين(عليه السلام))، مروج الذهب ٢:٣٦٢ (ذكر مبدأ التحام القتال).

ابن خلف الخزاعي[١].

وطاف الإمام (عليه السلام) في القتلىٰ من أصحاب الجمل، وكان يخاطب كلّاً منهم ويكرّر القول: «**قد وجدتُ ما وعدني ربّي حقاً فهل وجدتَ ما وعدك ربّك حقاً؟**».

وقال أيضاً: «**ما ألوم اليوم من كفّ عنّا وعن غيرنا ولكنّ المليم الذي يقاتلنا**»[٢].

وأقام الإمام (عليه السلام) في ظاهر البصرة ولم يدخلها، وأذن للناس في دفن موتاهم فخرجوا إليهم فدفنوهم[٣]، ثمّ دخل (عليه السلام) مدينة البصرة معقل الناكثين، فانتهىٰ إلى المسجد فصلّىٰ فيه ثمّ خطب في الناس وذكّرهم بمواقفهم ومواقف الناكثين لبيعته، فناشدوه الصفح والعفو عنهم، فقال (عليه السلام): «**قد عفوت عنكم، فإيّاكم والفتنة، فإنّكم أوّل الرعيّة نكث البيعة، وشقّ عصا هذه الأُمّة**». ثمّ أقبلت الجماهير ووجوه الناس لمبايعة الإمام (عليه السلام)[٤].

وبعد ذلك دخل أمير المؤمنين بيت المال في البصرة، فلمّا رأىٰ كثرة المال قال: «**غُرّي غيري..**» وكرّرها مراراً، وأمر أن يقسّم المال بين الناس بالسوية، فنال كلّ فرد منهم خمسمائة درهم، وأخذ هو أيضاً خمسمائة درهم كأحدهم، ولم يبقَ شيء من المال فجاءه رجل لم يحضر الواقعة فطالبه بحصّته، فدفع إليه الإمام ما أخذه لنفسه ولم يصب شيئاً[٥].

---

(١) تاريخ الطبري ٣: ٥٣٨ (حوادث سنة ٣٦ ذكر شدة القتال)، الكامل في التاريخ ٣: ٢٥٥ (حوادث سنة ٣٦ ذكر مسير عليّ عليه السلام إلى البصرة).

(٢) الإرشاد للمفيد: ١ / ٢٥٥ ـ ٢٥٦ (فصل من كلامه عليه السلام عند قتلى أهل الجمل)، بحار الأنوار ٣٢: ٢٠٨ و٢٠٩/ ح١٦٣.

(٣) تاريخ الطبري ٣: ٥٤٢ (حوادث سنة ٣٦ توجع عليّ عليه السلام على القتلى)، الكامل في التاريخ ٣: ٢٥٥ (حوادث سنة ٣٦ ذكر مسير عليّ عليه السلام إلى البصرة)، إمتاع الأسماع ١٣: ٢٤٨ (خبر وقعة الجمل).

(٤) الإرشاد للمفيد ١: ٢٥٧ (فصل في كلامه عليه السلام حين دخلها)، بحار الأنوار ٣٢: ٢٣٠ ـ ٢٣١ / ح١٨٢، أنساب الأشراف: ٢٦٤ / ح٣٣٧.

(٥) مروج الذهب ٢: ٣٧١ (ذكر خروج عائشة من البصرة)، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١: ٢٤٩ ـ ٢٥٠ (من أخبار الجمل).

ثمّ أمر أمير المؤمنين بتجهيز عائشة وتسريحها إلىٰ المدينة، وأرسل معها أخاها وعدداً من النساء ألبسهنّ العمائم وقلّدهن السيوف لرعاية شؤونها وأوصلنها إلىٰ المدينة، ولكنّ عائشة لم تحسن الظنّ بأمير المؤمنين وتصوّرت أنّ الإمام(عليه السلام) لم يرعَ حرمتها، وحين علمت أنّ الإمام(عليه السلام) بعث معها النساء، أعلنت ندمها على خروجها وفشلها في إثارتها للفتنة، فكانت تكثر من البكاء بعد ذلك[1].

نتائج حرب الجمل:

خلّفت حرب الجمل مجموعة نتائج سلبيّة على واقع المجتمع الإسلامي وإليك بعضها:

١ ـ أصبحت قصّة قتل عثمان بن عفّان قضية سياسية كبيرة ظهرت من ورائها تيارات مناوئة لمسيرة الرسالة الإسلامية، وانتهزها معاوية بن أبي سفيان ليكمل مسيرة حرب الجمل.

٢ ـ شاعت الأحقاد بين المسلمين، وفتحت باب الحرب والاقتتال فيما بينهم، فكانت الفرقة بين أهل البصرة أنفسهم وبين باقي الأمصار الإسلامية، وسبّبت العداء والانشغال بمطالبة بعضهم البعض الآخر بدماء أبنائهم في حين كان المسلمون يتحرّجون من إراقة هذه الدماء.

٣ ـ توسّعت الجبهة الداخلية المناوئة للإمام عليّ(عليه السلام)، وازدادت العراقيل أمام حكومة الإمام عليّ (عليه السلام) فبعد أن كان تمرّد معاوية مقتصراً على منطقة الشام فقط انفتحت جبهة أُخرىٰ فتعطّلت الفتوحات وسائر الأعمال الإصلاحية والحضارية التي كان يمكن أن تخدم المجتمع الإسلامي.

---

(١) الإمامة والسياسة ١: ٩٨ (ذكر التحام الحرب)، مروج الذهب ٢: ٣٧٠ (ذكر رجوع عائشة إلى البصره)، تذكرة الخواص ١: ٣٩٤ (في رجوع عائشة إلى المدينة).

٤ ـ إنّ حرب الجمل قد فتحت الطريق لكل مخالف لسياسة الدولة للّجوء فوراً إلى حمل السلاح والتسرّع إلى القتال.

الكوفة عاصمة الخلافة الجديدة:

بعد أن هدأت العاصفة التي أجّجها أصحاب الجمل تحرّك الإمام عليّ (عليه السلام) نحو الكوفة ليتّخذها مقرّاً له بعد أن بعث إليهم برسالة أوضح فيها بإيجاز تفاصيل الأحداث، كما أنّ الإمام ولّىٰ عبد الله بن عباس على البصرة وشرح له كيفية التعامل مع سكّانها بعد الذي وقع بينهم[1].

وكان لاختيار الإمام (عليه السلام) الكوفة عاصمةً جديدةً للدولة الإسلامية أسباب عديدة منها:

١ ـ توسّع رقعة العالم الإسلامي، وكان لابدّ أن تكون العاصمة الإدارية والسياسية للدولة في موقع يُعين الحكومة في التحرّك نحو جميع نقاط الدولة.

٢ ـ إنّ الثقل الأكبر الذي وقف مع الإمام (عليه السلام) في القضاء على فتنة أصحاب الجمل هم كبار شخصيّات العراق ووجهاء الكوفة وجماهيرها.

٣ ـ ولا يُستبعد أن يكون للظروف السياسية والتوتّرات الناجمة عن مقتل عثمان وحرب أصحاب الجمل أثر في أن يختار الإمام عاصمة أُخرىٰ غير المدينة، ليعيد الأمن والاستقرار للمنطقة.

* * *

(١) الفتنة ووقعة الجمل للضبي: ١٨٢ (ذكر كتاب عليّ عليه السلام إلى معاملة في الكوفة)، تاريخ الطبري ٣: ٥٤٥ ـ ٥٤٦ (حوادث سنة ٣٦ ذكر ماكتب عن عليّ عليه السلام إلى والي الكوفة)،

الفصل الثالث

الإمام عليّ (عليه السلام) والقاسطين*

استعدادات معاوية لمحاربة الإمام (عليه السلام):

ساورت المخاوف معاوية من استقرار الإمام في الكوفة ومضيّه (عليه السلام) في خطّته لتوحيد الدولة وبناء الحضارة الإسلامية على منهج القرآن والسنّة النبويّة، فسارع إلى الاستعانة بعمرو بن العاص لما كان يتمتّع به من ذكاء وقدرة على التحايل والغدر من جهة وكانت له طموحات تنسجم مع أهداف معاوية التوسعيّة. ولم يتردّد عمرو طويلاً أمام رسالة معاوية، ولم يكن ليختار على طمعه في الدنيا شيئاً.

وما أن وصل عمرو إلىٰ الشام حتى جعل يبكي ويُوَلْوِل كالنساء[1] مبتدئاً خطّته في التضليل وخداع الجماهير. وبعد أن ساوم معاوية على صفقة كبيرة تمّت المساومة على أن تكون حصّة عمرو ولاية مصر مقابل مشاركته للتخطيط في مواجهة الإمام (عليه السلام) ومحاربته، وكتب معاوية له كتاباً بذلك[2].

(*) وقعت معركة صفّين في صفر من عام (٣٧) هـ، وكانت المناوشات بين الطرفين بدأت في ذي الحجّة عام (٣٦) هـ راجع تاريخ الطبري ٣: ٥٦٢ (حوادث ٣٦ خروج عليّ عليه السلام إلى صفّين)، الكامل في التاريخ ٣: ٢٧٦ (حوادث سنة ٣٦ ذكر ابتداء وقعة صفّين).

(١) الكامل في التاريخ: ٣ / ٢٧٤.

(٢) وقعة صفّين لابن مزاحم: ٣٤ ـ ٤٠ (ذكر مبدأ حديث عمرو بن العاص)، الفتوح لابن الأعثم ٢: ٥١٠ ـ ٥١٤ (ذكر كتاب معاوية إلى عمرو بن العاص)، الإمامة والسياسة ١: ١١٥ ـ ١١٧ (كتاب معاوية إلى عمرو بن العاص)، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢: ٦١ ـ ٦٦ (أمر عمرو بن العاص).

وشرعا يخطّطان لمواجهة الإمام عليّ(عليه السلام) ودولته، فكان الاتّفاق علىٰ المضيّ في هذا المسار العدائي المشوب بالظلم والغدر والبغي، إذ لا سبيل للوصول إلى أهدافهم وغاياتهم إلّا مواجهة الإمام (عليه السلام) الذي يعتبر الوريث الشرعيّ للنبيّ(صلى الله عليه وآله) وحامل راية الحقّ والعدل.

واصطفّا معاً ضدالإمام عليّ(عليه السلام) بعدأن خذلا عثمان فكانت خطّتهم هي التشبّث بقميص عثمان كشعار لتحريك مشاعر وعقول الجماهير غير الواعية، فرفعاه على المنبر بعد أن قَدِم بالقميص النعمان بن بشير، فكان الناس حين يُنشر القميص يضجّون بالبكاء حتى سرت فيهم روح الحقد والكراهية والعمىٰ عن الحقّ[1].

ولتحريك جماهير الشام تحت قيادة معاوية وتعبئتهم للحرب اقترح عمرو أن يكون شرحبيل بن السمط الكندي المحرّك الأوّل، لما عرف عنه من عبادة ووجاهة في قبائل الشام وكراهية لجرير مبعوث الإمام (عليه السلام) إلىٰ معاوية، كما أنّ شرحبيل كان ممّن لا يتقصّىٰ الحقائق من مصادرها، وتمّت مخادعة شرحبيل الذي انطلق مطالباً معاوية بالأخذ بثأر عثمان بن عفان، وأخذ يتحرّك بنفسه لتعبئة الناس للحرب ضد الإمام(عليه السلام)[2].

السيطرة علىٰ الفرات:

وبعد تعبئة أهل الشام للحرب؛ أخذ معاوية منهم البيعة على محاربة الإمام(عليه السلام) وكتب بالحرب كتاباً أرسله مع جرير[3] الذي أبطأ كثيراً في ردّ جواب معاوية على الإمام(عليه السلام). وسارع معاوية بتحريك قوّاته نحو أعالي الفرات في

---

(١) تاريخ الطبري ٣: ٥٦٠ (حوادث سنة ٣٦ ذكر ترجيه عليّ(عليه السلام) جرير إلى معاوية)، تاريخ مدينة دمشق ٥٩: ١١٧ / ترجمة معاوية رقم ٧٥١٠، الكامل في التاريخ ٣: ٢٧٧ (حوادث سنة ٣٦ ذكر ابتداء وقعة صفّين).
(٢) وقعة صفّين لابن مزاحم: ٤٤ ـ ٤٧ (ذكر مشورة عمرو لمعاوية).
(٣) المصدر: ٥٦ (ذكر كتاب معاوية إلى عليّ(عليه السلام)).

وادي صفّين لاحتلالها ومنع تقدّم قوات الإمام (عليه السلام) وحبس الماء عنهم، وتصوّر معاوية أنّ هذا أوّل نصر سوف يحقّقه ضدّ الإمام (عليه السلام). وطلب الإمام (عليه السلام) من معاوية أن يسمح لجيشه بالاستقاء من الفرات بعد أن وصلوا متأخرين إلى صفّين، وأبىٰ معاوية وجيشه ذلك، وأضرّ الظمأ كثيراً بأهل العراق وازداد الضغط على الإمام (عليه السلام) لكسر الحصار، فأذن لهم بالهجوم علىٰ شاطئ الفرات، وتمّت إزاحة قوّات معاوية عن ضفّة النهر.

ولكنّ الإمام (عليه السلام) لم يقابل أهل الشام بالمثل، بل فسح لهم المجال لأخذ الماء[1].

الدعوة للرجوع الى خطّ الطاعة :

رغم أنّ الإمام (عليه السلام) أكثر من مراسلة معاوية وفتح عدّة قنوات للحوار محاولاً كسبه وإدخاله في بيعته لكنّ ردّ معاوية كان هو الحرب والسعي للقضاء على الإمام وجيشه بكلّ وسيلة، بيد أنّ الإمام (عليه السلام) كان يأمل في محاولة سلمية أُخرىٰ بعد أن استقرّ وجيشه على ضفّة الفرات، فسادت هدنة مؤقّتة بعث خلالها الإمام(عليه السلام) عدّة مندوبين عنه إلى معاوية وهم بشير بن محصن الأنصاري وسعيد بن قيس الهمداني وشبث بن ربعي التميمي، فقال (عليه السلام) لهم: «**إئتوا هذا الرجل** ـ أي معاوية ـ **وادعوه إلى الله وإلىٰ الطاعة والجماعة**».

وما كان جواب معاوية إلّا السيف والحرب، فقال للمندوبين: انصرفوا من عندي فليس بيني وبينكم إلّا السيف[2].

---

(١) وقعة صفّين لابن مزاحم: ١٦١ ـ ١٦٣ (إستيلاء أهل الشام على الماء)، الفتوح لابن الأعثم ٣: ٥ (ذكر وقعة الماء أوّل صفّين)، مروج الذهب ٢: ٣٧٥ ـ ٣٧٧ (جيش معاوية)، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣: ٣١٢ (ذكر غلبة معاوية على الماء).

(٢) وقعة صفّين لابن مزاحم: ١٨٧ ـ ١٨٨ (إيفاد الرجال إلى معاوية)، كتاب الفتوح لابن الأعثم ٣: ٢٠ ـ ٢١ ←

الحرب بعد الهدنة :

وجرت مناوشات بين الجيشين قبل أن تستعر الحرب. فكانت تخرج فرقة من كلا الطرفين فيقتتلان، وما أن حلّ شهر محرّم من عام (٣٧ هـ) حتى حصلت موادعة بين الطرفين، حاول الإمام (عليه السلام) خلالها التوصّل إلىٰ الصلح، وكانت سيرته وهمّته(عليه السلام) هي الدعوة إلىٰ السلم وجمع الكلمة وحقن الدماء، وكان معاوية وأهل الشام يرفضون بيعة الإمام (عليه السلام) ويطالبون بدم عثمان بن عفان[(١)]. واستمرّت الهدنة مدّة شهرٍ واحدٍ، ولمّا طالت فترة المناوشات؛ سئم الفريقان من ذلك فعبّأ الإمام (عليه السلام) جيشه تعبئة عامة، وكذلك فعل معاوية، والتحم الجيشان في معركة رهيبة، وكان الإمام(عليه السلام) يوصي جنوده دائماً فيقول: «**لا تقاتلوا القوم حتىٰ يبدؤوكم فأنتم بحمد الله عزّ وجلّ على حجّة**» ثمّ يقول: «**فإذا قاتلتموهم فهزمتموهم فلا تقتلوا مدبراً ولا تجهزوا على جريح ولا تكشفوا عورة ولا تمثّلوا بقتيل**»[(٢)].

واستمرت الحرب بين كرٍّ وفرّ حتى سقط خلالها عدد كبير من المسلمين.

مقتل الصحابي الجليل عمّار بن ياسر رضي الله عنه :

وخرج عمار بن ياسر بين الصفوف فقال: إنّي لأرىٰ وجوه قوم لا يزالون

← (ذكر الوقعة الثانية بصفين)، تاريخ الطبري ٣: ٥٦٩ ـ ٥٧٠ (حوادث سنة ٣٦ دعاء عليّ عليه السلام معاوية إلى الطاعة)، مروج الذهب ٢: ٣٧٧ (جيش معاوية)، الكامل في التاريخ ٣: ٢٨٥ ـ ٢٨٦ (حوادث سنة ٣٦ مبدأ وقعة صفّين).

(١) وقعة صفّين لابن مزاحم: ١٩٦ ـ ٢٠٢ (ذكر التناهي عن القتال في محرم)، تاريخ الطبري ٣: ٥٧٠ ـ ٥٧١ (حوادث سنة ٣٦ دعاء عليّ عليه السلام معاوية إلى الصلح والطاعة)، الكامل في التاريخ ٣: ٢٨٩ (حوادث سنة ٣٧ ذكر تتمة أمر صفّين).

(٢) وقعة صفّين لابن مزاحم: ٢٠٣ ـ ٢٠٤ (خطبة عليّ عليه السلام عندكل لقاء للعدو)، تاريخ الطبري ٤: ٦ (حوادث سنة ٣٧، تكتيب الكتائب للحرب)، الكامل في التاريخ ٣: ٢٩٣ (حوادث سنة ٣٧ ذكر تتمة أمر صفّين).

يقاتلون حتىٰ يرتاب المبطلون، والله لو هزمونا حتىٰ يبلغوا بنا سعفات هجر؛ لكنّا على الحقّ وكانوا على الباطل. ثمّ تقدّم نحو جيش معاوية وهو يرتجز:

نحن ضربناكم على تنزيله   واليوم نضربكم على تأويله
ضرباً يزيل الهام عن مقيله   ويذهل الخليل عن خليله
أو يرجع الحقّ إلىٰ سبيله

فتوسّط فيهم ببسالته التي قاتل بها مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) صادقاً مخلصاً، فاشتبكت عليه الرماح فطعنه أبو العادية وابن جون السكسكي، وروي أنّهما اختصما في رأس عمار إلىٰ معاوية وعبد الله بن عمرو بن العاص جالس فقال لهما: ليطب به أحدكما نفساً لصاحبه، فإنّي سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول له: **«يا عمّار تقتلك الفئة الباغية»**[1].

وكان الإمام(عليه السلام) قلقاً لا يقرّ له قرار حين برز عمار للقتال في ذلك اليوم، وأكثر من السؤال عليه حتى جاءه خبر استشهاده، فأسرع إلىٰ مصرعه كئيباً حزيناً تفيض عيناه دمعاً، فقد غاب عنه الناصر الناصح والأخ الأمين، ثمّ صلّى عليه الإمام(عليه السلام) ودفنه وقبره اليوم يُزار في الرقة من بلاد سوريّا.

وسرىٰ خبر استشهاد عمار بين الجيشين فوقعت الفتنة بين صفوف جيش معاوية، لما يعلمون من مكانة عمار وحديث الرسول (صلى الله عليه وآله) له... ولكنّ المكر والحيلة كانا بالمرصاد لكلّ ساذج جاهل، فأشاع معاوية أنّ الذي قتل عماراً هو من جاء به الى الحرب لا الذي قتله. وأذعن بسطاء أهل الشام لهذه الحيلة وهذا التوجيه[2].

---

(١) وقعة صفّين لابن مزاحم: ٣٤٠ ـ ٣٤١ (مقتل عمار)، كتاب الفتوح لابن الأعثم ٣: ١٥٨ ـ ١٥٩ (مقتل عمار)، المناقب للخوارزمي: ٢٣٣ / ح ٢٤٠، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٨: ٢٤ (أخبار صفّين).

(٢) وقعة صفّين لابن مزاحم: ٣٤٢ ـ ٣٤٣ (ماء جاء في مقتل عمار)، تاريخ الطبري ٤: ٢٨ ـ ٢٩ (حوادث سنة ٣٧ خبر مقتل عمار).

وروي: أنّ ذلك بلغ الإمام عليّاً (عليه السلام) فقال ـ راداً على هذه الخديعة ـ: ونحن قتلنا حمزة لأنّا أخرجناه إلىٰ اُحد[1]؟

خدعة رفع المصاحف:

استمرّ القتال أياماً أظهر خلالها أصحاب الإمام صبرهم وتفانيهم من أجل انتصار الحقّ، ثمّ إنّ الإمام (عليه السلام) قام خطيباً يحثّ علىٰ الجهاد فقال: «**أيّها الناس! قد بلغ بكم الأمر وبعدوّكم ما قد رأيتم، ولم يبق منهم إلّا آخر نفس، وإنّ الاُمور إذا أقبلت اعتبر آخرها بأوّلها.. وقد صبر لكم القوم على غير دين حتىٰ بلغنا منهم ما بلغنا، وأنا غادٍ عليهم بالغداة اُحاكمهم إلى الله عزّ وجلّ**»[2].

فبلغ ذلك معاوية وقد بدت الهزيمة علىٰ أهل الشام فاستدعىٰ عمرو بن العاص يستشيره، وقال له: إنّما هي الليلة حتىٰ يغدو عليّ علينا بالفيصل فما ترىٰ؟

قال عمرو: أرىٰ أنّ رجالك لا يقومون لرجاله ولست مثله، وهو يقاتلك على أمر وأنت تقاتله على غيره، أنت تريد البقاء وهو يريد الفناء، وأهل العراق يخافون منك إن ظفرت بهم وأهل الشام لا يخافون عليّاً إن ظفر بهم، ولكن ألقِ إليهم أمراً إن قبلوه اختلفوا وإن ردّوه اختلفوا، اُدعهم إلى كتاب الله حكماً فيما بينك وبينهم[3].

فأمر معاوية في الحال أن ترفع المصاحف على الرماح، ونادىٰ أهل الشام: يا

---

(١) العقد الفريد ٥: ٩٠ (ذكر مقتل عمار)، تذكرة الخواص ١: ٤١٩ (ذكر خلافة عليّ عليه السلام).

(٢) كتاب سليم بن قيس: ٣٣٥ ـ ٣٣٦ (أخبار ليلة الهرير)، وقعة صفّين لابن مزاحم: ٤٧٦ (ليلة الهرير)، الإمامة والسياسة ١: ١٤٢ (ما قاله عليّ عليه السلام يوم الهرير)، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢: ٢١٠ (قصة التحكيم).

(٣) وقعة صفّين لابن مزاحم: ٤٧٦ ـ ٤٧٧ (ليلة الهرير)، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢: ٢١٠ (قصة التحكيم).

أهل العراق! هذا كتاب الله بيننا وبينكم من فاتحته إلى خاتمته من لثغور أهل الشام من بعد أهل الشام ومن لثغور أهل العراق بعد أهل العراق؟

وكانت هذه الدعوىٰ المضلّلة كالصاعقة علىٰ رؤوس جيش الإمام، فهاج النـاس وكثر اللغط بينهم، وقالوا: نجيب إلى كتاب الله وننيب إليه، وكان أشدّ الناس في ذلك أحد كبار قادة جيش الإمام عليّ(عليه السلام) الأشعث بن قيس.

فقال لهم الإمام (عليه السلام): «**عباد الله! امضوا علىٰ حقّكم وصدقكم وقتال عدوّكم، فإنّ معاوية وعمرو بن العاص وابن أبي معيط وحبيب بن أبي مسلمة وابن أبي سرح والضحّاك ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن، أنا أعرف بهم منكم، قد صحبتهم أطفالاً ثمّ رجالاً فكانوا شرّ أطفال وشرّ رجال، وَيْحَكُم! والله ما رفعوها إلّا خديعةً ووهناً ومكيدةً، إنّها كلمة حقّ يراد بها باطل**».

فخاطبوا أمير المؤمنين باسمه الصريح قائلين: يا عليّ، أجب إلى كتاب الله عزّ وجل إذ دعيت إليه وإلّا ندفعك برمّتك إلىٰ القوم أو نفعل كما فعلنا بابن عفّان.

ولم يجد الإمام (عليه السلام) مع المخدوعين سبيلاً فقال: «**فإن تطيعوني فقاتلوا وإن تعصوني فاصنعوا ما شئتم**»[1].

وكان في ساحة المعركة مالك الأشتر يقاتل ببسالة ويقين حتى كاد أن يصل إلىٰ معاوية فقالوا لأمير المؤمنين: إبعث إلى الأشتر ليأتينّك.. ولكنّ الأشتر لم ينثنِ عن عزمه في القتال، لأنه يعلم أنّ الأمر خدعة فهدّدوه بقتل الإمام (عليه السلام)، فعاد الأشتر يؤنّبهم فقال لهم: خُدعتم والله فانخدعتم ودُعيتم إلىٰ وضع الحرب فأجبتم، يا أصحاب الجباه السود كنّا نظن أنّ صلاتكم زهادة إلىٰ الدنيا وشوق إلى لقاء الله، فلا أرىٰ فراركم إلّا إلىٰ الدنيا من الموت.

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٣٤ ـ ٣٥ (حوادث سنة ٣٧ حديث رفع المصاحف)، مروج الذهب ٢: ٣٩٠ ـ ٣٩١ (ذكر خدعة رفع المصاحف)، الكامل في التاريخ ٣: ٣١٦ ـ ٣١٧ (حوادث ٣٧، رفع المصاحف).

وأقبل الناس يقولون قد رضي أمير المؤمنين، والإمام (عليه السلام) ساكت لا يفيض بكلمة مطرق الرأس حزيناً، فقد انطلت الخديعة على جيشه فتمرّد عليه، ولم يعد باستطاعته أن يفعل شيئاً[١].

وقد أدلى (عليه السلام) بما مني به بقوله: «**لقد كنت أمسِ أميراً فأصبحت اليوم مأموراً، وكنت بالأمسِ ناهياً فأصبحت اليوم منهيّاً**»[٢].

التحكيم وصحيفة الموادعة:

لم تتوقّف محنة الإمام (عليه السلام) بتخاذل الجيش، وكان بالإمكان أن يحقّق مكسباً سياسياً عن طريق المفاوضات التي دُعي إليها لو أطاعه المتمرّدون في اختيار الممثّلين عنه إلىٰ التحكيم، فأراد الإمام (عليه السلام) ترشيح عبد الله بن عباس أو مالك الأشتر لماكان يعلم عنهما من إخلاص ووعي، وأصرّ المخدوعون علىٰ ترشيح أبي موسى الأشعري، فقال الإمام (عليه السلام): «**إنّكم قد عصيتموني في أوّل الأمر فلا تعصوني الآن، إنّي لا أرىٰ أن أُولّي أبا موسىٰ فإنّه ليس بثقة، قد فارقني وخذّل الناس عنّي ـ بالكوفة عند الذهاب لحرب الجمل ـ ثمّ هرب منّي حتىٰ أمّنته بعد أشهر**»[٣].

وتمكّن معاوية وابن العاص من مأربهم في تفتيت جيش الإمام (عليه السلام)، يساعدهم في ذلك الأشعث بن قيس من داخل قوّات الإمام.

وحضر عمرو بن العاص ممثّلاً عن أهل الشام بدون معارضة من أحد لتسطير بنود الاتّفاق مع أبي موسى الأشعري، ولم يقبل عمرو كتابة اسم «أمير المؤمنين»

---

(١) وقعة صفّين لابن مزاحم: ٤٩١ ـ ٤٩٢ (ذكر حكاية مصعب في رفع المصاحف)، تاريخ الطبري ٤: ٣٥ ـ ٣٦ (حوادث سنة ٣٧ رفع المصاحف).

(٢) نهج البلاغة ٢: ١٨٧ / خ٢٠٨.

(٣) وقعة صفّين لابن مزاحم: ٤٩٩ (رضا قرّاء أهل الشام والعراق بالحكم)، تأريخ الطبري: ٤ / ٣٦ (حوادث سنة ٣، خبر المصالحة)، الكامل في التأريخ: ٣ / ٣١٩ (حوادث سنة ٣٧ قصة الحكمين).

في الصحيفة، فقال الإمام (عليه السلام): **إنّ هذا اليوم كيوم الحديبية إذ قال سهيل بن عمرو للنبي: لست رسول الله**، ثمّ قال (عليه السلام): **فقال لي رسول الله (صلى الله عليه وآله): أما إنّ لك مثلها ستعطيها وأنت مضطهد.**

وأهمّ ما جاء في الصحيفة هو إعلان الهدنة ووقف القتال، وأن يلجأ الطرفان الى كتاب الله وسنّة نبيّه لحلّ قضاياهم، وأُجّل البتّ في قرار الحكمين إلى رمضان (٣٧ هـ)، حيث كتبت الصحيفة في صفر من العام نفسه. والغريب أنّ مسألة الأخذ بثأر عثمان لم ترد ولو بإشارة بسيطة في كتاب الموادعة مع أنّها أُسّ الفتنة التي تحرّك فيها معاوية وحزبه من أبناء الطلقاء، واتّفقوا علىٰ أن يكون موضع اجتماع الحكمين في «دومة الجندل»[1].

موقف واع:

وروي: أنّه طلب من الأشتر أن يشهد في الصحيفة، فقال: لا صبّحتني يميني ولا نفعتني بعدها شمالي إن خُطّ لي في هذه الصحيفة اسم أوَلست علىٰ بيّنة من ربّي من خلال عدوّي؟ أو لستم قد رأيتم الظفر[2] ؟

وقيل لأمير المؤمنين: إنّ الأشتر لا يقرّ بما في الصحيفة ولا يرىٰ إلّا قتال القوم.

فقال (عليه السلام): **«وأنا والله ما رضيت ولا أحببت أن ترضوا»**.. ثمّ قال (عليه السلام): **«يا ليت فيكم مثله اثنين، ياليت فيكم مثله واحداً يرىٰ في عدوّي ما أرىٰ، إذاً لخفّت عليّ مؤونتكم،**

---

(١) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٥٠٤ ـ ٥٠٨ (ذكر وثيقة التحكيم)، تاريخ الطبري ٤: ٣٨ ـ ٤٠ (حوادث سنة ٣٧،كتابة الوثيقة)، الكامل في التاريخ ٣: ٣١٩ ـ ٣٢٠ (حوادث سنة ٣٧ رفع المصاحف).

(٢) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٥١١ (موقف الأشتر من الصحيفة)، الكامل في التأريخ: ٣ / ٣٢١ (حوادث سنة ٣٧ رفع المصاحف).

ورجوت أن يستقيم لي بعض أودكم وقد نهيتكم فعصيتموني، والله لقد فعلتم فِعلة ضعضعت قوّة وأسقطت مُنّة وأورثت وهناً وذلّة»[1].

رجوع الإمام (عليه السلام) واعتزال الخوارج:

قفل أمير المؤمنين راجعاً إلى الكوفة مثقلاً بالهموم والآلام، يرىٰ باطل معاوية قد استحكم، وأمره أوشك أن يتمّ، وينظر إلىٰ جيشه وقد فتّته التمرّد لا يستجيب لأَمره.

ودخل الإمام (عليه السلام) الكوفة فرأىٰ لوعة وبكاءاً، قد سادت جميع أرجائها حزناً علىٰ مَن قتل في صفّين، واعتزلت فرقة تناهز اثني عشر ألف مقاتل عن جيش الإمام، ولم يدخلوا الكوفة فلحقوا بحروراء، وجعلوا أميرهم على القتال شبث بن ربعي، وعلى الصلاة عبد الله بن الكواء اليشكري، وخلعوا بيعة الإمام (عليه السلام) يدعون الىٰ جعل الأمر شورىٰ بين المسلمين.. وكان أمر هؤلاء قد بدأ منذ كتابة صحيفة الموادعة، إذ لم يعجبهم الأمر فاعترضوا وقالوا: لانرضىٰ لا حكم إلّا لله، واتّخذوه شعاراً لهم رغم أنّهم هم الذين أصرّوا على الإمام (عليه السلام) ليقبلَ بالتحكيم.

وسعى أمير المؤمنين لمعالجة موقفهم بالحكمة والنصيحة، فأرسل إليهم عبد الله بن عباس وأمره أن لا يعجل في الخوض معهم في جدال وخصومة، ولحقه الإمام (عليه السلام) فكلّمهم وحاججهم وفنّد كلّ دعاويهم، فاستجابوا له ودخلوا معهالكوفة[2].

---

(١) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٥٢١ (قول عليّ عليه السلام في الأشتر)، تأريخ الطبري: ٤ / ٤٢ ـ ٤٣ (حوادث سنة ٣٧ قصة التحكيم)، الكامل في التأريخ: ٣ / ٣٢٢ (حوادث سنة ٣٧ رفع المصاحف).

(٢) تأريخ الطبري: ٤ / ٥٣ ـ ٥٤ (حوادث سنة ٣٧ ذكر خبر الخوارج)، الكامل في التأريخ: ٣ / ٣٢٦ ـ ٣٢٧ (حوادث سنة ٣٧ ذكر اعتزال الخوارج عليّ عليه السلام).

اجتماع الحكمين :

وحان الأجل الذي ضرب لاجتماع الحكمين، فأرسل الإمام (عليه السلام) أربعمائة رجل عليهم شريح بن هاني، وبعث معهم عبد الله بن عباس ليصلّي بهم ويلي اُمورهم وأبو موسىٰ الأشعري معهم، وبعث معاوية عمرو بن العاص في أربعمائة رجل من أهل الشام حتى توافوا في دومة الجندل.

وقد سارع عدد من أهل الرأي والحكمة ممّن أخلصوا للإمام (عليه السلام) بتقديم النصح والتحذير لأبي موسىٰ، باذلين جهدهم في حمله على التبصرة والرويّة في اتّخاذ القرار، وخشية منهم من مكر عمرو وخداعه[1].

قرار التحكيم :

اجتمع الحكمان: أبو موسىٰ الأشعري وعمرو بن العاص، والأوّل يحمل الغباء السياسي وضعف المعتقد وقلّة الولاء للإمام عليّ (عليه السلام) والثاني هو الماكر المخادع ذو السجيّة الغادرة والطامع إلى إقصاء خطّ أهل البيت (عليهم السلام) تماماً عن الميدان السياسي، يدفعه لذلك طمعه للملك وشركته مع الطليق ابن الطليق معاوية.

ولم يطل الاجتماع طويلاً حتىٰ تمكّن ابن العاص من معرفة نقاط الضعف في شخصية الأشعري والسيطرة عليه وتوجيهه نحو ما يريد، واتفق الاثنان في اجتماع مغلق على خلع الإمام عليّ (عليه السلام) ومعاوية عن ولاية أمر المسلمين، واختيار عبد الله بن عمر بن الخطاب ليكون الخليفة المقترح.

وبادر ابن عباس محذّراً الأشعري من أن ينساق في لعبة ابن العاص، فقال له:

---

(١) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٥٣٤ (ذكر ما قيل لأبي موسىٰ حين أراد المسير)، شرح نهج البلاغة: ٢ / ٢٤٥ (ذكر قصة التحكيم).

ويحك، والله إنّي لأظنّه قد خدعك.. إن اتّفقتما على أمر، فقدّمه فليتكلّم بذلك الأمر قبلك ثمّ تكلّم أنت بعده، فإنّ عَمْراً رجل غادر لا آمن من أن يكون قد أعطاك الرضا فيما بينك وبينه، فإذا قمت في الناس خالفك.

فقام الأشعري فخطب وخلع الإمام عليّاً (عليه السلام)، ثمّ انبرىٰ عمرو فخطب وأكّد خلع الإمام وثبّت معاوية لولاية الأمر[1].

وبتلك الغدرة ظفر معاوية بالنصر ولكن بالجور والخداع، وعاد إليه أهل الشام يسلّمون عليه بإمرة المؤمنين، وأمّا أهل العراق فغرقوا في الفتنة وأيقنوا بضلال ما أقدموا عليه، وهرب أبو موسىٰ إلى مكّة. ورجع ابن عباس وشريح إلىٰ الإمام عليّ (عليه السلام) دون أن يظفر بشيء.

* * *

(١) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٥٤٤ ـ ٥٤٦ (مصانعة عمرو لأبي موسىٰ)، تاريخ الطبري ٤: ٥١ ـ ٥٢ (حوادث سنة ٣٧ ذكر قصة الحكمين)، مروج الذهب ٢: ٣٩٨ ـ ٣٩٩ (التقاء الحكمين وتمام الخدعة).

الفصل الرابع

الإمام عليّ(عليه السلام) والمارقين

إنّ ظهور الخوارج هو إفراز طبيعي للصراع الدموي في الجمل وصفّين، كما أنّنا لا يمكننا أن نعزل انحرافهم عن خطّ أهل البيت(عليهم السلام) بعد الذي حصل في السقيفة من ايجاد تيّار يناوىء أهل البيت(عليهم السلام) ولا يعترف لهم بأي حقّ في الخلافة.

لقدكان من أهمّ صفات الخوارج هو التحجّر والتمسّك بالظواهر والتعصّب والخشونة وعدم التمييز بين الحقّ والباطل، وسرعة التأثّر بالشائعات، والتردد عند أدنىٰ سبب.

وقد أخبر النبيّ (صلى الله عليه وآله) عن صفتهم، إذ روي عنه (صلى الله عليه وآله) أنه قال: «**يخرج في هذه الأُمّة ـ** ولم يقل منها ـ **قوم تحقّرون صلاتكم مع صلاتهم، يقرأون القرآن ولايجاوز حلوقهم يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية**»[1].

ولم يتمكّن الامام (عليه السلام) من معالجة هذه الأمراض، بعد أن عاجلته الحروب والتمرّدات في الجمل وصفّين في فترة قصيرة جدّاً، ويمكن أن نعزو ظهور الخوارج إلىٰ ما يلي:

---

(١) مسند أحمد ٣: ٦٠ (ما أسند عن أبي سعيد الخدي)، صحيح البخاري ٦: ١١٥ (كتاب فضائل القرآن) ج٨: ٥٢ (كتاب إستنابة المرتدين والمعاندين)، صحيح مسلم ٣: ١١٢ (كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم)،كنز العمّال ١١: ١٤٣ / ح٣٠٩٦٢.

١ ـ الإحباط النفسي والفشل في تحقيق النصر، وخصوصاً أنّ معارك الإمام (عليه السلام) كانت ضد المتمرّدين من المسلمين، فلم يتمكّن الخوارج من فهم معالجة الإمام(عليه السلام) للمتمرّدين، ولم يرتضوا نتائج التحكيم، في الوقت الذي كانوا قد أجبروه على قبول التحكيم، ولم يحاسبوا أنفسهم بمواقفهم الخاطئة، وانّما حاولوا تحميل أخطائهم على الإمام(عليه السلام)[1].

٢ ـ سوء تعاملهم مع الحرية التي أعطاها الإمام (عليه السلام) للأُمّة، فقد روي أنّهم كان يعترضون على الإمام حتى أثناء خطبته زاعمين أنّ لا حكم إلّا لله، وما كان الإمام يجيبهم إلّا بالتنويه إلى أنها «**كلمة حقّ يراد بها باطل**». وبيّن الإمام موقفه منهم بقولهم لهم: «**لكم عندنا ثلاث خصال: لا نمنعكم مساجد الله أن تصلّوا فيها، ولا نمنعكم الفيء ما كانت أيديكم في أيدينا، ولا نبدأكم للحرب حتىٰ تبدأونا**»[2] فتحوّلت حركتهم من ظاهرة فردية إلى ظاهرة اجتماعية.

ردّ الإمام (عليه السلام) علىٰ قرار الحكمين :

ولمّا بلغ الإمام(عليه السلام) خبر التحكيم تألّم كثيراً، وخطب في الناس وهو يحثّهم ويدلّهم علىٰ طريق إصلاح الخطأ الذي تورّطوا فيه مذكّراً بنصحه لهم، فقال (عليه السلام): «**إنّ مخالفة الناصح الشفيق المجرّب تورث الحسرة وتعقب الندامة، وقد كنت أمرتكم في هذه الحكومة أمري، ونخلت لكم مخزون رأيي لو كان يطاع لقصير أمر فأبيتم عليَّ إباء المخالفين الجفاة المنابذين العصاة حتى ارتاب الناصح بنصحه وضَنَّ الزند بقدحه، فكنت وإيّاكم كما قال أخو هوازن:**

(١) تأريخ الطبري: ٤ / ٥٣ ـ ٥٨ (حوادث سنة ٣٧ خبر الخوارج).

(٢) تاريخ الطبري: ٤ / ٥٤ ـ ٥٣ (حوادث سنة ٣، خبر الخوارج)، الكامل في التأريخ: ٣ / ٣٣٤ ـ ٣٣٥ (حوادث سنة ٣٧ ذكر خبر الخوارج عند توجيه الحكمين).

أمـــرتكم أمـــري بـــمنعرج اللـــوىٰ فلم تستبينوا النـصح إلّا ضـحىٰ الغـد

ألا إنّ هذين الرجلين ـ أبا موسىٰ الأشعري وابن العاص ـ اللّذين اخترتموهما حكمين قد نبذا حكم القرآن وراء ظهورهما، وأحييا ما أمات القرآن، واتّبع كلّ واحد منهما هواه بغير هدىً من الله، فحكما بغير حجّة بيّنة ولا سنّة ماضية، واختلفا في حكمهما وكلاهما لم يرشد، فبرئ الله منهما ورسوله وصالح المؤمنين، استعدوا وتأهّبوا للمسير إلى الشام، وأصبحوا في معسكركم إن شاء الله»[1].

وكتب الإمام(عليه السلام) إلى عبد الله بن عباس ليعبّئ أهل البصرة للالتحاق بالإمام (عليه السلام) لقتال معاوية، فالتحقت جموع أهل البصرة بالكوفة، ولكن عبث الخوارج الذين تجمّعوا من البصرة والكوفة متّجهين نحو النهروان وفسادهم في الأرض أقلق أصحاب الإمام (عليه السلام) من تركهم للخوارج خلفهم لو توجّهوا إلى الشام لأنّهم بدأوا بالبغي والعبث بأرواح المسلمين حتى طلبوا من الإمام(عليه السلام) أن يقضي على الخوارج أوّلاً[2].. أنّهم قبضوا على عبد الله بن خباب وزوجته فقتلوه، وبقروا بطن امرأته، وألقوا ما فيها من حمل، كما قتلوا الحارث بن مرّة العبدي رسول الإمام (عليه السلام) إليهم[3].

مواجهة الإمام(عليه السلام) مع الخوارج :

تجمّعت قوات المارقين الذين خرجوا على إمامهم قرب النهروان وذلك بعد

---

(١) تأريخ الطبري: ٤ / ٥٧ (حوادث سنة ٣٧ خبر الخوارج)، الكامل في التاريخ ٣: ٣٣٨ (حوادث سنة ٣٧ خبر الخوارج).

(٢) تاريخ الطبري ٤: ٥٧ ـ ٥٩ (حوادث سنة ٣٧ خبر الخوارج)، الكامل في التاريخ ٣: ٣٣٩ ـ ٣٤١ (حوادث سنة ٣٧ ذكر خبر الخوارج).

(٣) تاريخ الطبري ٤: ٦٠ ـ ٦١ (حوادث سنة ٣٧ خبر الخوارج)، الكامل في التاريخ ٣: ٣٤٢ (حوادث سنة ٣٧ ذكر قتال الخوارج)، الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي: ١٠٢ (ذكر قرار الحكمين).

أن التحقت بهم عدّة مجاميع من البصرة وغيرها، وحاول الإمام (عليه السلام) مراراً أن يقنعهم بالتخلي عن مواقفهم وتمرّدهم واستعدادهم للحرب، ولم يجد منهم إلّا الفساد والجهل والاصرار، فعبّأ جيشه ثمّ نصحهم وعاملهم بأخلاق الإسلام كما هو شأنه في كلّ معركة .

ولمّا انتهىٰ الإمام (عليه السلام)؛ إليهم بعث لهم رسولاً يطلب منهم قتلة عبد الله بن خباب وقتلة رسوله الحارث بن مرّة، فردّوا عليه مجمعين: كلّنا قتلناهم وكلّنا مستحلّ لدمائكم ودمائهم.

وبعث الإمام (عليه السلام) قيس بن سعد وأبا أيوب الأنصاري لينصحوا القوم ويعينوهم على أن يفهموا واقع الأحداث، كي يجنّبوا الأمّة المزيد من إراقة الدماء.

ثمّ أتاهم الإمام (عليه السلام) فقال لهم: «**أيّتها العصابة التي أخرجها عداوة المراء واللجاجة، وصدّها عن الحقّ الهوىٰ، وطمع بها النزق، وأصبحت في الخطب العظيم! إنّي نذير لكم أن تصبحوا تلعنكم الأُمّة غداً صرعىٰ بأثناء هذا الوادي، وبأهضام هذا الغائط بغير بيّنة من ربّكم ولا برهان مبين**» .

ثمّ بيّن لهم(عليه السلام) أنّه كره التحكيم وعارضه، وشرح لهم سبب معارضته بوضوح، ولكنّهم قاموا بإجبار الإمام على قبول التحكيم، وأنّ الحكمين لم يحكما بالقرآن والسنّة، وها هو الإمام يعدّ العدّة لملاقاة معاوية ثانية، فلا معنىٰ للمروق والخروج على الإمام(عليه السلام). ولم يهتمّ المارقون بقول الإمام(عليه السلام) بل طالبوه بتكفير نفسه وإعلان توبته، فقال (عليه السلام):

«**أصابكم حاصب ولا بقي منكم آثر أبعد إيماني برسول الله (صلى الله عليه وآله) وهجرتي معه وجهادي في سبيل الله أشهد علىٰ نفسي بالكفر، لقد ضللت إذاً وما أنا من المهتدين**» .

ثمّ انصرف عنهم، وتقدّم الخوارج فاصطفّوا للقتال.. وعبّأ الإمام (عليه السلام) جيشه

لملاقاتهم، وفي محاولة أخيرة أمر الإمام أبا أيوب الأنصاري أن يرفع راية أمان للخوارج، ويقول لهم: **«من جاء إلى هذه الراية فهو آمن ومن انصرف إلىٰ الكوفة والمدائن فهو آمن إنّه لا حاجة لنا فيكم إلّا فيمن قتل إخواننا».**

فانصرفت منهم مجاميع كثيرة، وقال الإمام (عليه السلام) لأصحابه: كفّوا عنهم حتىٰ يبدؤوكم بقتال.

وهجم الخوارج وهم يتصايحون: لا حكم إلّا لله... الرواح الرواح إلى الجنّة، ولم تمضِ إلّا ساعة حتى أُبيد أكثرهم ، ولم ينجُ منهم إلّا أقلّ من عشرة، ولم يُقتل من أصحاب الإمام إلّا أقلّ من عشرة أشخاص[1].

وبعد أن هدأت المعركة؛ أمر الإمام (عليه السلام) بطلب «ذي الثّدية» ـ أحد قادة الخوارج ـ وألحَّ في ذلك لأنّ الرسول(صلى الله عليه وآله) كان أوصاه بمقاتلة المارقين عن الدين الذين فيهم ذو الثدية[2]. ولمّا وجدوه أخبروا الإمام (عليه السلام) فقال: **«الله أكبر ما كَذِبت ولا كُذِّبت، لولا أن تنكلوا عن العمل؛ لأخبرتكم بما قصّ الله على لسان نبيّه (صلى الله عليه وآله) لمن قاتلهم مستبصراً في قتالهم، عارفاً للحقّ الذي نحن عليه»** وسجد (عليه السلام) شكراً لله[3].

احتلال مصر :

بعد مقتل عثمان بن عفان ولّىٰ أمير المؤمنين قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري على مصر، ثمّ كلّف محمد بن أبي بكر ليقوم مقام قيس بن سعد لرأي

(١) تاريخ الطبري ٤: ٦٢ ـ ٦٧ (حوادث سنة ٣٧ ذكر قتال الخوارج)، مروج الذهب ٢: ٤٠٥ ـ ٤٠٦ (حروبه عليه السلام مع أهل النهروان)، الكامل في التاريخ ٣: ٣٤٣ ـ ٣٤٨ (حوادث سنة ٣٧ خبر قتال الخوارج)، الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي: ١٠٣ ـ ١٠٤ (ذكر قرار الحكمين).

(٢) صحيح مسلم ٣: ١١٢ كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم والتحريض على قتالهم.

(٣) تأريخ الطبري: ٤ / ٦٦ (حوادث سنة ٣٧ ذكر توجيه عليّ عليه السلام للحكومة)، الثقات لابن حبان ٢: ٢٩٦ (حوادث سنة ٣٧ خلافة عليّ عليه السلام)، جواهر المطالب في مناقب الإمام عليّ(عليه السلام) ٢: ٧٦ (باب ٥٦) .

رآه (عليه السلام)، وبقيت مصر الجناح الآخر الذي كان يقلق معاوية، فما أن ساد الاضطراب وبدأ التخاذل في جيش الإمام(عليه السلام)؛ تحرّك معاوية وعمرو بن العاص لاحتلال مصر التي كانت ـ في المساومة الموقّعة بين ابن هند وابن العاص ـ ثمناً لجهود عمرو بن العاص لتخريب حكومة الإمام وتهديم الدين الذي كان يحرص الإمام(عليه السلام) على نقائه وحفظه من عبث العابثين، وحاول الإمام(عليه السلام) أن يمدّ محمد بن أبي بكر بالعِدّة والعُدّة عند سماعه بزحف معاوية نحو مصر، فلم يلبث إلّا قليلاً حتىٰ أتت الأخبار باحتلال مصر واستشهاد محمد بن أبي بكر، وحزن الإمام (عليه السلام) على محمد[1]، ثمّ ولّىٰ مالك الأشتر علىٰ مصر وكتب إليه عهده المشهور في إدارة الحكم وسياسة الناس، ولكن معاوية بما كان يملك من وسائل شيطانية تمكّن من دسّ السم لمالك واغتياله[2].

انهيار الأُمّة وتفكّكها:

إنّ الخطأ الذي حصل يوم السقيفة بدأت آثاره السيّئة تظهر بالتدريج وأصبحت ظاهرة للعيان في نهاية أيّام حكم الإمام (عليه السلام) حيث بدأ معاوية ومن اقتفىٰ أثره في محاربة الإسلام من الداخل بتفكيك ما تبقى من أواصر القوّة وتماسك المجتمع الإسلامي وتخريبه واستبداله بمجتمع ينسجم مع رغباتهم وأهوائهم. ويمكننا أن نلخّص حالة الأُمّة بعد خوض الإمام (عليه السلام) ثلاث معارك فاصلة لاجتثاث الفساد فيما يلي:

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٦: ٥٨ و ٦٥ و ٨٧ ـ ٨٨ (ذكر ولاية قيس ومحمد بن أبي بكر).
(٢) تاريخ الطبري ٤: ٧١ ـ ٧٢ (حوادث سنة ٣٨ ذكر اغتيال مالك الأشتر)، الكامل في التاريخ ٣: ٣٥٢ ـ ٣٥٣ (حوادث سنة ٣٨ ذكر ملك عمرو بن العاص مصر)، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٦: ٧٤ ـ ٧٥ (ذكر دية محمد بن أبي بكر).

١ ـ مُني الإمام (عليه السلام) والأُمّة بفقد خيار الصحابة الواعين والمؤثِّرين في المجتمع وحركة الرسالة الإسلامية الذين كان يمكن من خلالهم بناء الأُمّة الصالحة وفق نهج القرآن والسنّة بإشراف الإمام (عليه السلام)، وقد بلغ الحزن في نفس الإمام مبلغاً عظيماً. وفي نعيه لهم نلمس عظمة حزن الإمام(عليه السلام) حيث يقول:

«ما ضرّ إخواننا الذين سفكت دماؤهم بصفّين أن لا يكونوا اليوم أحياءً يسيغون الغصص ويشربون الرنق، قد والله لقوا الله فوفّاهم أُجورهم وأحلّهم دار الأمن بعد خوفهم.. أين إخواني الذين ركبوا الطريق ومضوا على الحقّ؟ أين عمار؟ وأين ابن التيهان؟ وأين ذو الشهادتين؟ وأين نظراؤهم من إخوانهم الذين تعاقدوا على النيّة وأُبرد برؤوسهم إلىٰ الفجرة؟

ثمّ وضع يده علىٰ كريمته فأطال البكاء ثمّ قال: **أَوِّه علىٰ إخواني الذين قرأوا القرآن فأحكموه وتدابروا الفرض فأقاموه، أحيوا السنّة وأماتوا البدعة، دُعوا للجهاد فأجابوا، ووثقوا بالقائد فاتّبعوه»**[١].

٢ ـ تمرّد الجيش وتفكّكه وظهور الضعف والسأم من الحرب لكثرة مَن قتل من أهل العراق الذين كانوا يشكّلون العمود الفقري لفرق جيش الإمام (عليه السلام)، ولم يتمكن الإمام(عليه السلام) بما كان يملك من قدرة خطابية رائعة وحجّة بالغة أن يبعث فيهم الإندفاع والحزم لمواصلة الحرب، وممّا زاد في تفتيت الجيش مخاطبة معاوية زعماء القبائل والعناصر التي كان يمكن أن تُشترىٰ أصواتها، فمنّاهم بالأموال والهبات والمناصب إذا قاموا بكلّ ما يؤدي إلىٰ إضعاف قوّة الإمام(عليه السلام) وجماهيره المؤيدة له، حتىٰ أنّ الإمام (عليه السلام) لم يستطع أن يعبّئ في معسكر النخيلة بعد معركة النهروان ما يكفي لقتال معاوية، فقد تسلّل أغلب أفراد الجيش إلى

(١) نهج البلاغة ٢: ١٠٩ / ح١٨٢، بحار الأنوار ٣٤: ١٢٧ / ح٩٥٣، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١: ٩٩ ـ ١٠٠ (ذكر نسب أصحاب الرس).

داخل الكوفة ممّا أدّىٰ بالإمام (عليه السلام) إلىٰ أن يلغي المعسكر ويؤجّل الحرب[1].

٣ ـ لقد أتاح الظرف الذي مرّ به الإمام (عليه السلام) والأُمّة الإسلامية لمعاوية أن يقوم بشنّ غارات علىٰ أطراف البلاد الإسلامية، فمارس القتل والسبي والإرهاب، فبدأ بالهجوم علىٰ أطراف العراق فأرسل النعمان بن بشير الأنصاري للإغارة على منطقة «عين التمر»، ووجّه سفيان بن عوف للإغارة على منطقة «هيت» ثم علىٰ «الأنبار والمدائن»، والىٰ «واقصة» وجّه معاوية الضحّاك بن قيس الفهري.. وفي كلّ مرّة كان الإمام (عليه السلام) يدعو الجماهير لمقاومة غارات معاوية فلم يلق الاستجابة السريعة منهم، وأدرك معاوية ضعف أنصار الإمام (عليه السلام) وتزايد قوّته[2].

وبعث معاوية بسر بن أُرطاة للغارة على الحجاز واليمن، فعاث في الأرض فساداً وقتلاً للأبرياء[3] وبلغ الأسىٰ والأسف في نفس الإمام (عليه السلام) مبلغاً عظيماً ممّا كان يقوم به المجرمون بتحريض معاوية ومن تخاذل الناس عنه، فكان يصرّح بالضجر من تخاذلهم وتقاعسهم بقوله: «**اللّهمّ إنّي قد مللتهم وملّوني وسئمتهم وسئموني فأبدلني بهم خيراً منهم وأبدلهم بي شراً منّي**»[4].

وقد أنذر الإمام (عليه السلام) الأُمّة الإسلامية بمستقبل مظلم وآلام باهضة سوف تحلّ بها نتيجة لإيثارها التقاعس والتخاذل عن نصرة الحقّ، فقال (عليه السلام): «**أما إنّكم ستلقون بعدي ذلاً شاملاً، وسيفاً قاطعاً، وأثرةً يتّخذها الظالمون فيكم سنّة، فيفرّق**

(١) تأريخ الطبري: ٤ / ٦٧ ـ ٦٨ (حوادث سنة ٣٧ ذكر خبر الخوارج)، الكامل في التاريخ ٣: ٣٤٩ ـ ٣٥٠ (حوادث سنة ٣٨ ذكر رجوع عليّ عليه السلام الى الكوفة).

(٢) الغارات للثقفي: ٢: ٤٥٣ ـ ٤٧١ (ذكر غارات أهل الشام)، وتأريخ الطبري: ٤ / ١٠٢ و ١٠٣ (حوادث سنة ٣٩ ذكر تفريق معاوية جيوشه)، الكامل في التاريخ ٣: ٣٧٥ ـ ٣٨٠ (حوادث سنة ٣٩ ذكر سرايا أهل الشام).

(٣) الغارات للثقفي ٢: ٥٩٨ (ذكر توجيه معاوية بسر بن أرطأة إلى اليمن)، تأريخ الطبري: ٤ / ١٠٦ (حوادث سنة ٤٠ ذكر توجيه معاوية بسر إلى اليمن).

(٤) نهج البلاغة ١: ٦٥ / خ ٢٥، الغارات ٢: ٦٣٦ (في خطبة له عليه السلام في ذم أصحابه)، الطبقات الكبرى ٥: ٩٣ (ذكر ترجمة محمد بن الحنفية)، الثقات لابن حبان ٢: ٣٠١ (حوادث سنة ٤٠ بلوغ عليّ عليه السلام فعل بسر).

جماعتكم، ويبكي عيونكم، ويدخل الفقر بيوتكم، وتتمنّون عن قليل أنّكم رأيتموني فنصرتموني، فستعلمون حقّ ما أقول لكم»[١].

آخر محاولات الإمام (عليه السلام):

وبعد الاضطرابات المتعدّدة وتمكّن معاوية من نشر الرعب في أطراف الدولة الإسلامية؛ عزم الإمام (عليه السلام) أن يقوم بحملة واسعة يستنهض فيها الأُمّة، فخاطب الجماهير وهدّدهم فقال:

«أما إنّي قد سئمت من عتابكم وخطابكم، فبيّنوا لي ما أنتم فاعلون، فإن كنتم شاخصين معي إلى عدوّي فهو ما أطلب وما أُحبّ، وإن كنتم غير فاعلين فاكشفوه لي عن أمركم، فوالله لئن لم تخرجوا معي بأجمعكم إلى عدوّكم فتقاتلوه حتىٰ يحكم الله بيننا وبينه وهو خير الحاكمين لأدعوّن الله عليكم ثمّ لأسيرنّ إلى عدوّكم ولو لم يكن معي إلّا عشرة»[٢].

وأيقظ هذا التهديد الحازم نفوس الناس، وأيقنوا أنّ الإمام (عليه السلام) سيخرج بنفسه وأهله وخاصّته إلىٰ معاوية وإن لم ينصروه، فسيلحق العار والذلّ بهم إلى يوم القيامة، فتحرّك وجهاء الناس للاستعداد لملاقاة معاوية والقضاء على الفساد، وخرج الناس إلى معسكرهم في منطقة «النخيلة» خارج الكوفة، وتحرّكت بعض قطعات الجيش لتسبق القطعات التي ستتحرّك مع الإمام (عليه السلام) حيث بقي منتظراً انقضاء شهر رمضان.

* * *

(١) الغارات ٢: ٤٩٢ (كلامه عليه السلام لأهل الكوفة وذمهم)، الفتوح لابن أعثم ٤: ٢٥٧ (الخطبة الثانية له عليه السلام في توبيخ أهل الكوفة)، الإمامة والسياسة ١: ١٧١ (خطبة لعليّ كرّم الله وجهه بعد قتل الخوارج)، أنساب الأشراف: ٣٨١ (ذكر رجوعه عليه السلام من النخيلة).

(٢) أنساب الأشراف: ٤٧٧ (خطبة أمير المؤمنين عليه السلام الثانية لحرب معاوية).

الفصل الخامس

الإمام عليّ (عليه السلام) سيّد شهداء المحراب[1]

فبالأمس كان أبو سفيان يمكر ويغدر ويفجر ويخطّط لقتل النبيّ الأكرم(صلى الله عليه وآله) ووأد الرسالة الإلهية في مهدها، ولكنّ الله أبىٰ إلّا أن يتمّ نوره وينصر نبيّه وخاتم رسله.

وها هو معاوية بن أبي سفيان اليوم يستفيد من نتائج ما دُبّر في السقيفة، ويكمل خطوات أبي سفيان للقضاء على الرسالة الإسلامية بعد انتشارها، تعينه في ذلك قوىٰ الضلالة فتخطط لقتل ضمير الأُمّة وقلبها النابض وصوت الحقّ ورمز العدل وحامل لواء الإسلام الخالد ومحيي الشريعة المحمديّة السمحاء.

واجتمعت زمر الشرّ علىٰ أن تُطفئ نور الهدىٰ ليسيطر الظلام وينتشر الفساد، فامتدّت يد الشيطان لتصافح يد ابن ملجم الشقيّ في عتمة الليل، وفي ختلة وغدرة هوت بالسيف المسموم على هامة طالما استدبرت الدنيا واستقبلت بيت الله وهي ساجدة له، لتغادر الدنيا من بيتٍ هو لله وتعرج منه إلى الله.

لقد اجتمعت عصابة ضالّة على قتل أمير المؤمنين (عليه السلام) ولا يبعد أن يكون محرّكها معاوية بن أبي سفيان، وقد اتفقوا على أن يداهموا الإمام عند ذهابه لصلاة الفجر، إذ لم يكن أحد ذا جرأة على مواجهة الإمام (عليه السلام) واستقباله بالسيف.

---

(١) استشهد أمير المؤمنين في شهر رمضان عام (٤٠ هـ) وهي حادثة مشهورة . راجع كتب التاريخ (حوادث سنة ٤٠) تجد ذلك جلياً للعيان.

ولمّا كانت ليلة التاسع عشر من شهر رمضان؛ كان الإمام (عليه السلام) يكثر التأمل في السماء وهو يردّد «**ماكذبت ولاكذّبت إنّها الليلة التي وعدت بها**»[١] وأمضىٰ (عليه السلام) ليلته بالدعاء والمناجاة، ثمّ خرج إلىٰ بيت الله لصلاة الصبح فجعل يوقظ الناس على عادته إلى عبادة الله فينادي: الصلاة... الصلاة.

ثمّ شرع (عليه السلام) في صلاته، وبينما هو منشغل بمناجاة ربّه إذ هوىٰ المجرم الشقيّ عبد الرحمن بن ملجم وهو يصرخ بشعار الخوارج «الحكم لله لا لك» ووقع السيف على رأسه المبارك فقدّ الرأس فهتف الإمام (عليه السلام): «**فزت وربّ الكعبة**»[٢].

ولمّا علت الضجّة في المسجد؛ أقبل الناس مسرعين فوجدوا الإمام (عليه السلام) طريحاً في محرابه، فحملوه إلى داره وهو معصّب الرأس والناس يضجّون بالبكاء والعويل، واُلقي القبض على المجرم ابن ملجم، وأوصىٰ الإمام (عليه السلام) ولده الحسن وبنيه وأهل بيته أن يحسنوا إلى أسيرهم وقال: «**النفس بالنفس، فإن أنا مُتّ فاقتلوه كما قتلني، وإن أنا عشت رأيت فيه رأيي**»[٣].

وصيّة الإمام (عليه السلام):

أوصىٰ الإمام (عليه السلام) ولديه الحسن والحسين (عليهما السلام) وجميع أهل البيت بوصايا عامّة فقال:

---

(١) الإرشاد للمفيد ١: ١٦ (فصل ذكر نعيه نفسه عليه السلام)، روضة الواعظين للنيسابوري: ١٣٦ (ذكر وفاته عليه السلام)، الصواعق المحرقة: ٨٠ (ذكر أمير المؤمنين عليه السلام).

(٢) شرح الأخبار للمغربي ٢: ٤٤٢ / ح٧٩٤، بحار الأنوار ٤٢: ٢٣٩، الإمامة والسياسة ١: ١٨٠ (مقتل عليّ عليه السلام).

(٣) شرح الأخبار للمغربي ٢: ٤٤٢ / ٧٩٤، الإرشاد للمفيد ١: ٢١ (فصل في تآمر الخوارج عليه عليه السلام)، روضة الواعظين للنيسابوري: ١٣٤ (ذكر وفاته عليه السلام)، بحار الأنوار ٤٢ ـ ٢٣١ ـ ٢٣٢، تاريخ الطبري ٤: ١١٢ (حوادث سنة ٤٠ خبر مقتل عليّ عليه السلام)، مقاتل الطالبيين: ٢٢ (ذكر عليّ عليه السلام)، الكامل في التاريخ ٣: ٣٩٠ ـ ٣٩١ (حوادث سنة ٤٠ خبر مقتل عليّ عليه السلام)، المناقب للخوارزمي: ٣٨٤ / ح٤٠١.

«أُوصيكما بتقوىٰ الله، وأن لا تبغيا الدنيا وإن بغتكما، ولا تأسفا على شيء منها زوي عنكما، وقولا بالحقّ واعملا للأجر، وكونا للظالم خصماً وللمظلوم عوناً، واعملا بما في الكتاب، ولا تأخذكما في الله لومة لائم»[1].

ولم يمهل الجرح أمير المؤمنين طويلاً لشدّته وعظيم وقعته، فدنا منه الأجل المحتوم، وكان آخر ما نطق به قوله تعالى: ﴿**لِمِثْلِ هٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَامِلُونَ**﴾[2] ثمّ فاضت روحه الطاهرة إلى جنّة المأوىٰ[3].

دفن الإمام (عليه السلام):

نهض الإمامان الحسن والحسين (عليهما السلام) بتجهيز أمير المؤمنين وما يترتّب عليهما من إجراءات الدفن من غسل وتكفين، ثمّ صلّىٰ الإمام الحسن (عليه السلام) على أبيه ومعه ثلّة من أهل بيته وأصحابه، ثمّ حملوا الجثمان الطاهر إلىٰ مثواه الأخير، فدفن في النجف قريباً من الكوفة، وتمّت كلّ الإجراءات ليلاً[4].

تأبين الإمام (عليه السلام):

ثمّ وقف صعصعة بن صوحان ليؤبّن الإمام (عليه السلام) فقال:

هنيئاً لك يا أبا الحسن! فلقد طاب مولدك، وقوي صبرك، وعظم جهادك، وظفرت برأيك، وربحت تجارتك، وقدمتَ علىٰ خالقك فتلقّاك الله ببشارته وحفّتك ملائكته،

---

(١) نهج البلاغة ٣: ٧٦ (وصية ٤٧)، كشف الغمة ٢: ٥٨ (فصل في شهادة أمير المؤمنين عليه السلام)، بحار الأنوار ٤٢: ٢٤٥، تاريخ الطبري ٤: ١١٣ (حوادث سنة ٤٠ خبر مقتل علي عليه السلام)، المناقب للخوارزمي: ٣٨٤ / ح٤٠١، نظم درر السمطين للحنفي: ١٤٠ (ذكر مناقب أمير المؤمنين عليه السلام).

(٢) الصافات (٣٧): ٦١.

(٣) الطرائف لابن طاووس: ٤٤ / ح٣٨، بحار الأنوار ٤٢: ٢٩٣.

(٤) بحار الأنوار ٤٢: ٢٩٤ ـ ٢٩٥.

واستقررتَ في جوار المصطفىٰ فأكرمك الله بجواره، ولحقتَ بدرجة أخيك المصطفىٰ، وشربت بكأسه الأوفىٰ، فأسأل الله أن يمنَّ علينا باقتفائنا أثرك، والعمل بسيرتك، والموالاة لأوليائك، والمعاداة لأعدائك، وأن يحشرنا في زمرة أوليائك، فقد نلتَ ما لم ينله أحدٌ، وأدركت ما لم يُدركه أحد، وجاهدت في سبيل ربّك بين يدي أخيك المصطفىٰ حقّ جهاده، وقمت بدين الله حقّ القيام، حتىٰ أقمتَ السنن وأبرتَ الفتن واستقام الإسلام وانتظم الإيمان، فعليك منّي أفضل الصلاة والسلام.

ثمّ قال: لقد شرّف الله مقامك، وكنت أقرب الناس إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) نسباً، وأوّلهم إسلاماً، وأوفاهم يقيناً، وأشدّهم قلباً، وأبذلهم لنفسه مجاهداً، وأعظمهم في الخير نصيباً، فلا حرمنا أجرك، ولا أذلّنا بعدك، فوالله لقد كانت حياتك مفاتح الخير ومغالق الشر، وإنّ يومك هذا مفتاح كلّ شر ومغلاق كلّ خير، ولو أنّ الناس قبلوا منك؛ لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم، ولكنّهم آثروا الدنيا على الآخرة[1].

* * *

(١) بحار الأنوار: ٤٢ / ٢٩٥ ـ ٢٩٦..

الفصل السادس

تراث الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)

إنّ أوّل عمل اهتمّ به الإمام (عليه السلام) بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله) ـ وقد كان بوصيّة منه (صلى الله عليه وآله) ـ هو جمعه للقرآن الكريم، وامتاز باشتماله على ترتيب النزول وتضمّن معلومات فريدة عن شأن النزول والتفسير والتأويل الذي تحتاجه أُمّة محمّد (صلى الله عليه وآله)، وقد عرضه على الخليفة الأوّل فردّ عرض الإمام(عليه السلام) قائلاً: لا حاجة لنا به، وعقّب على جواب الخليفة بما يفيد أنّهم سوف لا يحصلون عليه بعد ذلك اليوم، وهكذا كان، والمعروف أنّه عند أهل البيت(عليهم السلام) ويتوارثه الأئــمّة من أبنائه.

وأُثر عن الإمام ما سمّي بالصحيفة التي تضمّنت أحكام الدّيات، وقد روى عنها البخاري ومسلم وابن حنبل،كما أُثر عنه ما سمّي بالجامعة التي تضمّنت أو جمعت كلّ ما يحتاج إليه الناس من حلال وحرام، ووصفها الإمام الصادق(عليه السلام) بأنّ طولها سبعون ذراعاً، وليس من قضية إلّا وهي فيها حتى أرش الخدش.

وتضمّن كتاب الجفر ما يرتبط بحوادث المستقبل وصحف الأنبياء السابقين، وقد يشبهه مصحف فاطمة وهو ما أملته عليه فاطمة الزهراء (عليها السلام) بعد وفاة أبيها ممّا كانت تُلهم به من أُمور[1]. وكلّ هذه الكتب تعتبر من مواريث الإمامة التي

---

(١) أُصول الكافي: الجزء الأول باب ذكر الصحيفة والجفر والجامعة ومصحف فاطمة. وراجع: سيرة الأئـمّة الاثني عشر: ١ / ٩٦ ـ ٩٩ و٢٧٤ ـ ٢٩٤.

يتناقلها الأئـمّة(عليهم السلام) إماماً بعد إمام.

وقد تصدّى عددٌ من علماء الأُمّة إلى جمع ما أُثر عن الإمام (عليه السلام) من خطب ورسائل وكلمات، وسمّيت بأسماء تتناسب مع أغراض جامعيها، وأوّلها وأشهرها ما سمّي بـ (نهج البلاغة) للشريف الرضي المتوفىٰ (٤٠٤ هـ)، وقد انطوى على روائع فكر الإمام في شتى المجالات العقائدية والأخلاقية وأنظمة الحكم والإدارة والتأريخ والاجتماع وعلم النفس والدعاء والعبادة وسائر العلوم الطبيعية والإنسانية، وهو ما اختاره الشريف الرضي من خطبه ورسائله ووصاياه وكلماته البليغة. ومن هنا فقد تصدّىٰ علماء آخرون لجمع ما لم يجمعه الشريف الرضي وسمّي بمستدركات نهج البلاغة.

وجمع النسائي المتوفى (٣٠٣ هـ) ما رواه الإمام عليّ عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) وسمّاه بـ (مسند الإمام عليّ (عليه السلام)).

وجمع الآمدي (المتوفّىٰ بين ٥٢٠ و ٥٥٠ هـ) قصاركلماته الحكمية وسمّاها بـ (غرر الحكم ودرر الكلم).

وجمع أبو إسحاق الوطواط (المتوفّىٰ بين ٥٥٣ و ٥٨٣ هـ) من كلامه ما سمّاه بـ (مطلوب كلّ طالب من كلام عليّ بن أبي طالب). وأُثرت عن الجاحظ المتوفىٰ (٢٥٥ هـ) (مائة كلمة) للإمام عليّ (عليه السلام) و(نثر اللئالي) جمع الطبرسي صاحب مجمع البيان، وكتاب صفّين لنصر بن مزاحم اشتمل على مجموعة من خطبه وكتبه. و(الصحيفة العلوية) وهي مجموعة من الأدعية التي أُثرت عنه (عليه السلام).

في رحاب نهج البلاغة :

إذا كان (القرآن الكريم) هو معجزة النبوة؛ فإنّ (نهج البلاغة) معجزة الإمامة... فليست هذه العقلية العظيمة المتجلّية بذلك الأُسلوب العلوي الواضحة في

كلّ فقرة من فقرات (النهج) وفي كلّ شذرة من تلك الشذور إلّا غرس ذلك النبيّ العظيم المستمدّ من وحي الله تعالى، فما من موضوع يطرقه الإمام إلّا وترى نور الله يشعّ أمامه وهدي الرسول ينير له الطريق»[١].

وقال الشريف الرضي (قدس سره): كان أمير المؤمنين (عليه السلام) مشرّع الفصاحة وموردها ومنشأ البلاغة ومولّدها، ومنه (عليه السلام) ظهر مكنونها وعنه أُخذت قوانينها، وعلى أمثلته حذا كلّ قائل خطيب، وبكلامه استعان كلّ واعظ بليغ، ومع ذلك فقد سبق وقصّروا، وقد تقدّم وأخّروا، لأنّ كلامه (عليه السلام) الكلام الذي عليه مسحة من العلم الإلهي، وفيه عبقة من الكلام النبويّ[٢].

وإليك مجموعة مختارة من قصار كلماته وبيّنات حكمه في عدة محاور مختارة:

١ ـ في رحاب العقل والعلم والمعرفة:

قال(عليه السلام):

١ ـ لا غنى كالعقل ولا فقر كالجهل، والعقل ينبوع الخير وأشرف مزيّة، وأجمل زينة.

٢ ـ العقل رسول الحقّ. العقل أقوى أساس. والإنسان بعقله. وبالعقل صلاح كلّ أمر.

٣ ـ العلم غطاء وساتر والعقل حسام قاطع، فاستُر خلل خُلقك بحلمك، وقاتل هواك بعقلك. والفكر مرآة صافية.

٤ ـ العقل صاحب جيش الرحمن، والهوى قائد جيش الشيطان، والنفس متجاذبة بينهما فأيّهما غلب كانت في حيّزه.

٥ ـ أفضل حظّ الرجل عقله، إن ذلّ أعزّه، وإن سقط رفعه، وإن ضلّ أرشده، وإن

---

(١) حياة أمير المؤمنين في عهد النبيّ: ٤٠٢، تأليف: محمّد صادق الصدر.

(٢) نهج البلاغة ١: ١١ (مقدمة الشريف الرضي)، الصراط المستقيم للعاملي ١: ٢٢١ (باب ٧، فصل ١٩).

تكلّم سدّده.

٦ ـ إنّ أفضل الناس عند الله من أحيا عقله وأمات شهوته وأتعب نفسه لإصلاح آخرته.

٧ ـ على قدر العقل يكون الدين. ما آمن المؤمن حتى عقل. قيمة كلّ امرئ عقله.

٨ ـ وعرّف العقل وبيّن وظائفه بما يلي:

أ ـ إنّما العقل التجنّب من الإثم والنظر في العواقب والأخذ بالحزم.

ب ـ العقل أصل العلم وداعية الفهم.

ج ـ العقل غريزة تزيد بالعلم وبالتجارب.

د ـ للقلوب خواطر سوء والعقول تزجر عنها.

هـ ـ غريزة العقل تأبىٰ ذميم الفعل.

و ـ العاقل من يعرف خير الشرّين.

٢ ـ في رحاب القرآن الكريم والسنّة النبويّة المباركة :

١ ـ قال (عليه السلام): «وأنزل عليكم الكتاب تبياناً لكلّ شيء وعَمّر فيكم نبيّه أزماناً حتى أكمل له ولكم ـ فيما أنزل من كتابه ـ دينه الذي رضي لنفسه.

٢ ـ ذلك القرآن فاستنطقوه ولن ينطق، ولكن أُخبركم عنه، ألا إنّ فيه علم ما يأتي، والحديث عن الماضي، ودواء دائكم، ونظم ما بينكم، و ينطق بعضه ببعض، ويشهد بعضه على بعض، ولا يختلف في الله ولا يخالف بصاحبه عن الله، ولا يَعوَجُّ فيقام ولا يزيغ فيستعتب... ولا تخلقه كثرة الردّ وولوج السمع... لا تفنىٰ عجائبه، ولا تنقضي غرائبه، ولا تكشف الظلمات إلّا به.

وفيه ربيع القلب... وما للقلب جلاء غيره.. فهو معدن الإيمان وبحبوحته، وينابيع العلم وبحوره ورياض العدل وغدرانه، وأثافيّ الإسلام وبنيانه، وأودية الحقّ وغيطانه، وبحر لا ينزفه المستنزفون، وعيون لا ينضبها الماتحون، ومناهل لا يغيضها الواردون.. جعله الله ريّاً لعطش العلماء وربيعاً لقلوب الفقهاء، ومحاجَّ لطرق الصلحاء... وعلماً لمن وعىٰ، وحديثاً

لمن روىٰ، وحكماً لمن قضىٰ.. وشفاءً لا تخشىٰ أسقامه.. ودواءً ليس بعده داء... فاستشفوه من أدوائكم، واستعينوا به على لأوائكم؛ فإنّ فيه شفاءً من أكبر الداء. وهو الكفر والنفاق والغيّ والضلال».

وأما سُنَّةُ رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقد دعا الإمام(عليه السلام) إلى العمل بها، وبيّن موقع الأئمّة المعصومين وموقفهم المشرّف في إيصال السنّة الصحيحة إلى الأُمّة وإحياء ما أماته المبطلون من سنّة رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأسباب انحراف من انحرف عن مدار السُّنة.

قال (عليه السلام): «**اقتدوا بهدي نبيّكم فإنّه أفضل الهدي، واستنّوا بسنّته فإنّها أهدى السنن.**

وقال (عليه السلام):**أحبّ العباد إلى الله المتأسّي بنبيّه (صلى الله عليه وآله) والمقتصّ أثره.** وقال (عليه السلام): **إرض بمحمّد (صلى الله عليه وآله) رائداً والى النجاة قائداً.**

وقال (عليه السلام): **إنّ في أيدي الناس حقّاً وباطلاً وصدقاً وكذباً وناسخاً ومنسوخاً وعامّاً وخاصّاً ومحكماً ومتشابهاً وحفظاً ووهماً، ولقدكذّب على رسول الله (صلى الله عليه وآله) علىٰ عهده حتى قام خطيباً فقال: «من كذّب عليّ متعمّداً فليتبوأ؛ مقعده من النار».**

وقال (عليه السلام): **لا يُقاس بآل محمّد (صلى الله عليه وآله) من هذه الأُمّة أحد.. هم عيش العلم وموت الجهل.. لا يخالفون الحقّ ولا يختلفون فيه.. هم دعائم الإسلام وولائج الاعتصام، بهم عاد الحقّ في نصابه، وانزاح الباطل عن مقامه، وانقطع لسانه عن منبته. عقلوا الدين عقل وعاية ورعاية لا عقل سماع ورواية. هم موضع سرّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) وحماة أمره وعيبة علمه وموئل حكمه وكهوف كتبه وجبال دينه، هم مصابيح الظلم وينابيع الحِكمَ ومعادن العلم ومواطن الحلم.**

وقال (عليه السلام): **وإنّي لعلى بيّنة من ربّي ومنهاج من نبيّي، وإنّي لعلى الطريق الواضح ألقطه لقطاً»**[(١)].

(١) راجع المعجم الموضوعي لنهج البلاغة: ٤٢ ـ ٥٣ و١٠١ وتصنيف غرر الحكم: ١٠٩ ـ ١١٧.

٣ ـ في رحاب التوحيد والعدل والمعاد:

قال (عليه السلام) في مجال إثبات وجوده تعالى: «**الحمد لله الدالّ على وجوده بخلقه وبمحدث خلقه على أزليته وباشتباههم على أن لا شبه له.**

وقال: **عجبت لمن شكّ في الله وهو يرىٰ خلق الله.. بل ظهر للعقول بما أرانا من علامات التدبير المتقن والقضاء المبرم**».

وحين سُئل (عليه السلام): هل رأيت ربّك؟ أجاب: «**وكيف أعبد ربّاً لم أره؟** ثمّ قال: **لا تدركه العيون بمشاهدة العيان ولكن تدركه القلوب بحقائق الإيمان.. عظم عن أن تثبت ربوبيّته بإحاطة قلب أو بَصَر**».

وجاء في دعائه المعروف بدعاء الصباح: «**يا من دلّ على ذاته بذاته، وتنزّه عن مجانسة مخلوقاته، وجلّ عن ملائمة كيفياته. يا من قرب من خطرات الظنون وبَعُد عن لحظات العيون، وعلم بماكان قبل أن يكون...**» .

لقد شحن الإمام خطبه العلوية بآيات القدرة الإلهية السماوية والأرضية، وأطنب فيها إطناب الخبير البصير، ففصّل آيات القدرة والعظمة تفصيلاً يعطي للمطالع إيماناً وخشوعاً لله وخضوعاً لعظمته، بحيث يلمس السامع لخطبه (عليه السلام) أنّه كما قال: «**والله لو كشف لي الغطاء ما ازددت يقيناً**».

وقدّم الإمام تصويراً دقيقاً لصفاته تعالى بحيث صار معياراً للبحوث الفلسفية الدقيقة ومفتاحاً للدخول إلى مثل هذه البحوث التي تضلّ فيها الأفكار لولا الهداية الربّانية الموجّهة.

قال (عليه السلام): «**وكمال توحيده الإخلاص له. وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه، لشهادة كلّ صفة أنّها غير الموصوف وشهادة كلّ موصوف أنّه غير الصفة، فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه، ومن قرنه فقد ثنّاه، ومن ثنّاه فقد جزّأه، ومن جزّأه فقد جهله، ومن جهله**

فقد أشار إليه، ومَن أشار إليه فقد حدّه، ومن حدّه فقد عدّه...كائن لا عن حدث، موجود لا عن عدم، مع كلّ شيء لا بمقارنة وغير كلّ شيء لا بمزايلة».

وقال (عليه السلام): مستدلاً على وحدانيته: «**واعلم يا بني، أنّه لو كان لربّك شريك لأتتك رسله ولرأيت آثار ملكه وسلطانه، واعلم يا بُني أنّ أحداً لم ينبئ عن الله سبحانه كما أنبأ عنه الرسول (صلى الله عليه وآله) فارض به رائداً».**

وقال عن عدله تعالى: «**وارتفع عن ظلم عباده وقام بالقسط في خلقه وعدل عليهم في حكمه وعدل في كلّ ما قضى.** وقال: **فإنّه لم يأمرك إلاّ بحسن ولم ينهك إلّا عن قبيح وإنّ حكمه في أهل السماء والأرض لواحد. وما كان الله ليدخل الجنّة بشراً بأمرٍ أخرج به منها ملكاً».**

٤ ـ في رحاب النبوّة والإمامة (القيادة الإلهية)

إنّ الهداية الإلهية عبر القادة المهديّين الذين اختارهم الله لهداية عباده هي سنّة الله الدائمة لخلقه الذين زوّدهم بالعقل والعلم وسلّحهم بسلاح الإرادة والاختيار.

وتبدأ هذه السُنّة لهذه البشرية باختيار آدم خيرة من خلقه..قال(عليه السلام) : «**فأهبطه بعد التوبة ليعمر أرضه بنسله وليقيم الحجّة به على عباده، ولم يخلهم بعد أن قبضهم ممّا يؤكد عليهم حجّة ربوبيّته ويصل بينهم وبين معرفته، بل تعاهدهم بالحجج على ألسن الخيرة من أنبيائه ومتحمّلي ودائع رسالاته قرناً فقرناً... فاستودعهم في أفضل مستودع، وأقرّهم في خير مستقر، تناسختهم كرائم الأصلاب إلى مطهّرات الأرحام.. حتى أخرج آخرهم نبيّنا محمداً (صلى الله عليه وآله) من أفضل المعادن منبتاً وأعزّ الأُرومات مغرساً، من الشجرة التي صدع منها أنبياءه وانتجب منها أُمناءه».**

ووصف الإمام (عليه السلام) زهد الأنبياء وشجاعتهم وتواضعهم ورعاية الله لهم

وتربيته لهم بالاختبار والابتلاء وتعريضهم للأذىٰ في سبيل الله، وبيّن وظـائفهم المتمثّلة في التبليغ والدعوة إلى الله سبحانه والتبشير والإنذار وإقامة حكم الله في الأرض وهداية الناس بإخراجهم من الجهل والضلالة ومجاهدة أعداء الله.

وتستمرّ مسيرة القادة الهداة الربّانيين على مدى العصور إلى يوم القيامة، **«فلا تخلو الأرض من قائم لله بحجّة، إمّا ظاهراً مشهوراً وإمّا خائفاً مستوراً لئلّا تبطل حـجج الله وبيّناته»...** وحيث خُتمت النبوة بمحمّد(٩) لم تتقطع الهداية الإلهية بل انتهىٰ أمر الهداية إلى عترته التي هي: **«خير العتر، إن نطقوا صدقوا وإن صمتوا لم يسبقوا، وهم شجرة النبوّة ومحطّ الرسالة ومختلف الملائكة ومعادن العلم وينابيع الحكم، والأعظمون عند الله قدراً.. يحفظ الله بهم حججه وبيّناته.. بهم عُلِم الكتاب وبه عُلموا، فيهم كرائم القرآن وكنوز الرحمن، فهم الراسخون في العلم... يخبركم حلمهم عن علمهم وظاهرهم عن باطنهم وصمتهم عن حكم منطقهم، لا يخالفون الحقّ ولا يختلفون فيه، وهم دعائم الإسلام وولائج الاعتصام، بهم عاد الحقّ إلى نصابه وانزاح الباطل عن مقامه، فهم أساس الدين وعماد اليقين، إليهم يفئ الغالي وبهم يلحق التالي، لهم خصائص حقّ الولاية وفيهم الوصية والوراثة».**

لقد أكّد الامام علىٰ موقف أهل البيت القيادي ـ الفكري والسياسي ـ وأدان زحزحة القيادة عن موقعها الرفيع الذي عيّنه رسول الله (صلى الله عليه وآله) وخصَّ بها أهل البيت(عليهم السلام) واعترض على خطّ الخلفاء جملةً وتفصيلاً، بالرغم من اضطراره للتنازل عن حقّه واجتهد وأخلص في تقديم الأُطروحة النبويّة للقيادة بعد الرسول بشكل ناصع، وجاهد من أجل إحقاق الحقّ بشكل حكيم وأُسلوب كان ينسجم مع حساسية الظرف الذي كانت تمرّ به الدولة والأُمّة الإسلامية حينذاك، واستطاع أن يقدّم النظرية كاملة ويعدّ العدّة لتطبيقها حينما تسمح له الظروف[1].

(١) راجع المعجم الموضوعي لنهج البلاغة: ٨٧ ـ ١١٦ و٣٧٤ ـ ٤٤٥.

٥ ـ في رحاب الإمام المهدي (عليه السلام) :

إنّ التبشير بقضيّة الإمام المهدي(عليه السلام) لتحقيق العدل الإلهي المنتظر من القضايا الأساسية التي اهتمّ بها القرآن الكريم والنبيّ العظيم والإمام المرتضىٰ عليّ بن أبي‌طالب(عليه السلام) على الرغم من التشتّت الذي كان يعيشه ذلك المجتمع الناشيء بعد رحيل الرسول(صلى الله عليه وآله)، ويصوّر الإمام بعض معالم مجتمع الإمام المهدي(عليه السلام) لهم ولنا بقوله: «**ألا وفي غدٍ ـ وسيأتي غدٌ بما لا تعرفون ـ يأخذ الوالي من غيرها عمّالَها على مساوئ أعمالها، وتُخرج له الأرض أفاليذ كبدها، وتلقي إليه سِلْماً مقاليدَها، فيريكم كيف عدلُ السيرة، ويُحيي ميّت الكتاب والسُنّة**».

إنّها رؤية دقيقة ومضيئة وواضحة المعالم عن دولة إسلامية تقوم بإدارة المجتمع الإنساني فى الأرض كلّها، تعتمد العدل أساساً في مسيرتها ومنهجها معتمدة على الكتاب والسنّة اللذين أماتهما الظالمون، وقال (عليه السلام) عن قائدها: «**يعطف الهوى على الهدى إذا عطفوا الهدىٰ على الهوىٰ، ويعطف الرأي على القرآن إذا عطفوا القرآن على الرأي**»[١].

وقد تصدّت مؤسّسة نهج البلاغة لجمع الأحاديث التي وردت عن الإمام عليّ (عليه السلام) حول الإمام المهدي(عليه السلام) وقد بلغ مجموعها (٢٩١) حديثاً، أربعة عشر منها عن اسم المهدي وصفاته ودعائه وسبعة وسبعون منها عن نسب الإمام وأنّه من قريش وبني هاشم ومن أهل البيت ومن ولد عليّ، وأنّه من ولد فاطمة، بل من ولد الحسين وهو أحد الأئمّة الاثني عشر، وخمسة وأربعون منها ترتبط بالمهدي في القرآن ونهج البلاغة وشِعر أمير المؤمنين(عليه السلام)، وثلاثة وعشرون منها حول أنصار الإمام المهدي(عليه السلام) والرايات السود، واثنا عشر منها حول السفياني

(١) نهج البلاغة ٢: ٢١ / خ١٣٨.

والدجّال، وستة وعشرون منها عن غيبة الإمام المهدي ومحن الشيعة عند الغيبة وفضيلة انتظار الفرج، وخمسة وسبعون منها حول الفتن قبل ظهور المهدي وعلائم الظهور وما بعد الظهور ودابّة الأرض ويأجوج ومأجوج، وتسعة عشر منها ترتبط بفضل مسجد الكوفة وخروج رجل من أهل بيته (عليهم السلام) بأهل المشرق يحمل السيف علىٰ عاتقه ثمانية أشهر حتى يقولوا: والله ما هذا من ولد فاطمة.. ثم يبيّن حكم الأرض عند ظهور القائم (عليه السلام) وحكومته وكيفية ختم الدين به.

وقال (عليه السلام): «**ياكميل، ما من علم إلّا وأنا أفتحه، وما من سرٍّ إلّا والقائم (عليه السلام) يختمه.. ياكميل، لا بدّ لِماضيكم من أوبة، ولابدّ لنا فيكم من غلبة...**»[1].

بنا يختم الدين كما بنا فُتح، وبنا يستنقذون من ضلالة الفتنة كما استنقذوا من ضلالة الشرك، وبنا يؤلّف الله قلوبهم في الدين بعد عداوة الفتنة كما ألّف بين قلوبهم ودينهم بعد عداوة الشرك[2]. **ولو قد قام قائمنا؛ لأنزلت السماء قطرها وأخرجت الأرض نباتها، وليذهب الشحناء من قلوب العباد، وأصلحت السباع والبهائم حتى تمشي المرأة من العراق إلى الشام لا تضع قدمها إلّا على النبات وعلى رأسها زينتها لا يهيجها سبع ولا تخافه**»[3].

٦ ـ في رحاب نظرية الحكم في الإسلام ونظامه:

لقد قدَّم الإمام (عليه السلام) نموذجاً عمليّاً فريداً في الحكم الإسلامي بعد عصر الرسول (صلى الله عليه وآله) وقد قرن ذلك بنظرية كاملة منسجمة الأبعاد والجوانب تمثّلت في كتابه وعهده المعروف لمالك الأشتر حين ولّاه مصر، وقد اهتمّ الاجتماعيون بهذا العهد شرحاً وتعليقاً وتبييناً ومقارنةً بأنظمة الحكم الأُخرىٰ، ويعتبر هذا النصّ

---

(١) عن بشارة المصطفىٰ: ٥١ و ٥٤ / ح٤٣ (ذكر وصيته عليه السلام لكميل).

(٢) شرح الأخبار للمغربي ٣: ٣٨٤ / ح١٢٥٨، الملاحم والفتن لابن طاووس: ١٧٧ (ذكر ما نقله عن كتاب ابن حماد باب ١٩٢ وص٣١٨ (ما نقله من كتاب الفتن لأبي يحيى زكريا) باب ١٩.

(٣) الخصال للصدوق: ٦٢٦ / ح١٠ (حديث الأربعمائة)، تحف العقول: ١١٥ (ما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام في آدابه لأصحابه).

دليلاً من أدلّة إمامته (عليه السلام) وبه تتميّز مدرسة أهل البيت(عليهم السلام) عن سائر الاتّجاهات التي حملت عنوان الإسلام والخلافة الإسلامية، وبالإضافة إلىٰ هذا النصّ المعجز نجد في نهج البلاغة وغيره من النصوص التي وصلتنا عنه (عليه السلام) ما يعيننا علىٰ كشف نظرية الإمام ونظرية الإسلام الفريدة عن الحكم بدءً بفلسفة الحكم وأهدافه وخطوطه العريضة وانتهاءً بنظامه أُصولاً وفروعاً، ونشير إلى الخطوط العريضة لنظام الحكم في نصوص الإمام(عليه السلام) بإيجاز.

١ ـ الحكم ضرورة اجتماعية

قال(عليه السلام) : * **لابدّ للناس من أميرٍ برٍّ أو فاجِر.**

* **الإمامة نظام الأُمّة.**

* **العدل قوام البرية.**

* **دولة العادل من الواجبات.**

٢ ـ الحكم مختبر الحياة

قال(عليه السلام) : **: ستة تختبر بها عقول الرجال: المصاحبة والمعاملة، والولاية والعزل، والغنى والفقر.**

* **القدرة تظهر محمود الخصال ومذمومها.**

٣ ـ الحكم عرض زائل

قال(عليه السلام) : * **الدولة كما تقبل تدبر.**

* **الملك المنتقل الزائل حقير يسير.**

٤ ـ قيمة الحكم الأمثل:

قال(عليه السلام) : * دولة الأكارم من أفضل المغانم.

* اللّهم انّك تعلم أنّه لم يكن الذي كان منّا منافسةً في سلطان، ولا التماس شيء من فضول الحطام، ولكن لنرد المعالم من دينك ونظهر الاصلاح في بلادك، فيأمن، المظلومون من عبادك، وتُقام المعطلة من حدودك.

٥ ـ مهامّ الدولة المثلىٰ ـ والخطوط العريضة لنظام الحكم الإسلامي

١ / ٥ ـ إقامة العدل:

قال(عليه السلام) : * العدل نظام الإمرة.

* العدل قوام الرعيّة.

* الرعيّة لا يصلحها الّا العدل.

* في العدل الاقتداء بسنّة الله وثبات الدول.

٥/٢ ـ تثقيف الأُمّة:

قال(عليه السلام) : * على الإمام أن يعلّم أهل ولايته حدود الإسلام والإيمان.

٥/٣ ـ حماية الدين:

قال(عليه السلام) : * الملوك حماة الدين.

* في حمل عِباد الله على أحكام الله استيفاء الحقوق وكلّ الرفق.

* كل دولة يحوطها الدين لا تغلب.

* من جعل ملكه خادماً لدينه انقادله كل شيء.

٥/٤ ـ الاجتهاد في النصيحة:

قال(عليه السلام) : * ليس على الامام إلّا ما حمّل من أمر ربّه: الابلاغ في الموعظة والاجتهاد في النصيحة.

٥/٥ إقامة الحدود:

قال(عليه السلام) : * وإقامة الحدود على مستحقّيها.

٥/٦ ـ توفير الفيء:

قال(عليه السلام) : * أحسن الملوك حالاً من حسن عيش الناس في عيشه.

* فأمّا حقّكم عليّ فالنصيحة لكم وتوفير فيئكُم عليكُم.

٥/٧ ـ تربية المجتمع:

قال(عليه السلام) : * وتعليمكم كي لا تجهلوا، وتأديبكم كيما تعلموا.

٥/٨ ـ الدفاع عن استقلال وكرامة الامّة:

قال(عليه السلام) : * وتعاهد ثغورهم وأطراف بلادهم.

٥/٩ ـ توفير الأمن الداخلي:

قال(عليه السلام) : * لا بدّ للناس من أمير برّ أو فاجرٍ، يعمل في إمرته المؤمن ويستمتع فيها الكافر، ويبلغ الله فيها الأجل، ويجمع به الفيء ويقاتل به العدو، وتأمن به السُبُل.

٥/١٠ ـ نصرة المستضعفين:

قال(عليه السلام) : * ويؤخذ للضغيف من القويّ حتى يستريح برّ ويستراح من فاجر.

٥/١١ ـ إغاثة الملهوفين:

قال(عليه السلام) : * زكاة السلطان إغاثة الملهوف.

٥/١٢ ـ الاهتمام بالعمران:

قال(عليه السلام) : * فضيلة السلطان عمارة البلدان.

٦ ـ صفات الحاكم الأمثل وعوامل ثبات الحكم

٦/ ١ ـ الانقياد للحقّ :

قال(عليه السلام) : * من اتخذ الحقّ لجاماً اتّخذه الناس إماماً.

* أجلّ الامراء من لم يكن الهوى عليه أميراً.

* من ساس نفسه أدرك السياسة.

* إذا نفذ حكمك في نفسك تداعت أَنفُسُ الناس الى عَدلك.

* العقل منزّه عن المنكر آمر بالمعروف.

٦/٢ ـ تفهّم الأمور:

قال(عليه السلام) : * أعقل الملوك من ساس نفسه للرعية بما يُسقط عنه حجّتها، وساس الرعية بما تثبت حجّته عليها.

* يحتاج الامام إلىٰ قلب عقول.

٦/٣ ـ سطوع البيان:

قال(عليه السلام) : * ولسان قؤول.

٦/٤ ـ الشجاعة في إقامة الحق:

قال(عليه السلام) : * وجنان على إقامة الحقّ صؤول.

٦/٥ ـ حسن النيّة:

قال(عليه السلام) : * أصلح سريرتك يصلح الله علانيتك.

* أفضل الملوك من حسن فعله ونيته وعدل في جنده و رعيّته.

٦/٦ ـ الإحسان الى الرعيّة:

قال(عليه السلام) : * من أحسن الى رعيّته نشر الله عليه جناح رحمته، وأدخله في مغفرته.

* من لم يحسن في دولته خذل في نكبته.

* من أحسن الكفاية استحق الولاية.

٦/٧ ـ عفّة النفس:

قال(عليه السلام) : * أفضل الملوك أعفّهم نفساً.

* السيّد من لا يصانع ولا يخادع ولا تغرّه المطامع.

٦/٨ ـ عموم العدل:

قال(عليه السلام) : *** ملاك السياسة العدل.**

*** من عدل نفذ حكمه.**

*** من كثر عدله حمدت أيّامُه.**

*** من عدل في سلطانه استغنى عن أعوانه.**

*** من عمل بالعدل حصّن الله ملكه.**

*** أفضل الملوك سجيّةً من عمّ الناس بعدله.**

٦/٩ ـ الاقتصاد والتدبير:

قال(عليه السلام) : *** لن يهلك من اقتصد.**

*** حسن السياسة يستديم الرياسة.**

*** حسن التدبير وتجنّب التبذير من حسن السياسة.**

٦/١٠ ـ الإنصاف:

قال(عليه السلام) : *** الإنصاف زينُ الإمرة.**

*** زكاة القدرة الإنصاف.**

٦/١١ ـ الرفق:

قال(عليه السلام) : *** رأس السياسة استعمال الرفق.**

*** نعم السياسة الرفق.**

٦/١٢ ـ الحلم:

قال(عليه السلام) : *** الحلم رأس السياسة.**

*** آلة الرئاسة سعة الصدر.**

*** إضرب خادمك إذا عصى الله واعفُ عنه إذا عصاك.**

*** العفو زكاة القدرة.**

* سياسة العدل في ثلاث: لين في حزم، واستقصاء في عدل، وإفضال في قصد.

٦/١٣ ـ الدفاع عن الدين:

قال(عليه السلام) : * صيّر الدين حصن دولتك، والشكر حرز نعمتك فكلّ دولة يحوطها الدين لا تغلب وكلّ نعمة يحرزها الشكر لا تسلب.

٦/١٤ ـ كثرة الورع:

قال(عليه السلام) : * استعن على العدل بحسن النيّة في الرعيّة، وقلّة الطمع، وكثرة الورع.

٦/١٥ ـ الشعور بالأمانة:

قال(عليه السلام) : * إنّ السلطان لأمين الله في الأرض.

* انّ هذا المال ليس لي ولا لك وانما هو للمسلمين.

* إنّ عملك ليس لك طعمة.

٦/١٦ ـ اليقظة:

قال(عليه السلام) : * من أمارات الدولة التيقّظ لحراسة الأُمور.

* من لم يستظهر باليقظة لم ينفع بالحفظة.

* من النبل أن تتيقظ لإيجاب حقّ الرعية إليك، وتتغابى عن الجناية عليك.

٦/١٧ ـ التكليف بما يطاق:

قال(عليه السلام) : * إذا أردت أن تطاع فأسأل ما يستطاع.

٦/١٨ ـ عدم الاغترار بالقدرة:

قال(عليه السلام) : * ذو الشرف لا تبطره منزلةٌ نالها وإن عظمت والدنيّ تبطره أدنى منزلة.

٦/١٩ ـ توزيع العمل وتعيين مسؤولية كل فرد:

قال(عليه السلام) : * الأعمال تستقيم بالعمّال.

* اجعلْ لكلِّ إنسان من خدمك عملاً تأخذه به فإنّ ذلك أحرىٰ أن لا يتواكلوا في خدمتك.

٦/٢٠ ـ البذل:

قال(عليه السلام) : * **من بذل معروفه استحقّ الرئاسة.**

* **من بذل جاهه استحمد.**

* **الجود رياسة.**

* **زين الرياسة الإفضال.**

٧ ـ آفات الحكم وعوامل سقوط الدول

قال(عليه السلام) : * **الدولة كما تُقبل تُدبر.**

٧/١ ـ الجهل:

قال(عليه السلام) : * **دولة الجاهل كالغريب المتحرّك الى النُقلة.**

* **زلّة الرأي تأتي على المُلك وتؤذن بالهلك.**

* **من ضعفت آراؤه قويت أعداؤه.**

* **أعم الجهل معاداة القادر ومصادقة الفاجر والثقة بالغادر.**

* **رأس الجهل معاداة الناس.**

٧/٢ ـ الاستبداد بالرأي وترك المشورة:

قال(عليه السلام) : * **مَن استبدّ برأيه زلَّ.**

* **مَن استغنىٰ بعقله ضلَّ.**

* **مَن قنع برأيه فقد هلك.**

٧/٣ اتّباع الهوىٰ:

قال(عليه السلام) : * **شرّ الأُمراء من كان الهوى عليه أميراً.**

* **مَن غلب هواه على عقله ظهرت عليه الفضائح.**

* **من ملكه الهوى لم يقبل من نصوح نصحاً.**

٧/٤ ـ تعدّد مراكز القرار «عدم وحدة القيادة»:

قال(عليه السلام) : * الشركة في المُلك تؤدي الىٰ الاضطراب .

٧/٥ ـ إتباع الباطل والاستخفاف بالدين :

* مَن ركب الباطل أهلكه مركبه.

* مَن جعل دينه خادماً لملكه طمع فيه كلّ إنسان .

* لا تحارب من يعتصم بالدين، فإنّ مغالب الدين محروب.

* مَن عاند الله قصم.

٧/٦ ـ البغي والظلم:

قال(عليه السلام) : * آفة الاقتدار البغي والعتوّ.

* مَن سَلّ سيف البغي غُمِد في رأسه.

* راكب الظلم يكبو به مركبه.

* مَن عامل رعيته بالظلم آزال الله ملكه وعجّل بواره وهلاكه.

* مَن حُمِد علىٰ الظلم مُكِر به.

* مَن جارت أقضيته زالت قدرته.

* قلوب الرعيّة خزائن راعيها فما أودعها من عدل أو جور وَجَدَه.

* شرَّ الولاة من يخافه البريء.

* جود الولاة بفيء المسلمين جَوْر وخَتَر.

* آفة العمران جور السلطان.

* لئن أمهل الله تعالى الظالم فلن يفوته أخذه، وهو له بالمرصاد على مجاز طريقه وموضوع الشجا من مجاز ريقه.

٧/٧ ـ التكبّر والفخر:

قال(عليه السلام) : * آفة الرئاسة الفخر.

* مَن اختال في ولايته أبان عن حماقته.

* مَن استطال على الناس بقدرته سلب القدرة.

* تكبّرك في الولاية ذلّ في العزل.

٧/٨ ـ منع الإحسان:

قال(عليه السلام): * مَن أحسنَ الملكةَ أمن الهلكة.

* آفة القدرة منع الإحسان.

* مَن لم يحسن في دولته خذل في نكبته.

٧/٩ ـ الاسراف والتبذير:

* لن يهلك من اقتصد.

* حُسن التدبير وتجنّب التبذير من حُسن السياسة.

* من ساء تدبيره تعجّل تدميره.

* كثرة السرف تدمّر.

٧/١٠ ـ الغفلة:

قال(عليه السلام): * من لم يستظهر باليقظة لم ينتفع بالحفظة.

* إنّ من تورّط في الأُمور من غير نظر في العواقب فقد تعرض لمُفدِحات النوائب.

٧/١١ ـ الانتقام:

قال(عليه السلام): * لا سؤدد مع انتقام.

٧/١٢ ـ سوء التدبير:

قال(عليه السلام): * يستدل على إدبار الدول بأربعٍ:

سوء التدبير.

وقبح التبذير.

وقلة الاعتبار.

وكثرة الاعتذار.

٧/١٣ ـ تضييع الأُصول:

قال(عليه السلام) : * **يستدلّ على إدبار الدول باربع:**

تضييع الأصول.

والتمسّك بالغرور.

وتقديم الأراذل.

وتأخير الأفاضل .

* **الأمير السوء يصطنع البذيّ.**

* **زوال الدول باصطناع السفل.**

* **توليّ الأراذل والأحداث الدول دليل انحلالها وإدبارها.**

٧/١٤ ـ الخيانة:

قال(عليه السلام) : * **أعظم الخيانة خيانةُ الأُمّة.**

* **إذا ظهرت الخيانات ارتفعت البركات.**

* **مَن خانه وزيره فسد تدبيره.**

* **كذب السفير يولد الفساد ويفوت المراد ويبطل الحزم وينقض العزم.**

٧/١٥ ـ ضعف السياسة:

قال(عليه السلام) : * **من تأخر تدبيره تقدّم تدميره .**

* **آفة الزعماء ضعف السياسة.**

* **آفة القوي استضعاف الخصم.**

٧/١٦ ـ سوء السيرة:

قال(عليه السلام) : * **آفة الملوك سوء السيرة.**

٧/١٧ ـ عجز العمّال:

قال(عليه السلام) : * **الأعمال تستقيم بالعمّال.**

* **وآفة الأعمال عجز العمّال.**

٧/١٨ ـ ضعف الحماية:

قال(عليه السلام) : * **آفة الملك ضعف الحماية**

٧/١٩ ـ سوء الظن بالنصيح:

قال(عليه السلام) : * **من علامات الإدبار سوء الظنّ بالنصيح.**

٧/٢٠ ـ طمع القادة:

قال(عليه السلام) : * **السيّد من لا يصانع ولا يخادع ولا تغرّه المطامع.**

* **الطمع يذل الأمير.**

٧/٢١ ـ فقدان الأمن :

قال(عليه السلام) : * **شرّ البلاد بلد لا أمن فيه.**

ومن الجدير بالذكر أن كتابه لمالك الأشتر حين ولّاه مصر يمثّل نظاماً إدارياً جامعاً كان يستفيد منه حتى أعداؤه الذين فوّتوا على مالك الأشتر الفرصة الذهبية التي وفّرها له الإمام(عليه السلام) لتطبيق هذا النظام. وإليك نصّ هذا الكتاب الفريد:

بِسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيم

«هذَا مَا أَمَرَ بِهِ عَبْدُ اللهِ عَلِيٌّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، مَالِكَ بْنَ الْحَارِثِ الأَشْتَرَ فِي عَهْدِهِ إِلَيْهِ، حِينَ وَلاَّهُ مِصْرَ: جِبْايَةَ خَرَاجِهَا، وَجِهَادَ عَدُوِّهَا، وَاسْتِصْلاَحَ أَهْلِهَا، وَعِمَارَةَ بِلاَدِهَا.

أَمَرَهُ بِتَقْوَى اللهِ، وَإِيْثَارِ طَاعَتِهِ، وَاتِّبَاعِ مَا أَمَرَ بِهِ فِي كِتَابِهِ: مِنْ فَرَائِضِهِ وَسُنَنِهِ، الَّتِي لاَ يَسْعَدُ أَحَدٌ إِلاَّ بِاتِّبَاعِهَا، وَلاَ يَشْقَى إِلاَّ مَعَ جُحُودِهَا وَإِضَاعَتِهَا، وَأَنْ يَنْصُرَ اللهَ سُبْحَانَهُ بِيَدِهِ وَقَلْبِهِ وَلِسَانِهِ، فَإِنَّهُ، جَلَّ اسْمُهُ، قَدْ تَكَفَّلَ بِنَصْرِ مَنْ نَصَرَهُ، وَإِعْزَازِ مَنْ أَعَزَّهُ.

وَأَمَرَهُ أَنْ يَكْسِرَ نَفْسَهُ مِنَ الشَّهَوَاتِ، وَيَزَعَهَا عِنْدَ الْجَمَحَاتِ، فَإِنَّ النَّفْسَ أَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ، إِلاَّ مَا رَحِمَ اللهُ.

ثُمَّ اعْلَمْ يَا مَالكُ، أَنِّي قدْ وَجَّهْتُكَ إِلَى بِلاَد قَدْ جَرَتْ عَلَيْهَا دُوَلٌ قَبْلَكَ، مِنْ عَدْل وَجَوْر، وَأَنَّ النَّاسَ يَنْظُرُونَ مِنْ أُمُورِكَ فِي مِثْلِ مَاكُنْتَ تَنْظُرُ فِيهِ مِنْ أُمُورِ الْوُلاَةِ قَبْلَكَ، وَيَقُولُونَ فِيكَ مَاكُنْتَ تَقُولُ فِيهِمْ،وَإِنَّمَا يُسْتَدَلُّ عَلَى الصَّالِحِينَ بِمَا يُجْرِي اللهُ لَهُمْ عَلَى أَلْسُنِ عِبَادِهِ.

فَلْيَكُنْ أَحَبَّ الذَّخَائِرِ إِلَيْكَ ذَخِيرَةُ الْعَمَلِ الصَّالِحِ، فَامْلِكْ هَوَاكَ، وَشُحَّ بِنَفْسِكَ عَمَّا لاَ يَحِلُّ لَكَ، فَإِنَّ الشُّحَّ بِالنَّفْسِ الاْنْصَافُ مِنْهَا فِيَما أَحبَّتْ وَكَرِهَتْ.

وَأَشْعِرْ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ، وَالْـمَحَبَّةَ لَهُمْ، وَاللُّطْفَ بِهِمْ، وَلاَ تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبُعاً ضَارِياً تَغْتَنِمُ أَكْلَهُمْ، فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ: إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ، وَإمّا نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ، يَفْرُطُ مِنْهُمُ الزَّلَلُ، وَتَعْرِضُ لَهُمُ الْعِلَلُ، ويُؤْتَى عَلَى أَيْدِيهِمْ فِي العَمْدِ وَالْخَطَاَ، فَأَعْطِهِمْ مِنْ عَفْوِكَ وَصَفْحِكَ مِثْلَ الَّذِي تُحِبُّ أَنْ يُعْطِيَكَ اللهُ مِنْ عَفْوِهِ وَصَفْحِهِ، فَإِنَّكَ فَوْقَهُمْ، وَ وَالِي الأَمْرِ عَلَيْكَ فَوْقَكَ، وَاللهُ فَوْقَ مَنْ وَلاَّكَ! وَقَدِ اسْتَكْفَاكَ أَمْرَهُمْ، وَابْتَلاَكَ بِهِمْ.

وَلاَ تَنْصِبَنَّ نَفْسَكَ لِحَرْبِ اللهِ، فَإِنَّهْ لاَيَدَيْ لَكَ بِنِقْمَتِهِ، وَلاَ غِنَى بِكَ عَنْ عَفْوِهِ وَرَحْمَتِهِ. وَلاَ تَنْدَمَنَّ عَلَى عَفْو، وَلاَ تَبْجَحَنَّ بِعُقُوبَة، وَلاَ تُسْرِعَنَّ إِلَى بَادِرَة وَجَدْتَ مِنْهَا مَنْدُوحَةً، وَلاَ تَقُولَنَّ: إِنِّي مُؤَمَّرٌ آمُرُ فَأُطَاعُ، فَإِنَّ ذلِكَ إِدْغَالٌ فِي الْقَلْبِ، وَمَنْهَكَةٌ لِلدِّينِ، وَتَقَرُّبٌ مِنَ الْغِيَرِ.

وَإِذَا أَحْدَثَ لَكَ مَا أَنْتَ فِيهِ مِنْ سُلْطَانِكَ أُبَّهَةً أَوْ مَخِيلَةً، فَانْظُرْ إِلَى عِظَمِ مُلْكِ اللهِ فَوْقَكَ، وَقُدْرَتِهِ مَنْكَ عَلَى مَا لاَ تَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنْ نَفْسِكَ، فَإِنَّ ذلِكَ يُطَامِنُ إِلَيْكَ مِنْ طِمَاحِكَ، وَيَكُفُّ عَنْكَ مِنْ غَرْبِكَ، يَفِيءُ إِلَيْكَ بِمَا عَزَبَ عَنْكَ مِنْ عَقْلِكَ!

إِيَّاكَ وَمُسَامَاةَ اللهِ فِي عَظَمَتِهِ، وَالتَّشَبُّهَ بِهِ فِي جَبَرُوتِهِ، فَإِنَّ اللهَ يُذِلُّ كُلَّ جَبَّار، وَيُهِينُ كُلَّ مُخْتَال.

أَنْصِفِ اللهَ وَأَنْصِفِ النَّاسَ مِنْ نَفْسِكَ، وَمِنْ خَاصَّةِ أَهْلِكَ، وَمَنْ لَكَ فِيهِ هَوىً مِنْ رَعِيَّتِكَ، فَإِنَّكَ إِلاَّ تَفْعَلْ تَظْلِمْ، وَمَنْ ظَلَمَ عِبَادَ اللهِ كَانَ اللهُ خَصْمَهُ دُونَ عِبَادِهِ، وَمَنْ خَاصَمَهُ اللهُ أَدْحَضَ حُجَّتَهُ، وَكَانَ لله حَرْباً حَتَّى يَنْزِعَ وَيَتُوبَ.

وَلَيْسَ شَيْءٌ أَدْعَى إِلَى تَغْيِيرِ نِعْمَةِ اللهِ وَتَعْجِيلِ نِقْمَتِهِ مِنْ إِقَامَة عَلَى ظُلْم، فَإِنَّ اللهَ سَميعٌ

دَعْوَةَ الْمَظْلُومِينَ، وَهُوَ لِلظَّالِمِينَ بِالْمِرْصَادِ.

وَلْيَكُنْ أَحَبَّ الأُمُورِ إِلَيْكَ أَوْسَطُهَا فِي الْحَقِّ، وَأَعَمُّهَا فِي الْعَدْلِ، وَأَجْمَعُهَا لِرِضَى الرَّعِيَّةِ، فَإِنَّ سُخْطَ الْعَامَّةِ يُجْحِفُ بِرِضَى الْخَاصَّةِ، وَإِنَّ سُخْطَ الْخَاصَّةِ يُغْتَفَرُ مَعَ رِضَى الْعَامَّةِ. وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الرَّعِيَّةِ، أَثْقَلَ عَلَى الْوَالِي مَؤُونَةً فِي الرَّخَاءِ، وَأَقَلَّ مَعُونَةً لَهُ فِي الْبَلاَءِ، وَأَكْرَهَ لِلإِنْصَافِ، وَأَسْأَلَ بِالإِلْحَافِ، وَأَقَلَّ شُكْراً عِنْدَ الإِعْطَاءِ، وَأَبْطَأَ عُذْراً عِنْدَ الْمَنْعِ، وَأَضْعَفَ صَبْراً عِنْدَ مُلِمَّاتِ الدَّهْرِ مِنْ أَهْلِ الْخَاصَّةِ، وَإِنَّمَا عَمادُ الدِّينِ، وَجِمَاعُ الْمُسْلِمِينَ، وَالْعُدَّةُ لِلأَعْدَاءِ، الْعَامَّةُ مِنَ الأُمَّةِ، فَلْيَكُنْ صِغْوُكَ لَهُمْ، وَمَيْلُكَ مَعَهُمْ.

وَلْيَكُنْ أَبْعَدَ رَعِيَّتِكَ مِنْكَ، وَأَشْنَأَهُمْ عِنْدَكَ، أَطْلَبُهُمْ لِمَعَائِبِ(٦) النَّاسِ، فإنَّ في النَّاسِ عُيُوباً، الْوَالِي أَحَقُّ مَنْ سَتَرَهَا، فَلاَ تَكْشِفَنَّ عَمَّا غَابَ عَنْكَ مِنْهَا، فَإِنَّمَا عَلَيْكَ تَطْهِيرُ مَا ظَهَرَ لَكَ، وَاللهُ يَحْكُمُ عَلَى مَا غَابَ عَنْكَ، فَاسْتُرِ الْعَوْرَةَ مَا اسْتَطَعْتَ يَسْتُرِ اللهُ مِنْكَ ما تُحِبُّ سَتْرَهُ مِنْ رَعِيَّتِكَ.

أَطْلِقْ عَنِ النَّاسِ عُقْدَةَ كُلِّ حِقْد، وَاقْطَعْ عَنْكَ سَبَبَ كُلِّ وِتْر، وَتَغَابَ عَنْ كلِّ مَا لاَ يَضِحُ لَكَ، وَلاَ تَعْجَلَنَّ إِلَى تَصْدِيقِ سَاع، فَإِنَّ السَّاعِيَ غَاشٌّ، وَإِنْ تَشَبَّهَ بِالنَّاصِحِينَ.

وَلاَ تُدْخِلَنَّ فِي مَشُورَتِكَ بَخِيلاً يَعْدِلُ بِكَ عَنِ الْفَضْلِ، وَيَعِدُكَ الْفَقْرَ، وَلاَ جَبَاناً يُضعِّفُكَ عَنِ الأُمُورِ، وَلاَ حَرِيصاً يُزَيِّنُ لَكَ الشَّرَهَ بِالْجَوْرِ، فَإِنَّ الْبُخْلَ وَالْجُبْنَ وَالْحِرْصَ غَرَائِزُ(١) شَتَّى يَجْمَعُهَا سُوءُ الظَّنِّ بِاللهِ.

إنّ شَرُّ وُزَرَائِكَ مَنْ كَانَ لِلأَشْرَارِ قَبْلَكَ وَزِيراً، وَمَنْ شَرِكَهُمْ فِي الآثَامِ، فَلاَ يَكُونَنَّ لَكَ بِطَانَةً، فَإِنَّهُمْ أَعْوَانُ الأَثَمَةِ، وَإِخْوَانُ الظَّلَمَةِ، وَأَنْتَ وَاجِدٌ مِنْهُمْ خَيْرَ الْخَلَفِ مِمَّنْ لَهُ مِثْلُ آرَائِهِمْ وَنَفَاذِهِمْ، وَلَيْسَ عَلَيْهِ مِثْلُ آصَارِهِمْ وَأَوْزَارِهِمْ وَآثَامِهِمْ، مِمَّنْ لَمْ يُعَاوِنْ ظَالِماً عَلَى ظُلْمِهِ، وَلاَ آثِماً عَلَى إِثْمِهِ، أُولئِكَ أَخَفُّ عَلَيْكَ مَؤُونَةً، وَأَحْسَنُ لَكَ مَعُونَةً، وَأَحْنَى عَلَيْكَ عَطْفاً، وَأَقَلُّ لِغَيْرِكَ إِلْفاً، فَاتَّخِذْ أُولئِكَ خَاصَّةً لِخَلَوَاتِكَ وَحَفَلاَتِكَ، ثُمَّ لْيَكُنْ آثَرُهُمْ عِنْدَكَ أَقْوَلَهُمْ بِمُرِّ الْحَقِّ لَكَ، وأَقَلَّهُمْ مُسَاعَدَةً فِيما يَكُونُ مِنْكَ مِمَّا كَرِهَ اللهُ لأَوْلِيَائِهِ، وَاقِعاً ذلِكَ مِنْ

هَوَاكَ حَيْثُ وَقَعَ.

وَالْصَقْ بِأَهْلِ الْوَرَعِ وَالصِّدْقِ، ثُمَّ رُضْهُمْ عَلَى أَلاَّ يُطْرُوكَ وَلاَ يُبَجِّحُوكَ بِبَاطِلٍ لَمْ تَفْعَلْهُ، فَإِنَّ كَثْرَةَ الْاطْرَاءِ تُحْدِثُ الزَّهْوَ، وَتُدْنِي مِنَ الْعِزَّةِ.

وَلاَ يَكُونَنَّ الْـمُحْسِنُ وَالْمُسِيءُ عِنْدَكَ بِمَنْزِلَة سَوَاء، فَإِنَّ فِي ذلِكَ تَزْهِيداً لاَِهْلِ الاِْحْسَانِ فِي الاِْحْسَانِ،تَدْرِيباً لاَِهْلِ الاِْسَاءَةِ عَلَى الاِْسَاءَةِ، وَأَلْزِمْ كُلاًّ مِنْهُمْ مَا أَلْزَمَ نَفْسَهُ.

وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ بِأَدْعَى إِلَى حُسْنِ ظَنِّ وَال بِرَعِيَّتِهِ مِنْ إحْسَانِهِ إِلَيْهِمْ، وَتَخْفِيفِهِ الْمَؤُونَاتِ عَلَيْهِمْ، وَتَرْكِ اسْتِكْرَاهِهِ إِيَّاهُمْ عَلَى مَا لَيْسَ لهُ قِبَلَهُمْ، فَلْيَكُنْ مِنْكَ فِي ذلِكَ أَمْرٌ يَجْتَمِعُ لَكَ بِهِ حُسْنُ الظَّنِّ بِرَعِيَّتِكَ، فَإِنَّ حُسْنَ الظَّنِّ يَقْطَعُ عَنْكَ نَصَباً طَوِيلاً، وَإِنَّ أَحَقَّ مَنْ حَسُنَ ظَنُّكَ بِهِ لَمَنْ حَسُنَ بَلاَؤُكَ عِنْدَهُ، وَإِنَّ أَحَقَّ مَنْ سَاءَ ظَنُّكَ بِهِ لَمَنْ سَاءَ بَلاَؤُكَ عِنْدَهُ.

وَلاَ تَنْقُضْ سُنَّةً صَالِحَةً عَمِلَ بِهَا صُدُورُ هذِهِ الاُْمَّةِ، وَاجْتَمَعتْ بِهَا الاُْلْفَةُ، وَصَلَحَتْ عَلَيْهَا الرَّعِيَّةُ،لاَ تُحْدِثَنَّ سُنَّةً تَضُرُّ بِشَي مِنْ مَاضِي تِلْكَ السُّنَنِ، فَيَكُونَ الاَْجْرُ لِمَنْ سَنَّهَا، وَالْوِزْرُ عَلَيْكَ بِمَا نَقَضْتَ مِنْهَا.

وَأَكْثِرْ مُدَارَسَةَ الْعُلَمَاءِ، ومناقشة [وَمُنَافَثَةَ الْحُكَمَاءِ]، فِي تَثْبِيتِ مَا صَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرُ بِلاَدِكَ، وَإِقَامَةِ مَا اسْتَقَامَ بِهِ النَّاسُ قَبْلَكَ.

وَاعْلَمْ أَنَّ الرَّعِيَّةَ طَبَقَاتٌ لاَ يَصْلُحُ بَعْضُهَا إلاَّ بِبَعْض، وَلاَ غِنَى بِبَعْضِهَا عَنْ بَعْض: فَمِنْهَا جُنُودُ اللهِ،مِنْهَا كُتَّابُ الْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ، وَمِنْهَا قُضَاةُ الْعَدْلِ، وَمِنهَا عُمَّالُ الاِْنْصَافِ وَالرِّفْقِ، وَمِنْهَا أَهْلُ الْجِزْيَةِ وَالْخَراجِ مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ وَمُسْلِمَةِ النَّاسِ، وَمِنْهَا التُّجَّارُ وَأَهْلُ الصِّنَاعَاتِ، وَمِنهَا الطَّبَقَةُ السُّفْلَى مِنْ ذَوِي الْحَاجَةِ وَالْمَسْكَنَةِ، وَكُلٌّ قَدْ سَمَّى اللهُ سَهْمَهُ، وَوَضَعَ عَلَى حَدِّهِ فَرِيضَةَ فِي كِتَابِهِ أَوْ سُنَّةِ نَبِيِّهِ صلى الله عليه وآله عَهْداً مِنْهُ عِنْدَنَا مَحْفُوظاً.

فَالْجُنُودُ، بِإِذْنِ اللهِ، حُصُونُ الرَّعِيَّةِ، وَزَيْنُ الْوُلاَةِ، وعِزُّ الدِّينِ، وَسُبُلُ الاَْمْنِ، وَلَيْسَ تَقُومُ الرَّعِيَّةُ إِلاَّ بِهِمْ.

ثُمَّ لاَ قِوَامَ لِلْجُنُودِ إِلاَّ بِمَا يُخْرِجُ اللهُ لَهُمْ مِنَ الْخَرَاجِ الَّذِي يَقْوَوْنَ بِهِ فِي جِهَادِ عَدُوِهِمْ،

وَيَعْتَمِدُونَ عَلَيْهِ فِيَما يُصْلِحُهُمْ، وَيَكُونُ مِنْ وَرَاءِ حَاجَتِهِمْ.

ثُمَّ لاَ قِوَامَ لِهذَيْنِ الصِّنْفَيْنِ إِلاَّ بِالصِّنْفِ الثَّالِثِ مِنَ الْقُضَاةِ وَالْعُمَّالِ وَالْكُتَّابِ، لِمَا يُحْكِمُونَ مِنَ الْمَعَاقِدِ، وَيَجْمَعُونَ مِنْ الْمَنَافِعِ، وَيُؤْتَمَنُونَ عَلَيْهِ مِنْ خَوَاصِّ الأُمُورِ وَعَوَامِّهَا.

وَلاَ قِوَامَ لَهُمْ جَمِيعاً إِلاَّ بِالتُّجَّارِ وَذَوِي الصِّنَاعَاتِ، فِيَما يَجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ مِنْ مَرَافِقِهِمْ، وَيُقِيمُونَهُ مِنْ أَسْوَاقِهِمْ، وَيَكْفُونَهُمْ مِنَ التَّرَفُّقِ بِأَيْدِيهِمْ ممّا لاَ يَبْلُغُهُ رِفْقُ غَيْرِهِمْ.

ثُمَّ الطَّبَقَةُ السُّفْلَى مِنْ أَهْلِ الْحَاجَةِ وَالْمَسْكَنَةِ الَّذِينَ يَحِقُّ رِفْدُهُمْ وَمَعُونَتُهُمْ.

وَفِي اللهِ لِكُلّ سَعَةٌ، وَلِكُلّ عَلَى الْوَالِي حَقٌ بِقَدْرِ مَا يُصْلِحُهُ.

وَلَيْسَ يَخْرُجُ الْوَالِي مِنْ حَقِيقَةِ مَا أَلْزَمَهُ اللهُ مِنْ ذلِكَ إِلاَّ بِالاْهْتِمامِ وَالاسْتِعَانَةِ بِاللهِ، وَتَوْطِينِ نَفْسِهِ عَلَى لُزُومِ الْحَقِّ، وَالصَّبْرِ عَلَيْهِ فِيَما خَفَّ عَلَيْهِ أَوْ ثَقُلَ.

فَوَلِّ مِنْ جُنُودِكَ أَنْصَحَهُمْ فِي نَفْسِكَ لله وَلِرَسُولِهِ وَلاِمَامِكَ، وَأَنْقَاهُمْ جَيْباً، وَأَفْضَلَهُمْ حِلْماً مِمَّنْ يُبْطِئُ عَنِ الْغَضَبِ، وَيَسْتَرِيحُ إِلَى الْعُذْرِ، وَيَرْأَفُ بِالضُّعَفَاءِ، وَيَنْبُو عَلَى الأَقْوِيَاءِ، وَمِمَّنْ لاَ يُثِيرُهُ الْعُنْفُ، وَلاَ يَقْعُدُ بِهِ الضَّعْفُ.

ثُمَّ الْصَقْ بَذَوِي الْمُرُوءَاتِ وَالأَحْسَابِ، وَأَهْلِ الْبُيُوتَاتِ الصَّالِحَةِ، وَالسَّوَابِقِ الْحَسَنَةِ، ثُمَّ أَهْلِ النَّجْدَةِ وَالشَّجَاعَةِ، وَالسَّخَاءِ وَالسَّماحَةِ، فَإِنَّهُمْ جِمَاعٌ مِنَ الْكَرَمِ، وَشُعَبٌ مِنَ الْعُرْفِ.

ثُمَّ تَفَقَّدْ مِنْ أُمُورِهِمْ مَا يَتَفَقَّدُهُ الْوَالِدَانِ مِنْ وَلَدِهِمَا، وَلاَ يَتَفَاقَمَنَّ فِي نَفْسِكَ شَيْءٌ قَوَّيْتَهُمْ بِهِ، وَلاَ تَحْقِرَنَّ لُطْفاً تَعَاهَدْتَهُمْ بِهِ وَإِنْ قَلَّ، فَإِنَّهُ دَاعِيَةٌ لَهُمْ إِلَى بَذْلِ النَّصِيحَةِ لَكَ، وَحُسْنِ الظَّنِّ بِكَ.

وَلاَ تَدَعْ تَفَقُّدَ لَطِيفِ أُمُورِهِمُ اتِّكَالاً عَلَى جَسِيمِهَا، فَإِنَّ لِلْيَسِيرِ مِنْ لُطْفِكَ مَوْضِعاً يَنْتَفِعُونَ بِهِ، وَلِلْجَسِيمِ مَوْقِعاً لاَ يَسْتَغْنُونَ عَنْهُ.

وَلْيَكُنْ آثَرُ رُؤوسِ جُنْدِكَ عِنْدَكَ مَنْ وَاسَاهُمْ فِي مَعُونَتِهِ، وَأَفْضَلَ عَلَيْهِمْ مِنْ جِدَتِهِ بِمَا يَسَعُهُمْ يَسَعُ مَنْ وَرَاءَهُمْ مِنْ خُلُوفِ أَهْلِيهِمْ، حَتَّى يَكُونَ هَمُّهُمْ هَمّاً وَاحِداً فِي جِهَادِ الْعَدُوِّ، فَإِنَّ عَطْفَكَ عَلَيْهِمْ يَعْطِفُ قُلُوبَهُمْ عَلَيْكَ.

وَإِنَّ أَفْضَلَ قُرَّةِ عَيْنِ الْوُلاَةِ اسْتِقَامَةُ الْعَدْلِ فِي الْبِلاَدِ، وَظُهُورُ مَوَدَّةِ الرَّعِيَّةِ، وَإِنَّهُ لاَ تَظْهَرُ مَوَدَّتُهُمْ إِلاَّ بَسَلاَمَةِ صُدُورِهِمْ، وَلاَ تَصِحُّ نَصِيحَتُهُمْ إِلاّ بِحِيطَتِهِمْ عَلَى وُلاَةِ [الأُمور] أُمُورِهِمْ، وَقِلَّةِ اسْتِثْقَالِ دُوَلِهِمْ، وَتَرْكِ اسْتِبْطَاءِ انْقِطَاعِ مُدَّتِهِمْ.

فَافْسَحْ فِي آمَالِهِمْ، وَوَاصِلْ فِي حُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِمْ، وَتَعْدِيدِ مَا أَبْلى ذَوُوالْبَلاَءِ مِنْهُمْ، فَإِنَّ كَثْرَةَ الذِّكْرِ لِحُسْنِ أَفْعَالِهِمْ تَهُزُّ الشُّجَاعَ، وَتُحَرِّضُ النَّاكِلَ، إِنْ شَاءَ اللهُ.

ثُمَّ اعْرِفْ لِكُلِّ امْرِى مِنْهُمْ مَا أَبْلى، وَلاَ تَضُمَّنَّ [تُضيفَنَّ] بَلاَءَ امْرِىءٍ إِلَى غَيْرِهِ، وَلاَ تُقَصِّرَنَّ بِهِ دُونَ غَايَةِ بَلاَئِهِ، وَلاَ يَدْعُوَنَّكَ شَرَفُ امْرِىءٍ إِلَى أَنْ تُعْظِمَ مِنْ بَلاَئِهِ مَاكَانَ صَغِيراً، وَلاَضَعَةُ امْرِىءٍ إِلَى أَنْ تَسْتَصْغِرَ مِنْ بَلاَئِهِ مَاكَانَ عَظِيماً.

وَارْدُدْ إِلَى الله وَرَسُولِهِ مَا يُضْلِعُكَ مِنَ الْخُطُوبِ، وَيَشْتَبِهُ عَلَيْكَ مِنَ الأُمُورِ، فَقَدْ قَالَ اللهُ سبحانه [تعالىٰ] لِقَوْم أَحَبَّ إِرْشَادَهُمْ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ﴾، فَالرَّدُّ إِلَى اللهِ: الأَخْذُ بِمُحْكَمِ كِتَابِهِ، وَالرَّدُّ إِلَى الرَّسُولِ: الأَخْذُ بِسُنَّتِهِ الْجَامِعةِ غَيْرِ الْمُفَرِّقَةِ.

ثُمَّ اخْتَرْ لِلْحُكْمِ بَيْنَ النَّاسِ أَفْضَلَ رَعِيَّتِكَ فِي نَفْسِكَ، مِمَّنْ لاَ تَضِيقُ بِهِ الأُمُورُ، وَلاَ تُمَحِّكُهُ الْخُصُومُ، وَلاَ يَتَمادَى فِي الزَّلَّةِ، وَلاَ يَحْصَرُ مِنَ الْفَيْ إِلَى الْحَقِّ إِذَا عَرَفَهُ، وَلاَ تُشْرِفُ نَفْسُهُ عَلَى طَمَع، وَلاَ يَكْتَفِي بِأَدْنَى فَهْم دُونَ أَقصَاهُ، أَوْقَفَهُمْ فِي الشُّبُهَاتِ، وَآخَذَهُمْ بِالْحُجَجِ، وَأَقَلَّهُمْ تَبَرُّماً بِمُرَاجَعَةِ الْخَصْمِ، وَأَصْبَرَهُمْ عَلَى تَكَشُّفِ الأُمُورِ، وَأَصْرَمَهُمْ عِنْدَ اتِّضَاحِ الْحُكْمِ، مِمَّنْ لاَ يَزْدَهِيهِ إِطْرَاءٌ، وَلاَ يَسْتَمِيلُهُ إِغْرَاءٌ، وأُولئِكَ قَلِيلٌ.

ثُمَّ أَكْثِرْ تَعَاهُدَ قَضَائِهِ، وافْسَحْ لَهُ فِي الْبَذْلِ مَا يُزِيلُ عِلَّتَهُ، وَتَقِلُّ مَعَهُ حَاجَتُهُ إِلَى النَّاسِ، وَأَعْطِهِ مِنَ الْمَنْزِلَةِ لَدَيْكَ مَا لاَ يَطْمَعُ فِيهِ غَيْرُهُ مِنْ خَاصَّتِكَ، لِيَأْمَنَ بِذلَكَ اغْتِيَالَ الرِّجَالِ لَهُ عِنْدَكَ.

فَانْظُرْ فِي ذلِكَ نَظَراً بِلِيغاً، فَإِنَّ هذَا الدِّينَ قَدْكَانَ أَسِيراً فِي أَيْدِي الأَشْرَارِ، يُعْمَلُ فِيهِ بِالْهَوَى، وَتُطْلَبُ بِهِ الدُّنْيَا.

ثُمَّ انْظُرْ فِي أُمُورِ عُمَّالِكَ، فَاسْتَعْمِلْهُمُ اخْتِبَاراً، وَلاَ تُوَلِّهِمْ مُحَابَاةً وأَثَرَةً، فَإِنَّهُمَا [فَإِنَّهُمْ] جِمَاعٌ مِنْ شُعَبِ الْجَوْرِ وَالْخِيَانَةِ.

وَتوَخَّ مِنْهُمْ أَهْلَ التَّجْرِبَةِ وَالْحَيَاءِ، مِنْ أَهْلِ الْبُيُوتَاتِ الصَّالِحَةِ، وَالْقَدَمِ فِي الْإِسْلاَمِ الْمُتَقَدِّمَةِ، فَإِنَّهُمْ أَكْرَمُ أَخْلاَقاً، وَأَصَحُّ أَعْرَاضاً، وَأَقَلُّ فِي الْمَطَامِعِ إِشْرَافاً، وَأَبْلَغُ فِي عَوَاقِبِ الْأُمُورِ نَظَراً.

ثُمَّ أَسْبغْ عَلَيْهِمُ الْأَرْزَاقَ، فَإِنَّ ذلِكَ قُوَّةٌ لَهُمْ عَلَى اسْتِصْلاَحِ أَنْفُسِهِمْ، وَغِنىً لَهُمْ عَنْ تَنَاوُلِ مَا تَحْتَ أَيْدِيهِمْ، وَحُجَّةٌ عَلَيْهِمْ إِنْ خَالَفُوا أَمْرَكَ أَوْ ثَلَمُوا أَمَانَتَكَ.

ثُمَّ تَفَقَّدْ أَعْمَالَهُمْ، وَابْعَثِ الْعُيُونَ مِنْ أَهْلِ الصِّدْقِ وَالوَفَاءِ عَلَيْهِمْ، فَإِنَّ تَعَاهُدَكَ فِي السِّرِّ لِأُمُورِهِمْ حَدْوَةٌ لَهُمْ عَلَى اسْتِعْمَالِ الْأَمَانَةِ، وَالرِّفْقِ بِالرَّعِيَّةِ.

وَتَحَفَّظْ مِنَ الْأَعْوَانِ، فَإِنْ أَحَدٌ مِنْهُمْ بَسَطَ يَدَهُ إِلَى خِيَانَة اجْتَمَعَتْ بِهَا عَلَيْهِ عِنْدَكَ أَخْبَارُ عُيُونِكَ، اكْتَفَيْتَ بِذلِكَ شَاهِداً، فَبَسَطْتَ عَلَيْهِ الْعُقُوبَةَ فِي بَدَنِهِ، وَأَخَذْتَهُ بِمَا أَصَابَ مِنْ عَمَلِهِ، ثُمَّ نَصَبْتَهُ بِمَقَامِ الْمَذَلَّةِ، وَ وَسَمْتَهُ بِالْخِيانَةِ، وَقَلَّدْتَهُ عَارَ التُّهَمَةِ.

وَتفَقَّدْ أَمْرَ الْخَرَاجِ بِمَا يُصْلِحُ أَهْلَهُ، فَإِنَّ فِي صلاَحِهِ وَصلاَحِهِمْ صَلاَحاً لِمَنْ سِوَاهُمْ، وَلاَ صَلاَحَ لِمَنْ سِوَاهُمْ إِلاَّ بِهِمْ، لاَنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ عِيَالٌ عَلَى الْخَرَاجِ وَأَهْلِهِ.

وَلْيَكُنْ نَظَرُكَ فِي عِمَارَةِ الْأَرْضِ أَبْلَغَ مِنْ نَظَرِكَ فِي اسْتِجْلاَبِ الْخَرَاجِ، لاَنَّ ذلِكَ لاَ يُدْرَكُ إِلاَّ بَالْعِمَارَةِ، وَمَنْ طَلَبَ الْخَرَاجَ بِغَيْرِ عِمَارَة أَخْرَبَ الْبِلاَدَ، وَأَهْلَكَ الْعِبَادَ، وَلَمْ يَسْتَقِمْ أَمْرُهُ إِلاَّ قَلِيلاً.

فَإِنْ شَكَوْا ثِقَلاً أَوْ عِلَّةً، أَوِ انْقِطَاعَ شِرْب أَوْ بَالَّة، أَوْ إِحَالَةَ أَرْض اغْتَمَرَهَا غَرَقٌ، أَوْ أَجْحَفَ بِهَا عَطَشٌ، خَفَّفْتَ عَنْهُمْ بِما تَرْجُو أَنْ يصْلُحَ بِهِ أَمْرُهُمْ، وَلاَ يَثْقُلَنَّ عَلَيْكَ شَيْءٌ خَفَّفْتَ بِهِ الْمَؤُونَةَ عَنْهُمْ، فَإِنَّهُ ذُخْرٌ يَعُودُونَ بِهِ عَلَيْكَ فِي عِمَارَةِ بِلادِكَ، وَتَزْيِينِ وِلاَيَتِكَ، مَعَ اسْتِجْلاَبِكَ حُسْنَ ثَنَائِهِمْ، وَتَبَجُّحِكَ بِاسْتِفَاضَةِ الْعَدْلِ فِيهِمْ، مُعْتَمِداً فَضْلَ قُوَّتِهِمْ، بِمَا ذَخَرْتَ عِنْدَهُمْ مِنْ إِجْمَامِكَ لَهُمْ، وَالثِّقَةَ مِنْهُمْ بِمَا عَوَّدْتَهُمْ مِنْ عَدْلِكَ عَلَيْهِمْ فِي رِفْقِكَ بِهِمْ، فَرُبَّمَا حَدَثَ مِنَ

الأُمُورِ مَا إِذَا عَوَّلْتَ فِيهِ عَلَيْهِمْ مِنْ بَعْدُ احْتَمَلُوهُ طَيِّبَةً أَنْفُسُهُمْ بِهِ، فَإِنَّ الْعُمْرَانَ مُحْتَمِلٌ مَا حَمَّلْتَهُ، وَإِنَّمَا يُؤْتَى خَرَابُ الأَرْضِ مِنْ إِعْوَازِ أَهْلِهَا،إِنَّمَا يُعْوِزُ أَهْلُهَا لإِشْرَافِ أَنْفُسِ الْوُلاَةِ عَلَى الْجَمْعِ، وَسُوءِ ظَنِّهِمْ بِالْبَقَاءِ، وَقِلَّةِ انْتِفَاعِهِمْ بِالْعِبَرِ.

ثُمَّ انْظُرْ فِي حَالِ كُتَّابِكَ، فَوَلِّ عَلَى أُمُورِكَ خَيْرَهُمْ، وَاخْصُصْ رَسَائِلَكَ الَّتِي تُدْخِلُ فِيهَا مَكَائِدَكَ وأَسْرَارَكَ بِأَجْمَعِهِمْ لِوُجُودِ صَالِحِ الأَخْلاَقِ مِمَّنْ لاَ تُبْطِرُهُ الْكَرَامَةُ، فَيَجْتَرِئَ بِهَا عَلَيْكَ فِي خِلاَف لَكَ بِحَضْرَةِ مَلاَ، وَلاَ تَقْصُرُ بِهِ الْغَفْلَةُ عَنْ إِيرَادِ مُكَاتَبَاتِ عُمَّالِكَ عَلَيْكَ، وَإِصْدَارِ جَوَابَاتِهَا عَلَى الصَّوابِ عَنْكَ، وَفِيمَا يَأْخُذُ لَكَ وَيُعْطِي مِنْكَ، وَلاَ يُضعِفُ عَقْداً اعْتَقَدَهُ لَكَ، وَلاَ يَعْجِزُ عَنْ إِطْلاَقِ مَا عُقِدَ عَلَيْكَ، وَلاَ يَجْهَلُ مَبْلَغَ قَدْرِ نَفسِهِ فِي الأُمُورِ، فَإِنَّ الْجَاهِلَ بِقَدْرِ نَفْسِهِ يَكُونُ بَقَدْرِ غَيْرِهِ أَجْهَلَ.

ثُمَّ لاَ يَكُنِ اخْتِيَارُكَ إِيَّاهُمْ عَلَى فِرَاسَتِكَ وَاسْتِنَامَتِكَ وَحُسْنِ الظَّنِّ مِنْكَ، فَإِنَّ الرِّجَالَ يَتَعَرَّفُونَ[يَتَعَرَّضُونَ] لِفِرَاسَاتِ الْوُلاَةِ بِتَصَنُّعِهِمْ وَحُسْنِ خِدْمَتِهِمْ[حَديثِهِمْ]، ولَيْسَ وَرَاءَ ذلِكَ مِنَ النَّصِيحَةِ وَالأَمَانَةِ شَيْءٌ، وَلكِنِ اخْتَبِرْهُمْ بِمَا وَلُوا لِلصَّالِحِينَ قَبْلَكَ، فَاعْمِدْ لأَحْسَنِهِمْ كَانَ فِي الْعَامَّةِ أَثَراً، وَأَعْرَفِهِمْ بِالأَمَانَةِ وَجْهاً، فَإِنَّ ذلِكَ دَلِيلٌ عَلَى نَصِيحَتِكَ لله وَلِمَنْ وَلِيتَ أَمْرَهُ.

وَاجْعَلْ لِرَأْسِ كُلِّ أَمْر مِنْ أُمُورِكَ رَأْساً مِنْهُمْ، لاَ يَقْهَرُهُ كَبِيرُهَا، وَلاَ يَتَشَتَّتُ عَلَيْهِ كَثِيرُهَا، وَمَهْمَا كَانَ فِي كُتَّابِكَ مِنْ عَيْب فَتَغَابَيْتَ عَنْه أُلْزِمْتَهُ.

ثُمَّ اسْتَوْصِ بِالتُّجَّارِ وَذَوِي الصِّنَاعَاتِ، وَأَوْصِ بِهِمْ خَيْراً: الْمُقِيمِ مِنْهُمْ، وَالْمُضْطَرِبِ بِمَالِهِ، وَالْمُتَرَفِّقِ بِبَدَنِهِ[بِيَدَيْهِ]، فَإِنَّهُمْ مَوَادُّ الْمَنَافِعِ، وَأَسْبَابُ الْمَرَافِقِ، وَجُلاَّبُهَا مِنَ الْمَباعِدِ وَالْمَطَارِحِ، فِي بَرِّكَ وَبَحْرِكَ، وَسَهْلِكَ وَجَبَلِكَ، وَحَيْثُ لاَ يَلْتَئِمُ النَّاسُ لِمَوَاضِعِهَا، وَلاَ يَجْتَرِئُونَ عَلَيْهَا، فَإِنَّهُمْ سِلْمٌ لاَ تُخَافُ بَائِقَتُهُ، وَصُلْحٌ لاَ تُخْشَى غَائِلَتُهُ، وَتَفَقَّدْ أُمُورَهُمْ بِحَضْرَتِكَ وَفِي حَوَاشِي بِلاَدِكَ.

وَاعْلَمْ ـ مَعَ ذلِكَ ـ أَنَّ فِي كَثِير مِنْهُمْ ضِيقاً فَاحِشاً، وَشُحّاً قَبِيحاً، وَاحْتِكَاراً لِلْمَنَافِعِ، وَتَحَكُّماً فِي الْبِيَاعَاتِ، وَذلِكَ بَابُ مَضَرَّة لِلْعَامَّةِ، وَعَيْبٌ عَلَى الْوُلاَةِ، فَامْنَعْ مِنَ الاْحْتِكَارِ،

فَإِنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله مَنَعَ مِنْهُ.

وَلْيَكُنِ الْبَيْعُ بَيْعاً سَمْحاً: بِمَوَازِينِ عَدْل، وَأَسْعَار لاَ تُجْحِفُ بِالْفَرِيقَيْنِ مِنَ الْبَائِعِ وَالْمُبْتَاعِ، فَمَنْ قَارَفَ حُكْرَةً بَعْدَ نَهْيِكَ إِيَّاهُ فَنَكِّلْ، وَعاقِبْهُ فِي غَيْرِ إِسْرَاف.

ثُمَّ اللهَ اللهَ فِي الطَّبَقَةِ السُّفْلَى مِنَ الَّذِينَ لاَ حِيلَةَ لَهُمْ وَالْمَسَاكِين وَالْمُحْتَاجِينَ وَأَهْلِ الْبُؤْسَى وَالزَّمْنَى، فإِنَّ فِي هذِهِ الطَّبَقَةِ قَانِعاً وَمُعْتَرّاً، وَاحْفَظْ لله مَا اسْتَحْفَظَكَ مِنْ حَقِّهِ فِيهِمْ، وَاجْعَلْ لَهُمْ قِسماً مِنْ بَيْتِ مَالِكَ، وَقِسماً مِنْ غَلاَّتِ صَوَافِي الْإِسْلاَمِ فِي كُلِّ بَلَد، فإِنَّ لِلأَقْصَى مِنْهُمْ مِثْلَ الَّذِي لِلأَدْنَى، وَكُلٌّ قَدِ اسْتُرْعِيتَ حَقَّهُ، فَلاَ يَشْغَلَنَّكَ عَنْهُمْ بَطَرٌ، فَإِنَّكَ لاَ تُعْذَرُ بِتَضييعِكَ [بِتَضْيِيعِ] التَّافِهَ لإِحْكَامِكَ الْكَثِيرَ الْمُهِمَّ.

فَلاَ تُشْخِصْ هَمَّكَ عَنْهُمْ، وَلاَ تُصَعِّرْ خَدَّكَ لَهُمْ، وَتَفَقَّدْ أُمُورَ مَنْ لاَ يَصِلُ إِلَيْكَ مِنْهُمْ مِمَّنْ تَقْتَحِمُهُ الْعُيُونُ، وَتَحْقِرُهُ الرِّجَالُ، فَفَرِّغْ لأُولئِكَ ثِقَتَكَ مِنْ أَهْلِ الْخَشْيَةِ وَالتَّوَاضُعِ، فَلْيَرْفَعْ إِلَيْكَ أُمُورَهُمْ، ثُمَّ اعْمَلْ فِيهِمْ بَالإِعْذَارِ إِلَى اللهِ تَعَالَى يَوْمَ تَلْقَاهُ، فَإِنَّ هؤُلاَءِ مِنْ بَيْنِ الرَّعِيَّةِ أَحْوَجُ إِلَى الإِنْصَافِ مِنْ غَيْرِهِمْ، وَكُلٌّ فَأَعْذِرْ إِلَى اللهِ فِي تَأْدِيَةِ حَقِّهِ إِلَيهِ.

وَتَعَهَّدْ أَهْلَ الْيُتْمِ وَذَوِي الرِّقَّةِ فِي السِّنِّ مِمَّنْ لاَ حِيلَةَ لَهُ، وَلاَ يَنْصِبُ لِلْمَسْأَلَةِ نَفْسَهُ، وَذلِكَ عَلَى الْوُلاَةِ ثَقِيلٌ، وَالْحَقُّ كُلُّهُ ثَقِيلٌ، وَقَدْ يُخَفِّفُهُ اللهُ عَلَى أَقْوَام طَلَبُوا الْعَاقِبَةَ فَصَبَّرُوا أَنْفُسَهُمْ، وَوَثِقُوا بِصِدْقِ مَوْعُودِ اللهِ لَهُمْ.

وَاجْعلْ لِذَوِي الْحَاجَاتِ مِنْكَ قِسْماً تُفَرِّغُ لَهُمْ فِيهِ شَخْصَكَ، وَتَجْلِسُ لَهُمْ مَجْلِساً عَامّاً، فَتَتَواضَعُ فِيهِ لله الَّذِي خَلَقَكَ، وَتُقْعِدُ عَنْهُمْ جُنْدَكَ وَأَعْوَانَكَ مِنْ أَحْرَاسِكَ وَشُرَطِكَ، حَتَّى يُكَلِّمَكَ مُتَكَلِّمُهُمْ غَيْرَ مُتَتَعْتِعٍ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ عليه السلام يَقُولُ فِي غَيْرِ مَوْطِن: "لَنْ تُقَدَّسَ أُمَّةٌ لاَ يُؤْخَذُ لِلضَّعِيفِ فِيهَا حَقُّهُ مِنَ الْقَوِيِّ غَيْرَ مُتَتَعْتِعٍ. ثُمَّ احْتَمِلِ الْخُرْقَ مِنْهُمْ وَالْعِيَّ، وَنَحِّ عَنْهُمُ الضِّيقَ وَالأَنَفَ، يَبْسُطِ اللهُ عَلَيْكَ بَذلِكَ أَكْنَافَ رَحْمَتِهِ، وَيُوجِبُ لَكَ ثَوَابَ طَاعَتِهِ، وَأَعْطِ مَا أَعْطَيْتَ هَنِيئاً، وَامْنَعْ فِي إِجْمَال وَإِعْذَار!

ثُمَّ أُمُورٌ مِنْ أُمُورِكَ لاَ بُدَّ لَكَ مِنْ مُبَاشَرَتِهَا: مِنْهَا إِجَابَةُ عُمَّالِكَ بِمَا يَعْيَا عَنْهُ كُتَّابُكَ، وَمِنْهَا

إِصْدَارُ حَاجَاتِ النَّاسِ عِنْدَ [يَوْمَ] وَرُودِهَا عَلَيْكَ بما تَحْرَجُ بِهِ صُدُورُ أَعْوَانِكَ.

وَأَمْضِ لِكُلِّ يَوْمٍ عَمَلَهُ، فإنَّ لِكُلِّ يَوْمٍ مَا فِيهِ، وَاجْعَلْ لِنَفْسِكَ فِيما بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللهِ أَفْضَلَ تِلْكَ الْمَوَاقِيتِ، وَأَجْزَلَ تِلْكَ الأَقْسَامِ، وَإِنْ كَانَتْ كُلُّهَا لله إِذَا صَلَحَتْ فيهَا النِّيَّةُ، وَسَلِمَتْ مِنْهَا الرَّعِيَّةُ.

وَلْيَكُنْ فِي خَاصَّةِ مَا تُخْلِصُ لله بِهِ دِينَكَ: إِقَامَةُ فَرَائِضِهِ الَّتي هِيَ لَهُ خَاصَّةً، فَأَعْطِ اللهَ مِن بَدَنِكَ فِي لَيْلِكَ وَنَهَارِكَ، وَوَفِّ مَا تَقَرَّبْتَ بِهِ إِلَى اللهِ مِنْ ذلِكَ كَاملاً غَيْرَ مَثْلُوم وَلاَ مَنْقُوص، بَالِغاً مِنْ بَدَنِكَ مَا بَلَغَ.

وَإِذَا قُمْتَ فِي صلاَتِكَ لِلنَّاسِ، فَلاَ تَكُونَنَّ مُنَفِّراً وَلاَ مُضَيِّعاً، فَإِنَّ فِي النَّاسِ مَنْ بِهِ الْعِلَّةُ وَلَهُ الْحَاجَةُ. وَقَدْ سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله حِينَ وَجَّهَنِي إِلَى اليَمنِ كَيْفَ أُصَلِّي بِهِمْ؟ فَقَالَ: "صَلِّ بِهِمْ كَصَلاَةِ أَضْعَفِهِمْ، وَكُنْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً".

وَأَمَّا بَعْدَ هذا، فَلاَ تُطَوِّلَنَّ احْتِجَابَكَ عَنْ رَعِيَّتِكَ، فَإِنَّ احْتِجَابَ الْوُلاَةِ عَنِ الرَّعِيَّةِ شُعْبَةٌ مِنَ الضِّيقِ، وَقِلَّةُ عِلْمٍ بِالأُمُورِ، وَالاْحْتِجَابُ مِنْهُمْ يَقْطَعُ عَنْهُمْ عِلْمَ مَا احْتَجَبُوا دونَهُ فَيَصْغُرُ عِندَهُمُ الْكَبِيرُ، وَيَعْظَمُ الصَّغِيرُ، وَيَقْبُحُ الْحَسَنُ، وَيَحْسُنُ الْقَبِيحُ، وَيُشَابُ الْحَقُّ بِالْبَاطِلِ، وَإِنَّمَا الْوَالِي بَشَرٌ لاَ يَعْرِفُ مَا تَوَارَى عَنْهُ النَّاسُ بِهِ مِنَ الأُمُورِ، وَلَيْسَتْ عَلَى الْحَقِّ سِمَاتٌ تُعْرَفُ بِهَا ضُرُوبُ الصِّدْقِ مِنَ الْكَذِبِ، وَإِنَّمَا أَنْتَ أَحَدُ رَجُلَيْنِ: إِمَّا امْرُؤٌ سَخَتْ نَفْسُكَ بِالْبَذْلِ فِي الْحَقِّ، فَفِيمَ احْتِجَابُكَ مِنْ وَاجِبِ حَقٍّ تُعْطِيهِ، أَوْ فِعْلٍ كَرِيم تُسْدِيهِ، أَوْ مُبْتَلًى بِالْمَنعِ، فَمَا أَسْرَعَ كَفَّ النَّاسِ عَنْ مَسْأَلَتِكَ إِذَا أَيِسُوا مِنْ بَذْلِكَ! مَعَ أَنَّ أَكْثَرَ حَاجَاتِ النَّاسِ إِلَيْكَ ما لاَ مَؤُونَةَ فِيهِ عَلَيْكَ، مِنْ شَكَاةِ مَظْلِمَة، أَوْ طَلَبِ إِنْصاف فِي مُعَامَلَة.

ثُمَّ إِنَّ لِلْوَالِي خَاصَّةً وبِطَانَةً، فِيهِمُ اسْتِئْثَارٌ وَتَطَاوُلٌ، وَقِلَّةُ إِنْصَاف فِي مُعَامَلَة، فَاحْسِمْ مَادَّةَ أُولئِكَ بِقَطْعِ أَسْبَابِ تِلْكَ الأَحْوَالِ، وَلاَ تُقْطِعَنَّ لأَحَد مِنْ حَاشِيتِكَ وَحَامَّتِكَ قَطِيعةً، وَلاَ يَطْمَعَنَّ مِنْكَ فِي اعْتِقَادِ عُقْدَة، تَضُرُّ بِمَنْ يَلِيهَا مِنَ النَّاسِ، فِي شِرْب أَوْ عَمَل مُشْتَرَك، يَحْمِلُونَ مَؤُونَتَهُ عَلَى غَيْرِهِمْ، فَيَكُونَ مَهْنَأُ ذلِكَ لَهُمْ دُونَكَ، وَعَيْبُهُ عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ.

وَأَلْزِمِ الْحَقَّ مَنْ لَزِمَهُ مِنَ الْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ، وَكُنْ فِي ذلِكَ صَابِراً مُحْتَسِباً، وَاقِعاً ذلِكَ مِنْ قَرَابَتِكَ وخَاصَّتِكَ حَيْثُ وَقَعَ، وَابْتَغِ عَاقِبَتَهُ بِمَا يَثْقُلُ عَلَيْكَ مِنْهُ، فَإِنَّ مَغَبَّةَ ذلِكَ مَحْمُودَةٌ.

وَإِنْ ظَنَّتِ الرَّعِيَّةُ بِكَ حَيْفاً، فَأَصْحِرْ لَهُمْ بِعُذْرِكَ، وَاعْدِلْ عَنكَ ظُنُونَهُمْ بِإِصْحَارِكَ، فَإِنَّ فِي ذلِكَ رِيَاضَةً مِنْكَ لِنَفْسِكَ، وَرِفْقاً بِرَعِيَّتِكَ، وَإِعْذَاراً تَبْلُغُ فِيه حَاجَتَكَ مِنْ تَقْوِيمِهِمْ عَلَى الْحَقِّ.

وَلاَ تَدْفَعَنَّ صُلْحاً دَعَاكَ إِلَيْهِ عَدُوُّكَ ولله فِيهِ رِضىً، فإِنَّ فِي الصُّلْحِ دَعَةً لِجُنُودِكَ، وَرَاحَةً مِنْ هُمُومِكَ، وأَمْناً لِبِلاَدِكَ، وَلَكِنِ الْحَذَرَكُلَّ الْحَذَرِ مِنْ عَدُوِّكِ بَعْدَ صُلْحِهِ، فَإِنَّ الْعَدُوَّ رُبَّمَا قَارَبَ لِيَتَغَفَّلَ، فَخُذْ بِالْحَزْمِ، وَاتَّهِمْ فِي ذلِكَ حُسْنَ الظَّنِّ.

وَإِنْ عَقَدْتَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ عَدُوِّكَ عُقْدَةً، أَوْ أَلْبَسْتَهُ مِنْكَ ذِمَّةً، فَحُطْ عَهْدَكَ بِالْوَفَاءِ، وَارْعَ ذِمَّتَكَ بِالأَمَانَةِ، وَاجْعَلْ نَفْسَكَ جُنَّةً دُونَ مَا أَعْطَيْتَ، فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ فَرَائِضِ اللهِ شَيْءٌ، النَّاسُ أَشَدُّ عَلَيْهِ اجْتِماعاً، مَعَ تَفْرِيقِ أَهْوَائِهِمْ، وَتَشْتِيتِ آرَائِهِمْ، مِنَ تَعْظِيمِ الْوَفَاءِ بِالْعُهُودِ، وَقَدْ لَزِمَ ذلِكَ الْمُشْرِكُونَ فِيما بَيْنَهُمْ دُونَ الْمُسْلِمِينَ لِمَا اسْتَوْبَلُوا مِنْ عَوَاقِبِ الْغَدْرِ، فَلاَ تَغْدِرَنَّ بِذِمَّتِكَ، وَلاَ تَخِيسَنَّ بَعَهْدِكَ، وَلاَ تَخْتِلَنَّ عَدُوَّكَ، فَإِنَّهُ لاَ يَجْتَرِئُ عَلَى اللهِ إِلاَّ جَاهِلٌ شَقِيٌّ.

وَقَدْ جَعَلَ اللهُ عَهْدَهُ وَذِمَّتَهُ أَمْناً أَفْضَاهُ بَيْنَ الْعِبَادِ بِرَحْمَتِهِ، وَحَرِيماً يَسْكُنُونَ إِلَى مَنَعَتِهِ، يَسْتَفِيضُونَ إِلَى جِوَارِهِ، فَلاَ إِدْغَالَ، وَلاَ مُدَالَسَةَ، وَلاَ خِدَاعَ فِيهِ، وَلاَ تَعْقِدْ عَقْداً تَجُوزُ فِيهِ الْعِلَلُ، وَلاَ تُعَوِّلَنَّ عَلَى لَحْنِ القَوْل بَعْدَ التَّأْكِيدِ وَالتَّوْثِقَةِ، وَلاَ يَدْعُوَنَّكَ ضِيقُ أَمْر لَزِمَكَ فِيهِ عَهْدُ اللهِ، إِلَى طَلَبِ انْفِسَاخِهِ بِغَيْرِ الْحَقِّ، فَإِنَّ صَبْرَكَ عَلَى ضِيق تَرْجُو انْفِرَاجَهُ وَفَضْلَ عَاقِبَتِهِ، خَيْرٌ مِنْ غَدْر تَخَافُ تَبِعَتَهُ، وَأَنْ تُحِيطَ بِكَ مِنَ اللهِ فِيهِ طَلِبَةٌ، لاَتَسْتَقِيلُ فِيهَا دُنْيَاكَ وَلاَ آخِرَتَكَ.

إِيَّاكَ وَالدِّمَاءَ وَسَفْكَهَا بِغَيْرِ حِلِّهَا، فَإِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ أَدْعَى لِنِقْمَة، وَلاَ أَعْظَمَ لِتَبِعَة، وَلاَ أَحْرَى بِزَوَالِ نِعْمَة، وَانْقِطَاعِ مُدَّة، مِنْ سَفْكِ الدِّمَاءِ بِغَيْرِ حَقِّهَا، وَاللهُ سُبْحَانَهُ مُبْتَدِئٌ بِالْحُكْمِ بَيْنَ الْعِبَادِ، فِيَما تَسَافَكُوا مِنَ الدِّمَاءِ يَوْمَ الْقِيَامةِ، فَلاَ تُقَوِّيَنَّ سُلْطَانَكَ بِسَفْكِ دَم حَرَام، فَإِنَّ ذلِكَ مِمَّا يُضْعِفُهُ وَيُوهِنُهُ، بَلْ يُزِيلُهُ وَيَنْقُلُهُ، وَلاَ عُذْرَ لَكَ عِنْدَ اللهِ وَلاَ عِنْدِي فِي قَتْلِ الْعَمدِ،

لأَنَّ فِيهِ قَوَدَ الْبَدَنِ، وَإِنِ ابْتُلِيتَ بِخَطَإٍ وَأَفْرَطَ عَلَيْكَ سَوْطُكَ أَوْ سَيْفُكَ أَوْ يَدُكَ بِعُقُوبَة، فَإِنَّ فِي الْوَكْزَةِ فَمَا فَوْقَهَا مَقْتَلَةً، فَلاَ تَطْمَحَنَّ بِكَ نَخْوَةُ سُلْطَانِكَ عَنْ أَنْ تُؤَدِّيَ إِلَى أَوْلِيَاءِ الْـمَقْتُول حَقَّهُمْ.

وَإِيَّاكَ وَالأِعْجَابَ بِنَفْسِكَ، وَالثِّقَةَ بِمَا يُعْجِبُكَ مِنْهَا، وَحُبَّ الإِطْرَاءِ، فَإِنَّ ذلِكَ مِنْ أَوْثَقِ فُرَصِ الشَّيْطَانِ فِي نَفْسِهِ، لِيَمْحَقَ مَا يَكُونُ مِنْ إِحْسَانِ الْـمُحْسِنِينَ.

وَإِيَّاكَ وَالْمَنَّ عَلَى رَعِيَّتِكَ بِإِحْسَانِكَ، أَوِ التَّزَيُّدَ فِيماكَانَ مِنْ فِعْلِكَ، أَوْ أَنْ تَعِدَهُمْ فَتُتْبِعَ مَوْعِدَكَ بِخُلْفِكَ، فَإِنَّ الْمَنَّ يُبْطِلُ الإِحْسَانَ، وَالتَّزَيُّدَ يَذْهَبُ بِنُورِ الْحَقِّ، وَالخُلْفَ يُوجِبُ الْمَقْتَ عِنْدَاللهِ وَالنَّاسِ، قَالَ اللهُ تَعالىٰ: ﴿كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لاَ تَفْعَلُونَ﴾ وإِيَّاكَ وَالْعَجَلَةَ بِالأُمُورِ قَبْلَ أَوَانِهَا، أَوِ تَسَقُّطَ فِيهَا عِنْدَ إِمْكَانِهَا، أَوِ اللَّجَاجَةَ فِيهَا إِذا تَنَكَّرَتْ، أَوِ الْوَهْنَ عَنْهَا إِذَا اسْتَوْضَحَتْ، فَضَعْ كُلَّ أَمْر مَوْضِعَهُ، وَأَوْقِعْ كُلَّ عَمَل مَوْقِعَهُ.

وَإِيَّاكَ وَالاسْتِئْثَارَ بِمَا النَّاسُ فِيهِ أُسْوَةٌ، وَالتَّغَابِيَ عَمَّا تُعْنَى بِهِ مِمَّا قَدْ وَضَحَ لِلْعُيُونِ، فَإِنَّهُ مَأْخُوذٌ مِنْكَ لِغَيْرِكَ، وَعَمَّا قَلِيل تَنْكَشِفُ عَنْكَ أَغْطِيَةُ الأُمُورِ، وَيُنْتَصَفُ مِنْكَ لِلْمَظْلُومِ، إمْلِكْ حَمِيَّةَ أَنْفِكَ، وَسَوْرَةَ حَدِّكَ، وَسَطْوَةَ يَدِكَ، وَغَرْبَ لِسَانِكَ، وَاحْتَرِسْ مِنْ كُلِّ ذلِكَ بِكَفِّ الْبَادِرَةِ، وَتَأْخِيرِ السَّطْوَةِ، حَتَّى يَسْكُنَ غَضَبُكَ فَتَمْلِكَ الاْخْتِيَارَ، وَلَنْ تَحْكُمْ ذلِكَ مِنْ نَفْسِكَ حَتَّى تُكْثِرَ هُمُومَكَ بِذِكْرِ الْمَعَادِ إِلَى رَبِّكَ.

وَالْوَاجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَتَذَكَّرَ مَا مَضَى لِمَنْ تَقَدَّمَكَ: مِنْ حُكُومَة عَادِلَة، أَوْ سُنَّة فَاضِلَة، أَوْ أَثَر عَنْ نَبِيِّنَا صلى الله عليه وآله أَوْفَرِيضَة فِي كِتَابِ اللهِ، فَتَقْتَدِيَ بِمَا شَاهَدْتَ مِمَّا عَمِلْنَا بِهِ فِيهَا، وَتَجْتَهِدَ لِنَفْسِكَ فِي اتِّبَاعِ مَا عَهِدْتُ إِلَيْكَ فِي عهْدِي هذَا، وَاسْتَوْثَقْتُ بِهِ مِنَ الْحُجَّةِ لِنَفْسِي عَلَيْكَ، لِكَيْلاَ تَكُونَ لَكَ عِلَّةٌ عِنْدَ تَسَرُّعِ نَفْسِكَ إِلَى هَوَاهَا، [فَلَنْ يَعْصِمَ مِنَ السُّوءِ وَلاَ يُوَفِّقَ لِلْخَيْرِ إلاَّ اللهُ تَعَالى. وَقَدْكَانَ فِيَما عَهِدَ إليَّ رَسُولُ اللهِ عليه السلام فِي وَصَايَاهُ: تَحضِيضٌ عَلَى الصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ"، فَبِذَلِكَ أَخْتِمُ لَكَ مَا عَهِدَ، وَلاَ قُوَّةَ إلاَّ بِاللهِ العَظِيمِ].

ومن هذا العهد وهو آخره

وَأَنَا أَسْأَلُ اللهَ بِسَعَةِ رَحْمَتِهِ، وَعَظِيمِ قُدْرَتِهِ عَلَى إِعْطَاءِ كُلِّ رَغْبَة [رَغيبَةٍ]، أَنْ يُوَفِّقَنِي وَإِيَّاكَ لِمَا فيهِ رِضَاهُ مِنَ الْإِقَامَةِ عَلَى الْعُذْرِ الْوَاضِحِ إِلَيْهِ وَإِلَى خَلْقِهِ، مَعَ حُسْنِ الثَّنَاءِ فِي الْعِبَادِ، وَجَمِيلِ الأَثَرِ فِي الْبِلاَدِ، وَتَمَامِ النِّعْمَةِ، وَتَضْعِيفِ الْكَرَامَةِ، وَأَنْ يَخْتِمَ لِي وَلَكَ بالسَّعَادَةِ وَالشَّهَادَةِ، إِنَّا إِلَيْهِ راجِعونَ [رَاغِبُونَ]، وَالسَّلاَمُ عَلَى رَسُولِ اللهِ وَآلِهِ الطَّيبينَ الطَّاهرينَ» وَسَلَّم تَسْلِيماً كَثيراً. وَالسَّلَام.

٧ ـ في رحاب العبادات والفرائض :

قال (عليه السلام): «إنّ الله سبحانه فرض عليكم فرائض فلا تضيّعوها، وحدّ لكم حدوداً فلا تعتدوها، ونهاكم عن أشياء فلا تنتهكوها، وسكت عن أشياء ولم يدعها نسياناً فلا تتكلّفوها، ولم يأمركم إلّا بحسن، ولم ينهكم إلّا عن قبيح.

وقال (عليه السلام) : عليك بحفظ كلّ أمر لا تعذر بإضاعته.

وقال: أوّل ما يجب عليكم لله سبحانه شُكر أياديه وابتغاء مراضيه، وطوبىٰ لمن حافظ على طاعة ربّه، وسارعوا إلى فعل الطاعات وسابقوا إلى فعل الصالحات، فإن قصّرتم فإيّاكم أن تقصّروا عن أداء الفرائض، ولا قربة بالنوافل إذا أضرّت بالفرائض، ولا عبادة كأداء الفرائض.

واهتمّ الإمام (عليه السلام) ببيان فلسفة جملة من التشريعات قائلاً : فرض الله سبحانه الإيمان تطهيراً من الشرك، والصلاة تنزيهاً عن الكبر، والزكاة تسبيباً للرزق، والصيام ابتلاءً لإخلاص الخلق، والحجّ تقوية للدين، والجهاد عزّاً للإسلام، والأمر بالمعروف مصلحة للعوام، والنهي عن المنكر ردعاً للسفهاء، وصلة الأرحام منماةً للعدد، والقصاص حقناً للدماء، وإقامة الحدود إعظاماً للمحارم، وترك شرب الخمر تحصيناً للعقل، ومجانبة السرقة إيجاباً للعفّة، وترك الزنا تحصيناً للأنساب، وترك اللواط تكثيراً للنسل، والشهادة استظهاراً على المجاحدات، وترك الكذب تشريفاً للصدق، والإسلام أماناً من المخاوف، والإمامة نظاماً للأمّة، والطاعة تعظيماً للإمامة.

وقال (عليه السلام) أيضاً: **زكاة البدن الجهاد والصيام، وزيارة بيت الله أمن من عذاب جهنّم.**

وقال (عليه السلام): **وَأْمُرْ بالمعروف تكن من أهله، وأنكِر المنكر بيدك ولسانك وبايِن من فعله بجُهدِك، وغاية الدين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإقامة الحدود، والجهاد عماد الدين ومنهاج السعداء، ومن جاهد علىٰ إقامة الحقّ وفِّق، والمجاهدون تفتّح لهم أبواب السماء، وثواب الجهاد أعظم الثواب»**(١).

٨ ـ في رحاب الأخلاق والتربية:

اعتنى الإمام المرتضىٰ (عليه السلام) بتربية المجتمع الإسلامي والإنساني وحاول أن يعالج الانحراف الأخلاقي في الإنسان من خلال التعرّف على جذوره العميقة أوّلاً، فوصف الداء الأساس كما وصفه الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) بقوله (عليه السلام): **ألا وإنّ حبّ الدنيا رأس كلّ خطيئة.** ثمّ بيّن السبب الأعمق الكامن في هذا الحبّ حينما أوضح الأسباب العميقة التي كانت تكمن وراء التآمر على الاُطروحة النبويّة للخلافة والسرّ في استلاب الحكم منه بالرغم من تواتر النصوص النبويّة الكثيرة وإتمام الحجّة علىٰ المسلمين قائلاً: **بلىٰ لقد سمعوها ووعَوْها ولكن حليت الدنيا في أعينهم وراقهم زبرجها.**

والذي يترتّب على هذا الحبّ الشديد أنّ الإنسان سوف يفقد بصيرته ويُشلّ عقله وحينئذٍ سيستخدم مختلف الوسائل للوصول إلى ما يأخذ بلبّه ويصبوا إليه فإنّ **«حبّك للشيء يُعمي ويصمّ»** ولهذا برّر الخلفاء تقمّصهم الخلافة بمختلف التبريرات التي دحضتها حجج الإمام (عليه السلام) الدامغة، ولكن استمرّ التحدي والإصرار على الموقف الذي أدانه الإمام (عليه السلام). وإذا سألنا الإمام (عليه السلام) عن الدواء الناجع لعلاج

---

(١) تصنيف غرر الحكم: ١٧٥ ـ ١٩٠ و ٣٣١ ـ ٣٣٥، والمعجم الموضوعي لنهج البلاغة: ١٤٠ ـ ١٥٠ و٢١٦ ـ ٢٣٩.

هذا المستوى من الانحراف؛ وجدنا الجواب جاهزاً في الخطبة التي تضمّنت وصفه الدقيق للمتّقين وهي الخطبة المعروفة بخطبة همّام حيث وضّح السرّ الذي أوصلهم إلى هذه المرتبة من الكمال المتمثّل بالتقوىٰ بقوله: **«لقد عظم الخالق في أنفسهم فصغر ما دونه في أعينهم»**. وهكذا تكون المعرفة الحقيقية بالله العظيم سبباً في حقارة الدنيا في أعين عباده المتّقين، وإذا صغرت الدنيا في أعينهم؛ لم تكن الدنيا غاية همّتهم ولم يحرصوا على اقتنائها، كما لم يحرص عليّ بن أبي طالب(عليه السلام) عليها فقد تنازل عن الخلافة حينما استبدّت بها قريش وأفصح قائلاً: **«فإنّها كانت إثرة شحّت عليها نفوس قوم وسخت عنها نفوس آخرين والحَكَم الله والموعد القيامة»**.

ومن هنا نشأت في المجتمع الإسلامي أخلاقيتان متميّزتان: أخلاقية عليّ النموذجية التي تدين السياسة الميكافيلية، وأخلاقية الخلفاء التي كانت ترى مشروعية الوصول إلى الحكم بأيّة وسيلة ممكنة، ومن هنا كان زهد عليّ في الحكم وحرص غيره عليه[1].

٩ ـ في رحاب الدعاء والمناجاة :

اهتمّ الإمام عليّ (عليه السلام) كما اهتم سائر الأئمة من أهل البيت (عليهم السلام) بالدعاء والمناجاة بعد أن فتح القرآن الكريم هذا الباب قائلاً للرسول (صلى الله عليه وآله): ﴿ **قُلْ مَا يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلاَ دُعَاؤُكُمْ** ﴾[2] وبيّن أهميّة الدعاء بنصوصه وسيرته فقال (عليه السلام): **«الدعاء سلاح الأولياء»**.

وتضمّن نهج البلاغة مجموعة من الأدعية العلويّة لشتىٰ الأغراض

(١) المعجم الموضوعي لنهج البلاغة : ٢٨٢ ـ ٣٥٦ و ١٩٤ ـ ٢١٤ و ١٥٢ ـ ١٦٩ و ٣٧٤ ـ ٣٧٩، وتصنيف غرر الحكم: القسم الأخلاقي : ٢٠٥ ـ ٣٢٣ و ١٢٧ ـ ١٤٧ .

(٢) الفرقان (٢٥): ٧٧.

والمجالات، وجمعت أدعيته(عليه السلام) فيما يُسمّىٰ بالصحيفة العلوية. ومن غرر أدعيته الدعاء المعروف بدعاء كميل ودعاء الصباح والمناجاة الشعبانية وإليك نماذج من هذه الأدعية الشريفة:

أ ـ نصّ دعائه في التوبة والإنابة الذي علّمه الى كميل بن زياد النخعي:

«اَللّـٰهُمَّ اِنّي أَسْأَلُكَ بِرَحْمَتِكَ الَّتي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ، وَبِقُوَّتِكَ الَّتي قَهَرْتَ بِها كُلَّ شَيْءٍ، وَخَضَعَ لَها كُلُّ شَيءٍ، وَذَلَّ لَها كُلُّ شَيءٍ، وَبِجَبَرُوتِكَ الَّتي غَلَبْتَ بِها كُلَّ شَيءٍ، وَبِعِزَّتِكَ الَّتي لا يَقُومُ لَها شَيءٌ، وَبِعَظَمَتِكَ الَّتي مَلَأَتْ كُلَّ شَيءٍ، وَبِسُلْطانِكَ الَّذي عَلا كُلَّ شَيءٍ، وَبِوَجْهِكَ الْباقي بَعْدَ فَناءِ كُلِّ شَيءٍ، وَبِأَسْمائِكَ الَّتي مَلَأَتْ اَرْكانَ كُلِّ شَيءٍ، وَبِعِلْمِكَ الَّذي اَحاطَ بِكُلِّ شَيءٍ، وَبِنُورِ وَجْهِكَ الَّذي اَضاءَ لَهُ كُلُّ شيءٍ، يا نُورُ يا قُدُّوسُ، يا اَوَّلَ الْأَوَّلِينَ وَيا آخِرَ الْآخِرِينَ، اَللّـٰهُمَّ اغْفِرْ لِي الذُّنُوبَ الَّتي تَهْتِكُ الْعِصَمَ، اَللّـٰهُمَّ اغْفِرْ لِي الذُّنُوبَ الَّتي تُنْزِلُ النِّقَمَ، اَللّـٰهُمَّ اغْفِرْ لِي الذُّنُوبَ الَّتي تُغَيِّرُ النِّعَمَ، اَللّـٰهُمَّ اغْفِرْ لي الذُّنُوبَ الَّتي تَحْبِسُ الدُّعاءَ، اَللّـٰهُمَّ اغْفِرْ لِي الذُّنُوبَ الَّتي تُنْزِلُ الْبَلاءَ، اَللّـٰهُمَّ اغْفِرْ لي كُلَّ ذَنْبٍ اَذْنَبْتُهُ، وَكُلَّ خَطيئَةٍ اَخْطَأْتُها، اَللّـٰهُمَّ اِنّي اَتَقَرَّبُ اِلَيْكَ بِذِكْرِكَ، وَاَسْتَشْفِعُ بِكَ اِلىٰ نَفْسِكَ، وَأَسْأَلُكَ بِجُودِكَ اَنْ تُدْنِيَني مِنْ قُرْبِكَ، وَاَنْ تُوزِعَني شُكْرَكَ، وَاَنْ تُلْهِمَني ذِكْرَكَ، اَللّـٰهُمَّ اِنّي أَسْأَلُكَ سُؤالَ خاضِعٍ مُتَذَلِّلٍ خاشِعٍ اَنْ تُسامِحَني وَتَرْحَمَني وَتَجْعَلَني بِقِسْمِكَ راضِياً قانِعاً وَفي جَميعِ الْأَحْوالِ مُتَواضِعاً، اَللّـٰهُمَّ وَأَسْأَلُكَ سُؤالَ مَنِ اشْتَدَّتْ فاقَتُهُ، وَاَنْزَلَ بِكَ عِنْدَ الشَّدائِدِ حاجَتَهُ، وَعَظُمَ فيما عِنْدَكَ رَغْبَتُهُ، اَللّـٰهُمَّ عَظُمَ سُلْطانُكَ وَعَلا مَكانُكَ وَخَفِيَ مَكْرُكَ وَظَهَرَ اَمْرُكَ وَغَلَبَ قَهْرُكَ وَجَرَتْ قُدْرَتُكَ وَلا يُمْكِنُ الْفِرارُ مِنْ حُكُومَتِكَ، اَللّـٰهُمَّ لا اَجِدُ لِذُنُوبي غافِراً، وَلا لِقَبائِحي ساتِراً، وَلا لِشَيءٍ مِنْ عَمَلِي الْقَبيحِ بِالْحَسَنِ مُبَدِّلاً غَيْرَكَ لا اِلـٰهَ إلّا اَنْتَ سُبْحانَكَ وَبِحَمْدِكَ ظَلَمْتُ نَفْسي، وَتَجَرَّأْتُ بِجَهْلي وَسَكَنْتُ اِلىٰ قَديمِ ذِكْرِكَ لي وَمَنِّكَ عَلَيَّ، اَللّـٰهُمَّ مَوْلايَ كَمْ مِنْ قَبيحٍ سَتَرْتَهُ وَكَمْ مِنْ فادِحٍ مِنَ الْبَلاءِ اَقَلْتَهُ (اَمَلْتَهُ) وَكَمْ مِنْ عِثارٍ وَقَيْتَهُ، وَكَمْ مِنْ مَكْرُوهٍ دَفَعْتَهُ، وَكَمْ مِنْ

ثَناءٍ جَميلٍ لَسْتُ اَهْلاً لَهُ نَشَرْتَهُ، اَللّهُمَّ عَظُمَ بَلائي وَاَفْرَطَ بي سُوءُ حالي، وَقَصُرَتْ (قَصَّرَتْ) بي اَعْمالي وَقَعَدَتْ بي اَغْلالي، وَحَبَسَني عَنْ نَفْعي بُعْدُ اَمَلي (آمالي)، وَخَدَعَتْنِي الدُّنْيا بِغُرُورِها، وَنَفْسي بِجِنايَتِها (بِخِيانَتِها) وَمِطالي يا سَيِّدي فَأَسْأَلُكَ بِعِزَّتِكَ اَنْ لا يَحْجُبَ عَنْكَ دُعائي سُوءُ عَمَلي وَفِعالي، وَلا تَفْضَحْني بِخَفِي مَا اطَّلَعْتَ عَلَيْهِ مِنْ سِرّي، وَلا تُعاجِلْني بِالْعُقُوبَةِ عَلى ما عَمِلْتُهُ في خَلَواتي مِنْ سُوءِ فِعْلي وَإِساءَتي وَدَوامِ تَفْريطي وَجَهالَتي وَكَثْرَةِ شَهَواتي وَغَفْلَتي، وَكُنِ اللّهُمَّ بِعِزَّتِكَ لي في كُلِّ الْأَحْوالِ (فِي الْأَحْوالِ كُلِّها) رَؤوفاً وَعَلَي في جَميعِ الْأُمُورِ عَطُوفاً اِلهي وَرَبّي مَنْ لي غَيْرُكَ أَسْأَلُهُ كَشْفَ ضُرّي وَالنَّظَرَ في اَمْري، اِلهي وَمَوْلاي اَجْرَيْتَ عَلَي حُكْماً اِتَّبَعْتُ فيهِ هَوى نَفْسي وَلَمْ اَحْتَرِسْ فيهِ مِنْ تَزْيينِ عَدُوّي، فَغَرَّني بِما اَهْوى وَاَسْعَدَهُ عَلى ذلِكَ الْقَضاءُ فَتَجاوَزْتُ بِما جَرى عَلَي مِنْ ذلِكَ بَعْضَ حُدُودِكَ، وَخالَفْتُ بَعْضَ اَوامِرِكَ فَلَكَ الْحَمْدُ (اَلْحُجَّةُ) عَلي في جَميعِ ذلِكَ وَلا حُجَّةَ لي فيما جَرى عَلَيَّ فيهِ قَضاؤُكَ وَاَلْزَمَني حُكْمُكَ وَبَلاؤُكَ، وَقَدْ اَتَيْتُكَ يا اِلهي بَعْدَ تَقْصيري وَاِسْرافي عَلى نَفْسي مُعْتَذِراً نادِماً مُنْكَسِراً مُسْتَقيلاً مُسْتَغْفِراً مُنيباً مُقِرّاً مُذْعِناً مُعْتَرِفاً لا اَجِدُ مَفَرّاً مِمّا كانَ مِنّي وَلا مَفْزَعاً اَتَوَجَّهُ اِلَيْهِ في اَمْري غَيْرَ قَبُولِكَ عُذْري وَاِدْخالِكَ اِيّايَ في سَعَةٍ (مِنْ) رَحْمَتِكَ اَللّهُمَّ (اِلهي) فَاقْبَلْ عُذْري وَارْحَمْ شِدَّةَ ضُرّي وَفُكَّني مِنْ شَدِّ وَثاقي، يا رَبِّ ارْحَمْ ضَعْفَ بَدَني وَرِقَّةَ جِلْدي وَدِقَّةَ عَظْمي، يا مَنْ بَدَأَ خَلْقي وَذِكْري وَتَرْبِيَتي وَبِرّي وَتَغْذِيَتي هَبْني لِابْتِداءِ كَرَمِكَ وَسالِفِ بِرِّكَ بي يا اِلهي وَسَيِّدي وَرَبّي، اَتُراكَ مُعَذِّبي بِنارِكَ بَعْدَ تَوْحيدِكَ وَبَعْدَ مَا انْطَوى عَلَيْهِ قَلْبي مِنْ مَعْرِفَتِكَ وَلَهِجَ بِهِ لِساني مِنْ ذِكْرِكَ، وَاعْتَقَدَهُ ضَميري مِنْ حُبِّكَ، وَبَعْدَ صِدْقِ اعْتِرافي وَدُعائي خاضِعاً لِرُبُوبِيَّتِكَ، هَيْهاتَ اَنْتَ اَكْرَمُ مِنْ اَنْ تُضَيِّعَ مَنْ رَبَّيْتَهُ اَوْ تُبْعِدَ (تُبَعِّدَ) مَنْ اَدْنَيْتَهُ اَوْ تُشَرِّدَ مَنْ اَوَيْتَهُ اَوْ تُسَلِّمَ اِلَى الْبَلاءِ مَنْ كَفَيْتَهُ وَرَحِمْتَهُ، وَلَيْتَ شِعْري يا سَيِّدي وَاِلهي وَمَوْلايَ اَتُسَلِّطُ النّارَ عَلى وُجُوهٍ خَرَّتْ لِعَظَمَتِكَ ساجِدَةً، وَعَلى اَلْسُنٍ نَطَقَتْ بِتَوْحيدِكَ صادِقَةً، وَبِشُكْرِكَ مادِحَةً، وَعَلى قُلُوبٍ اعْتَرَفَتْ بِاِلهِيَّتِكَ مُحَقِّقَةً، وَعَلى ضَمائِرَ حَوَتْ مِنَ الْعِلْمِ بِكَ حَتّى صارَتْ خاشِعَةً، وَعَلى جَوارِحَ سَعَتْ اِلى اَوْطانِ تَعَبُّدِكَ طائِعَةً

وَاَشارَتْ بِاسْتِغْفارِكَ مُذْعِنَةً، ما هٰكَذَا الظَّنُّ بِكَ وَلاٰ اُخْبِرْنا بِفَضْلِكَ عَنْكَ يٰاكَريمُ يٰا رَبِّ وَاَنْتَ تَعْلَمُ ضَعْفي عَنْ قَليلٍ مِنْ بَلاٰءِ الدُّنْيا وَعُقُوباتِها وَما يَجْري فيها مِنَ الْمَكارِهِ عَلىٰ اَهْلِها، عَلىٰ اَنَّ ذٰلِكَ بَلاٰءٌ وَمَكْرُوهٌ قَليلٌ مَكْثُهُ، يَسيرٌ بَقاؤُهُ، قَصيرٌ مُدَّتُهُ فَكَيْفَ احْتِمالي لِبَلاٰءِ الْآخِرَةِ وَجَليلِ (حُلُولِ) وُقُوعِ الْمَكارِهِ فيها وَهُوَ بَلاٰءٌ تَطُولُ مُدَّتُهُ وَيَدُومُ مَقامُهُ وَلاٰ يُخَفَّفُ عَنْ اَهْلِهِ لِأَنَّهُ لاٰ يَكُونُ إِلّا عَنْ غَضَبِكَ وَانْتِقامِكَ وَسَخَطِكَ، وَهٰذا ما لاٰ تَقُومُ لَهُ السَّماواتُ وَالْاَرْضُ يٰا سَيِّدي فَكَيْفَ لي (بي) وَاَنَا عَبْدُكَ الضَّعيفُ الذَّليلُ الْحَقيرُ الْمِسْكينُ الْمُسْتَكينُ، يٰا اِلٰهي وَرَبّي وَسَيِّدي وَمَوْلاٰيَ لِأَيِّ الْأُمُورِ اِلَيْكَ اَشْكُو وَلِما مِنْها اَضِجُّ وَاَبْكي لِأَليمِ الْعَذابِ وَشِدَّتِهِ، اَمْ لِطُولِ الْبَلاٰءِ وَمُدَّتِهِ، فَلَئِنْ صَيَّرْتَني لِلْعُقُوباتِ مَعَ اَعْدائِكَ وَجَمَعْتَ بَيْني وَبَيْنَ اَهْلِ بَلاٰئِكَ وَفَرَّقْتَ بَيْني وَبَيْنَ اَحِبّائِكَ وَاَوْلِيائِكَ، فَهَبْني يٰا اِلٰهي وَسَيِّدي وَمَوْلاٰيَ وَرَبّي صَبَرْتُ عَلىٰ عَذابِكَ فَكَيْفَ اَصْبِرُ عَلىٰ فِراقِكَ، وَهَبْني (يٰا اِلٰهي) صَبَرْتُ عَلىٰ حَرِّ نارِكَ فَكَيْفَ اَصْبِرُ عَنِ النَّظَرِ اِلىٰ كَرامَتِكَ اَمْ كَيْفَ اَسْكُنُ فِي النّارِ وَرَجائي عَفْوُكَ فَبِعِزَّتِكَ يٰا سَيِّدي وَمَوْلاٰيَ اُقْسِمُ صادِقاً لَئِنْ تَرَكْتَني ناطِقاً لَأَضِجَّنَّ اِلَيْكَ بَيْنَ اَهْلِها ضَجيجَ الْآمِلينَ (الْآلِمينَ) وَلَأَصْرُخَنَّ اِلَيْكَ صُراخَ الْمَسْتَصْرِخينَ، وَلَاَبْكِيَنَّ عَلَيْكَ بُكاءَ الْفاقِدينَ، وَلَأُنادِيَنَّكَ اَيْنَ كُنْتَ يٰا وَلِيَّ الْمُؤْمِنينَ، يٰا غايَةَ آمالِ الْعارِفينَ، يٰا غِياثَ الْمُسْتَغيثينَ، يٰا حَبيبَ قُلُوبِ الصّادِقينَ، وَيٰا اِلٰهَ الْعالَمينَ، اَفَتُراكَ سُبْحانَكَ يٰا اِلٰهي وَبِحَمْدِكَ تَسْمَعُ فيها صَوْتَ عَبْدٍ مُسْلِمٍ سُجِنَ (يُسْجَنُ) فيها بِمُخالَفَتِهِ، وَذاقَ طَعْمَ عَذابِها بِمَعْصِيَتِهِ وَحُبِسَ بَيْنَ اَطْباقِها بِجُرْمِهِ وَجَريرَتِهِ وَهُوَ يَضِجُّ اِلَيْكَ ضَجيجَ مُؤَمِّلٍ لِرَحْمَتِكَ، وَيُناديكَ بِلِسانِ اَهْلِ تَوْحيدِكَ، وَيَتَوَسَّلُ اِلَيْكَ بِرُبُوبِيَّتِكَ، يٰا مَوْلاٰيَ فَكَيْفَ يَبْقىٰ فِي الْعَذابِ وَهُوَ يَرْجُو ما سَلَفَ مِنْ حِلْمِكَ، اَمْ كَيْفَ تُؤْلِمُهُ النّارُ وَهُوَ يَأْمَلُ فَضْلَكَ وَرَحْمَتَكَ اَمْ كَيْفَ يُحْرِقُهُ لَهيبُها وَاَنْتَ تَسْمَعُ صَوْتَهُ وَتَرىٰ مَكانَه اَمْ كَيْفَ يَشْتَمِلُ عَلَيْهِ زَفيرُها وَاَنْتَ تَعْلَمُ ضَعْفَهُ، اَمْ كَيْفَ يَتَقَلْقَلُ بَيْنَ اَطْباقِها وَاَنْتَ تَعْلَمُ صِدْقَهُ، اَمْ كَيْفَ تَزْجُرُهُ زَبانِيَتُها وَهُوَ يُناديكَ يٰا رَبَّهُ، اَمْ كَيْفَ يَرْجُو فَضْلَكَ في عِتْقِهِ مِنْها فَتَتْرُكُهُ فيها هَيْهاتَ ما ذٰلِكَ الظَّنُّ بِكَ وَلاَ الْمَعْرُوفُ مِنْ فَضْلِكَ وَلاٰ مُشْبِهٌ لِما عامَلْتَ بِهِ الْمُوَحِّدينَ مِنْ بِرِّكَ وَاِحْسانِكَ، فَبِالْيَقينِ اَقْطَعُ لَوْ

لا ما حَكَمْتَ بِهِ مِنْ تَعْذيبِ جاحِديكَ، وَقَضَيْتَ بِهِ مِنْ اِخْلادِ مُعانِديكَ لَجَعَلْتَ النّارَ كُلَّها بَرْداً وَسَلاماً وَما كانَت لِأَحَدٍ فيها مَقَرّاً وَلا مُقاماً لكِنَّكَ تَقَدَّسَتْ اَسْماؤُكَ اَقْسَمْتَ اَنْ تَمْلَأَها مِنَ الْكافِرينَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنّاسِ اَجْمَعينَ، وَاَنْ تُخَلِّدَ فيهَا الْمُعانِدينَ وَاَنْتَ جَلَّ ثَناؤُكَ قُلْتَ مُبْتَدِئاً، وَتَطَوَّلْتَ بِالْاِنْعامِ مُتَكَرِّماً اَفَمَنْ كانَ مُؤْمِناً كَمَنْ كانَ فاسِقاً لا يَسْتَوُونَ، اِلهي وَسَيِّدي فَأَسْأَلُكَ بِالْقُدْرَةِ الَّتي قَدَّرْتَها، وَبِالْقَضِيَّةِ الَّتي حَتَمْتَها وَحَكَمْتَها وَغَلَبْتَ مَنْ عَلَيْهِ اَجْرَيْتَها اَنْ تَهَبَ لي في هذِهِ اللَّيْلَةِ وَفي هذِهِ السّاعَةِ كُلَّ جُرْمٍ اَجْرَمْتُهُ، وَكُلَّ ذَنْبٍ اَذْنَبْتُهُ، وَكُلَّ قَبيحٍ اَسْرَرْتُهُ، وَكُلَّ جَهْلٍ عَمِلْتُهُ، كَتَمْتُهُ اَوْ اَعْلَنْتُهُ اَخْفَيْتُهُ اَوْ اَظْهَرْتُهُ، وَكُلَّ سَيِّئَةٍ اَمَرْتَ بِاِثْباتِهَا الْكِرامَ الْكاتِبينَ الَّذينَ وَكَّلْتَهُمْ بِحِفْظِ ما يَكُونُ مِنّي وَجَعَلْتَهُمْ شُهُوداً عَلَيَّ مَعَ جَوارِحي، وَكُنْتَ اَنْتَ الرَّقيبَ عَلَيَّ مِنْ وَرائِهِمْ، وَالشّاهِدَ لِما خَفِيَ عَنْهُمْ، وَبِرَحْمَتِكَ اَخْفَيْتَهُ، وَبِفَضْلِكَ سَتَرْتَهُ، وَاَنْ تُوَفِّرَ حَظّي مِنْ كُلِّ خَيْرٍ اَنْزَلْتَهُ (تُنَزِّلُهُ) اَوْ اِحْسانٍ فَضَّلْتَهُ اَوْ بِرٍّ نَشَرْتَهُ (تَنْشُرُهُ) اَوْ رِزْقٍ بَسَطْتَهُ (تَبْسُطُهُ) اَوْ ذَنْبٍ تَغْفِرُهُ اَوْ خَطَأٍ تَسْتُرُهُ، يا رَبِّ يا رَبِّ يا رَبِّ يا اِلهي وَسَيِّدي وَمَوْلايَ وَمالِكَ رِقّي، يا مَنْ بِيَدِهِ ناصِيَتي يا عَليماً بِضُرّي (بِفَقْري) وَمَسْكَنَتي، يا خَبيراً بِفَقْري وَفاقَتي يا رَبِّ يا رَبِّ يا رَبِّ أَسْأَلُكَ بِحَقِّكَ وَقُدْسِكَ وَاَعْظَمِ صِفاتِكَ وَاَسْمائِكَ اَنْ تَجْعَلَ اَوْقاتي مِنَ (فِي) اللَّيْلِ وَالنَّهارِ بِذِكْرِكَ مَعْمُورَةً، وَبِخِدْمَتِكَ مَوْصُولَةً، وَاَعْمالي عِنْدَكَ مَقْبُولَةً حَتّى تَكُونَ اَعْمالي وَاَوْرادي (وَاِرادَتي) كُلُّها وِرْداً واحِداً وَحالي في خِدْمَتِكَ سَرْمَداً، يا سَيِّدي يا مَنْ عَلَيْهِ مُعَوَّلي يا مَنْ اِلَيْهِ شَكَوْتُ اَحْوالي يا رَبِّ يا رَبِّ يا رَبِّ، قَوِّ عَلى خِدْمَتِكَ جَوارِحي وَاشْدُدْ عَلَى الْعَزيمَةِ جَوانِحي وَهَبْ لِيَ الْجِدَّ في خَشْيَتِكَ، وَالدَّوامَ فِي الْاِتِّصالِ بِخِدْمَتِكَ، حَتّى اَسْرَحَ اِلَيْكَ في مَيادينِ السّابِقينَ وَاُسْرِعَ اِلَيْكَ فِي الْبارِزينَ (الْمُبادِرينَ) وَاَشْتاقَ اِلى قُرْبِكَ فِي الْمُشْتاقينَ وَاَدْنُوَ مِنْكَ دُنُوَّ الْمُخْلِصينَ، وَاَخافَكَ مَخافَةَ الْمُوقِنينَ، وَاَجْتَمِعَ في جِوارِكَ مَعَ الْمُؤْمِنينَ، اَللّهُمَّ وَمَنْ اَرادَني بِسُوءٍ فَاَرِدْهُ وَمَنْ كادَني فَكِدْهُ، وَاجْعَلْني مِنْ اَحْسَنِ عَبيدِكَ نَصيباً عِنْدَكَ، وَاَقْرَبِهِمْ مَنْزِلَةً مِنْكَ، وَاَخَصِّهِمْ زُلْفَةً لَدَيْكَ، فَاِنَّهُ لا يُنالُ ذلِكَ اِلّا بِفَضْلِكَ، وَجُدْ لي بِجُودِكَ وَاعْطِفْ عَلَيَّ بِمَجْدِكَ وَاحْفَظْني بِرَحْمَتِكَ، وَاجْعَلْ لِساني بِذِكْرِكَ

لَهِجاً وَقَلْبي بِحُبِّكَ مُتَيَّماً وَمُنَّ عَلَيَّ بِحُسْنِ اِجابَتِكَ، وَاَقِلْني عَثْرَتي وَاغْفِرْ زَلَّتي، فَاِنَّكَ قَضَيْتَ عَلىٰ عِبادِكَ بِعِبادَتِكَ، وَاَمَرْتَهُمْ بِدُعائِكَ، وَضَمِنْتَ لَهُمُ الْاِجابَةَ، فَاِلَيْكَ يٰا رَبِّ نَصَبْتُ وَجْهي وَاِلَيْكَ يٰا رَبِّ مَدَدْتُ يَدي، فَبِعِزَّتِكَ اسْتَجِبْ لي دُعائي وَبَلِّغْني مُنايَ وَلاٰ تَقْطَعْ مِنْ فَضْلِكَ رَجائي، وَاكْفِني شَرَّ الْجِنِّ وَالْاِنْسِ مِنْ اَعْدائي، يٰا سَريعَ الرِّضا اِغْفِرْ لِمَنْ لاٰ يَمْلِكُ اِلّا الدُّعاءَ فَاِنَّكَ فَعّالٌ لِما تَشاءُ، يٰا مَنِ اسْمُهُ دَواءٌ وَذِكْرُهُ شِفاءٌ وَطاعَتُهُ غِنىً، اِرْحَمْ مَنْ رَأْسُ مالِهِ الرَّجاءُ وَسِلاحُهُ الْبُكاءُ، يٰا سابِغَ النِّعَمِ، يٰا دافِعَ النِّقَمِ، يٰا نُورَ الْمُسْتَوْحِشينَ فِي الظُّلَمِ، يٰا عالِماً لاٰ يُعَلَّمُ، صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَافْعَلْ بي ما اَنْتَ اَهْلُهُ وَصَلَّى اللّٰهُ عَلىٰ رَسُولِهِ وَالْاَئِمَّةِ الْمَيامينَ مِنْ آلِهِ (اَهْلِهِ) وَسَلَّمَ تَسْليماً كَثيراً».

ب ـ نصّ دعائه البليغ في الإنابة والتوبة لصباح كل يوم:

«اَللّٰهُمَّ يٰا مَنْ دَلَعَ لِسانَ الصَّباحِ بِنُطْقِ تَبَلُّجِهِ، وَسَرَّحَ قِطَعَ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ بِغَياهِبِ تَلَجْلُجِهِ، وَاَتْقَنَ صُنْعَ الْفَلَكِ الدَّوّارِ في مَقاديرِ تَبَرُّجِهِ، وَشَعْشَعَ ضِياءَ الشَّمْسِ بِنُورِ تَاَجُّجِهِ، يٰا مَنْ دَلَّ عَلىٰ ذاتِهِ بِذاتِهِ وَتَنَزَّهَ عَنْ مُجانَسَةِ مَخْلُوقاتِهِ وَجَلَّ عَنْ مُلاءَمَةِ كَيْفِيّاتِهِ، يٰا مَنْ قَرُبَ مِنْ خَطَراتِ الظُّنُونِ وَبَعُدَ عَنْ لَحَظاتِ الْعُيُونِ وَعَلِمَ بِما كانَ قَبْلَ اَنْ يَكُونَ، يٰا مَنْ اَرْقَدَني في مِهادِ اَمْنِهِ وَاَمانِهِ وَاَيْقَظَني اِلىٰ ما مَنَحَني بِهِ مِنْ مِنَنِهِ وَاِحْسانِهِ وَكَفَّ اَكُفَّ السُّوءِ عَنّي بِيَدِهِ وَسُلْطانِهِ، صَلِّ اللّٰهُمَّ عَلَى الدَّليلِ اِلَيْكَ فِي اللَّيْلِ الْاَلْيَلِ، وَالْماسِكِ مِنْ اَسْبابِكَ بِحَبْلِ الشَّرَفِ الْاَطْوَلِ، وَالنّاصِعِ الْحَسَبِ في ذِرْوَةِ الْكاهِلِ الْاَعْبَلِ، وَالثّابِتِ الْقَدَمِ عَلىٰ زَحاليفِها فِي الزَّمَنِ الْاَوَّلِ، وَعَلىٰ آلِهِ الْاَخْيارِ الْمُصْطَفَيْنَ الْاَبْرارِ، وَافْتَحِ اللّٰهُمَّ لَنا مَصاريعَ الصَّباحِ بِمَفاتيحِ الرَّحْمَةِ وَالْفَلاحِ، وَاَلْبِسْنِي اللّٰهُمَّ مِنْ اَفْضَلِ خِلَعِ الْهِدايَةِ وَالصَّلاحِ، وَاَغْرِسِ اللّٰهُمَّ بِعَظَمَتِكَ في شِرْبِ جَناني يَنابيعَ الْخُشُوعِ، وَاَجْرِ اللّٰهُمَّ لِهَيْبَتِكَ مِنْ آماقي زَفَراتِ الدُّمُوعِ، وَاَدِّبِ اللّٰهُمَّ نَزَقَ الْخُرْقِ مِنّي بِاَزِمَّةِ الْقُنُوعِ، اِلٰهي اِنْ لَمْ تَبْتَدِئْنِي الرَّحْمَةُ مِنْكَ بِحُسْنِ التَّوْفيقِ فَمَنِ السّالِكُ بي اِلَيْكَ في واضِحِ الطَّريقِ، وَاِنْ اَسْلَمَتْني اَناتُكَ لِقائِدِ الْاَمَلِ وَالْمُنىٰ فَمَنِ الْمُقيلُ

عَثَراتي مِنْ كَبَواتِ الْهَوىٰ، وَاِنْ خَذَلَني نَصْرُكَ عِنْدَ مُحارَبَةِ النَّفْسِ وَالشَّيْطانِ فَقَدْ وَكَلَني خِذْلانُكَ اِلىٰ حَيْثُ النَّصَبُ وَالْحِرْمانُ، اِلٰهي اَتَراني ما اَتَيْتُكَ إلّا مِنْ حَيْثُ الْآمالِ اَمْ عَلِقْتُ بِاَطْرافِ حِبالِكَ إلّا حينَ باعَدَتْني ذُنُوبي عَنْ دارِ الْوِصالِ، فَبِئْسَ الْمَطِيَّةُ الَّتي امْتَطَتْ نَفْسي مِنْ هَواها فَواهاً لَها لِما سَوَّلَتْ لَها ظُنُونُها وَمُناها، وَتَبّاً لَها لِجُرْاَتِها عَلىٰ سَيِّدِها وَمَوْلاها اِلٰهي قَرَعْتُ بابَ رَحْمَتِكَ بِيَدِ رَجائي وَهَرَبْتُ اِلَيْكَ لاجِئاً مِنْ فَرْطِ اَهْوائي، وَعَلَّقْتُ بِاَطْرافِ حِبالِكَ اَنامِلَ وَلائي، فَاَصْفَحِ اللّٰهُمَّ عَمّا كُنْتُ (كانَ) اَجْرَمْتُهُ مِنْ زَلَلي وَخَطائي، وَاَقِلْني مِنْ صَرْعَةِ رِدائي فَاِنَّكَ سَيِّدي وَمَوْلاي وَمُعْتَمَدي وَرَجائي وَاَنْتَ غايَةُ مَطْلُوبي وَمُناي في مُنْقَلَبي وَمَثْواىَ، اِلٰهي كَيْفَ تَطْرُدُ مِسْكيناً الْتَجَأَ اِلَيْكَ مِنَ الذُّنُوبِ هارِباً، اَمْ كَيْفَ تُخَيِّبُ مُسْتَرْشِداً قَصَدَ اِلىٰ جَنابِكَ ساعِياً، اَمْ كَيْفَ تَرُدُّ ظَمآناً وَرَدَ اِلىٰ حِياضِكَ شارِباً كَلّا وَحِياضُكَ مُتْرَعَةٌ في ضَنْكِ الْمُحُولِ، وَبابُكَ مَفْتُوحٌ لِلطَّلَبِ وَالْوُغُولِ، وَاَنْتَ غايَةُ الْمَسْؤولِ (السُّؤْلِ) وَنِهايَةُ الْمَأمُولِ، اِلٰهي هٰذِهِ اَزِمَّةُ نَفْسي عَقَلْتُها بِعِقالِ مَشِيَّتِكَ وَهٰذِهِ اَعْباءُ ذُنُوبي دَرَأْتُها بِعَفْوِكَ وَرَحْمَتِكَ وَهٰذِهِ اَهْوائِي الْمُضِلَّةُ وَكَلْتُها اِلىٰ جَنابِ لُطْفِكَ وَرَأْفَتِكَ، فَاجْعَلِ اللّٰهُمَّ صَباحي هٰذا نازِلاً عَلَي بِضِياءِ الْهُدىٰ وَبِالسَّلامَةِ بالسلام فِي الدّينِ وَالدُّنْيا، وَمَسائي جُنَّةً مِنْ كَيْدِ الْعِدىٰ (الْأَعْداءِ) وَوِقايَةً مِنْ مُرْدِياتِ الْهَوىٰ اِنَكَ قادِرٌ عَلىٰ ما تَشاءُ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشاءُ، بِيَدِكَ الْخَيْرُ اِنَّكَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ، تُولِجُ اللَّيْلَ في النَّهارِ وَتُولِجُ النَّهارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَي وَتَرْزُقُ مَنْ تَشاءُ بِغَيْرِ حِسابٍ، لا اِلٰهَ إلّا اَنْتَ سُبْحانَكَ اللّٰهُمَّ وَبِحَمْدِكَ مَنْ ذا يَعْرِفُ قَدْرَكَ فَلا يَخافُكَ، وَمَن ذا يَعْلَمُ ما اَنْتَ فَلا يَهابُكَ، اَلَّفْتَ بِقُدْرَتِكَ الْفِرَقَ، وَفَلَقْتَ بِلُطْفِكَ الْفَلَقَ، وَاَنَرْتَ بِكَرَمِكَ دَياجِي الْغَسَقِ، وَاَنْهَرْتَ الْمِياهَ مِنَ الصُّمِّ الصَّياخيدِ عَذْباً وَاُجاجاً، وَاَنْزَلْتَ مِنَ الْمُعْصِراتِ ماءً ثَجّاجاً، وَجَعَلْتَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لِلْبَرِيَّةِ سِراجاً وَهّاجاً مِنْ غَيْرِ اَنْ تُمارِسَ فيما ابْتَدَأتَ بِهِ لُغُوباً وَلا عِلاجاً، فَيا مَنْ تَوَحَّدَ بِالْعِزِّ وَالْبَقاءِ، وَقَهَرَ عِبادَهُ بِالْمَوْتِ وَالْفَناءِ صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الْاَتْقِياءِ، وَاسْمَعْ نِدائي وَاسْتَجِبْ دُعائي وَحَقِّقْ بِفَضْلِكَ اَمَلي

وَرَجائي يٰا خَيْرَ مَنْ دُعِيِ لِكَشْفِ الضُّرِّ وَالْمَأمُولِ لِكُلِّ عُسْرٍ وَيُسْرٍ بِكَ اَنْزَلْتُ حاجَتي فَلاٰ تَرُدَّني مِنْ سَنِيِّ مَوٰاهِبِكَ خائِباً يٰاكَرِيمُ يٰاكَرِيمُ يٰاكَرِيمُ بِرَحْمَتِكَ يٰا اَرْحَمَ الرّاحِمِينَ وَصَلَّى اللّٰهُ عَلىٰ خَيْرِ خَلْقِهِ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ اَجْمَعِينَ ثمّ اسجد وقل : اِلٰهي قَلْبي مَحْجُوبٌ، وَنَفْسي مَعْيُوبٌ، وَعَقْلي مَغْلُوبٌ، وَهَوٰائي غٰالِبٌ، وَطٰاعَتي قَليلٌ، وَمَعْصِيَتي كَثيرٌ، وَلِسٰاني مُقِرٌّ بِالذُّنُوبِ فَكَيْفَ حيلَتي يٰا سَتّٰارَ الْعُيُوبِ وَيٰا عَلّامَ الْغُيُوبِ وَيٰاكٰاشِفَ الْكُرُوبِ، اِغْفِرْ ذُنُوبي كُلَّهٰا بِحُرْمَةِ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ يٰا غَفّٰارُ يٰا غَفّٰارُ يٰا غَفّٰارُ بِرَحْمَتِكَ يٰا اَرْحَمَ الرّاحِمِينَ».

ج ـ المناجاة الشعبانية:

نصّ المناجاة البليغة التي عرفت بالمناجاة الشعبانية وهي تصلح للتوجه الى الله بها دائماً هي من غرر مناجاة أهل البيت(عليهم السلام) التي تمثّل قمّة العرفان والتفاني في الله سبحانه:

«اَللّٰهُمَّ صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَاسْمَعْ دُعٰائي اِذا دَعَوْتُكَ، وَاْسمَعْ نِدٰائي اِذا نٰادَيْتُكَ، وَاَقْبِلْ عَليَّ اِذٰا نٰاجَيْتُكَ، فَقَدْ هَرَبْتُ اِلَيْكَ، وَوَقَفْتُ بَيْنَ يَدَيكَ مُسْتَكيناً، لَكَ مُتَضرِّعاً اِلَيْكَ، رٰاجِياً لِمٰا لَدَيْكَ ثَوٰابي، وَتَعْلَمُ مٰا في نَفْسي، وَتَخْبُرُ حٰاجَتي، وَتَعْرِفُ ضَميري، وَلاٰ يَخْفىٰ عَلَيْكَ اَمْرُ مُنْقَلَبي وَمَثْوٰايَ، وَمٰا اُريدُ اَنْ اُبْدِيَ بِهِ مِنْ مَنْطِقي، واَتَفَوَّهُ بِهِ مِنْ طَلِبَتي، وَاَرْجُوهُ لِعٰاقِبَتي، وَقَدْ جَرَتْ مَقٰاديرُكَ عَليَّ يٰا سَيِّدي فيما يَكُونُ مِنّي اِلىٰ آخِرِ عُمْري مِنْ سَريرَتي وَعَلاٰنِيَتي، وَبِيَدِكَ لاٰ بِيَدِ غَيْرِكَ زِيٰادَتي وَنَقْصي وَنَفْعي وَضرّي، اِلٰهي اِنْ حَرَمْتَني فَمَنْ ذَا الَّذي يَرْزُقُني، وَاِنْ خَذَلْتَني فَمَنْ ذَا الَّذي يَنْصُرُني، اِلٰهي اَعُوذُ بِكَ مِنَ غَضَبِكَ وَحُلُولِ سَخَطِكَ، اِلٰهي اِنْ كُنْتُ غَيْرَ مُسْتاْهِلٍ لِرَحْمَتِكَ فَاَنْتَ اَهْلٌ اَنْ تَجُودَ عَليَّ بِفَضْلِ سَعَتِكَ، اِلٰهي كَأَنّي بِنَفْسي وٰاقِفَةٌ بَيْنَ يَدَيْكَ وَقَدْ اَظَلَّهٰا حُسْنُ تَوَكُّلي عَلَيْكَ، فَقُلْتَ مٰا اَنْتَ اَهْلُهُ وَتَغَمَّدْتَني بِعَفْوِكَ، اِلٰهي اِنْ عَفَوْتَ فَمَنْ اَوْلىٰ مِنْكَ بِذٰلِكَ، وَاِنْ كٰانَ قَدْ دَنٰا اَجَلي وَلَمْ يُدْنِني مِنْكَ عَمَلي فَقَدْ جَعَلْتُ الإقْرٰارَ بِالذَّنْبِ اِلَيْكَ وَسيلَتي، اِلٰهي قَدْ جُرْتُ عَلىٰ نَفْسي في النَّظَرِ

لَها، فَلَها الْوَيْلُ اِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَها، اِلٰهي لَمْ يَزَلْ بِرُّكَ عَلَيَّ اَيّامَ حَياتي فَلا تَقْطَعْ بِرَّكَ عَنّي في مَماتي، اِلٰهي كَيْفَ آيَسُ مِنْ حُسْنِ نَظَرِكَ لي بَعْدَ مَماتي، وَاَنْتَ لَمْ تُوَلِّني إلّا الْجَميلَ في حَياتي، اِلٰهي تَوَلَّ مِنْ اَمْري ما اَنْتَ اَهْلُهُ، وَعُدْ عَلَيَّ بِفَضْلِكَ عَلىٰ مُذْنِبٍ قَدْ غَمَرَهُ جَهْلُهُ، اِلٰهي قَدْ سَتَرْتَ عَلَيَّ ذُنُوباً في الدُّنْيا وَاَنَا اَحْوَجُ اِلىٰ سَتْرِها عَلَيَّ مِنْكَ في الْأُخْرىٰ، اِذْ لَمْ تُظْهِرْها لأَحَدٍ مِنْ عِبادِكَ الصّالِحينَ، فَلا تَفْضَحْني يَوْمَ الْقِيامَةِ عَلىٰ رُؤُوسِ الْأَشْهادِ، اِلٰهي جُودُكَ بَسَطَ اَمَلي، وَعفْوُكَ اَفْضَلُ مِنْ عَمَلي، اِلٰهي فَسُرَّني بِلِقائِكَ يَوْمَ تَقْضي فيهِ بَيْنَ عِبادِكَ، اِلٰهي اعْتِذاري اِلَيْكَ اعْتِذارُ مَنْ لَمْ يَسْتَغْنِ عَنْ قَبُولِ عُذْرِهِ، فَاقْبَلْ عُذْري يا اَكْرَمَ مَنِ اعْتَذَرَ اِلَيْهِ الْمُسيئُونَ، اِلٰهي لا تَرُدَّ حاجَتي، وَلا تُخَيِّبْ طَمَعي، وَلا تَقْطَعْ مِنْكَ رَجائي وَاَمَلي، اِلٰهي لَوْ اَرَدْتَ هَواني لَمْ تَهْدِني، وَلَوْ اَرَدْتَ فَضيحَتي لَمْ تُعافِني، اِلٰهي ما اَظُنُّكَ تَرُدُّني في حاجَةٍ قَدْ اَفْنَيْتُ عُمْري في طَلَبِها مِنْكَ، اِلٰهي فَلَكَ الْحَمْدُ اَبَداً اَبَداً دائِماً سَرْمَداً، يَزيدُ وَلا يَبيدُ كَما تُحِبُّ وَتَرْضىٰ، اِلٰهي اِنْ اَخَذْتَني بِجُرْمي اَخَذْتُكَ بِعَفْوِكَ، وَاِنْ اَخَذْتَني بِذُنُوبي اَخَذْتُكَ بِمَغْفِرَتِكَ، وَاِنْ اَدْخَلْتَني النّارَ اَعْلَمْتُ اَهْلَها اَنّي اُحِبُّكَ، اِلٰهي اِنْ كانَ صَغُرَ في جَنْبِ طاعَتِكَ عَمَلي فَقَدْ كَبُرَ في جَنْبِ رَجائِكَ اَمَلي، اِلٰهي كيف اَنْقَلِبُ مِنْ عِنْدِكَ بِالْخَيْبَةِ مَحْروماً، وَقَدْ كانَ حُسْنُ ظَنّي بِجُودِكَ اَنْ تَقْلِبَني بِالنَّجاةِ مَرْحُوماً، اِلٰهي وَقَدْ اَفْنَيْتُ عُمْري في شِرَّةِ السَّهْوِ عَنْكَ، وَاَبْلَيْتُ شَبابي في سَكْرَةِ التَّباعُدِ مِنْكَ، اِلٰهي فلَمْ اَسْتَيْقِظْ اَيّامَ اغْتِراري بِكَ وَرُكُوني اِلىٰ سَبيلِ سَخَطِكَ، اِلٰهي وَاَنَا عَبْدُكَ وَابْنُ عَبْدِكَ قائِمٌ بَيْنَ يَدَيْكَ، مُتَوَسِّلٌ بِكَرَمِكَ اِلَيْكَ، اِلٰهي اَنَا عَبْدٌ اَتَنَصَّلُ اِلَيْكَ، مِمّاكُنْتُ اُواجِهُكَ بِهِ مِنْ قِلَّةِ اسْتِحْيائي مِنْ نَظَرِكَ، وَاَطْلُبُ الْعَفْوَ مِنْكَ اِذِ الْعَفْوُ نَعْتٌ لِكَرَمِكَ، اِلٰهي لَمْ يَكُنْ لي حَوْلٌ فَاَنْتَقِلَ بِهِ عَنْ مَعْصِيَتِكَ إلاّ في وَقْتٍ اَيْقَظْتَني لِمَحَبَّتِكَ، وَكَما اَرَدْتَ اَنْ اَكُونَ كُنْتُ، فَشَكَرْتُكَ بِاِدْخالي في كَرَمِكَ، وَلِتَطْهيرِ قَلْبي مِنْ اَوْساخِ الْغَفْلَةِ عَنْكَ، اِلٰهي اُنْظُرْ اِلَيَّ نَظَرَ مَنْ نادَيْتَهُ فَاَجابَكَ، وَاْستَعْمَلْتَهُ بِمَعونَتِكَ فَاَطاعَكَ، يا قَريباً لا يَبْعُدُ عَنِ الْمُغْتَرِّ بِهِ، وَيا جَواداً لا يَبْخَلُ عَمَّنْ رَجا ثَوابَهُ، اِلٰهي هَبْ لي قَلْباً يُدْنيهِ مِنْكَ شَوْقُهُ وَلِساناً يُرْفَعُ اِلَيْكَ صِدْقُهُ، وَنَظَراً يُقَرِّبُهُ مِنْكَ حَقُّهُ، اِلٰهي إنَّ مَنْ تَعَرَّفَ بِكَ

غَيْرُ مَجْهُولٍ وَمَنْ لاذَ بِكَ غَيْرُ مَخْذُولٍ، وَمَنْ اَقْبَلْتَ عَلَيْهِ غَيْرُ مَمْلُولٍ، اِلـٰهي اِنَّ مَنِ انْتَهَجَ بِكَ لَمُسْتَنيرٌ وِاِنَّ مَنِ اعْتَصَمَ بِكَ لَمُسْتَجيرٌ، وَقَدْ لُذْتُ بِكَ يا اِلـٰهي فَلا تُخَيِّبْ ظَنّي مِنْ رَحْمَتِكَ، وَلا تَحْجُبْني عَنْ رَأفَتِكَ، اِلـٰهي اَقِمْني في اَهْلِ وِلايَتِكَ مُقامَ مَنْ رَجَا الزِّيادَةَ مِنْ مَحَبَّتِكَ، اِلـٰهي وَاَلْهِمْني وَلَهاً بِذِكْرِكَ اِلىٰ ذِكْرِكَ وَهَمَّتي في رَوْحِ نَجاحِ اَسْمائِكَ وَمَحَلِّ قُدْسِكَ، اِلـٰهي بِكَ عَلَيْكَ إلّا اَلْحَقْتَني بِمَحَلِّ اَهْلِ طاعَتِكَ وَالْمَثْوىَ الصّالِحِ مِنْ مَرْضاتِكَ، فَاِنّي لا اَقْدِرُ لِنَفْسي دَفْعاً، وَلا اَمْلِكُ لَها نَفْعاً، اِلـٰهي اَنَا عَبْدُكَ الضَّعيفُ الْمُذْنِبُ، وَمَمْلُوكُكَ الْمُنيبُ، فَلا تَجْعَلْني مِمَّنْ صَرَفتَ عَنْهُ وَجْهَكَ، وَحَجَبَهُ سَهْوُهُ عَنْ عَفْوِكَ، اِلـٰهي هَبْ لي كَمالَ الانْقِطاعِ اِلَيْكَ، وَاَنِرْ اَبْصارَ قُلُوبِنا بِضِياءِ نَظَرِها اِلَيْكَ، حَتّىٰ تَخْرِقَ اَبْصارُ الْقُلُوبِ حُجُبَ النُّورِ فَتَصِلَ اِلىٰ مَعْدِنِ الْعَظَمَةِ، وَتَصيرَ اَرْواحُنا مُعَلَّقَةً بِعِزِّ قُدْسِكَ، اِلـٰهي وَاْجعَلْني مِمَّنْ نادَيْتَهُ فَاَجابَكَ، وَلاحَظْتَهُ فَصَعِقَ لِجَلالِكَ، فَناجَيْتَهُ سِرّاً وَعَمِلَ لَكَ جَهْراً، اِلـٰهي لَمْ اُسَلِّطْ عَلىٰ حُسْنِ ظَنّي قُنُوطَ الْإِياسِ، وَلاَ انْقَطَعَ رَجائي مِنْ جَميلِ كَرَمِكَ، اِلـٰهي اِنْ كانَتِ الْخَطايا قَدْ اَسْقَطَتْني لَدَيْكَ، فَاصْفَحْ عَنّي بِحُسْنِ تَوَكُّلي عَلَيْكَ، اِلـٰهي اِنْ حَطَّتْني الذُّنوبُ مِنْ مَكارِمِ لُطْفِكَ، فَقَدْ نَبَّهَني الْيَقينُ اِلىٰ كَرَمِ عَطْفِكَ، اِلـٰهي اِنْ اَنامَتْنِى الْغَفْلَةُ عَنِ الاسْتِعْدادِ لِلِقائِكَ، فَقَدْ نَبَّهَتْني الْمَعْرِفَةُ بِكَرَمِ آلائِكَ، اِلـٰهي اِنْ دَعاني اِلى النّارِ عَظيمُ عِقابِكَ، فَقَدْ دَعاني اِلَى الْجَنَّةِ جَزيلُ ثَوابِكَ اِلـٰهي فَلَكَ اَسْأَلُ وَاِلَيْكَ اَبْتَهِلُ وَاَرْغَبُ، وَاَسأَلُكَ اَنْ تُصَلِّيَ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَاَنْ تَجْعَلَني مِمَّنْ يُديمُ ذِكْرَكَ، وَلا يَنْقُضُ عَهْدَكَ، وَلا يَغْفُلُ عَنْ شُكْرِكَ، وَلا يَسْتَخِفُّ بِاَمْرِكَ، اِلـٰهي وَاَلْحِقْني بِنُورِ عِزِّكَ الْأَبْهَجِ، فَاَكُونَ لَكَ عارِفاً، وَعَنْ سِواكَ مُنْحَرِفاً، وَمِنْكَ خائِفاً مُراقِباً، يا ذَالْجَلالِ وَالإِكْرامِ، وَصَلَّى اللهُ عَلىٰ مُحَمَّدٍ رَسُولِهِ وَآلِهِ الطّاهِرينَ وَسَلَّمَ تَسْليماً كَثيراً».

وللإمام عليّ(عليه السلام) مناجاة منظومة بليغة تمثّل جانباً من أدب الإمام(عليه السلام) وبلاغته وإليك نصّها:

لَكَ الْحَمْدُ يا ذَا الْجُودِ وَالْمجْدِ وَالْعُلىٰ ... تَبارَكْتَ تُعْطي مَنْ تَشاءُ وَتَمْنَعُ

اِلـٰهي وَخَلّاقي وَحِرْزي وَمَوْئِلي ... اِلَيْكَ لَدى الْإِعْسارِ وَالْيُسْرِ اَفْزَعُ

اِلٰهي لَئِنْ جَلَّتْ وَجَمَّتْ خَطِيئَتي   فَعَفْوُكَ عَنْ ذَنْبي اَجَلُّ وَاَوْسَعُ

اِلٰهي تَرىٰ حالي وَفَقْري وَفاقَتي   وَاَنْتَ مُناجاتي الخَفِيَّةَ تَسْمَعُ

اِلٰهي فَلاٰ تَقْطَعْ رَجٰائي وَلاٰ تُزِغْ   فُؤادي فَلي في سَيْبِ جُودِكَ مَطْمَعٌ

اِلٰهي لَئِنْ خَيَّبْتَني اَوْ طَرَدْتَني   فَمَنْ ذَا اَلَّذي اَرْجُو وَمَنْ ذٰا اُشَفِّعُ

اِلٰهي اَجِرْني مِنْ عَذٰابِكَ اِنَّني   اَسيرٌ ذَليلٌ خٰائِفٌ لَكَ اَخْضَعُ

اِلٰهي فَآنِسْني بِتَلْقِينِ حُجَّتي   اِذٰا كٰانَ لي فِي الْقَبْرِ مَثْوىً وَمَضْجَعٌ

اِلٰهي لَئِنْ عَذَّبْتَني اَلْفَ حِجَّةٍ   فَحَبْلُ رَجٰائي مِنْكَ لاٰ يَتَقَطَّعُ

اِلٰهي اَذِقْني طَعْمَ عَفْوِكَ يَوْمَ لاٰ   بَنُونَ وَلاٰ مٰالٌ هُنٰا لِكَ يَنْفَعُ

اِلٰهي لَئِنْ لَمْ تَرْعَني كُنْتُ ضٰائِعاً   وَاِنْ كُنْتَ تَرْعٰاني فَلَسْتُ اُضَيَّعُ

اِلٰهي إذا لَمْ تَعْفُ عَنْ غَيْرِ مُحْسِنٍ   فَمَنْ لِمُسيءٍ بِالهَوىٰ يَتَمَتَّعُ

اِلٰهي لَئِنْ فَرَّطْتُ فِي طَلَبِ التُّقىٰ   فَهٰا اَنَا اِثْرَ الْعَفْوِ اَقْفُو وَاَتْبَعُ

اِلٰهي لَئِنْ اَخْطأْتُ جَهْلاً فَطالَما   رَجَوْتُكَ حَتّىٰ قيلَ مٰا هُوَ يَجْزَعُ

اِلٰهي ذُنُوبي بَذَّتِ الطَّوْدَ وَاعْتَلَتْ   وَصَفْحُكَ عَنْ ذَنْبي اَجَلُّ وَاَرْفَعُ

اِلٰهي يُنَحّي ذِكْرُ طَوْلِكَ لَوْعَتي   وَذِكْرُ الْخَطٰايَا الْعَيْنَ مِنّي يُدَمِّعُ

اِلٰهي اَقِلْني عَثْرَتي وَامْحُ حَوْبَتي   فَاِنّي مُقِرٌّ خٰائِفٌ مُتَضَرِّعٌ

اِلٰهي اَنِلْني مِنْكَ رَوْحاً وَراحَةً   فَلَسْتُ سِوىٰ اَبْوٰابِ فَضْلِكَ اَقْرَعُ

اِلٰهي لَئِنْ اَقْصَيْتَني اَوْ اَهَنْتَني   فَما حيلَتي يٰا رَبِّ اَمْ كَيْفَ اَصْنَعُ

اِلٰهي حَليفُ الْحُبِّ في اللَّيْلِ سٰاهِرٌ   يُناجي وَيَدْعُو وَالْمُغَفَّلُ يَهْجَعُ

اِلٰهي وَهٰذَا الْخَلْقُ مٰا بَيْنَ نٰائِمٍ   وَمُنْتَبِهٍ في لَيْلِهِ يَتَضَرَّعُ

وكُلُّهُمْ يَرجُو نَوٰالَكَ رٰاجِياً   لِرَحْمَتِكَ الْعُظْمىٰ وَفِي الْخُلْدِ يَطْمَعُ

اِلٰهي يُمَنّيني رَجٰائي سَلاٰمَةً   وَقُبْحُ خَطِيئٰاتِي عَلَيَّ يُشَنِّعُ

اِلٰهي فَاِنْ تَعْفُو فَعَفْوُكَ مُنْقِذي   وَاِلاّ فَبِالذَّنْبِ الْمُدَمِّرِ اُصْرَعُ

اِلـٰـهي بِـحَقِّ الْـهاشِميِّ مُـحَمَّدٍ وَحُـرْمَةِ اَطْـهارٍ هُـمُ لَكَ خُـضَّعٌ

اِلـٰـهي بِـحَقِّ الْـمُصْطَفىٰ وَابْـنِ عَـمِّهِ وَحُـرْمَةِ اَبْـرارٍ هُـمُ لَكَ خُشَّـعٌ

اِلـٰـهي فَـاَنْشِرْني عَـلىٰ دِيـنِ اَحْـمَدٍ مُـنيباً تَـقِيّاً قـانِتاً لَكَ اَخْـضَعُ

وَلا تَـحْرِمْني يـا اِلـٰـهي وَسَـيِّدي شَـفاعَتَهُ الْكُـبْرىٰ فَـذاكَ الْـمُشَفَّعُ

وَصـلِّ عَـلَيْهِمْ ما دَعـاكَ مُـوَحِّدٌ وَنـاجاكَ اَخْـيارٌ بِـبابِكَ رُكَّـعٌ[1]

١٠ ـ في رحاب أدب الإمام (عليه السلام) :

لقد تعرّفنا على مجموعة من النصوص المنثورة والمنظومة التي أُثرت عن الإمام (عليه السلام) في نهج البلاغة أو غيره من الكتب التي اهتمّت بتراث الإمام (عليه السلام)، ولاحظنا القمّة الشاهقة المتألّقة التي بلغها الإمام سواء في ميدان الخطابة أو الكتب والرسائل أو الكلمات الحكمية والمواعظ أو ميدان الشعر، ولا نبالغ إذا قلنا ـ كما قال متخصّصو الأدب ـ إنّ أجود نتاج أدبي عرفه التأريخ فنّاً وعمقاً وفكراً هو نتاج الإمام عليّ (عليه السلام)[2].

ونختار نماذج منظومة من أدبه الرفيع (عليه السلام) في مختلف المجالات، علماً بأنّ هناك ديوان شعر يُنسب إليه، وقد اعتمده بعض المؤرّخين واستشهدوا بنماذج أدبيّة من نصوصه[3].

قال (عليه السلام) في رثاء أبيه أبي طالب رضوان الله تعالى عليه :

أبـا طـالبٍ عـصمة المستجير وغـيث المـحول ونـور الظُـلَم

لقـد هـدّ فـقدُكَ أهـل الحفاظ فـصلّىٰ عـليك وليّ النِـعَم

---

(١) الصحيفة العلوية ومفاتيح الجنان.

(٢) تأريخ الأدب العربي في ضوء المنهج الإسلامي للدكتور محمود البستاني: أدب الإمام علي (عليه السلام).

(٣) راجع: في رحاب أئـمّة أهل البيت (عليهم السلام) للسيد محسن الأمين : ٢ / ٣٠١ ـ ٣١٣.

ولقّـــاك ربّك رضـــوانــه فقد كنت للمصطفىٰ خير عمّ[1]

وجاء عن الجاحظ والبلاذري: أنّ عليّاً كان أشعر الصحابة وأفصحهم وأخطبهم وأكتبهم، وممّا قاله يوم بدر:

نصرنا رسول الله لمّا تدابروا وثاب إليه المسلمون ذوو الحجىٰ

ضربنا غواة الناس عنه تكرّماً ولمّا يروا قصد السبيل ولا الهدىٰ

ولما أتانا بالهدىٰ كان كلّنا على طاعة الرحمن والحقّ والتقىٰ

وممّا أورده سبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص قوله (عليه السلام):

للناس حرص على الدنيا بتدبير وصفوها لك ممزوج بتكدير

لم يرزقوها بعقل حينما رزقوا لكنّما رزقوها بالمقادير

لو كان عن قوّة أو عن مغالبةٍ طار البزاة بأرزاق العصافير

وعنه (عليه السلام):

دواؤك فيك وما تشعر وداؤك منك وما تبصر

وتحسب أنّك جرم صغير وفيك انطوىٰ العالم الأكبر

فسلام عليك يا أبا الحسن والحسين يا سيّد البلغاء والشعراء يوم ولدت ويوم آمنت وجاهدت ويوم صبرت وآثرت ويوم أقمت حدود الله واستشهدت في سبيل الله ورسوله صابراً محتسباً ويوم تبعث حياً، تقود أحبّاءك على الحوض إلى جنّات النعيم.

والحمد لله ربّ العالمين

---

(١) راجع: الغدير: ٣ / ١٠٦ و ٧ / ٣٧٨ و ٣٧٩.

فهرس المصادر

ـ أ ـ

١ ـ أبوطالب مؤمن قريش، عبدالله الخنيزي (معاصر)، مؤسسة البلاغة، ط ٥ (١٤١٨ هـ)، بيروت.

٢ ـ أخبار القضاة، أبي بكر محمّد بن خلف بن حبان المشهور بابن الوكيع المتوفى (٣٠٦هـ).

٣ ـ الاتقان في علوم القرآن ، جلال الدين عبدالرحمٰن بن أبي بكر السيوطي الشافعي المتوفى (٩١١ هـ).

٤ ـ الاحتجاج، أبو منصور أحمد بن عليّ بن أبي طالب الطبرسي المتوفى (٥٦٠هـ).

٥ ـ أُسد الغابة، في معرفة الصحابة، عزّ الدين عليّ بن أبي الكرم محمّد بن محمّد بن عبدالكريم الشيباني (ابن الأثير الجزري) المتوفى (٦٣٠ هـ)، إسماعيليان ط أُولى، طهران.

٦ ـ إشارة السبق إلى معرفة الحقّ، أبو المجد علاء الدين عليّ بن الحسن الحلبي المتوفى (٧٠٨ هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي ط الأُولى (١٤١٤ هـ).

٧ ـ أُصول الكافي ، أبو جعفر محمّد بن يعقوب الكليني المتوفى (٣٢٨ أو ٣٢٩هـ).

٨ ـ إعلام الورىٰ بأعلام الهدىٰ، أبو عليّ الفضل بن الحسن الطبرسي المتوفى (٥٤٨هـ)، مؤسسة آل البيت، ط الأوّل، قم.

٩ ـ إقبال الأعمال، رضي الدين عليّ بن موسى بن جعفر بن طاووس المتوفى (٦٦٤ هـ)، مكتب الإعلام الإسلامي ط ١.

١٠ ـ الاختصاص، أبو عبدالله محمّد بن محمّد العكبري البغدادي، الشيخ المفيد

المتوفى (٤١٣ هـ)، دار المفيد، بيروت ط ٢ (١٤١٤ هـ).

١١ ـ **الأربعون حديثاً في فضائل الإمام عليّ عليه السلام**، منتخب الدين بن بابويه المتوفى (٥٨٥ هـ)، مدرسة الإمام المهدي، ط ١، قم.

١٢ ـ **الإرشاد**، الشيخ أبو عبدالله محمّد بن محمّد بن النعمان المعروف بالمفيد المتوفى (٤١٣ هـ)، دار المفيد، ط ٢ (١٤١٤ هـ)، بيروت .

١٣ ـ **الاستيعاب في أسماء الأصحاب**، أبو عمر يوسف بن عبدالله بن محمّد بن عبدالبرّ القرطبي المتوفى (٤٦٣ هـ)، دار الكتب العلمية ط الأُولى، بيروت.

١٤ ـ **الاستذكار في شرح مذاهب أئمة الأمصار** ، ابن عبدالبرّ ، أبو عمر يوسف بن عبدالله النمري المالكي القرطبي المتوفى (٤٦٣ هـ).

١٥ ـ **الإصابة في معرفة الصحابة**، ابن حجر المتوفى (٨٥٢ هـ)، ط ١ (١٤١٥ هـ)، دار الكتب العلمية ط ١ بيروت.

١٦ ـ **الأغاني** ، أبو الفرج عليّ بن الحسين الأُموي الإصفهاني المتوفى (٣٥٦ هـ).

١٧ ـ **أعيان الشيعة** ، السيّد محسن بن عبدالكريم الأمين العاملي المتوفى (١٣٧١ هـ).

١٨ ـ **الأمالي**، أبو جعفر محمّد بن الحسن الطوسي المتوفى (٤٦٠ هـ).

١٩ ـ **الأمالي**، أبو جعفر محمّد بن عليّ بن حسين القمي المعروف بالصدوق المتوفى (٣٨١ هـ).

٢٠ ـ **الإمام عليّ صوت العدالة الإنسانية**، جورج جرداق (معاصر).

٢١ ـ **الإمامة والتبصرة**، عليّ بن بابويه القمّي (والد الصدوق) المتوفى (٣٢٩ هـ)، مؤسسة المهدي(عج) ط الأُولى، قم.

٢٢ ـ **الإمامة والسياسة**، أبو محمّد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري المتوفى (٢٧٦هـ)، مؤسسة الحلبي وشركاءه، سورية، وطبعة منشورات الشريف الرضي (١٤١٣ هـ)، قم.

٢٣ ـ **إمتاع الأسماع**، تقي الدين أحمد بن عليّ بن عبدالقادر بن محمّد المقريزي المتوفى (٨٤٥ هـ)، دار الكتب العلمية، ط الأُولى (١٤٢٠ هـ، بيروت.
٢٤ ـ **أنساب الأشراف**، البلاذري المتوفى (٢٧٩ هـ)، مؤسسة الأعلمي، ط ١ (١٣٩٤هـ)، بيروت.
٢٥ ـ **الأنساب**، أبي سعد عبدالكريم بن محمّد بن منصور التميمي السمعاني المتوفى (٥٦٢ هـ).
٢٦ ـ **أهل البيت تنوع أدوار ووحدة هدف**، الشهيد السعيد محمّد باقر الصدر ﷺ المستشهد (١٤٠٠ هـ).

ـ ب ـ

٢٧ ـ **البداية والنهاية**، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي المتوفى (٧٧٤ هـ)، دار إحياء التراث العربي، ط الأُولى، بيروت.
٢٨ ـ **بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار**، العلامة محمّد باقر المجلسي المتوفى (١١١١ هـ)، مؤسسة الوفاء، ط الثانية، بيروت.
٢٩ ـ **البحر المحيط (تفسير)**، محمّد بن يوسف بن حيان أبو حيان النحوي الأندلسي المتوفى (٦٥٤ هـ).
٣٠ ـ **بشارة المصطفى**، أبو جعفر محمّد بن عليّ الطبري الإمامي المتوفى (٥٢٥هـ).
٣١ ـ **بصائر الدرجات**، أبو جعفر محمّد بن الحسن بن فرّوخ الصفّار القمي المتوفى (٢٩٠ هـ)، مؤسسة الأعلمي ط الأُولى، بيروت.
٣٢ ـ **بلاغات النساء لابن طيفور**، أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر معروف بابن طيفور المتوفى (٣٨٠ هـ)، مكتبة بصيرتي، ط ١، قم.

ـ ت ـ

٣٣ـ **التاريخ الكبير**، محمّد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي البخاري المتوفى (٢٥٦ هـ)، المكتبة الإسلامية ط الأُولى ديار بكر، تركيا.

٣٤ـ**التبيان في تفسير القرآن**، أبو جعفر محمّد بن الحسن الطوسي المتوفى (٤٦٠هـ)، مكتب الإعلام الإسلامي ط الأُولى، قم.

٣٥ـ **تاريخ ابن معين (برواية عثمان بن سعيد الدارمي)** المتوفىٰ) ٢٨٠ هـ)،أبو زكريا يحيىٰ بن معين الدوري المتوفى (٢٣٣ هـ) .

٣٦ـ **تاريخ الأدب العربي في ضوء المنهج الإسلامي**، د. محمود البستاني (معاصر).

٣٧ـ **تاريخ الخلفاء**، جلال الدين السيوطي المتوفى (٩١١ هـ)، منشورات الشريف الرضي، ط ١ (١٤١١ هـ)، قم.

٣٨ـ**تاريخ الطبري (تاريخ الأُمم والملوك)**، أبو جعفر محمّد بن جرير الطبري المتوفى (٣١٠هـ)، مؤسسة الأعلمي، ط الثانية، بيروت.

٣٩ـ **تاريخ المدينة المنوّرة**، أبي زيد عمر بن شبّة النميري المتوفى (٢٦٢ هـ)، دار الفكر ط الأُولى (١٤١٠ هـ)، بيروت.

٤٠ـ **تاريخ اليعقوبي**، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي المتوفى (٢٨٤ هـ)، مؤسسة الأعلمي ط الأُولى، بيروت.

٤١ـ **تاريخ بغداد**، أبو بكر أحمد بن عليّ الخطيب المتوفى (٤٦٣ هـ)، دار الكتب العلمية ط الأُولى، بيروت.

٤٢ـ**تاريخ أبي الفداء (المختصر في أخبار البشر)** ، أبو الفداء إسماعيل بن عليّ المتوفى (٧٣٢ هـ).

٤٣ـ **تاريخ مدينة دمشق**، أبو القاسم عليّ بن الحسن بن هبة الله الشافعي المعروف بابن عساكر المتوفى (٥٧١ هـ)، دار الفكر ط الأُولى، بيروت.

٤٤ ـ **تحف العقول**، أبو محمّد الحسن بن عليّ بن الحسين بن شعبة الحرّاني (من علماء القرن الرابع) مؤسسة النشر الإسلامي ط الثانية، قم، وط الرابعة.

٤٥ ـ **تذكرة الخواص، أبو المظفر**، يوسف بن قزاوغلي بن عبدالله سبط ابن الجوزي المتوفى (٦٥٤ هـ)، المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام، ط ١ (١٤٢٦ هـ)، قم.

٤٦ ـ **تصنيف غرر الحكم**، عبدالواحد الآمدي التميمي من علماء القرن الخامس الهجري.

٤٧ ـ **التفسير الكبير (تفسير الرازي)**، محمّد بن عمر بن الحسين القرشي الطبرستاني المتوفى (٦٠٦ هـ).

٤٨ ـ **تفسير البغوي (معالم التنزيل)** ، أبو أحمد الحسين بن مسعود الفرّاء البغوي الشافعي المتوفى (٥١٦ هـ).

٤٩ ـ **تفسير ابن عربي**، ابن العربي محيي الدين محمّد بن عليّ الطائي الأندلسي المتوفى (٦٢٨ هـ)، دار الكتب العلمية المتوفى (٦٣٨ هـ)، ط ١ (١٤٢٢هـ)، بيروت.

٥٠ ـ **تفسير ابن كثير**، ابن كثير المتوفى (٧٧٤ هـ)، دار لمعرفة، ط (١٤١٢ هـ)، بيروت.

٥١ ـ **تفسير البيضاوي**، القاضي عبدالله بن عمر بن محمّد بن عليّ البيضاوي المتوفى (٧٩١ هـ)، دار الفكر، بيروت.

٥٢ ـ **تفسير الثعلبي (الكشف والبيان)**، أبو إسحاق أحمد المعروف بالإمام الثعلبي المتوفى (٤٢٧ أو ٤٣٧ هـ)، دار إحياء التراث العربي ط الأُولى (١٤٠٥ هـ)، بيروت.

٥٣ ـ **تفسير العيّاشي**، أبو نضر محمّد بن مسعود بن عيّاش السلمي السمرقندي المتوفى (٣٢٠ هـ) المكتبة العلمية الإسلامية، بيروت.

٥٤ ـ **تفسير القرطبي،** أبو عبدالله محمّد بن أحمد الأنصاري القرطبي المتوفى (٦٧١هـ)، دار إحياء التراث العربي ط (١٤٠٥ هـ)، بيروت.

٥٥ ـ **تفسير القمي،** أبو الحسن عليّ بن إبراهيم القمي المتوفى (٣٢٩ هـ)، مؤسسة دار الكتاب ط الثالثة (١٤٠٤ هـ)، قم.

٥٦ ـ **تفسير المحيط (بحر المحيط)،** أبو حيان الأندلسي المتوفى (٧٤٥ هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت.

٥٧ ـ **تفسير فرات الكوفي**، أبو القاسم فرات بن إبراهيم بن فرات الكوفي المتوفى (٣٥٢ هـ)، مؤسسة الطبع والنشر التابعة لوزارة الإرشاد الإسلامي، ط ١ (١٤١٠هـ)، طهران.

٥٨ ـ **تهذيب الكمال في أسماء الرجال،** جمال الدين بن الحجاج بن يوسف المزّي المتوفى (٧٤٢ هـ)، مؤسسة الرسالة ط الرابعة، بيروت.

ـ ث ـ

٥٩ ـ **الثاقب في المناقب،** أبو جعفر محمّد بن عليّ بن حمزة الطوسي المتوفى (٥٦٠هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي المتوفى (١٤١٣هـ) ط ٢، قم.

٦٠ ـ **الثقات،** محمّد بن حبّان بن أحمد التميمي البستي المتوفى (٣٥٤ هـ)، مجلس دائرة المعارف العثمانية، ط ١ (١٣٩٣ هـ)، الهند.

ـ ج ـ

الجامع الصحيح (سنن الترمذي)، محمّد بن عيسىٰ بن سورة الترمذي المتوفى (٢٧٩هـ)، دار الفكر ط الثانية (١٤٠٣ هـ)، بيروت.

٦١ ـ **الجواهر السنية**، محمّد بن الحسن بن عليّ الحرّ العاملي المتوفى (١١٠٤ هـ)،

مطبعة النعمان، ط ١ النجف.

٦٢ـ الجوهرة في نسب الإمام عليّ عليه السلام وآله، محمّد بن أبي بكر الأنصاري التلمساني المعروف بالبرّي المتوفى (٦٤٥ هـ)، مكتبة النوري، ط ١ (١٤٠٢ هـ)، دمشق.

٦٣ـ جواهر المطالب في مناقب الإمام عليّ عليه السلام، ابن الدمشقي، مجمع إحياء الثقافة، ط ١ (١٤١٥ هـ). قم.

٦٤ـ جواهر العقدين في فضل الشرفين، نور الدين عليّ بن عبدالله السمهودي المتوفى (٩١١ هـ).

٦٥ـ الجامع لأحكام القرآن (تفسير السيوطي)، محمّد بن أحمد القرطبي المتوفى (٦٧١هـ) .

٦٦ـ الجمل، أبو عبدالله محمّد بن محمّد بن النعمان العكبري البغدادي (الشيخ المفيد) المتوفى (٤١٣ هـ).

ـ ح ـ

٦٧ـ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبدالله الإصفهاني المتوفى (٤٣٠ هـ) دار الكتاب العربي ط الخامسة، بيروت.

٦٨ـ حياة أمير المؤمنين عليه السلام في عهد النبيّ صلى الله عليه وآله، السيّد محمّد صادق الصدر (معاصر) .

٦٩ـ حياة الإمام الحسين عليه السلام ، باقر شريف القرشي (معاصر) .

٧٠ـ حياة الحيوان، كمال الدين محمّد بن موسى الدميري المتوفى (٨٠٨ هـ).

ـ خ ـ

٧١ـ الخرائج والجرائح، أبو الحسين سعيد بن عبدالله الراوندي المعروف بقطب الدين الراوندي المتوفى (٥٧٣ هـ)، مؤسسة الإمام المهدي(عج) ط الأُولى، قم.

٧٢ـ خصائص الأئمة عليهم السلام (خصائص أمير المؤمنين عليه السلام)، الشريف الرضي محمّد بن

الحسين بن موسى الموسوي المتوفى (٤٠٦ هـ)، مجمع البحوث الإسلامية ط الثانية، مشهد.

٧٣ـ خصائص أمير المؤمنين عليّ ، أبو عبدالرحمٰن أحمد بن شعيب النسائي المتوفى (٣٠٣ هـ).

٧٤ـ الخصال، أبو جعفر محمّد بن عليّ الصدوق المتوفى (٣٨١ هـ).

ـ د ـ

٧٥ـ الدرّ المنثور في التفسير المأثور، عبدالرحمٰن أبو بكر السيوطي المتوفى (٩١١هـ)، دار المعرفة ط الأُولى (١٣٦٥ هـ) جدّة.

٧٦ـ الدرّ النظيم في مناقب الأئمة اللهاميم، جمال الدين يوسف بن حاتم الشامي بن حاتم العاملي المتوفى (٦٦٤هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي، ط ١، قم.

٧٧ـ الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة، السيّد على خان المدني الشيرازي المتوفى (١١٣٠ هـ)، مكتبة بصيرتي، ط (١٣٩٧ هـ)، قم.

٧٨ـ دعائم الإسلام، القاضي النعمان المغربي المتوفى (٣٦٣ هـ)، دار المعارف، ط (١٣٨٣ هـ)، القاهرة .

٧٩ـ دلائل الإمامة، أبو جعفر محمّد بن جرير بن رستم الطبري (من أعلام القرن الخامس الهجري).

ـ ذ ـ

٨٠ـ ذخائر العقبىٰ، أحمد بن عبدالله الطبري المتوفى (٦٩٤ هـ)، مكتبة القدسي، القاهرة (١٣٥٦ هـ).

- ر -

٨١ـ**رسائل السيّد المرتضى،** عليّ بن الحسين الموسوي البغدادي (الشريف مرتضى علم الهدىٰ) المتوفى (٤٣٦ هـ)، دار القرآن، ط ١ قم.
٨٢ـ**روضة الواعظين،** محمّد بن الفتّال النيسابوري المتوفى (٥٠٨ هـ)، منشورات شريف الرضي ط الثالثة، قم.

- س -

٨٣ـ**السقيفة وفدك،** أبو بكر أحمد بن عبدالعزيز الجوهري المتوفى (٣٢٣ هـ)، شركة الكتبي، ط ٢ (١٤١٣ هـ)، بيروت.
٨٤ـ**السنن الكبرىٰ للبيهقي،** أحمد بن الحسين البيهقي المتوفى (٤٥٨ هـ)، دار الفكر ط ١، بيروت.
٨٥ـ**السنن الكبرىٰ،** أحمد بن شعيب النسائي المتوفى (٣٠٣ هـ)، دار الفكر ط الأُولى، بيروت.
٨٦ـ**السيرة الحلبية،** علي بن برهان الدين الحلبي المتوفى (١٠٤٤ هـ)، دار المعرفة، ط (١٤٠٠ هـ)، بيروت.
٨٧ـ**السيرة النبوية،** أبو الفداء إسماعيل بن عمرو بن كثير القرشي الدمشقي الشافعي المتوفى (٧٧٤ هـ)، دار المعرفة ط الثانية، بيروت.
٨٨ـ**السيرة النبوية،** ابن هشام الحميري المتوفى (٢١٨ هـ)، مكتبة محمّد عليّ صبح، ط (١٣٨٣ هـ)، مصر.
٨٩ـ**سبل الهدىٰ والرشاد في سيرة خير العباد،** محمّد بن يوسف الصالحي الشامي المتوفى (٩٤٢هـ)، دار الكتب العلمية ط الأُولى، بيروت.
٩٠ـ**سنن ابن ماجة،** أبو عبدالله محمّد بن يزيد القزويني المعروف بابن ماجة،

المتوفى (٢٧٣هـ)، دار الفكر ط الأُولى، بيروت.

٩١ـسنن أبي داود، أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني المتوفى (٢٧٥ هـ)، دار الفكر، ط ١ (١٤١٠ هـ)، بيروت.

٩٢ ـ سنن الدارمي، عبدالله بن بهرام الدارمي المتوفى (٢٥٥ هـ)، مطبعة الاعتدال، ط ١ (١٣٤٩ هـ)، دمشق.

٩٣ ـ سير أعلام النبلاء، الحافظ محمّد بن أحمد الذهبي المتوفى (٧٤٨ هـ)، مؤسسة الرسالة، ط ٩ (١٤١٣ هـ)، بيروت.

٩٤ـ سيرة الأئمة الاثني عشر، السيّد هاشم معروف الحسني المتوفى (١٤٠٤ هـ) .

ـ ش ـ

٩٥ ـ شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار، القاضي النعمان بن محمّد المغربي المتوفى (٣٦٣ هـ).

٩٦ ـ شرح مئة كلمة لأمير المؤمنين(عليه السلام)، الشيخ كمال الدين ميثم بن عليّ بن ميثم البحراني المتوفى (٦٧٩ هـ)، جامعة المدسين، ط ١، قم.

٩٧ ـ شرح نهج البلاغة، أبو حامد هبة الله بن محمّد بن محمّد بن الحسين بن أبي الحديد المدائني المعتزلي المتوفى (٦٥٦ هـ)، دار إحياء الكتب العربية ط الأُولى، بيروت.

٩٨ ـ شواهد التنزيل لقواعد التفضيل، عبيدالله بن عبدالله بن أحمد الحنفي النيسابوري (الحاكم الحسكاني) المتوفى (القرن الخامس)، مؤسسة الطبع والنشر التابعة لوزارة الثقافة، ط ٦ ايران.

٩٩ـ شرح الجامع الصغير، جلال الدين السيوطي المتوفى (٩١١ هـ).

١٠٠ ـ شيخ المضيرة، الشيخ محمود أبو ريّة المصري المتوفى (١٣٩٠ هـ ـ ١٩٧٠ م).

١٠١ ـ **شرح المواهب اللّدنية بالمنح المحمّدية**، أحمد بن محمّد القسطلاني المتوفى (٩٢٣ هـ).

ـ ص ـ

١٠٢ ـ **الصراط المستقيم**، عليّ بن يونس العاملي المتوفى (٨٧٧ هـ)، المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية ط (١٣٨٤ هـ).

١٠٣ ـ **الصواعق المحرقة**، ابن حجر الهيتمي المكّي المتوفى (٩٧٤ هـ)، مكتبة القاهرة.

١٠٤ ـ **صحيح البخاري**، محمّد بن إسماعيل بن إبراهيم بن مغيرة الجعفي المتوفى (٢٥٦ هـ)، دار الفكر سنة (١٤٠٤ هـ) و دار القلم ط الأُولى (١٤٠٣ هـ)، بيروت.

١٠٥ ـ **صحيح مسلم**، مسلم بن حجاج القشيري النيشابوري المتوفى (٢٦١هـ)، دار الفكر ط الأُولى، بيروت.

١٠٦ ـ **الصحيفة العلوية** ، عبدالله بن صالح بن الحاج جمعه السماهيجي المتوفى (١١٣٥ هـ).

ـ ط ـ

١٠٧ ـ **الطبقات الكبرى**، ابن سعد محمّد بن سعد بن منيع الزهري البصري المتوفى (٢٣٠ هـ)، دار الفكر، بيروت.

١٠٨ ـ **الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف**، عليّ بن موسى ابن طاووس الحسني المتوفى (٦٦٤ هـ)، مطبعة الخيام ط الأُولى (١٣٧١ ش)، قم.

- ع -

١٠٩ ـ **العثمانية**، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب بن فزارة الكتاني المعروف بالجاحظ المتوفى (٢٥٥ هـ)، مكتبة الجاحظ، مصر .

١١٠ ـ **العُدد القوية لدفع المخاوف اليومية**، رضي الدين عليّ بن يوسف المطهر الحلّي المتوفى (٧٢٦ هـ).

١١١ ـ **العقد الفريد**، أحمّد بن محمّد بن عبدربّه الأندلسي المالكي المتوفى (٣٢٨هـ)، مكتبة الشرقية، ط ١ مصر.

١١٢ ـ **العمدة (عمدة عيون صحاح الأخيار في مناقب إمام الأبرار)**، يحيىٰ بن الحسن الأسدي الحلّي ابن البطريق المتوفى (٦٠٠ هـ).

١١٣ ـ **عبقرية الإمام عليّ** عليه السلام ، عبّاس محمود العقّاد (معاصر)، نهضة مصر، القاهرة.

١١٤ ـ **علل الشرائع**، محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمّي المعروف بالشيخ الصدوق (٣٨١هـ)، المكتبة الحيدرية ط الأُولى (١٣٨٦ هـ)، النجف الأشرف.

١١٥ ـ **عيون أخبار الرضا** عليه السلام ، أبو جعفر محمّد بن عليّ الصدوق المتوفى (٣٨١ هـ).

١١٦ ـ **عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسِير**، ابن سيّد الناس محمّد بن محمّد أبوالفتح المتوفى (٧٣٤ هـ)، مؤسسة عزّ الدين ط الأُولى (١٤٠٦ هـ)، بيروت.

- غ -

١١٧ ـ **الغارات**، إبراهيم بن محمد الثقفي المتوفى (٢٨٣ هـ)، المحقق السيّد جلال الدين الحسيني، قم.

١١٨ ـ **الغدير في الكتابة والسنّة**، عبدالحسين الأميني النجفي المتوفى (١٣٧٠ هـ)، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، ط ١ (١٤١٦ هـ)، قم.

١١٩ ـ **الغيبة**، محمّد إبراهيم النعماني المتوفى (٣٨٠ هـ)، مكتبة الصدوق، الأُولى، طهران.

١٢٠ ـ **الغيبة**، أبو جعفر محمّد بن الحسن الطوسي المتوفى (٤٦٠ هـ).

ـ ف ـ

١٢١ ـ **الفتنة ووقعة الجمل**، سيف بن عمر الضبي المتوفى (٢٠٠ هـ)، دار النفائس، ط ١ (١٣٩١ هـ، بيروت.

١٢٢ ـ **الفصول المختارة**، الشيخ المفيد، دار المفيد، ط ٢ (١٤١٤ هـ)، بيروت.

١٢٣ ـ **الفصول المهمّة في معرفة الأئمة**، عليّ بن محمّد بن أحمد المالكي المعروف بابن الصبّاغ المتوفى (٨٥٥ هـ)، دار الأضواء ط الثانية، بيروت.

١٢٤ ـ **فدك في التاريخ**، الشهيد السيد محمّد باقر الصدر ﷺ المتوفى (١٤٠٠ هـ).

١٢٥ ـ **فرائد السمطين في فضائل المرتضى والبتول والسبطين والأئمة من ذرّيتهم** عليهم السلام، إبراهيم بن محمّد بن المؤيد بن عبدالله الجويني الحمويني المتوفى (٧٣٠ هـ).

١٢٦ ـ **الفهرست لابن النديم**، محمّد بن إسحاق المعروف بابن النديم البغدادي المتوفى (٣٨٠ هـ)، المحقق رضا تجدد، قم.

١٢٧ ـ **فتح الباري في شرح صحيح البخاري**، أحمد بن عليّ بن حجر العسقلاني المتوفى (٨٥٢ هـ)، دار المعرفة ط ٢، بيروت.

١٢٨ ـ **فضائل الصحابة**، أبو عبدالرحمن أحمد بن شعيب النسائي المتوفى (٣٠٣ هـ)، دار الكتب العلمية، ط ١ بيروت.

١٢٩ ـ **في رحاب أئمة أهل البيت** عليهم السلام، السيّد محسن الأمين العاملي المتوفى (١٣٧١ هـ) وهو المدخل لكتابه (أعيان الشيعة).

١٣٠ ـ **فيض القدير شرح الجامع الصغير**، محمّد عبدالرؤوف المناوي المتوفى

(١٣٢١هـ).

- ق -

١٣١ـقادتنا كيف نعرفهم، السيّد محمّد هادي الحسيني الميلاني المتوفى (١٣٩٥هـ)، تحقيق السيّد محمّد عليّ الميلاني.

- ك -

١٣٢ـالكافي، أبو جعفر محمّد بن يعقوب الكليني الرازي المتوفى (٣٢٨أو ٣٢٩هـ)، دار الأضواء ط الأُولى، بيروت.

١٣٣ـالكامل في التاريخ، أبو الحسن عليّ بن محمّد بن محمّد بن عبدالكريم الشيباني الجزري ابن الأثير المتوفى (٦٣٠هـ)، دار الفكر ط الثانية، بيروت.

١٣٤ـكتاب الأربعين للشيرازي، محمد طاهر الشيرازي المتوفى (١٠٩٨هـ)، مطبعة الأمير، ط (١٤١٨هـ)، قم.

١٣٥ـكتاب الأوائل، أحمد بن عمر بن أبي عاصم الضحّاك الشيباني المتوفى (٢٨٧هـ)، دار الخلفاء، ط ١، الكويت.

١٣٦ـكتاب الفتوح، أحمد بن أعثم الكوفي المتوفى (٣١٤هـ)، دار الأضواء، ط ١ (١٤١١هـ)، بيروت.

١٣٧ـكتاب الفتن، أبو عبدالله نعيم بن حمّاد المروزي المتوفى (٢٢٩هـ).

١٣٨ـكتاب الفتن، أبو يحيىٰ زكريا بن يحيى بن حارث البزاز .

١٣٩ـكتاب جمل من أنساب الإشراف، أحمد بن يحيى البلاذري المتوفى (٢٧٩هـ)، دار الفكر، ط ١ (١٤١٧هـ)، بيروت.

١٤٠ـكتاب سليم بن قيس، سليم بن قيس الهلالي المتوفى (٧٦هـ)، المحقق، محمد باقر الأنصاري .

١٤١ ـ **كشف الغمّة في معرفة الأئمة**، عليّ بن عيسى الإربلي المتوفى (٦٩٢ هـ)، دار الكتاب الإسلامي، بيروت.

١٤٢ ـ **كفاية الأثر في النصّ على الأئمة الاثنىٰ عشر** عليهم السلام ، أبو القاسم عليّ بن محمّد بن عليّ الخزاز القمّي الرازي المتوفى (٤٠٠ هـ) .

١٤٣ ـ **كشف اليقين في فضائل أمير المؤمنين**، الحسن بن يوسف بن عليّ المطهر الحلّي المتوفى (٧٢٦ هـ) وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي ط الثانية، طهران.

١٤٤ ـ **الكلمة الغرّاء**، السيّد عبدالحسين شرف الدين العاملي المتوفى (١٣٧٧ هـ).

١٤٥ ـ **كنز العمّال**، عليّ المتّقي بن حسان الدين الهندي المتوفى (٩٧٥ هـ)، مؤسسة الرسالة سنة (١٤١٣ هـ)، بيروت.

ـ م ـ

١٤٦ ـ **المستدرك على الصحيحين**، أبو عبدالله محمّد بن محمّد الحاكم النيسابوري المتوفى (٤٠٥ هـ)، دار المعرفة ط الأُولى، بيروت.

١٤٧ ـ **المسترشد**، ابن جرير الطبري (الشيعي)، مؤسسة الثقافية الإسلامية، ط ١ (١٤١٥ هـ)، قم.

١٤٨ ـ **المصنّف لابن أبي شيبة**، عبدالله بن محمّد المتوفى (٢٣٥ هـ)، دار الفكر ط الأُولى، بيروت.

١٤٩ ـ **المعجم الصغير**، سليمان بن أحمد الطبراني المتوفى (٣٦٠ هـ)، دار إحياء التراث العربي ط الثالثة، بيروت.

١٥٠ ـ **المعجم الموضوعي لنهج البلاغة**، أويس كريم محمّد (معاصر)، مجمع البحوث الإسلامية، ط ٢ (١٤٠٨ هـ)، مشهد.

١٥١ـ **معالم المدرستين،** السيّد مرتضى محمّد إسماعيل (شيخ الإسلامي) العسكري المتوفى (١٤٢٨ هـ).

١٥٢ـ **المغازي،** محمّد بن عمر بن واقد أبو عبدالله الواقدي المتوفى (٢٠٧ هـ)، مكتبة الإعلام الإسلامي ط الأُولى، بيروت.

١٥٣ـ **مقاتل الطالبيّين** ، أبو الفرج عليّ بن الحسين بن محمّد الأُموي الإصفهاني المتوفى (٣٥٦ هـ).

١٥٤ـ **معارج الوصول،** محمّد بن يوسف بن الحسن بن محمّد الزرندي الحنفي المدني المتوفى (٧٥٠ هـ).

١٥٥ـ **مفاتيح الجنان،** الشيخ عبّاس القمّي المتوفى (١٣٥٣ هـ).

١٥٦ـ **المقنعة،** الشيخ المفيد محمّد بن محمّد بن النعمان العكبري البغدادي المتوفى (٤١٣ هـ)، جامعة المدرسين ط الأُولى، قم.

١٥٧ـ **الملاحم والفتن،** ، السيد ابن طاووس المتوفى (٦٦٤ هـ)، مؤسسة صاحب الأمر(عج)، ط ١ (١٤١٦ هـ)، قم.

١٥٨ـ **الملل والنحل،** محمّد بن عبدالكريم الشهرستاني المتوفى (٥٤٨ هـ)، مؤسسة ناصر للثقافة ط الأُولى، ودار المعرفة، بيروت.

١٥٩ـ **المناقب،** الموفق بن أحمد بن محمد المكّي الخوارزمي المتوفى (٥٦٨هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي، ط ٢، قم.

١٦٠ـ **المواقف،** أبو الفضل عبدالرحمٰن بن أحمد بن عبدالغفار (عضد الدين الايجي) المتوفى (٧٥٦ هـ)، دار الجيل، ط ١ (١٤١٧ هـ)، بيروت.

١٦١ـ **مجمع البيان في تفسير القرآن،** أبو عليّ الفضيل بن الحسن الطبرسي المتوفى (٥٤٨ أو ٥٦٠ هـ)، مؤسسة الأعلمي ط الأُولى، بيروت.

١٦٢ـ **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد،** نور الدين عليّ بن أبي بكر الهيثمي المتوفى (٨٠٧هـ)، دار الكتب العلمية، ط الثانية (١٤٠٨ هـ)، بيروت.

١٦٣ـ **مختصر بصائر الدرجات**، حسن بن سليمان الحلّي (القرن ٩)، المكتبة الحيدرية، ط ١ (١٣٧٠ هـ)، النجف.

١٦٤ـ **مروج الذهب**، أبو الحسن عليّ بن الحسين بن عليّ المسعودي المتوفى (٣٤٦هـ)، دار الفكر، ط الأُولى، بيروت، ودار الهجرة ط الثانية، قم.

١٦٥ـ **مسند أحمد**، أحمد بن حنبل الشيباني المتوفى (٢٤١ هـ)، دار صادر ط الأُولى، بيروت.

١٦٦ـ **مناقب آل أبي طالب**، محمّد بن عليّ بن شهرآشوب السروي المازندراني المتوفى (٥٨٨ هـ)، دار الأضواء ط الأُولى، بيروت.

١٦٧ـ **منهاج السنّة**، أبو العبّاس أحمد بن عبدالحليم الحرّاني الدمشقي الحنبلي المتوفى (٧٢٨ هـ).

١٦٨ـ **منية الطالب في إيمان أبي طالب**، محمّد رضا الطبسي (معاصر).

١٦٩ـ **مناقب الإمام عليّ بن أبي‌طالب**، محمّد بن سليمان الكوفي القاضي المتوفى (٣٠٠ هـ)، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية ط الأُولى، قم.

١٧٠ـ **موسوعة التاريخ الإسلامي**، محمّد هادي اليوسفي الغروي(معاصر)، مجمع الفكر الإسلامي، ط ١ (١٤١٧ هـ)، قم.

ـ ن ـ

١٧١ـ **النص والاجتهاد**، السيّد عبدالحسين شرف الدين الموسوي المتوفى (١٣٧٧ هـ)، المحقق أبو مجتبى، ط (١٤٠٤ هـ)، قم.

١٧٢ـ **نزهة الناظر وتنبيه الخاطر**، حسين بن محمّد بن الحسن بن نصر الحلواني (من علماء القرن الخامس الهجري)، مدرسة الإمام المهدي(عج)، ط ١ (١٤٠٨هـ)، قم.

١٧٣ـ **نظم درر السمطين في فضائل المصطفى صلى الله عليه وآله والمرتضىٰ والبتول والسبطين عليهم السلام**، محمّد بن يوسف بن الحسن بن محمّد الزرندي الحنفي المدني المتوفى (٧٥٠ هـ)، من مخطوط مكتبة أمير المؤمنين عليه السلام العامّة (٣٧٧ هـ)، النجف الأشرف.

١٧٤ ـ نقد السياسة (الدولة والدين)، برهان غليون، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ط٢.

١٧٥ ـ نهج الإيمان، عليّ بن يوسف بن جبر من أعلام القرن السابع، مجتمع الإمام الهادي عليه السلام، ط ١ (١٤١٨ هـ)، مشهد.

١٧٦ ـ نهج البلاغة، الإمام عليّ عليه السلام، جمع وترتيب الشريف الرضي المتوفى (٤٠٤هـ) دار الثقلين ط الأُولى، قم.

١٧٧ ـ نور الأبصار في مناقب آل بيت النبيّ المختار، الشيخ مؤمن بن محسن مؤمن الشبلنجي المتوفى (١٢٩٨ هـ).

ـ هـ ـ

١٧٨ ـ الهداية الكبرى، أبو عبدالله الحسين بن حمدان الخصيبي المتوفى (٣٣٤ هـ)، مؤسسة البلاغ، ط ٤ (١٤١١ هـ)، بيروت.

ـ و ـ

١٧٩ ـ الوافي بالوفيات، صلاح الدين أبو الصفا خليل بن إيبك بن عبدالله الصفدي الشافعي المتوفى (٧٦٤ هـ)، دار إحياء التراث العربي، ط (١٤٢٠ هـ)، بيروت.

١٨٠ ـ وقعة صفين، نصر بن مزاحم المنقري المتوفى (٢١٢ هـ)، المؤسسة العربية الحديثة، ط (١٣٨٢ هـ)، القاهرة.

١٨١ ـ وفيات الأعيان، أبو العبّاس أحمد بن محمّد المكّي البرمكي المعروف بابن خلكان المتوفى (٦٨١ هـ).

ـ ي ـ

١٨٢ ـ ينابيع المودّة لذوي القربى، سليمان بن إبراهيم القندوزي المتوفى (١٢٩٤هـ)، دار الأُسوة ط الأُولى، قم.

الفهرس التفصيلي

الباب الثاني

الباب الثالث

الباب الرابع